

سلسلة في المشرق والمغرب

المجلد التاسع عشر

رحلات الصين الشعبية

الدكتور

عبد الله بن أحمد قادري الأهدل

دار الإندلس الخضراء

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

دار الأندلس الخراء

المملكة العربية السعودية - جدة

الإدارة: صرب : ٤٢٢٤٠٠ جدة : ٢١٥٤١ هاتف : ٦٨١٠٥٧٧ - فاكس : ٦٨١٠٥٧٨

المكتبات : ♦ حي السلامة - خلف مسجد الشعيبي هاتف - فاكس : ٦٨٢٥٢٠٩

♦ حي النثر - شارع باخشب - هاتف : ٦٨١٥٠٢٧ - فاكس : ٦٨١٠٥٧٨

♦ مكتب الرياض : هاتف / فاكس : ٢٤٢٤٩٣٠

الموقع : www.alandalos.com - البريد الإلكتروني : info@andalos.com

سلسلة في المشرق والمغرب
المجلد التاسع عشر

رحلات
الصين الشعبية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصين الشعبية . القسم الأول

معلومات عامة عن الصين:

غالب معلومات القسم الأول من هذا الكتاب مأخوذة من ثلاثة كتب ألفها صينيون، وهي باللغة العربية، تمكنت من الحصول عليها بعد بحث شديد في إحدى المكتبات التي تباع الكتب المطبوعة باللغات الأجنبية، في مدينة بكين، في: (١٤١٦/٢/٢٨ هـ — ١٩٩٥/٧/٢٦ م)، وهذه الكتب هي:

١ — (بكين حاضرة الصين العريقة والحديثة)، إعداد: ليو جيون ون، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨ م.

٢ — (موجز أحوال الصين)، تأليف: تشي ون، دار النشر باللغات الأجنبية — بكين الطبعة الأولى.

٣ — (الصين)، تأليف: تشين شي، دار النجم الجديد — بكين الطبعة الأولى عام ١٩٩٣ م. وبها إحصاءات رسمية، وبعض الصور الفوتوغرافية. ومراجع أخرى غيره سيأتي ذكرها في أماكنها.

فمعلومات هذا الكتاب قسمان:

القسم الأول: مأخوذة من مراجع مطبوعة باللغة العربية لمؤلفين صينيين أو عرب، أو من تقارير كتبها صينيون أو عرب.

القسم الثاني: هو مذكراتي اليومية التي كتبتها أثناء مقابلاتي مع بعض المسلمين الصينيين مشافهة، أو ترجموها لي من بعض الكتب الجغرافية الصينية. سبب التسمية:

لعل اسم الصين أخذ من اسم أول أسرة حكمت هذا البلد حكماً إمبراطورياً قوياً وعينت حدوده وقسمته إلى ولايات ومقاطعات إدارية، بعد فترة الدول المتحاربة، واستمر حكمها من: (٢٢١ ق. م — ٢٠٦ ق. م).

واسم هذه الأسرة: (تشي إن — ch'in)^(١).

موقع الصين ومساحتها:

تقع الصين في الجزء الشرقي من قارة آسيا، وعلى الساحل الغربي من المحيط الهادي. وتبلغ مساحة اليابسة في الصين: ٩٦ ملايين كيلو متر مربع، فهي ثالث دولة في العالم من حيث المساحة (بعد روسيا وكندا).

حدود الصين:

يحدّها من الشرق كوريا — بقسميها: الجنوبي والشمالي، ومن الشمال: منغوليا، ومن الشمال الشرقي: روسيا، ومن الشمال الغربي: قازاخستان، وكيرجستان، وطاجيكستان، ومن الغرب والجنوب الغربي: أفغانستان، وباكستان، والهند، ونيبال، وسيكيم، وبهوتان، ومن الجنوب: ميانمار، ولاوس، وفيتنام، ويبلغ طول حدود الصين البرية: ٢٢٨ ألف كيلو متر تقريباً.

وتواجه عبر البحار كلا من: كوريا، واليابان، والفلبين، وبروناي، وماليزيا، وإندونيسيا، من جهة الشرق والجنوب الشرقي.

تبلغ عدد جزرها المنتشرة في مياهها البحرية: [٥٠٠٠ جزيرة]، ويعد الصينيون جزيرة تايوان — وهي أكبر تلك الجزر، وتبلغ مساحتها: ٣٦ ألف كيلو متر مربع — من مقاطعات الصين الشعبية^(٢).

ومن تلك الجزر جزيرة هينان، وتبلغ مساحتها: ٣٤ ألف كيلو متر مربع.

تضاريس الصين ودرجاتها:

يغلب على سطح الصين الهضاب والجبال والتلال، حيث تبلغ تلك المرتفعات:

(١) [راجع كتاب: المسلمون في الصين — الملف الضائع: (ص: ٦٥)].

(٢) [تعد الصين من مقاطعاتها جزيرة تايوان، ويرى حكام تايوان أنّها فعلاً إحدى مقاطعات الصين، ولكنهم يدعون أنّهم هم الحكام الشرعيين للصين كلها، وأن وجود حكومتهم في جزيرة تايوان وجود مؤقت (المجلد الثالث عشر: سنغافورة وبروناي وتايوان، في المشرق والمغرب)].

٦٠% من أراضيها البرية.

وتضاريسها إجمالاً أربع درجات:

الدرجة الأولى: هضبة تشينغهاي — التبت.

ومساحتها ٢٢ مليون كيلو متر مربع، في الجنوب الغربي من الصين، ويقع قسمها الأساسي على الحدود الصينية الهندية والحدود الصينية النيبالية، وهي أعلى وأكبر هضبة في العالم، ولذا أطلق عليها: (سقف العالم).

ويبلغ متوسط ارتفاعها ٤٠٠٠ م فوق سطح البحر، وبها جبال هيمالايا^(١) التي بها أعلى قمة في العالم (جبل إيفرست المشهور الذي يفد إليه هواة التسلق من جميع العالم) ويبلغ ارتفاعه: ١٣ ٨٨٤٨ متراً فوق سطح البحر^(٢).

الدرجة الثانية: تقع في حافة شرق وشمال هضبة تشينغهاي.

وتتكون من أحواض تشونغكار، وتاريم، وسيتشوان، وهضبة منغوليا الداخلية، وهضبة التراب الأصفر، وهضبة يونان — جويتشو، وينخفض ارتفاعها انخفاضاً شديداً إضافة إلى هضبة تشينغهاي السابقة، حيث يبلغ ارتفاعها من ١٠٠٠ إلى ٢٠٠٠ متر فوق سطح البحر.

الدرجة الثالثة: تقع في شمال شرق الصين.

وتتكون من جبال: شينغآن العظمى... ويبلغ ارتفاعها من: ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ متر فوق سطح البحر.

ويعتمد في هذه المنطقة سهل شمال الصين الشرقي، وسهل شمال الصين، وسهول نهر بحر يانغتسي التي تزين حوافها التلال المنخفضة.

(١) [وتعني باللغة السنسكريتية: موطن الثلوج]..

(٢) [في الصين أكثر من مائة جبل يزيد ارتفاع كل منها على ٧٠٠٠ متر، وأكثر من ١٠٠٠ جبل يتجاوز

ارتفاع كل منها ٦٠٠ متر]..

الدرجة الرابعة: تقع في شرق الدرجة الثالثة.

وهي منحدرات ممتدة في منطقة بحرية ضحلة المياه، تتكدس فيها كمية كبيرة من الغرين الذي يحمله النهر القاري إلى مصبه في البحر.

مناخ الصين وتنوعه وسبب ذلك:

نظراً لمساحة الصين الواسعة، حيث تمتد من خط عرض: ٥٣° شمالاً إلى خط عرض ٤° شمالاً، ومن خط طول: ١٣٥° شرقاً إلى خط طول: ٧٣° شرقاً، واختلاف تضاريسها وسطحها، من مرتفعات شاهقة إلى سهول منخفضة، ومن مناطق تجاور مياه البحار والأنهار والبحيرات العذبة والمالحة إلى مناطق صحراوية جافة، ومن مناطق مكسوة بالغابات والمزارع إلى مناطق جرداء، أقول: نظراً لذلك كله فإن مناخ الصين يختلف اختلافاً كثيراً باختلاف تلك التضاريس.

ولذلك تجدد الفصول الأربعة في الصين واضحة غاية الوضوح، حيث تهب الرياح شمالية باستمرار، ويقل سقوط الأمطار في الشتاء، كما تهب جنوبية باستمرار، مع غزارة سقوط الأمطار في الصيف.

ومعظم أقاليم الصين تقع في المناطق المعتدلة، ويقع جزء منها في المناطق الاستوائية وشبه الاستوائية جنوباً، وفي الشمال يقترب من المناطق المتجمدة التي يكون الصيف فيها دافئاً قصيراً، والشتاء بارداً طويلاً، وفي الشرق يكون الجو معتدلاً رطباً، أما في الشمال الغربي فالطقس يتقلب فيه تقلباً شديداً حتى في اليوم الواحد، ولذا يقولون فيه: يلبس الفراء في الصباح، ويلبس الحرير الخفيف عند الظهر، وفي بعض مناطق يونان يكون الطقس معتدلاً في غالب السنة، ولذا يسمون عاصمة الولاية: (كومنغ): مدينة الربيع.

ولعل في الجدول الآتي ما يوضح الفرق في درجات الحرارة في مناطق الصين المختلفة:

المدينة	متوسط الدرجة في يناير	متوسط الدرجة في يوليو	الفرق السنوي
بكين	٤,٨ تحت الصفر	٢٥,٨	٣٠,٦
شنغهاي	٣,٥	٢٨	٢٤,٥
تشنغداو	١٨ تحت الصفر	٢٣,٧	٢٤,٨
قوانغتشو	١٣,٧	٢٨	٢٨,٣
ووهان	٢,٧	٢٩,١	٢٦,٤
أورومتشي	١٥,٨	٢٣,٩	٣٩,٧
سينانغ	١٣ تحت الصفر	٢٤,٩	٣٧,٩

الأنهار والبحيرات:

الأنهار والبحيرات كثيرة جداً في الصين.

أولاً: الأنهار الرئيسية في الصين.

عدد الأنهار التي تزيد مساحة كل منها عن ١٠٠ كم مربع ١٥٠٠ نهر، وهذا بخلاف الأنهار التي هي أقل من ذلك.

أما الأنهار الرئيسية في الصين، فهي:

(١) نهر اليانغتسي YANG ZI. وهو أطول أنهار الصين، وثالث أطول نهر في العالم، وينبع من الجنوب الغربي لقمة (قلاداندونغ) المكسوة بالثلوج، ويخترق مناطق كثيرة. وهو شريان مهم للمواصلات حيث يربط بين عدة مدن حتى يصب في بحر الصين الشرقي قرب مدينة شنغهاي، ويبلغ طوله: ٦٣٠٠ كيلومتر.

(٢) النهر الأصفر. وهو ثاني أطول نهر في الصين، ويعد حوضه مهد الحضارة الصينية القديمة، حيث توجد في منطقته آثار قديمة كثيرة، ويبلغ طوله: ٥٤٦٤ كيلو متر، ويمر بمقاطعة شاندونغ في أقصى الشرق، حيث يصب في بحر بوهاي.

(٣) نهر اللؤلؤ. وتمده ثلاثة روافد، وينبع من جبال وومنج في مقاطعة يونان، وهو

أكبر نهر في جنوب الصين، ويبلغ طوله ٢١٩٧ كيلو متراً، ويصب في بحر الصين الجنوبي، وكمية مياهه تساوي ثمانية أضعاف مياه النهر الأصفر، وإن كان في الطول أقل منه بكثير.

وبالإضافة إلى الأنهار الطبيعية الكثيرة في الصين، توجد قناة مشهورة بدأ شقها في القرن الخامس قبل الميلاد، وهي تمتد من بكين شمالاً إلى هانغتشو في مقاطعة تشجيانغ جنوباً، ويبلغ طولها ١٨٠١ كيلو متر، وكانت تعد طريقاً مائياً رئيساً للأسر الحاكمة في الحقب الماضية.

ثانياً البحيرات:

كذلك تكثر في الصين البحيرات العذبة والمالحة، وهي تغطي أكثر من ٨٠,٠٠٠ كيلومتر مربع.

وعدد البحيرات التي تزيد مساحة كل منها عن ١٠٠ كيلو متر مربع يربو على ١٣٠ بحيرة.

أما البحيرات التي تزيد مساحتها عن كيلو متر مربع واحد، فإن عددها يتجاوز ٢٨٠٠ بحيرة.

وأكبر البحيرات العذبة: بحيرة (بويانغ) في جنوب نهر اليانغتسي، ومساحتها ٣٥٨٣ كيلو متراً مربعاً.

وأكبر البحيرات المالحة: بحيرة (تشنغهاي) في الغرب، ومساحتها ٤٥٨٣ كيلومتراً مربعاً.

الثروة النباتية والحيوانية:

أولاً: الثروة النباتية:

بلغت أصناف النباتات في الصين: (اثنين وثلاثين ألف صنف)، منها ما يزيد عن (٢٠٠٠ صنف) للتغذية، ومنها ما يزيد عن (٢٨٠٠ صنف) من الأشجار، إضافة إلى ما لا يحصى من أصناف الأعشاب الطبية ومواد الأدوية الثمينة.

وتزرع الصين النباتات الاقتصادية، كالقطن وقصب السكر والبن والأرز ونخل

الزيت وشجر الكاكاو والفلفل الأسود، والأنواع الكثيرة من الشاي، وتكثر بها الفواكه المتنوعة، ومن الأشجار النادرة شجرة (ميتاسكوايا)، وهي شجرة ضخمة قد يصل ارتفاعها إلى (٣٥ متراً)، ومن الأشجار التي تُزرع شجر السرو، وغير ذلك.

وقد أنتجت في سنة ١٩٩٢م أكثر من ٤٤٢ مليون طن من الحبوب.

ثانياً: الثروة الحيوانية:

أما الحيوانات، فإن الصين أغنى دول العالم بها، ففيها (٢٠٩١) من أنواع الحيوانات الفقارية التي تعيش على اليابسة، وتقدر بـ ١٠% من مجموعها في العالم. ومن أنواع الحيوانات المشهورة الخاصة بالصين: (الباندا العملاقة)^(١) وتعيش في المناطق الجبلية النائية، وتعد من الكنوز الوطنية الثمينة^(٢).

وبها: ١١٨٦ نوعاً من الطيور، وتقدر بـ ١٣,٥% من مجموع أنواعها في العالم، بعضها من الطيور النفيسة النادرة، مثل الكركي الأحمر.

وقد أقامت الأقسام المسؤولة عن حماية الحيوانات والنباتات (٢٤) منطقة محمية طبيعية بلغت مساحتها ٤٤ مليون هكتار، للحفاظ على هاتين الثروتين، وبخاصة النادر منهما.

الثروات المعدنية:

تحتل الصين المرتبة الثالثة في مجمل احتياطها من المعادن، وقد اكتشف بها إلى سنة

١٩٩٣م: ١٤٨ معدناً، منها:

الفحم، والنفط، والغاز، والحديد، والتنجستين، والقصدير، والزنك، والرصاص، والزرنيق.....

(١) [صورهما في ص: ١٠ موحز أحوال الصين].

(٢) [وقد شاهدتها في حديقة حيوان بكين، كما سيأتي ذكرها في مذكراتي اليومية].

الصناعات الخفيفة والثقيلة:

نمت الصناعة في الصين نمواً سريعاً، حيث أصبح معدل الزيادة السنوية في الصناعة ما يربو على: ١٣%.

تشتمل صناعة الصين على الصناعات الخفيفة، والثقيلة:

أولاً: الصناعات الخفيفة.

فالصناعات الخفيفة: بلغت ٢٢ صنفاً، منها الورق، والأدوات اليومية، والأطعمة والمصابيح، والجلود والفراء، والقرطاس، والأشغال اليدوية. . وتصدر كثيراً منها إلى الخارج.

ثانياً: الصناعات الثقيلة.

ومن الصناعات الثقيلة: الغزل والنسيج والصوف والكتان والحرير والصنغ والملابس...

ومنها صناعة الوقود والطاقة، كالفحم والنفط والكهرباء، وقد حققت في سنة ١٩٩٣م الاكتفاء الذاتي من النفط، بل بدأت في تصديره.

وتقدمت في صناعة الحديد والصلب الذين بلغ إنتاجهما حتى سنة ١٩٩٢م ثمانين مليون طن، ويتوقع أن يبلغ إنتاجهما مائة مليون طن مع نهاية القرن العشرين الذي لم تبق منه إلا خمس سنوات^(١).

وتصنع السيارات والسفن والجرارات الكبيرة والمتوسطة والماكينات الدقيقة وأجهزة توليد الكهرباء، بل أصبحت قادرة على صنع الطائرات — المقاتلة والقاذفة وطائرات الاستطلاع وطائرات الشحن وطائرات الهليكوبتر وطائرات الركاب — وأصبحت تصدر الطائرات المدنية لعدد من الدول.

وقد أنتجت الصواريخ الناقلة للأقمار الصناعية وأطلقتها، من ذلك إطلاقها القمرين

(١) [كانت كتابة هذه السطور في: (٢٩/٧/١٤١٦ هـ — ٢١/١٢/١٩٩٥م)].

الصناعيين الأستراليين الذين صنعتها الولايات المتحدة الأمريكية^(١).
وأطلقت ما بين سنة: ١٩٧٠ و ١٩٩٢م: ٣٣ قمراً صناعياً^(٢).

النقل والمواصلات:

أولاً: السكك الحديدية.

وتتكون السكك الحديدية الصينية من خطين رئيسيين:

الأول: يربط شرق البلاد بغربها، حيث يمتد من (جيانغسو) في الشرق إلى (أورومشي) في الغرب، تتفرع عنه سكك فرعية هنا وهناك.

الثاني: يربط شمال الصين بجنوبها، حيث يمتد من (هارين) شمالاً إلى (غوانغتشو) جنوباً، متخذاً بكين مركزاً رئيساً.

كما بنيت خطوط حديدية مهمة في جنوب غرب الصين، حيث تكثُر الجبال العالية.

وقد بلغت مسافة السكك الحديدية — إلى عام ١٩٩٢م — ما يقارب (٥٤) ألف كيلو متر.

ثانياً: الطرق البرية العامة.

وقد بلغت مسافتها — إلى سنة ١٩٩٢م: (١٠٥٤) مليون، ما بين طرق سريعة وطرق عادية، وهي تربط بين المحافظات كلها — ما عدا محافظة: موتوه في التبت.

والسيارات تابعة للشركات الحكومية، منها الحافلات الكبيرة التي تنقل موظفي الشركات، ومنها التي تنقل المسافرين من مدينة إلى أخرى، ومنها سيارات الأجرة

(١) [الصين: ص: ٢٢]..

(٢) [وتغزو الصين الدول الغربية وغيرها بكثير من صناعاتها، وهي تتقدم بصورة مطردة في صناعاتها الخفيفة والثقيلة، لذلك تخشى الدول الغربية وبخاصة أمريكا التي تريد السيطرة الكاملة على العالم، تخشى من سرعة تفوقها المنافس لها، ولت الدول العربية والإسلامية تنجّه باستثماراتها للصين واليابان لئلا تنفرد بها الولايات المتحدة الطاغية في هذا العصر]..

الصغيرة والكبيرة التي تنقل الركاب في داخل المدن، ولا يركب سيارات الأجرة الصغيرة — في الغالب إلا الوافد من خارج البلد لأن غالب أهل البلد لا يستطيعون دفع أجرتها، لقلة رواتبهم^(١).

ولا توجد سيارات يملكها أفراد، إلا كبار رجال الدولة^(٢) الذين كانوا من قبل يستعملون الدرجات كغيرهم من أبناء الشعب، وإلا سائقي سيارات الأجرة الذين يمضون مدة طويلة يعملون مع الشركة التي تملك السيارة، ثم يحق لهم تملكها بشرط دفع ضريبة مستمرة للدولة.

ثالثاً: الملاحة النهرية.

وقد بلغ طول الممرات المفتوحة للملاحة في الأنهار الصينية ١١٠ آلاف كيلو متر، وفي ذلك تسهيل لحركة النقل المختلفة.

رابعاً: النقل البحري.

إن للصين أكثر من عشرين ميناءً رئيساً، تشتمل على ما يقرب من ١١٠٠ مرسى، تنقل السفن العاملة في هذه الموانئ ما يزيد عن مائة مليون طن من صادرات الصين ووارداتها من أنواع البضائع كل سنة.

خامساً: الطيران المدني.

وعدد شركات الخطوط الصينية المحلية^(٣) (١٤ شركة) إلى عام ١٩٩٢ م. ومركزها الرئيس (بكين) العاصمة.

ولها فروع في المناطق الأخرى، وقد بلغت خطوطها إلى سنة ١٩٩٢ م: ٥٢٦ خطاً، منها ٥٨ خطاً دولياً.

(١) [الآن أصبح المواطنون من التجار يركبون سيارات الأجرة]..

(٢) [الآن التجار يملكون السيارات، ولكنهم يدفعون عليها ضرائب مستمرة شهرياً وسنوياً]..

(٣) [ينبغي أن يعلم أن الشركات كلها في الصين حكومية]..

سادساً: الدراجات العادية.

لو أن أحداً سمي الصين: (بلد الدراجات) لصحت تسميته لها بذلك، فلا تكاد تجد في مدنها — شوارعها العامة والفرعية، والأسواق المركزية والشعبية، والشركات الكبيرة والصغيرة، والأماكن السياحية والمتنزهات، والإدارات الحكومية، وأماكن العبادات، والطرق الرابطة بين المدن وضواحيها طالت أم قصرت — مساحة تخلو من الدراجات بكثرة مدهشة: السائرة والواقفة.

وقد خصص لها شوارع خاصة محاذية لشوارع سير السيارات، مثل خطوط الخدمات الموجودة عندنا، إلا أنه يحذر على غير سائقي الدراجات استعمالها، ولقد مشيت في وسط أحد تلك الشوارع عندما رأيت فراغاً نسبياً فيه، ظناً مني أنها غير محظورة على المشاة — بل لم أكن أعلم أنها محظورة على سير السيارات — فإذا مرافقي الصيني (إبراهيم يصيح بي: يا شيخ يا شيخ احذر احذر!) وإذا دفعة من الدراجات تكاد تصدمني، وهم يسرون متلاصقين في الطريق كتلاصق المصلين الحريصين على السنة في صلاة الجماعة، لضيق الشارع بهم، وكلهم يصيحون بي بكلمة واحدة، وينظرون إلي نظرات تعجب واستنكار، وكان ذلك في ميدان (تيان آن من).

الاتصالات في الصين:

البرق والبريد والهاتف: إن ترامي أطراف الصين تستدعي شبكات من الاتصالات البريدية، والبرقية، والهاتفية، وقد بلغت مكاتب البريد إلى عام ١٩٩٢ ما يقارب (٥٥) ألف مكتب، وأنشئت شبكة تحويل للهواتف الآلية البعيدة المدى في (١٥٢١) مدينة ومحافظة، وتم ربط خطوط هاتفية في كثير من المدن بالخارج....

أصل سكان الصين:

يكتنف أصل سكان الصين غموض شديد إلى الحد الذي جعل بعض الكتاب يرى

أنه: (ليس من الناس من يعرف من أين جاء الصينيون، أو إلى أي جنس ينتسبون، أو متى بدأت حضارتهم في الزمن القديم)^(١).

واستنتج بعضهم بوساطة الاكتشافات الأثرية أن أصلهم من منغوليا الجنوبية التي أجذبت وجفت وآضت إلى صحراء قاحلة، فانتشر سكانها في كل من سيبيريا والصين، ويرون أن سكان الصين ليسوا أمة واحدة، وإنما هم خليط من أجناس مختلفة الأصول — كالأمم الأوروبية — غير متجانسة في الأخلاق والفنون، وأنهم يعادي بعضهم بعضاً في العادات والمبادئ الخلقية والنظم الحكومية.

أسباب الجهل بسكان الصين وأسباب عزلتها:

ويعزو كتاب الحضارات سبب الجهل بسكان الصين إلى عزلتها الطبيعية الناشئة عن تضاريسها الكثيرة المرتفعات والجبال الوعرة، والغابات الكثيفة، والشعاب البعيدة الغور، والصحاري القاحلة الواسعة والأنهار العظيمة، والأقوام المتوحشة، والبحار التي تحتضن حدودها الشرقية والجنوبية^(٢)...

ويمكن أن يضاف إلى ذلك الحواجز الصناعية، وهي الأسوار التي كانت تبني على حدود الممالك الصينية قبل وحدتها، ثم بناء السور العظيم بعد توحيد تلك الممالك^(٣).

ومن أهم أسباب عزلة الصين عن العالم أن سياسة حكامها في الماضي والحاضر، دأبت على تقوية تلك العزلة بكل الوسائل المتاحة، ولا يغيرون سياستهم تلك إلا

(١) [يلعلم القارئ أنني لا ألتزم دائماً نقل المعلومات من المراجع بالنص، بل قد أنقل النص كاملاً وأضعه بين قوسين، وقد أختصره وأشير إلى ذلك بوضع نقاط في مكان الاختصار هكذا... وقد يكون النص المحذوف طويلاً في صفحات متعددة، وقد أنقل المعلومة بالمعنى وأشير إلى صفحاتها].

(٢) [قصة الحضارة: (١٢ / ٤ — ١٤). ول ديورانت، ترجمة محمد زيدان، الطبعة الثالثة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة].

(٣) [راجع قصة الحضارة (١٩ / ٤)].

إذا اضطروا إلى ذلك التغيير، إما لحاجتهم الملحة لهم إلى ذلك، كما يحاولون الآن الاستفادة من التقدم الصناعي الغربي ومن تسويق بضاعتهم إلى العالم، لتقوية اقتصادهم الذي يقصدون من ورائه إحراز القوة العسكرية التي تزيد من هيبتهم — العددية التي قاربت المليار ونصفه — وإما لفرض ذلك عليهم من دول أجنبية، كما حصل في عهود الاستعمار الغربي المتكرر وحروب الأفيون والغزو الياباني.

وقد عَمِلَتْ تلك العزلة في سكان الصين عملها، حتى أصبحت من طبيعتهم، ولا يزال غالبهم إلى اليوم لا يعرف عن العالم شيئاً، ولا يهش لزائر أجنبي، بل إن كثيراً منهم لا يعرف من بلاده غير منطقته التي يعيش فيها.

وعلى كل فإن سكان تلك المناطق كلها هم من نسل (يافث بن نوح) عليه السلام. قال ابن كثير رحمه الله: (وقد قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: حدثنا إبراهيم بن هانئ وأحمد بن حسين بن عباد أبو العباس، قالا: حدثنا محمد بن يزيد بن سنان الرهاوي، حدثني أبي عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ولد لنوح سام وحام ويافث، فولد لسام العرب وفارس والروم والخير فيهم، وولد ليافث يأجوج ومأجوج والترك والسقالبة، ولا خير فيهم، وولد لحام القبط والبربر والسودان) ثم قال: لا نعلمه يروى مرفوعاً إلا من هذا الوجه، تفرد به محمد بن سنان عن أبيه، وقد حدث عنه جماعة من أهل العلم واحتملوا حديثه. ورواه غيره عن يحيى بن سعيد مرسلًا ولم يسنده، وإنما جعله من قول سعيد^(١)...

وإذا علم أن العرب وفارس والروم من أولاد سام، وأن القبط والبربر والسودان من أولاد حام، فالظاهر أن الصينيين وسكان المناطق الشرقية المجاورة لها يدخلون في الترك ويأجوج ومأجوج، الذين هم أبناء يافث، لأنهم أقرب إليهم من أبناء العممين

(١) [راجع البداية والنهاية لابن كثير: (١/١٠٨)، (٢/١٠٠)].

الآخرين مكاناً وشكلاً، وهذا الحديث — وإن تُكَلِّمَ فيه — فهو أولى بالقبول من روايات تاريخية لا سند لها.

هذا مع العلم أنه لم يبق على وجه الأرض من البشر — بعد الطوفان الذي أهلك الله به الكائنات — في عهد نوح إلا من هو من ذريته، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾^(١).

أما السقالية — وتكتب بالسين والصاد — فقال عنهم في القاموس المحيط: (جيل تتاحم بلادهم بلاد الخزر بين بُلَغَر وقسطنطينية).

وقال في لسان العرب: (قال أبو منصور: السقالية جيل حمر الألوان، صهب الشعور، يتاحمون الخزر وبعض جبال الروم..).

وقال في موسوعة المورد عن الصقالية: (اسم جامع أطلقه العرب على السلاف SLAVS بعامية...) وقال عن السلاف: (مجموعة من شعوب شرق أوروبا... يقسم السلاف عادة إلى الشعوب السلافية الشرقية، وأهمها الروس والأوكرانيون والبولنديون، والشعوب السلافية الغربية، وأهمها البولنديون والتشيكيون والسلوفاكيون، والشعوب السلافية الجنوبية، وأهمها الصرب والكرواتيون والسلوفينيون والمقدونيون والبلغار...) ^(٢).

عدد سكان الصين:

بلغ عدد سكان الصين في سنة ١٩٤٩م: (٥٤١ر٦٧ مليون) وبلغ في سنة ١٩٩٠م: (١١٧ر٣٨١ر١٦٠ر١) أي مليار، ومائة وستين مليون، وسبع عشرة ألفاً، وثلاثمائة وثمانين نسمة^(٣).

(١) [الصفات: ٧٧].

(٢) [تراجع مادة (صَقَلَبَ) في كتب اللغة. وفي الموسوعة المذكورة].

(٣) [موجز أحوال الصين، تأليف: تشي ون، ص: ١٩ — ٢٠، دار النشر باللغات الأجنبية — بكين، سنة ١٩٩٠م].

وبلغ عددهم حسب الإحصاء الرسمي في شهر ٩/١٩٩٤م ملياراً وثلاثمائة وتسعة ملايين وثمانمائة وخمسة وتسعين ألفاً ومائتين وأربعاً وعشرين نسمة (٢٢٤ ر ٨٩٥ ٣٠٩ ر ١)^(١).

القوميات التي يتألف منها سكان الصين:

يتألف سكان الصين الآن من ست وخمسين قومية، أكثرها عدداً قومية (هان) وهي التي تحكم الصين، وتعتبر القوميات الأخرى أقليات^(٢).

الأديان المشهورة في الصين:

يتعجب كتاب الحضارات من تناقضات الصينيين الذين اجتمع فيهم الإيمان بالخرافات الغالية، والانصياع لأحكام العقل المتأمل، بسبب التأثير القوي بما يليه عليهم فلاسفتهم مختلفي الاتجاهات:

(لم يرق المجتمع الصيني على العلم، بل قام على خليط فذ عجيب من الدين والأخلاق والفلسفة، ولم يشهد التاريخ شعباً من الشعوب أشد من الشعب الصيني استمساكاً بالخرافات، أو أكثر منه تشككاً، وأعظم منه ثقيلاً، أو أكثر انصياعاً لحكم العقل، أو أقوى منه دنيوية، ولم توجد على ظهر الأرض أمة تماثل الأمة الصينية في التجرد من سيطرة الكهنة، ولم يسعد قوم غير الهنود بألتهم أو يشقوا بهم، بمثل ما سعد بهم الصينيون أو شقوا، ولسنا نستطيع أن نفسر هذه التناقضات إلا بأن نعزو لفلاسفة الصين نفوذاً لا نظير له في التاريخ...) (٣).

ولنلخص ما ذكره بدر الدين حي الصيني الأزهري عن ديانات الصين قبل وصول

(١) [في السنة الماضية، أي قبل زيارتي للصين بسنة واحدة، ولما يعلن إحصاء رسمي جديد للسكان، وهذا الإحصاء تضمنه كتاب جغرافي باللغة الصينية، موجود في مكتبي، وقد ترجم لي ذلك الأخ إبراهيم الصيني، مرافقي في الرحلة والطالب بالجامعة الإسلامية بالمدينة].

(٢) [الصين ص ١٨].

(٣) [قصة الحضارة، (٤/ ٢٥٦)].

الديانات التي سماها: الأجنبية^(١).

قال بدر الدين: (كان للصينيين دين قبل وصول الديانات الأجنبية إليهم مبني على الأوهام والخرافات.. يتخذون الأجسام السماوية والظواهر الطبيعية معبودة لهم غير معتقدين بخالق جبار.. فالحكماء الذين ظهروا في الصين بعد زمن الخرافات... لا أحد منهم قد أتى بكتاب سماوي.. إلا أن كلامهم يدل على عقيدة بذات ما وراء الطبيعة...)

ثم ذكر بعض الديانات الأجنبية التي دخلت الصين، ومحت آثارها، ومنها المانوية التي وصلت إلى الصين في القرن السابع الميلادي، والمجوسية التي وصلت إلى الصين قبل الإسلام بقرن.

ثم النسطورية التي وصلت إلى الصين في سنة: ٦٣٥م^(٢).

الكنفوشيوسية (ACONFUCI UISM):

وهي — في الأصل — تقاليد وطقوس قومية ورثها الخلف عن السلف، وقد صاغها صياغة جديدة، واجتهد في إحيائها والدعوة إليها الفيلسوفُ الصينيُّ المشهور:

(١) [بدر الدين و. ل. حيّ هذا ذكر عن نفسه في كتابه: (تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر) أنه خرج من الصين التي احتلها الشيوعيون في أول عهد شبابه، ودرس في الجامعة المليّة الإسلامية بدلهي وتعلم اللغة الأردية، من سنة ١٩٢٧م إلى سنة ١٩٣٣م، واتصل بكبار علماء المسلمين وقادتهم في الهند، ومنهم شاعر الإسلام محمد إقبال، والعلامة الكبير السيد سليمان الندوي... ثم سافر إلى القاهرة، والتحق بكلية اللغة العربية بالأزهر الذي كان يرأسه الشيخ مصطفى المراغي، وتعرف كذلك على كبار العلماء، ومنهم الدكتور عبد الوهاب عزام، والأستاذ مصطفى صادق الرافعي... وبقي هناك من سنة ١٩٣٤م إلى سنة ١٩٤١م، ألف خلالها أول كتاب له باللغة العربية: (العلاقات بين العرب والصين) ثم سافر ضمن الوفد الصيني وأقام في نيويورك من سنة ١٩٥٣ إلى سنة ١٩٥٥م جمع خلالها كثيراً من مادة كتابه: (تاريخ المسلمين في الصين) وبعد أن أصبح مستشاراً للسفارة الصينية في جدة، عدل بعض التعديلات في هذا الكتاب بتوجيه من بعض العلماء، ذكر منهم الشيخ أحمد صلاح جمجوم والشيخ محسن باروم. ذكر ذلك في (مقدمة الكتاب المذكور)].

(٢) [العلاقات بين العرب والصين، (ص: ١٤١) الطبعة الأولى، ١٣٧ — ١٩٥٠، مكتبة النهضة المصرية].

(كانفوشيوس CONFUCIUS) المولود سنة: ٥٥١ قبل الميلاد، والمتوفى سنة:

٤٧٩ قبل الميلاد، أي إن عمره: (٧٢ سنة).

ومعبودات هذه الديانة ثلاثة:

السماء:

والسماء — لدى الصينيين — اسم مشترك للعبة الزرقاء المحيطة بالأرض، والإله الذي يطلقون عليه: (الملك العلي) ويعتقدون أنه حي عليم قدير، يصرف السماوات والأرض وما بينهما، ويعتقدون القضاء والقدر.

وعبادة السماء مخصوصة بالملك، الذي يسمونه: (ابن السماء) ولا يشاركه في ذلك الرعية، ويرتبون على ذلك الاختصاص احترام الملك وطاعته، إذا قام بمصالحهم التي هي إرادة الإله، وخلعه أو قتله إذا قصر في تلك المصالح، لأنه بذلك عصى الإرادة السماوية.

الملائكة:

وهم قسمان:

القسم الأول: ملائكة الكائنات العلوية، كالشمس والقمر والكواكب، وهذا القسم تابع للسماء التي يختص بعبادتها الملك.

القسم الثاني: ملائكة الكائنات الأرضية، كالجبال والأنهار، وعبادتها خاصة بالأمراء، ولا حق لبقية الرعية في عبادتها.

الأرواح:

والصينيون كلهم — الملك والأمراء والرعية — يعبدون أرواح آبائهم وأجدادهم، ويعتقدون بقاء أرواحهم وأنها تعيش معهم في الدنيا، ويوجد في كل بيت معبد للأرواح، ولا يعتقدون وجود جنة ونار، وإنما الجزء يكون في الدنيا.

أهداف تعاليم كونفوشيوس:

وقد كان تحديد الأخلاق المبني على المعرفة، المنظم لحياة الفرد والأسرة والمجتمع، المقامة على أساس صالح قويم هو هدف الفيلسوف (كونفوشيوس) من تعاليمه التي

دعا إليها ودَوَّهَا، ليزيح عن أمته الفوضى التي كانت تعيشها، ونشأ عنها عدم احترام أمراء الإقطاعيات للملك وعدم تنفيذ أوامره، مع احتدام الحروب فيما بينهم.

(ولُحِّمَ هذا الدين الإحسان بالوالدين والاحترام للكبار، وسداه المحافظة على التقاليد القومية والموسيقى، وبيان ذلك أن المثل الأعلى عند (كونفوشيوس) المروءة، وهي عبارة عن الفطرة السليمة والعواطف المعتدلة التي طبع الإنسان عليها، فما يديه الإنسان في طفولته لوالديه وإخوته الكبار، هو ينبوع العواطف المعتدلة التي يجب عليه أن يديهها لأفراد المجتمع الإنساني، كما جاء في كتاب الحوار^(١): (الإحسان بالوالدين والاحترام للإخوة الكبار هو أساس المروءة...)^(٢).

ومما ينقل عن كونفوشيوس قوله: (إن القدامي الذين أرادوا أن ينشروا أرقى الفضائل في أنحاء الإمبراطورية، قد بدءوا بتنظيم ولاياتهم أحسن تنظيم، ولما أرادوا أن يحسنوا تنظيم ولاياتهم بدءوا بتنظيم أسرهم، ولما أرادوا تنظيم أسرهم بدءوا بتهذيب نفوسهم، ولما أرادوا أن يهذبوا نفوسهم بدءوا بتطهير قلوبهم، ولما أرادوا أن يطهروا قلوبهم عملوا أولاً على أن يكونوا مخلصين في تفكيرهم، ولما أرادوا أن يكونوا مخلصين في تفكيرهم بدءوا بتوسيع دائرة معارفهم إلى أبعد حد مستطاع، وهذا التوسع في المعارف لا يكون إلا بالبحث عن حقائق الأشياء.

فلما أن بحثوا عن حقائق الأشياء أصبح علمهم كاملاً، ولما كَمَلَ علمهم خلصت أفكارهم، فلما خلصت أفكارهم تطهرت قلوبهم، ولما تطهرت قلوبهم تهذب نفوسهم، ولما تهذب نفوسهم انتظمت شئون أسرهم، ولما انتظمت شئون أسرهم صلح حكم ولاياتهم، ولما صلح حكم ولاياتهم أضحت الإمبراطورية كلها هادئة

(١) [كونفوشيوس نفسه، وهو كتاب يحترمه الصينيون احترام المسلمين لأنبيائهم].

(٢) [كل ما مضى عن الكونفوشية من كتاب (نظرة عامة إلى تاريخ الصين وأحوال المسلمين فيها، (ص: ١٥)].

سعيدة^(١).

الطاوية TAOISM:

تنسب هذه الديانة إلى الفيلسوف الصيني: (لوتس LUTES) ولد قبل كونفوشيوس بخمسين عاماً، وقد قابله كونفوشيوس واحترمه. ومبادئه أخلاقية فلسفية محضة، لا تستند إلى دين، وأساسها السحر والرقى، وهدفها طرد الشياطين ومعالجة الأمراض بالطلاسم، واكتساب الحياة الخالدة في الدنيا بالرياضة البدنية والنفسية وعبادة الأولياء عندهم^(٢).

البوذية BUDDLISM:

وهي منسوبة إلى مؤسسها (جوتما GAUTAMA) الذي اعتقد أتباعه أنه (البودا BUDDHA) الأخير من البودوات الذين وصلوا إلى مرتبة المكاشفة، ولد في الهند سنة: ٥٦٠ قبل الميلاد، وتوفي سنة: ٤٨٠ قبل الميلاد. أي إن عمره ثمانون سنة. كان أبوه ملكاً، وكان في أول أمره — كأبناء الملوك — مترفعاً يعيش في رغد من العيش، ثم زهد في الدنيا وتكشف واعتزل في أحد الجبال يفكر في أسباب الشقاء، وأسباب السعادة، ثم خرج على الناس يعظهم، ويدعوهم إلى أفكاره لينقذهم من الشقاء.

ملخص أفكار بوذا:

أولاً: إن الشقاوة ناشئة عن الشهوات، وهذه ناشئة عن عدم إدراك الإنسان شخصيته الحقيقية.

ثانياً: أن السبب الرئيس للنجاة من الشقاوة، هو أن يدرك الإنسان شخصيته الحقيقية وشخصيته الزائفة، لأنه بتلك المعرفة يستطيع أن يطفئ شهوته المسببة

(١) قصة الحضارة: (٤/ ٥٤).

(٢) [نظرة عامة إلى تاريخ الصين وأحوال المسلمين فيها (ص: ١٥ وما بعدها)].

للشقاوة.

ثالثاً: أن أصول النجاة من الشقاوة، والفوز بالسعادة أربعة، وهي:

١ — معرفة شقاوة الحياة الدنيا.

٢ — معرفة أسباب تلك الشقاوة.

٣ — وجوب إطفاء تلك الأسباب.

٤ — معرفة طرق إطفاء الشهوات.

رابعاً: أنه يجب على أتباع هذه الديانة العطف والإخاء وإزالة الحزن والكآبة.

خامساً: أن هناك محرمات لا يجوز فعلها، وقسم هذه المحرمات قسمين:

القسم الأول: ما هو محرم على الرهبان، وهي:

١ — التمتع بالأطياب والزهور.

٢ — الغناء وسماعه والرقص ومشاهدته.

٣ — الجلوس على السرر العالية الكبيرة.

٤ — تناول الطعام قبل أوانه.

٥ — اقتناء الذهب والفضة والجواهر.

القسم الثاني: ما هو محرم عليهم وعلى غيرهم، وهي:

١ — قتل الإنسان والحيوان.

٢ — السرقة.

٣ — الزنا.

٤ — شرب الخمر.

الإيمان بالغيب:

وكان بوذا ملحداً دهرياً لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر.

وانقسم أتباعه قسمين:

القسم الأول: — وهم الأقل — يعتقدون أنه بشر، وأن تعاليمه خلقية يقصد منها

تهذيب النفوس، وينكرون عبادة الأصنام.

القسم الثاني: — وهم الأكثر — يعتقدون أنه إله، ويعبدون تماثيله.

وقد وصل القسم الثاني إلى الصين عن طريق تركستان الصينية، سنة: ٦٨ م^(١).

الديانة اليهودية:

الذي يبدو أن اليهودية لا وجود لها في الصين، لا في القدم ولا في الحديث^(٢).
وقد سألت مراراً في المناطق التي زرتها عن أي وجود للديانة اليهودية، فكان الجواب بالنفي من كل من التقيته من الصينيين، وقال لي أحد أئمة المساجد في مدينة شنغهاي: إنه يوجد مركز تجاري لليهود في مقاطعة: تشنغهاي، ولا يعلم لهم غيره^(٣).

وقال لي الأخ محمد نوح^(٤): إنه قرأ في بعض كتب الأديان في الصين: أن اليهود وجدوا في وسط الصين قبل الميلاد بأربعمائة سنة، في (حنان)، وكان عددهم قليلاً، ولم يزد عددهم، بل إنهم انقرضوا، ولم يعرف الصينيون عنهم شيئاً في الصين.

الديانة النصرانية:

دخلت المسيحية الصين عام ٦٣٦ م على يد النساطرة، وأظهر الإمبراطور (ناي دزونج) شيئاً من التعاطف وحماية للداعين إليها من اضطهاد أهل البلاد، وظل

(١) [نظرة جامعة إلى تاريخ الإسلام في الصين وأحوال المسلمين فيها (ص ١٧ وما بعدها)].

(٢) [الإسلام في الصين، لفهمي هويدي، ص: ٢٣٧].

(٣) [أما فيما يتعلق بالديانة اليهودية فالظاهر أن الأمر كما ذكر لا وجود لها في الصين، وأما الوجود اليهودي السياسي والاقتصادي، فلا بد أن يكونا موجودين قبل هذه الفترة — بطريق غير مباشرة — لأن بلدان الغرب لها صلات بالصين، وما من بلد غربي إلا وفيه يهود من ذوي التخصصات المتنوعة، ولا بد أن يكون بعضهم قد ذهب إلى الصين في مهمة ما من مهمات بلده الغربي الذي يعيش فيه، ولا بد أن يعبر بني قومه اليهود اهتمامه فيما يمكنه تحقيقه لهم، وقد تم الاتصال السياسي والاقتصادي، بل والعسكري المباشر في الفترة الأخيرة بين الدولة اليهودية الصهيونية والصين، وإذا لم توجد الديانة اليهودية في الصين فستوجد الجمعيات السرية هناك كالماسونية ونواديها، وقد يتسع باب التعاون بين الدولتين مستقبلاً، ويسعى اليهود لتوطین جالية سرطانية هناك لمتابعة مصالح دولتهم، كما هو شأنهم في كل الدول المهمة في العالم].

(٤) [يوم ١٤١٧/١٢/٢٦ هـ في مغربي بالمدينة].

المنصرون اليسوعيون، والبروتستانت الذين كانت تؤيدهم الأموال الأمريكية، يبذلون جهوداً مضنية في نشر هذه الديانة في الصين، ومع ذلك كانت النتيجة ضئيلة جداً إذا قورنت بطول الوقت وكثرة الأموال والجهود التي بذلت لنشرها^(١). وذكر أحد المؤرخين الصينيين أنه دخل عدد قليل من النسطوريين سنة ٦٣٥ م — تنقص سنة عما في قصة الحضارة — ٢٣٥ وأن انتشار هذه الطائفة في الصين لم يتم إلا بمضي ثلاثمائة سنة، ولم يدخل المبشرون المسيحيون من الفاتيكان بأعداد كبيرة إلا في القرن الثالث عشر الميلادي، ومع ذلك لم يكن نجاحهم كبيراً. وفي سنة ١٥٨٢ م وصل المبشر اليسوعي الإيطالي (مايتوريكي).

وبعد المعاهدة الصينية الروسية سنة ١٧٢٧ م وصلت إلى الصين بعثات أرثوذكسية من روسيا، ولكن تلك البعثات كلها وجدت مقاومة^(٢)... قلت: ولكن النصارى جادون في نشر ديانتهم، ويتخذون لذلك كل الوسائل المتاحة لهم، وبخاصة الشركات التجارية، والنشاطات التعليمية، والمنشآت الطبية — المستشفيات — والسياحية — كالفنادق — وقد اغتنموا فرصة الانفتاح الأخير واتخذوا من هونغ كونغ مركزاً لانطلاقهم إلى تلك النشاطات، كما ذكر لي ذلك بعض علماء المسلمين في الصين.

هل خَلَّتْ جميع العصور في الصين من رسالة سماوية قبل الإسلام؟

ليس عندنا ما نجزم به من أن رسولاً معيناً قد بعث في بلاد الصين وما جاورها من البلدان، ولكن عندنا ما نقطع به بأن كل الأمم في الأرض قد بعث الله إليها من يقيم عليها الحجة، إما بإرسال رسول مباشر إليها يدعوها إلى الاهتداء بهدى الله، وإما بإيصال ذلك الهدى إليها عن طريق بعض أتباع الرسل، فقد أخبرنا الله تعالى

(١) [قصة الحضارة، (٤/٢٦٤)].

(٢) [موجز أحوال الصين (ص: ٣٤٥ — ٣٤٧)، راجع أيضاً الإسلام في الصين (ص: ٢٣٥) لفهمي هويدي].

في كتابه الكريم بذلك في آيات كثيرة.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْنَاهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِأَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٤).

ولعل الرجل الصالح ذا القرنين ممن أقام الله تعالى به الحجة على أهل الصين وغيرهم من أهل المشرق والمغرب، فإن الآيات التي نزلت في شأنه من سورة الكهف^(٥) تدل على أن الله تعالى مكنه بأسباب من عنده حتى جال في الأرض كلها، حتى وصل إلى أول قوم تطلع عليهم الشمس، وآخر قوم تغرب عنهم الشمس، وكان يصلح أحوال الناس ويعين المظلومين على الظالمين، بدليل قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَقْرَبَ الشَّمْسِ وَجْدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾.

وقوله بعد ذلك: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجْدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيلًا

(١) النحل: ٣٦.

(٢) فاطر: ٢٤.

(٣) النساء: ١٦٤، ١٦٥.

(٤) الإسراء: ١٥.

(٥) [الآيات: (٨٣) — (٩٨)].

(٩٢) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا
 (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقُرْتَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ
 خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي
 بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آثَرْنِي زُبْرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ
 الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آثَرْنِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا
 اسْتَسَاءُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ
 وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا^(١).

ولا ينافي ذلك وجود فترة رسل في بعض نواحي الأرض مع بقاء بعض تعاليم
 الرسل السابقين المتوارثة، وبخاصة ما يتعلق بأصول الإيمان — ولو بصفة إجمالية —
 وأصول الحقوق — كحفظ النفوس وحفظ المال وحفظ العقل وحفظ النسل —
 وأصول الأخلاق — كالصدق والأمانة ونصرة المظلوم... — وتكون الحجة قائمة
 على الأمم بما تمكنوا من معرفة مصالحه ومفاسده، وما عدا ذلك فهم معذورون
 فيه، لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها.

وما نراه من دعوة الحكماء والفلاسفة في العصور المختلفة، إلى الأخلاق الفاضلة،
 والتعاون على الخير، والرحمة بالمخلوقين، والأمر بالعدل والنهي عن الظلم، كل
 ذلك وغيره يدل على أنه من بقايا رسائل سماوية وصلت إلى أولئك الحكماء
 والفلاسفة — وإن كانت العقول تستحسن الخير وتستقبح الشر في الجملة — .

وكثير من تعاليم كونفوشيوس وبوذا مما يحمل تلك المعاني — وبخاصة بعض
 المحرمات — يغلب على الظن أنها من بقايا تعاليم الرسل التي وصلت إليهم، مثل:
 تحريم قتل الإنسان والسرقة والزنا وشرب الخمر، وكذلك الدعوة إلى بعض أنواع

(١) [راجع قصته في كتب التفسير والتاريخ، ومن كتب التاريخ "البداية والنهاية" للإمام ابن كثير، ومن كتب
 التفسير كتاب "الجامع لأحكام القرآن" للإمام القرطبي رحمه الله].

الزهد.

وإذا رجعنا إلى (٢٥٠٠)^(١) قبل الميلاد لدراسة بعض أفكار الحكيم الصيني (صون تزو) وجدناه يحرص الحرص الشديد على احترام المعابد وعقد قائد الحرب الشورى مع أركان جيشه فيها، كما يؤكد احترام قوانين السماء والالتزام بما تفرضه الشرائع من مقاصد القتال التي تزجر عن الإفساد والعبث والوحشية، حيث قال: (ليست صنعة الحرب أن تنسف قوانين السماء، أو تعيث في الأرض فساداً، أو تتحكم في رقاب العباد — من الجنود في القوات المسلحة الذين يتولى القائد إمرهم، أو من السكان العزل من السلاح الذين يتولى الدفاع عنهم.

حتى الحرب تضبطها أعراف وشرائع، فمقاصد القتال العسكري هي صيانة النظام والقانون لا الفتك بالشرائع.

فالجيش الذي لا يتحلى قواده وجنده بالوازع الوجداني والإنساني وما تفرضه الشرائع والقوانين من حلال أو حرام، سيجلب على نفسه الهزيمة، عاجلاً أم آجلاً، وإن حقق لنفسه انتصاراً هنا أو انتصاراً هناك.

فصناعة القتال العسكري ليست وحشية، لا تعرف سوى البطش والأذى، بل هي تضحية فردية وجماعية تتوخى صيانة الشرائع وضبط الأمن والقانون...^(٢).

ثرى هل تصدر هذه الأفكار من رجل يُعدُّ كتاباً في تدابير القتال وآدابه للملك من ملوك الصين، وهو — أي صاحب الكتاب — خالي الذهن من بقايا دين سماوي، مع العلم أن غالب الملوك الذين لا يلتزمون بشرائع إلهية، ولا يتورعون عن ظلم أعدائهم — بل ظلم رعاياهم — إلا إذا عجزوا عن ذلك الظلم؟!!

(١) [راجع (ص: ٥) من: مقدمة عمر حليق القصيرة لكتاب فن الحرب، لصون تزو].

(٢) [فن الحرب (ص: ١١٥). إعداد الدكتور عمر حليق].

لغة الصينيين:

أصل اللغة الصينية رموز لا صلة فيها بين اللفظ والشكل، كانت منقوشة على دروع السلاحف وعظام الحيوانات التي استعملت في القرن السابع قبل الميلاد، تحولت عنها اللغة الرسمية المستعملة الآن، وهي لغة الأغلبية الحاكمة — الهان — ، ولكل كلمة مقطع صوتي، حيث يستعمل في المعاملة اليومية ما بين (٥٠٠٠ — ٨٠٠٠) مقطع صيني، وهي التي تستخدم في كل أنحاء البلاد.

ومن القوميات التي تستخدم هذه اللغة قوميتا (هوي) و(مان)، وتستخدم كل قومية من القوميات الأخرى، وعددها: (٥٣ قومية) لغتها الخاصة^(١).

سور الصين العظيم: تاريخ بناء السور والغرض من بنائه:

كانت بلدان الصين وما جاورها في قديم الزمن ممالك متحاربة، لكل مملكة حدودها التي لو غفل عنها حكامها عدا عليها حكام الممالك المجاورة لها، أو القبائل المتوحشة التي تعيش على السلب والنهب، ولهذا كانت كل مملكة تلجأ إلى بناء الأسوار الفاصلة بينها وبين الممالك المجاورة لها، كما تُشيد على تلك الأسوار أبراج مراقبة وحراسة لحمايتها وإنذارها بهجوم أعدائها، ويقال: إن هذا المشروع، وجد في القرن السابع قبل الميلاد^(٢).

وعندما وُحِّدَت تلك الممالك لإمبراطور الأول من أسرة (تشين) في سنة ٢٢١ قبل الميلاد، رُبِطَت تلك الأسوار والقلاع، ومُدَّتْ حتى بلغ طولها ألفي كيلو متر (٢٠٠٠) استخدم في ربطها وتمديدتها قرابة مليون شخص هلك منهم أعداد كثيرة.

وفي عهد أسرة (هان) — التي امتد حكمها من ٢٠٦ قبل الميلاد إلى ٢٢٠م^(٣) —

(١) [موجز أحوال الصين (ص: ٣٣٧ — ٣٤٠). وراجع كتاب قصة الحضارة (٤/٣١٦)].

(٢) [بكين حاضرة الصين العريقة والحديثة، ص: ١٣٨. الصين ص: ٢٢ (صورة للسد)].

(٣) [موسوعة المورد: (٦٧/٥)].

أضافت إلى السور خمسمائة كيلو متر (٥٠٠) من جهة الغرب حتى وصل إلى مقاطعة قانصو، وكان مبنياً من الحجارة والطين.

ثم اندفع المنغول الذين كانوا من أهم الأعداء الذين وضع السور لصدّهم عن الهجوم على الصين، فتخطوا السور وقلاعه، واحتلوا الصين وحكمتها أسرة (يوان) من سنة: ١٢٨٠ إلى سنة ١٣٦٨م حيث سقطت هذه الأسرة واستولت على الحكم أسرة (مينغ) التي شيدت بناء السور في مناطق أخرى في جهة الشمال — لتوسع حدود الصين شمالاً حتى تجاوزت بعض مناطق السور القديم — حتى بلغ طوله في عهدهم: (٦٣٥٠) كيلو متر، ويبلغ متوسط ارتفاعه ٧ر٨ أمتار، وعرضه عند القاعدة ٦ر٥ أمتار، وعند القمة: ٥ر٥ أمتار^(١).

وهذا هو السور الموجود الذي يؤمه السائحون اليوم.

وهو يمتد من السواحل الشرقية للصين إلى سواحلها الغربية، وتسعى الصين الآن في صيانتها، لأنه من الآثار السياحية التاريخية العظيمة التي يؤمها الزوار من كل أنحاء العالم، ويدر على البلد دخلاً مهماً، ويقال: إنه إذا لم تتم صيانتها، فقد يختفي خلال مائة عام، بسبب عوامل التعرية.

ليس هو سد ياجوج وماجوج:

هل سور الصين العظيم هو سد ياجوج وماجوج؟

الجواب على هذا السؤال — قطعاً — أن سور الصين العظيم ليس هو سد ياجوج وماجوج^(٢).

(١) [بكين حاضرة الصين العريقة والحديثة، ص: ١٣٩].

(٢) [وقد حزم بعض المفسرين المعاصرين أن سور الصين هو سد ياجوج وماجوج، ولما كانت مواد السور وأوصافه وطوله تخالف مواد السد وأوصافه وطوله، حاول حمل استعمال الحديد والنحاس على إقامة أبواب في بعض مداخل السور لمنع الناس من المرور، ولمنع السيول من تقدم السد، فقال: (وكان هذا لقصد إقامة أبواب من حديد في مداخل الردم، لمرور سيول الماء في شعب الجبل، حتى لا يتهدم البناء، بأن

فسور الصين العظيم غير سد يأجوج ومأجوج، لستة أسباب جوهرية:

السبب الأول: اختلاف تاريخي بناء كل من السور والسد.

فبناء السور العظيم بدأ في القرن السابع قبل الميلاد، ومر بمراحل وتهدمات، وكان بداية بناء السور الحالي في القرن الرابع عشر^(١).

أما بناء سد ذي القرنين فكان بناؤه ما بين ٥٣٩ ق. م و ٥٢٩ ق. م^(٢)، ولم يعلم أنه جدد بعد ذلك.

السبب الثاني: أن باني السد معروف، وهو ذو القرنين.

و يذكر المؤرخون أن اسمه: "كورش" الذي ذكر الله قصته في القرآن الكريم^(٣).

أما بناء سور الصين العظيم، فهم أباطرة الصين الذين تابَعوا على الحكم، وقد ذكرت كتب التاريخ الأسر الحاكمة التي بدأ بناء السور في عهدها والأسر الحاكمة التي انتهت بناء السور في عهدها كذلك^(٤).

السبب الثالث: عجز مجاوري سد يأجوج ومأجوج عن بنائه.

فلم يَقُمْ ببنائه أهل البلد الذين تضرروا من هجوم عدوهم (يأجوج ومأجوج)

جعل الأبواب الحديدية كالشبابيك تمنع مرور الناس ولا تمنع انسياب الماء من بين قضبانها، وجعل قضبان الحديد معضودة بالنحاس المذاب المصبوب على الحديد) أ. هـ. من تفسير التحرير والتنوير (٣٦/١٦) للإمام ابن عاشور رحمه الله وهو تكلف لا داعي له، فالقرآن قد نص على أن السد كان بين جبلين، وأنه هو المانع ليأجوج ومأجوج من الخروج من بلادهم إلى بلاد القوم الذين كانوا يعتدون عليهم وشكوا على ذي القرنين منهم، ولو أنه أتيح له رحمه الله رؤية سور الصين، وعلم المراحل التي مر بها بناؤه لما احتاج إلى هذا التكلف.

(١) [بكين حاضرة الصين العريقة والحديثة، ص: ١٣٩].

(٢) [مفاهيم جغرافية في القصص القرآني — قصة ذي القرنين، ص: ٣١٤، للدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر الطبعة الأولى دار الشروق، جدة].

(٣) [المرجع السابق، ص: ٢٥١].

(٤) [بكين حاضرة الصين العريقة والحديثة، ص: ١٣٨ — ١٤٠].

عليهم، بل كانوا عاجزين عن القيام بذلك، ولهذا استعانوا بذوي القرنين في بنائه^(١).
أما سور الصين العظيم، فقد بناه أباطرة الصين أنفسهم، لحماية ممالكهم من غارات
أعدائهم عليهم، كما هو واضح من تاريخ بنائه الذي أوردته كتب التاريخ.

السبب الرابع: اختلاف مواد بناء كل من السد والسور.

فمواد السد، كانت — كما ذكر الله ﷻ — من قطع الحديد والنحاس^(٢) وما شاء
الله من المواد المساعدة للإذابة والقوة — كالصخر ونحوه.

أما مواد سور الصين العظيم، فقد كانت أولاً من الحجارة واللبن، ثم أصبحت —
كما هي حاله الآن — من الحجارة والآجر المتساوية الأحجام^(٣).

السبب الخامس: أن سد يأجوج ومأجوج رَدْمَ بني بين جبلين.

أي إنه حائط بُنيَ بين سدين — جبلين — فقط، وكان بناؤه في ذلك المكان كافياً
لصد عدوان يأجوج ومأجوج وإفسادهم في أرض المظلومين المعتدى عليهم، وذلك
يدل على أنه الممر الوحيد الذي كان المعتدون ينفذون منه في غاراتهم العدوانية.

أما سور الصين العظيم فإنه قد شُيِّد بين الجبال وعلى قممها، وهي جبال كثيرة تمتد
من شرق الصين إلى غربها، وطول هذا السور يبلغ الآلاف من الأميال، وهذا يدل
على أن المنافذ التي كان يخشى مشيدو السور أن يعبر منها أعداؤهم كثيرة جداً،
وليست منفذاً واحداً فقط — كما هو شأن السد.

السبب السادس: عدم استطاعة المغيرين صعود سد يأجوج ومأجوج.

فلم يكن باستطاعة المغيرين صعود سد يأجوج ومأجوج، ولا القدرة على فتح أي
نَقَب — منفذ أو فتحة — للعبور منه، ولم يكن في حاجة إلى أبراج أو حُرَّاس

(١) [لكن طلبهم من ذوي القرنين أن يبني لهم السد يدل على أن بناء السدود لدفع غارات الأعداء كان موجوداً في تلك الفترة].

(٢) [جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (٢٥/١٦) للإمام الطبري].

(٣) [بكين حاضرة الصين العريقة والحديثة، ص: ١٣٩].

للدفاع عنه.

أما سور الصين العظيم فإنه كان قابلاً لإحداث فتحات ومنافذ يعبر منها العدو، فكان في حاجة إلى حراسة مستمرة، وحُرَّاس لا يغفلون عنه ساعة من نهار، ولذلك لا تكاد تجد قِمةً من قمم الجبال التي شيد عليها السور، بدون برج أُعِدَّ لحراسته من إحداث منافذ يَغير منها العدو.

وهذا يُعَلِّم — يقيناً — لا شك فيه أن سور الصين العظيم لا صلة له بسد يأجوج ومأجوج، إلا إذا قُدِّرَ أنه اتصل بِجَبَلَيْهِ — أي السد — في موقع من مواقعه — أي مواقع السور — الكثيرة.

فأين هو سد يأجوج ومأجوج؟

إن وصف السد — وهو كونه بين جبلين، وكونه من الحديد والنحاس، وكونه بذاته كافياً لصد غارة المعتدين عند بنائه — قد يبدو منطقيّاً على السد الموجود بين جبلين من سلسلة الجبال الممتدة من قرب مدينة [دربند]. على ضفة بحر قزوين الغربية، إلى مرفأ [سوخوم]. على ضفة البحر الأسود الشرقية، وهذه الجبال تُكوِّن سلسلة متصلة بين البحرين المذكورين، تمتد من جنوب جمهورية (جورجيا) إلى شمالها، لا يفصل بينهما فاصل إلا فتحة واحدة عميقة، سُدَّتْ بقطع من الحديد والنحاس، وهذه الفتحة، هي التي رجح بعض المؤرخين والكتاب أن ذا القرنين (كورش الأخميني) هو الذي بناها، وتسمى بـ [مضيق داريال]، وأن هذه الفتحة هي التي كانت تغير منها القبائل المتوحشة (يأجوج ومأجوج) من الشرق على القبائل المظلومة في الغرب^(١).

(١) [مفاهيم جغرافية في القصص القرآني، ص: ٢٢٥ — ٣٠٠، وبخاصة ص: ٢٨٠. وقد اهتم صاحب الكتاب بنقل آراء المؤرخين والجغرافيين، وما يتعلق بالقبائل الموجودة على جانبي السد في عهد ذي القرنين وما كان يحدث من عدوان القبائل المتوحشة التي تقطن في الجانب الشرقي للسدين قبل مجيء هذا الإمبراطور العظيم (ذي القرنين) على القبائل التي تقطن في الجانب الغربي للسدين، وما نعمت به القبائل

ولا أرى مانعاً من هذا الترجيح إذا تعينت هذه الأوصاف لهذا السد وحده في الأرض، كما لا أرى القطع بأنه هو، قبل البحث الميداني في هذا العصر بالذات، لكثرة الوسائل المتاحة، التي يمكن الاستعانة بها لاكتشافه.

مشروع لاكتشاف السد:

ولو أن بعض الحكومات في الشعوب الإسلامية اهتمت بهذا السد، وخصصت له فريق عمل من ذوي التخصصات المناسبة له، من علماء الشريعة، وعلماء الجولوجيا، وعلماء التاريخ، وعلماء الجغرافيا، وذوي التخصص الإعلامي، وزودهم بما يحتاجون إليه من مواصلات، ومن أهمها الطائرات المروحية وغيرها مما يتحقق به الهدف، وأضافت إلى ذلك التنسيق مع الدول التي يظن احتمال السد في أراضيها، لمنح الفريق حرية العمل والتنقل والتصوير، أقول: لو اهتمت بعض حكومات المسلمين بذلك لأمكن تعيين مكان السد — الذي لا بد أن يكون موجوداً — وليبدأ بالسد المذكور (سد داريال)، ولكن لا يُكْتَفَى به لاحتمال أن يوجد غيره.

مسوغات مشروع البحث عن سد ياجوج وماجوج:

ولا شك في أن الاهتمام به أولى من الاهتمام بالتنقيب عن آثار الفراعنة والآثار الجاهلية في البلدان العربية وغيرها^(١). لأن في تحديد مكانه ومعرفته زيادة بيان لما ورد به القرآن الكريم والسنة النبوية، ولأنه من أمارات الساعة التي ينبغي الاهتمام بها، وللاعتبار بعاقبة الظلمة المفسدين في الأرض الذين يُحْجَوْنَ الناس إلى إقامة مثل هذا السد لاتقاء شرهم، كما أن فيه عبرة لمن مكنهم الله في الأرض وهياً لهم

الأخيرة من أمن بعد ردم الفتحة الواقعة بين السدين].

(١) [وإن كان التنقيب عن تلك الآثار لا يخلو من فوائد، ومن أهمها الاعتبار بقصص الأمم وغير ذلك مما يحتاجه المورخون وغيرهم، كما تشير إليه آيات القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ غافر (٢١)].

أسباب الملك والقوة، ليستعملوا ذلك في طاعة الله، وفي مصالح خلق الله ونصر المظلومين والمستضعفين على الظالمين والمتجبرين!

هل يمكن اكتشاف سد يأجوج ومأجوج؟

نعم، يمكن اكتشافه عقلاً، وعادة، وشرعاً:

١ — أما عقلاً: فلا مانع مطلقاً من السير في أرض الله والوصول إلى كل بقعة فيها بالوسائل المتاحة.

٢ — وأما عادة: فقد اعتاد الناس الأسفار والانتقال من مكان إلى آخر في الأرض، بُعداً أو قرباً، وفي تلك الأسفار تمت اكتشافات كثيرة لما كان مجهولاً من الأرض، ومنها قارات كبرى، كأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية، وأستراليا، كما اكتشفت أماكن دقيقة وصغيرة في البحار والأنهار والجبال والشعاب.

واستخدم الناس لتلك الاكتشافات كل الوسائل المتاحة لهم، من المشي على الأقدام، إلى الركوب على الدواب بأنواعها، واستخدام آلات النقل البرية، من العربات التي تجرها الدواب، كالخيول، إلى الدراجة العادية، فالنارية، فالسيارة، فالمرائب القادرة على السير في المسالك الوعرة — جبلية أو مستنقعات وأوحال أو غيرها — كالدبابات والمصفحات..

كما استخدموا وسائل النقل البحرية والنهرية الصغيرة والكبيرة السريعة والبطيئة. وجاء دور الوسائل الجوية، من المناطيد إلى الخوامات الصغيرة والكبيرة، إلى الطائرات العملاقة، عسكرية ومدنية.

ثم المراكب الفضائية، وما زُوِّدت بها تلك المراكب كلها من آلات تصوير مذهشة، تصور أدق التفاصيل في أصغر الكائنات الممكن تصويرها.

هذه الوسائل وغيرها جرت العادة باستخدامها لاكتشاف غالب ما يظهر في المعمورة، ومعنى هذا أن اكتشاف سد يأجوج ومأجوج ممكن عادة، ولا يوجد مانع عادي يمنع من اكتشافه.

الأدلة الشرعية على إمكان اكتشاف السد:

وأما شرعاً: فلا يوجد نص شرعي — لا من القرآن ولا من السنة — يدل على كونه من الأمور الغيبية التي لا يطلع عليها الناس، لأنه ليس من الغيب الذي استأثر الله بعلمه، بل يستفاد من نصوص الشرع عكس ذلك، وهو معرفة الناس للسد ومعرفتهم لياجوج ومأجوج، والأدلة على ذلك ما يأتي:

الدليل الأول: معرفة قبيلتي ياجوج ومأجوج وقت بناء السد.

لقد كانت قبيلتا ياجوج ومأجوج معروفتين للقبائل التي شكت من اعتدائهما عليهما إلى ذي القرنين: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ...﴾^(١).

الدليل الثاني: بلوغ ذي القرنين مكان السد.

فقد بلغ ذو القرنين المكان الذي كان ياجوج ومأجوج يعيشون فيه فساداً، وهو الذي بنى السد بإعانة أهل البلد المتضررين: ﴿فَأَعْيُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾^(٢).

الدليل الثالث: أن خروج ياجوج ومأجوج من أمارات الساعة.

وعلاماتها، وأمارات الساعة تظهر للناس، وخروجهم يكون من ذلك السد، فلا بد أن يرى الناس خروجهم والمكان الذي يخرجون منه، وأخبر الله تعالى إن ياجوج ومأجوج ستُفتح — أي يُفتح السد الذي كان يحول بينهم وبين الخروج — كما قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ... ﴿٩٧﴾^(٣) وفتح من أمارات الساعة، وأمارات الساعة ليست

(١) الكهف: ٩٤

(٢) الكهف: ٩٥.

(٣) الأنبياء: ٩٦، ٩٧.

كالساعة التي لا يعلمها إلا الله، ولو كانت لا تظهر للناس ولا يطلعون عليها لما صح أن تكون أمارات.

الدليل الرابع: إخبار الرسول ﷺ بوجود فتحة في السد في عهده.

فقد أخبرنا ﷺ قبل موته أن رَدَمَ يأجوج ومأجوج — الذي قال الله تعالى فيه، بعد أن بناه ذو القرنين: ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾^(١) — قد نُقِبَ وُفُتِحَ شيء يسير منه، وهذا الفتح اليسير هو بداية ما أخبر الله به في سورة الأنبياء أنه سيحدث، ففي حديث زينب بنت جحش، ؓ، أن النبي ﷺ، دخل عليها فرعاً يقول: (لا إله إلا الله! ويل للعرب من شر قد اقترب، فُتِحَ اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه) وحَلَقَ بِإِصْبَعِهِ الإِهَامَ والتي تليها. قالت زينب ابنة جحش: فقلت: يا رسول الله! أهلك وفينا الصالحون؟ قال: (نعم إذا كُثِرَ الْحَبَثُ)^(٢). وهو دليل على أن يأجوج ومأجوج قد استطاعوا أن يحدثوا في السد من النَّقْبِ ما يتمكنون به من نوع خروج منه.

من هم يأجوج ومأجوج؟

إن يأجوج ومأجوج قبيلتان من بني آدم، وهم من ذرية يافث بن نوح عليه السلام، كانوا متوحشتين احترقوا الإغارة والسلب والنهب والقتل والظلم من قديم الزمان، وكانوا يقطنون الجزء الشمالي من قارة آسيا، شمالاً وغالب كتب التاريخ تشير إلى أنهم مغوليون تتريون، وأن موطنهم يمتد من التبت والصين جنوباً إلى المحيط المتجمد الشمالي، وأهم عاصروا قورش الذي بنى سد دانيال^(٣).

كما ذُكِرَ أنهم مروا في إفسادهم في الأرض بسبعة أدوار، كانت بدايتها قبل

(١) الكهف: ٩٧.

(٢) [اللولؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان: رقم الحديث: ١٨٢٩، ص: ٨٠٨].

(٣) [مفاهيم جغرافية في القصص القرآني — قصة ذي القرنين (ص: ٢٨٣، ٢٨٨) الدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر].

(٥٠٠٠ آلاف سنة) وآخرها: هجوم جنكيزخان على الحضارة الإسلامية، فهم أسلافه^(١).

وقد ذكر بعض المؤرخين حكايات غريبة عن يأجوج ومأجوج، والصحيح أنهم كبقية بني آدم في الطول والقصر وغير ذلك^(٢).

وقد بنى الصينيون سورهم العظيم لحماية أنفسهم من هجمات القبائل المنغولية التي لا زالت تقطن في شمال الصين وشمال غربه إلى الآن، وقد احتلوا الصين فترة من الزمن كما هو معروف.

وهذا يدل على أن يأجوج ومأجوج ليسوا هم الصينيين، ولكن ذلك لا ينافي تكاثر قبيلتي يأجوج ومأجوج واستيلائهما على الصين وغيرها من البلدان المجاورة في آخر الزمان، ويكون خروجهم جميعاً وفسادهم الأخير في الأرض عند نزول عيسى عليه السلام، ويكون الصينيون وغيرهم معهم، ويكون إطلاق يأجوج ومأجوج على الجميع من باب التغليب، إما لكثرتهم وغلبتهم على سواهم، وإما لكونهم القادة عندئذ، وهذا أسلوب معروف في اللغة العربية، هذا مع العلم أن كثيراً من التتر والمنغول — الذين هم أصل يأجوج ومأجوج — أصبحوا من قوميات الصين الآن^(٣).

من هي القبائل التي شكت إلى ذي القرنين؟

أما القبائل التي استحدثت بذوي القرنين حمايتهم من يأجوج ومأجوج، فقد أشار القرآن الكريم على أنهم في جهة مشرق الشمس، وأنهم ضعفاء متأخرون في الحضارة، إذ لم يكن لهم من البنيان ما يسترهم من وهج الشمس، وأنهم لا يكادون يفقهون ما يقال لهم — ولكن الله هياً لذي القرنين من الأسباب ما جعلهم

(١) [نفس المرجع: (مفاهيم جغرافية في القصص القرآني ص: ٢٨٨ — ٩٢)].

(٢) [راجع البداية والنهاية لابن كثير: (١٠١/٢)].

(٣) [كتاب: الصين، تأليف: تشين شي، ص: ١٨ — ١٩، الناشر: دار النجم، بكين].

يفقهون عنه ويفقه عنهم — .

ويرى بعض المؤرخين أنهم كانوا يقطنون في شمال أذربيجان وجورجيا وأرمينيا...
ويطلق عليهم اليونانيون اسم: (كولش)^(١).

هل خرج يأجوج ومأجوج بعد بناء السد وأفسدوا في الأرض؟

إن الحديث الصحيح الذي سبق ذكره، وهو: (حديث زينب بنت جحش، رضي الله عنها)،
أن النبي ﷺ، دخل عليها فرعاً يقول: (لا إله إلا الله! ويل للعرب من شر قد
اقترب، فُتِحَ اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه) وحلَّقَ بإصبعه الإبهام والتي
تليها. قالت زينب ابنة جحش: فقلت: يا رسول الله! أهلك وفينا الصالحون؟ قال:
(نعم إذا كثر الخبث)^(٢). يدل دلالة واضحة على أن السد قد فُتِحَ منه شيء يسير،
وأن ذلك الفتح اليسير سيعقبه شر قريب يحصل من يأجوج ومأجوج على العرب،
ويغلب على الظن أن شرهم الذي أشار إليه الرسول ﷺ قد وقع بغزو جنكيز خان
وقومه، وأنهم من نسل يأجوج ومأجوج.

وهذا الشر الذي حصل من يأجوج ومأجوج على العرب هو غير الشر الذي
سيحصل منهم في آخر الزمان عند نزول عيسى عليه السلام.

وقد نقل فضيلة الشيخ عبد العزيز المسند في كتابه^(٣) رسالة لفضيلة علامة القصيم،
الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي التي كتبها عن يأجوج ومأجوج، بعنوان
"رسالة عن يأجوج ومأجوج تأليف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي".

يرى الشيخ رحمه الله في الرسالة، أن يأجوج ومأجوج هم من البشر، وأنهم قد
خرجوا ورآهم الناس، وذكر أنهم الشعوب الموجودة القوية من الترك والأوربيين
واليابان وغيرهم، ولم يعودوا غيباً عن أهل الأرض..

(١) [مفاهيم جغرافية، ص: ٢٦٦ — ٢٦٧].

(٢) [اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان: رقم الحديث: ١٨٢٩، ص: ٨٠٨].

(٣) [الصين يأجوج ومأجوج عالم مجهول].

فقال في مطلع الرسالة:

"اعلم رحمك الله أن من تأمل ما ذكره الله في كتابه عن يأجوج ومأجوج، وما ثبت بسنة النبي ﷺ عنهم، وما اشتمل على^(١) الوحي من صفاتهم، وعلم ما ذكره المؤرخون في قصة ذي القرنين، وعرف الواقع والمحسوس، وما على وجه الأرض من أصناف بني آدم، فمن عرف ذلك تيقن يقيناً لا شك فيه أنهم هم الأمم الذين كانوا وراء البحار، كالترك واليونان ودول البلقان والفرنسيين والألمان والطيالان والروس واليابان والأسبان، ومن تبعهم من أنواع الأمم والأمريكان وتوابعهم، فإنه دل الكتاب والسنة دلالة بينة صريحة أن يأجوج ومأجوج من أولاد آدم ﷺ، وأنهم ليسوا بعالم آخر، كالجن ونحوهم من العوالم التي حُجِبَ الآدميون في الدنيا عن رؤيتهم والإحساس بهم".

وأكد ذلك بعد في نفس الرسالة بقوله:

"ومما يدل على أن يأجوج ومأجوج هم من الأمم الذين ذكرنا، ما وصفهم الله به في الموضع الآخر من كتابه في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾^(٢).

فهذا الوصف ينطبق عليهم كل الانطباق في هذه الأوقات، لأن الحدب هو المكان المرتفع، والنسلان هو الإسراع، فأخبر تعالى أنهم من كل مكان مرتفع ينسلون، أي يسرعون، وهذا شامل للبحار والبراري والجبال والهواء، وهذا حين أظهروا هذه الصنائع الهائلة من مراكب بحرية وبرية وهوائية، أسرعوا بها في أمواج البحار ومهامم القفار وقمم الجبال، بل علوا وأسرعوا في الجو والهواء الذي بين السماء والأرض، وهذا من آيات القرآن التي أخبر بها قبل أن تقع فوقعت على طبق ما

(١) [لعله: (عليه)].

(٢) الأنبياء: ٩٦.

أخبر، فإذا لم يكونوا من ذكرنا فمن هم الذين يصدق عليهم هذا الوصف؟ فإنهم قبل انفتاحهم منحازون في ديارهم، لا قدرة لهم ولا إرادة تحركهم للخروج على الناس، فلم تزل إرادتهم تقوى وقوتهم تزيد حتى انفتحوا وجاءوا من كل حذب يسرعون، ويزيد ذلك أن النبي ﷺ لا يخبر بما تحيله العقول، خصوصاً في الأمور المشاهدة، فلو فرض على وجه المحال وجود أمة عظيمة جداً أكثر من المعروفين الآن على وجه الأرض من أمم الآدميين بأضعاف مضاعفة — بل لا يبلغ الموجودون عشر معشارهم وأنهم الآن على وجه الأرض ولم يطلع الناس عليهم، مع أن الأرض التي يمكن السكنى فيها قد اكتشفت شيراً وذراعاً، فلم يبق موضع من الأرض يعيش فيه حيوان إلا وصل إليه علم الآدميين، خصوصاً بعد ظَهَرَة^(١) الصنائع المُقَرَّبَة المسهلة للوصول والحصول على معلومات الدنيا، حتى اكتشفت جميع قارات الأرض: آسيا وأفريقيا وأوربا وأمريكا وأستراليا، ولم يبق شيء من الأرض لم يكتشف إلا جزء يسير في أقصى الشمال قد غمرته الثلوج، ولا يمكن أن يعيش فيه حيوان من شدة برده، وجزء يسير في أقصى الجنوب، جنوب أفريقيا، لا يعيش فيه أحد من شدة برده أيضاً، وهذا الجزء مع أنه يُعَلَم أنه لا يعيش فيه الآدميون جزء يسير جداً بالنسبة إلى الأرض". انتهى كلام الشيخ^(٢).

وهنا تنبيهان:

الأول: أن الأجزاء اليسيرة التي لم يطلع عليها الناس في أقصى جنوب الأرض وأقصى شمالها، في الوقت الذي يتحدث عنه الشيخ، قد أصبح الآن غالبها أماكن نزهة للرحالة المغامرين والسائحين الذين تساعدهم الوسائل الحديثة على تلك المغامرات، وإن كان بعضهم قد يلقي حتفه أحياناً، واكتشف وجود سكان بها،

(١) [ظَهَرَة كَمَهَرَة: الكثرة].

(٢) [ذكر الرسالة الشيخ المسند في كتابه (الصين — بأحوج ومأحوج عالم مجهول) عبد العزيز المسند: ص ٧٥ — ٨٣، الطبعة الأولى، مطابع الفرزدق التجارية الرياض].

ووجود حيوانات، يعيش بعضها مدفوناً في الثلوج ردىاً من الزمن، ثم ينهض ويتحرك لطلب رزقه مدة أخرى.

الثاني: أن ما أراد الشيخ الوصول إليه من أن يأجوج ومأجوج لا بد أن يكونوا موجودين وجوداً عادياً في الأرض كبقية الأمم هو صحيح لا شك فيه، فاليابسة كلها مكشوفة معروفة، والمناطق المحتمل عدم اكتشافها قليلة، وليست محل سكنى أمتين عظيمتين، كياجوج ومأجوج.

والذي يظهر لي من كل ما مضى أن يأجوج ومأجوج هم من القبائل المنغولية التتية الذين يسكنون في شمال قارة آسيا، وأنهم قد أفسدوا في الأرض مراراً قبل بناء سد ذي القرنين، وأن من أعظم فسادهم بعد بنائه هو ذلك التخريب الذي حصل في زمن هولاء الذي أهلكوا فيه الحرث والنسل ودمروا ما وصلت إليه أيديهم من الحضارات، ولا سيما حضارة الإسلام، وأنهم سيخرجون مرة أخرى ويعودون إلى الإفساد في الأرض عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام، بناء على حديث الإمام مسلم الذي أشار إليه الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله، فإنه — وإن لم يروه الإمام البخاري — يجب العمل به ما دام يمكن الجمع بينه وبين النصوص الأخرى، وأن فتح جزء من السد في عهد الرسول ﷺ، وخروجهم قبل مجيء عيسى عليه السلام لا ينافي خروجهم وفسادهم مرة أخرى في عهده كما دل عليه حديث مسلم، وأما السد فقد تجاوزوه، مع احتمال بقاء بعض أجزائه بل غالبها التي يمكن أن يتم دكها تماماً في آخر الزمان، ويكون دكّه من علامات الساعة، وإن لم يعد عائقاً ليأجوج ومأجوج من الحركة والإفساد في الأرض، وما جزم به الشيخ السعدي رحمه الله من أنهم قد خرجوا، وأنهم أمة من بني آدم فهو يقين لا شك فيه، ولعل في هذا ما يكفي في أمر يأجوج ومأجوج. والله تعالى أعلم.

ومن هو ذو القرنين؟

قبل أن نذكر أقوال العلماء والمؤرخين في شأن ذي القرنين، ينبغي أن نسوق الآيات التي تحدثت عنه، ونستخلص منها بعض صفاته وأحواله، لترتب على ذلك تمييزه

عن غيره واختيار أقرب الأقوال إلى أوصافه.

قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنِ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آثُرُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آثُرُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩)﴾^(١).

ما يمكن أخذه من الآيات من أحوال ذي القرنين.

إن من أهم أحوال ذي القرنين الأمور الآتية:

الأمر الأول: أنه كان رجلاً مؤمناً بالله عاملاً بما يرضي به ربه.

كما هو واضح من معاملته لرعاياه واعترافه بما أنعم به عليه من تمكين، واعتبار ذلك من رحمة الله تعالى، لا من حول نفسه وقوته.

(١) [الكهف].

الأمر الثاني: تمكين الله له في الأرض وهيئة الأسباب له.
فقد مكّنه الله في أرضه وآتاه من الأسباب ما يقوي ملكه ويعينه على أداء مهماته
التي أراد الله تعالى له القيام بها في الأرض: ﴿وآتينا من كل شيء سبباً﴾.
الأمر الثالث: أنه سعى في تحصيل الأسباب المعينة له على عمله.
فقد كان — مع ما آتاه الله من مقومات الملك — لا يألو جهداً في اتخاذ الأسباب:
﴿فأتبع سبباً﴾.

الأمر الرابع: أنه اتجه في فتوحاته إلى كل الجهات الممكنة.
فقد اتجه من مقره الذي كان يقطنه، لتوسيع مملكته، لنشر العدل ونصرة المظلوم
وقمع الظالم، إلى جهات ثلاث رئيسة: جهة الغرب ﴿حتى إذا بلغ مغرب
الشمس﴾. ثم جهة الشرق: ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس﴾. ثم جهة أو جهات
أخرى غير الغرب والشرق — فيما يظهر، ويقال: إنها جهة الشمال — ﴿حتى إذا
بلغ بين السدين﴾.

الأمر الخامس: أنه كان عادلاً يؤدب الظلمة ويكرم الصالحين.
فقد كان ينصر المظلوم على ظالمه، ويعين المحتاج ويعلم الجاهل، كما حصل مع
القوم الذين شكوا إليه من عدوان يأجوج ومأجوج. كما قال تعالى عنه: ﴿أما من
ظلم فسوف نعذبه... وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى﴾.
الأمر السادس: أنه كان زاهداً في أموال الناس.

وهذا واضح من رده على القبائل التي طلبت منه مساعدتها بإقامة السد، وعرضهم
عليه خرجاً — جزاء عمله، فقال لهم ما حكى الله عنه: ﴿قال ما مكني فيه ربي
خير﴾.

الأمر السابع: تواضعه واعترافه بفضل الله عليه.
ويظهر ذلك من نسبة ما أوتيته من الأسباب والقوة والتمكين إلى ربه تعالى: ﴿قال

هذا رحمة من ربي ﴿١﴾.

أقوال العلماء والمؤرخين في ذي القرنين:

تباينت أقوال العلماء والمؤرخين في ذي القرنين، ويمكن تلخيصها فيما يأتي:

القول الأول: أنه نبي، ويروى هذا القول عن بعض الصحابة، ﴿٢﴾.

القول الثاني: أنه رجل صالح، أسلم على يد خليل الله إبراهيم ﷺ وطاف معه بالبيت ﴿٣﴾.

القول الثالث: أنه شمر بن عمر الحميري ﴿٤﴾.

القول الرابع: أنه إسكندر بن فيلبس اليوناني المقدوني ﴿٥﴾.

القول الخامس: أنه أحد ملوك الصين. وأن السد هو سور الصين العظيم، وممن نصر هذا القول العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله، حيث قال: (وقد بنى ذو القرنين، وهو: (تسي شي هوانق تي) سلطان الصين هذا الردم بناءً عجيباً في القرن الثالث قبل المسيح، ومما احتج به على ذلك كون معظم ملوك الصين كانوا أهل عدل وتديبر للمملكة، ثم ذكر أن هذا الملك قد ساءت حالته في آخر عمره، وأفسد كثيراً، وقتل العلماء، وأحرق كتباً) ﴿٦﴾.

القول السادس: أنه ملك فارسي، يدعى: (كورش الأخميني) ﴿٧﴾.

وإذا رجعنا إلى سبر هذه الأقوال وتمحيصها فإن هذا القول — السادس والقول

(١) [راجع: مفاهيم جغرافية: (ص: ١٧)].

(٢) [نفس المرجع (ص: ٢٥)].

(٣) [نفس المرجع (ص: ٢٥)].

(٤) [نفس المرجع (ص: ١٣١)].

(٥) [نفس المرجع (ص: ٢٤)].

(٦) [تفسير التحرير والتنوير: (٦/ ٢٢ - ٣٥)].

(٧) [نفس المرجع (ص: ٢٢٥...)].

الثاني — وهو كونه رجلاً صالحاً — يبدو أن أكثر رجحاناً من الأقوال الأخرى، وإن كان القول السادس يمتاز بتعيين هذا الرجل الصالح. وأما القول الأول، وهو كونه نبياً، فلا نجرؤ على القول بنفيه ولا إثباته، لأنه في كلا الأمرين يحتاج إلى نقل عن الشارع، ولا نقل معلوماً لنا. أسباب ترجيح القول السادس:

وإنما كان القول السادس أكثر رجحاناً للأسباب الآتية: السبب الأول: أن (كورش الأخميني) بلغ في فتوحاته مغرب الشمس ومطلعها — يعني أن اتجه في فتوحاته من مقره الذي كان يقيم فيه غرباً وشرقاً — ويجب أن يعلم أن مطلع الشمس ومغربها نسيان، فكل مطلع لها يعتبر مغرباً بالنسبة للأماكن التي تقع شرقه، وكل مغرب لها يعتبر مطلعاً بالنسبة للأماكن التي تقع غربه، والمقصود هنا أن ذا القرنين جال في مشارق الأرض ومغاربها وفتح البلدان التي كانت عامرة بالسكان في ذلك الوقت، واتجه بعد ذلك إلى مكان السدين حيث بنى بينهما ردمه^(١).

وأما غيره فلم يعلم أن أحداً منهم تحرك في فتوحاته شرقاً وغرباً تحركاً يستحق أن يطلق عليه: أنه بلغ مغرب الشمس ومطلعها، لا شمر بن عمر الحميري، ولا الإسكندر المقدوني، والحميري لم يعلم بأنه فتح بلاد التتر أو بلاد فارس، وإن ادعى بعض المؤرخين بدون دليل أنه بلغ مشارق الأرض ومغاربها^(٢)، والمقدوني اتجه في فتوحاته من مقره في مقدونيا إلى الشرق ولم يتجه صوب الغرب^(٣).

السبب الثاني: أن كورش اشتهر بالصلاح والعدل والورع والزهد، وهو الذي

(١) [نفس المرجع (ص: ٢٣٦، ٢٥٢ — ٢٥٣)].

(٢) [نفس المرجع (١٣٧، ١٤٥ — ١٤٦)].

(٣) [ص: ٧٤، ٧٨، ١٣٠، ٩٤، ١٦٧].

يتفق مع ما ذكره القرآن عن ذي القرنين^(١).

أما الإسكندر المقدوني، فكان — مع وثنيته — متكبراً جباراً، خليعاً، سفاكاً للدماء، مفسداً في الأرض، هداماً للمعابد، محرقةً للآثار الدينية، مؤثراً لنفسه على من سواه^(٢).

وأما شمر بن عمر فلا يوجد ما يثبت أنه كان متصفاً بالصفات التي وصف بها القرآن الكريم ذا القرنين، وبخاصة الإيمان بالله... وإن ادعى بعض شعراء اليمن ذلك له، زاعماً أنه هو ذو القرنين، وأنه بلغ المشارق والمغارب^(٣).

وكذلك لم يثبت لأحد من ملوك الصين ما أثبتته الله لذي القرنين، وكون بعضهم قد يشتهر بالعدل النسبي لا يدل على أنه كان مؤمناً منفذاً لأوامر الله تعالى مثل ذي القرنين.

السبب الثالث: أن (كورش الأخميني) امتد حكمه ثلاثين عاماً، من عام: ٥٥٩ قبل الميلاد إلى عام: ٥٢٩ قبل الميلاد، وبناء سد (دانيال) الذي يبدو أنه هو سد ذي القرنين بني في تلك الفترة حيث توجه إلى الإقليم الذي بني به السد — جورجيا — عام: ٥٣٧ قبل الميلاد وقضى به — الإقليم المذكور — تسع سنوات متوالية، بني فيها السد، وأدب قبيلتي يأجوج ومأجوج^(٤).

أما الإسكندر المقدوني فقد كان متأخراً عن تاريخ بناء السد المذكور، حيث عاش بين عامي: ٣٥٥ قبل الميلاد و٣٢٣ قبل الميلاد أي إنه توفي بعد وفاة (كورش) بستة أعوام وثلاثمائة عام^(٥).

(١) [٢٥٤ — ٢٥٥].

(٢) [مفاهيم جغرافية: (ص: ٨٢ — ٨٧) ١٣٠].

(٣) [نفس المرجع (ص: ١٤٥ — ١٤٦)].

(٤) [نفس (ص: ٢٧٣)].

(٥) [نفس المرجع: (ص: ٦٩)].

نعم يجتمع الإسكندر مع (كورش) في أن الله مكن له في الأرض — ابتلاء — ولكنه يخالفه في أمرين جوهرين:

الأول: أن (كورش) — كما يظهر من تاريخه — مسلم صالح مستقيم عدل محسن، والإسكندر بعكس ذلك كله.

الثاني: أن (كورش) هو الذي بنى سد (دانيال) وأوصاف السد تنطبق على سد ذي القرنين، وأما الإسكندر فليس هو باني السد المذكور، لأن تاريخه متأخر عن بناء السد.

والذين ادعوا أن الإسكندر هو الذي بنى السد لا دليل معهم إلا شبهة دعوى أنه ذو القرنين، وقد زالت الشبهة باختلاف أحواله مع أحوال ذي القرنين.

وهناك شبهة أخرى، وهي دعوى أن الإسكندر هو الذي بنى سور الصين العظيم، وظن أن سور الصين العظيم هو سد يأجوج ومأجوج، وذلك غلط من وجهين:

الأول: أن سور الصين العظيم لم يبدأ في بنائه إلا بعد وفاة الإسكندر بـ (١٠٢ سنة) إذ بدئ في بنائه سنة ٢٢١ قبل الميلاد، والإسكندر توفي سنة (٣٢٣) قبل الميلاد^(١).

الثاني: أن سور الصين العظيم ليس هو سد يأجوج ومأجوج، كما سبق تحقيقه. وأما ثمر بن عمر فإنه متأخر عن ذلك بكثير، فقد امتد حكمه ما بين: ٢٧٥ قبل الميلاد إلى ٣٠٠ بعد الميلاد^(٢).

وأما السلطان الصيني الذي ذكر العلامة ابن عاشور أنه ذو القرنين، فلا يمت إلى ذي القرنين بصلة، وبنائوه هو ومن تلاه من سلاطين الصين لسور الصين العظيم، إنما كان للدفاع عن غارات القبائل المنغولية المتوحشة — التي منها يأجوج ومأجوج

(١) [مفاهيم جغرافية: (ص: ١٢٩)].

(٢) [نفس المصدر (ص: ١٤٧)].

— على ممالكهم، فقد كان أولئك السلاطين قادرين على حماية ممالكهم ورعاياهم من المغيرين عليهم ببناء السدود، بخلاف القوم الذين طلبوا من ذي القرنين بناء السد، فقد كانوا عاجزين عن ذلك، والسلطان الذي زعم أنه ذو القرنين، كان ظالماً جباراً، وهو الذي وحد الصين، وربط السد الذي كان — في الأصل — يتألف من عدة سدود بعدد الدويلات الصينية قبل توحيدها، وكان أول من ناله ظلمه والده الذي اضطره إلى الانتحار لسوء معاملته إياه، وأمه التي اضطهدتها، ولذلك يُعده المؤرخون الصينيون عدوهم الألد، وكان ظلمه مصاحباً له منذ صباه، حيث قعد على كرسي الإمارة وعمره اثنا عشر عاماً، وليس كما ذكر العلامة ابن عاشور من أنه لم يفسد إلا في آخر حياته^(١). فكيف يقال عنه: إنه ذو القرنين الذي أطلق الله الثناء عليه إطلاقاً يدل على أنه استمر على صلاحه إلى وفاته؟!

وبهذا يظهر بأن أقرب الأقوال أن (كورش) هو ذو القرنين، مع احتمال أن يكون ذو القرنين غير هؤلاء جميعاً، كما أن أقرب الأقوال أن (سد دانيال) هو سد يأجوج ومأجوج، مع احتمال أن يكون غيره، ولكننا نجزم بأن الإسكندر المقدوني ليس هو ذا القرنين، وأن سور الصين العظيم، ليس هو سد يأجوج ومأجوج، لاختلاف أوصاف ذي القرنين مع أوصاف الإسكندر المقدوني، واختلاف أوصاف سد يأجوج ومأجوج عن سور الصين العظيم، والله تعالى أعلم^(٢).

نظام الحكم في الصين:

كانت الصين مقسمة إلى ممالك متحاربة من سنة ٤٥٦ قبل الميلاد، وكان يحيط بكل مملكة سور وقلاع لحمايتها من أعدائها، إلى أن توحدت في إمبراطورية واحدة

(١) [قصة الحضارة: (٤/ ٩٧)].

(٢) [وأكرر هنا ما اقترحته سابقاً من تكوين فريق عمل من ذوي الاختصاصات المناسبة، للوقوف على سد (دانيال) الذي يظن أنه سد ذي القرنين، والبحث عن غيره في المناطق التي يحتل وجود السد بها مع تزويدهم بالوسائل التي تمكنهم القيام بهذه المهمة العظيمة].

في سنة ٢٢١ قبل الميلاد في عهد (شي هونج دي)^(١).

واستمر نظام الحكم في الصين إمبراطورياً، وقد اعتلى — بل نُصَّبَ — آخر إمبراطور (ويدعى بوي) عرش الصين وعمره ثلاث سنين، وعندما قامت الجمهورية وأجبر على التنازل عن الحكم سُمِّحَ له بالبقاء في القصر الإمبراطوري — المدينة المحرمة — بموجب المعاملة التفضيلية، وقد كتب — بعد أن طُرِدَ من القصر هو وأسرته وخدمه وخصيانه وودع صباه، وأصبح مشرداً يلتمس المأوى — كتاباً عن حياته، عنوانه: (من إمبراطور إلى مواطن — السيرة الذاتية) اعترف فيه بما كانت تمارسه له حاشيته من العبث والفساد والكبرياء والطغيان التي كانوا يرون أن من حقهم ممارستها في القصر، كما هي طبيعة الأباطرة الذين يتمتعون دماء الأمم ويستعبدون الشعوب، إما بأنفسهم وإما بواسطة أوصيائهم.

الإمبراطور يصف عبثه وتعبيد الناس له!

ولندع الإمبراطور يصف ما كان يجري له من تأليه وهو صبي يلعب، وقد تنازل عن العرش، قال: (فقد تعودت منذ نعومة أظفاري أن أرى الناس يسجدون لي، ولا سيما الناس الذين يكتروني بأكثر من عشرة أضعاف، وكان من بينهم كبار الموظفين السابقين في أسرة تشنغ وكبار العشيرة، وأناس في ثياب البلاط الخاص بأسرة تشنغ، ورجال الجمهورية في الزي الغربي.

وشيء آخر غريب بدا طبيعياً تماماً في ذلك الوقت^(٢) هو الموكب اليومي، فكل مرة كنت أذهب فيها إلى حجرة الدرس... أو أخرج للتزه في الحديقة، كانت تصحبني حاشية كبيرة، وكل رحلة قمت بها إلى القصر الصيفي كلفت آلاف الدراهم الفضية الكبيرة، حيث يُطلَبُ من البوليس الجمهوري الاصطفاف على طول

(١) [قصة الحضارة: (٤ / ١٩، ٩٧)، بكين حاضرة الصين العريقة والحديثة (ص: ١٣٨)، مرجز أحوال

الصين (ص: ٣٥ — ٣٧)].

(٢) [يعني علم بعد أن انتهى ذلك الوقت، وأصبح مواطناً بعيداً عن القصر أن ذلك لم يكن طبيعياً].

الطرق لحمايتي، وكان يرافقني عشرات السيارات.

وكلما خرجت للتزه في الحديقة لا بد أن يُنظَّم موكب، ينطلق في المقدمة خَصِيٌّ من المكتب الإداري^(١) لم تكن وظيفته إلا وظيفة بوق السيارة، فكان يمشي على بعد عشرين أو ثلاثين ياردة أمام الموكب مردداً الصوت التالي: (تشير.. تشير..). تحذيراً لكل واحد يمكن أن يكون في ذلك الجوار كي يتعد في الحال، ثم يليه خَصِيَّان رئيسيان يسيان مثل الأوز على كل جانب من جانبي الطريق، وخلفهما بعشر خطوات يمشي عمدة الموكب — يعني نفسه — وإذا كنتُ محمولاً في محفة، فسيكون ماشياً إلى جانبي اثنان من الخصيان الصغار لتلبية طلباتي في لحظتها، وإذا كنت ماشياً يسنداني، ومن ورائي خَصِيٌّ يحمل مظلة حرير واسعة، تتبعه مجموعة كبيرة من الخصيان... يحملون أشياء مختلفة: كرسي لاستراحتي، وغيارات من الثياب، ومظلات للمطر وأخرى للشمس.

وبعد هؤلاء الخصيان المقربين للإمبراطور يأتي خصيان من مكتب الشاي الإمبراطوري يحملون علباً فيها مختلف أنواع الكعك والمأكولات الشهية.... ثم يُتبعون بخصيان الصيدلية ومواد العلاج الأولى... وفي نهاية الموكب يأتي الخصيان الذين يحملون القعادات والمباول. وهذا الموكب المتعدد الألوان من عشرات الناس يواصل تقدمه في هدوء تام وانتظام...

أما نموذج التباهي المفرط الذي استنفد معظم الجهد والمال والمواد فهو وجبات الطعام، كانت هناك مصطلحات خاصة بأكل الإمبراطور، وكان من المحظور تماماً الخطأ في استخدامها، فالطعام لم يكن يدعى طعام، بل (يوي شان) أي الطعام الإمبراطوري، والأكل كان يدعى (جين يوي شان) أي تناول الطعام

(١) [ذكر في مكان آخر أن الخصيان الذين كان الأباطرة قبله يستخدمونهم في قصورهم لا يحصون عدداً، وأما هو فلم يبق معه منهم بعد خلعه في المرة الثالثة إلا عشرة منهم. كتاب من إمبراطور إلى مواطن (١) / (٧١)].

الإمبراطوري... وعندما كان يحين موعد الأكل.. كنت أصدر الأمر قائلاً: (تشوان شان) أي (استدعاء طعام الإمبراطور)، فيكرر خصيان الحضرة: (تشوان شان).. وقد وصف الرجل العبث والإسراف الذي كان يُمارس في القصر في الطعام واللباس والمواكب، وكثرة الخدم والخصيان والموظفين وكل شيء فيه^(١). وأقامت اليابان آخر أباطرة الصين وهو (بو يي) السابق ذكره رئيساً لجمهورية منشوريا، اسماً بدون مسمى، كما كان في القصر الإمبراطوري في الصين إمبراطوراً بدون إمبراطورية^(٢)!.

الجمهورية الصينية:

استمر النظام الإمبراطوري ثلاثة آلاف عام، وكانت نهايته في سنة ١٩١١م^(٣). عندما أعلن النظام الجمهوري الصيني، ولم تحدث هذه النهاية فجأة، وإنما حدثت بالتدريج، كما هي سنة الله في تغيير الأنظمة والدول وأصناف الحياة المتنوعة، وفقاً لما وضعه ﷻ لتلك التغيرات من سنن وأسباب، كما قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٤). وقال تعالى: ﴿وكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾^(٥).

(١) [كتاب: من إمبراطور إلى مواطن (١/ ٤٦)] وما بعدها، والكتاب مليء بوصف العبث والفساد والظغيان من أجل طفل مخلوع من الملك، تمتع بذلك كله في بداية عهد الجمهورية، وذلك يشير إلى ما كان يفعله الأباطرة والملوك الحقيقيون!!

ويصف الكتاب كذلك سيرته الذاتية من البداية إلى النهاية، وهو يقارب ٥٨٠ صفحة من القطع المتوسط، ترجمة محمد نمر عبد الكريم، طبع دار النشر باللغات الأجنبية في بكين سنة ١٩٨٥م.

(٢) [راجع كتاب قصة الحضارة (٤/ ٢٨٨ - ٣٢٠)].

(٣) [موجز أحوال الصين (ص: ٥٣ - ٥٥)].

(٤) الرعد: ١١.

(٥) هود: ١٠٢.

وفي الحديث الصحيح: (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته)^(١).

الأسباب الظاهرة لسقوط الإمبراطورية الصينية:

والذي يتأمل — قليلاً — في تاريخ إمبراطورية الصين يظهر له بجلاء أن من أهم أسباب سقوطها ما يأتي:

السبب الأول: مفسدات التصرفات والتدابير.

إن المفسدات والتصرفات الإمبراطورية السيئة قد تكررت من الأباطرة في غالب الأحوال، وإن زعم بعض من الكتاب غلبة العدالة والحكمة على ملوك الصين وسلاطينها، ونقل ذلك لاحق المؤرخين عن سابقهم، سواء أكانت في عهد الإمبراطوريات المتعددة التي كانت تنقسم مقاطعات الصين وتتحارب فيما بينها على السيطرة عليها، أم بعد أن توحدت في إمبراطورية واحدة شملت غالب المقاطعات.

هذا مع العلم أن بعض المؤرخين قد يثني على إمبراطور معين في جانب من جوانب حياته، فيظن الناس أن كل تصرفاته محل ثناء وحمد، وقد يكون الذي أثنى على الإمبراطور من أعوانه المنتفعين من سلطانه جاهاً أو منصباً أو غيرهما، فيكتم ما وقع من القبائح ويذيع ما لم يثبت من المداخل، وقد يضطر لذلك اضطراراً دفعاً للأذى الذي قد يصيبه من الأباطرة إذا لم يفعل، وللضرورات أحكامها!

ومن أهم تلك المفسدات: اهتمام كثير من الأباطرة بمصالحهم الشخصية، ليعيشوا في بحبوحة من الحياة المترفة، ويستأثروا بخيرات شعوبهم، ويقطفوا ثمار أعمالهم وكدحهم، فينعموا بجميع متع الحياة في أفخم المنازل والقصور، وتعيش الشعوب قبل أن يوافيها الأجل في سرايب الكهوف ومباني المعابد والقبور.

(١) [صحيح البخاري، برقم (٤٤٠٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. نعم هذه هي نهاية الطغاة

الظلمة، والمفروض أن يعتبروا بما سطره التاريخ، ولكنهم عمى البصائر يلحق الدابر الغابر!].

ومن أهم تلك المفاصد: نصر القوي وظلم الضعيف، وعقاب الوضع وترك الجبل على الغارب لذي الأبهة الشريف.

ومن أهم تلك المفاصد: تربع ذوي الجهل — ممن أفنت الشيخوخة أجسامهم وعطلت السنون الطويلة عن التفكير والتذكُّر عقولهم، والأطفال الذين لا عقول لهم — على عروش الملك والسلطان، ليدروا أمر الأمم العظيم الشأن، وفي قصة آخر إمبراطور من أولئك الأباطرة وما أثبتته بنفسه في سيرته الذاتية أسطع دليل وأقوى برهان!

السبب الثاني: نفاد صبر الرعايا على ظلم الأباطرة.

فقد نفد صبر الرعايا على ما أنزله بهم رعاقتهم من المآسي والبلايا، وما قاسوه في ظل حكمهم من ظلم متعمد، فكان ذلك داعياً لسخط العامة وانقيادهم لمن ثار على الأباطرة وتمرد.

كان هذان السببان ينهكان جسم الإمبراطورية من الداخل، وهناك أسباب أخرى انقضت عليها فضاغت ضعفها من الخارج.

السبب الثالث: هجوم المستعمرين الغربيين على الصين.

١ — فقد وصل البرتغاليون إلى أطراف الصين — وبالذات منطقة كانتون — عن طريق البحر في عام ١٥١٧م، واضطرت الصين إلى تسليمهم منطقة (مكاو)، ولا زالت بأيديهم إلى اليوم^(١).

٢ — واحتل الأسبان، (فرموزا — تايوان —) عام ١٥٧١م.

٣ — وأعقب الهولنديون، الأسبان في احتلال جزيرة (فرموزا).

٤ — الإنجليز، وقد وصلوا إلى (كانتون) عام ١٦٣٧م.

وزادت من إضعاف النظام الإمبراطوري وانحلاله: حرب الأفيون، فقد علم

(١) [وقت كتابة هذه المعلومات].

البرتغاليون الصينيين شرب الدخان وشجعوهم على شرائه، ثم بدأ في مستهل القرن الثامن عشر استيراد الأفيون من الهند إلى الصين، وحاربت الصين تلك التجارة حرباً شعواء، وحرمت تجارته تحريماً باتاً في عام ١٨٣٨م، حتى اضطر الإنجليز إلى الانسحاب من كانتون إلى هونغ كونغ، وأرغموا الصين على التخلي عنها بموجب توقيع معاهدة بينهما، واشتدت عندئذ حرب الأفيون الأولى، واضطرت الصين أن تخصص بعض ثغورها للتجارة الأجنبية، مع خفض الضرائب، والتسليم بامتيازات أجنبية للإنجليز ثم لأمريكا وفرنسا، مما كان سبباً في ضعف النظام الإمبراطوري والخلاله.

هذه الحرب كانت من أهم أهداف المستعمرين، ولكنها تعد — بذاتها — سبباً مهماً، لأن كثيراً من الصينيين تعاونوا مع المستعمرين في تشجيع تجار الأفيون، المستعمر يبيعه ليكسب، والصيني يشتريه ليغيب به عن هموم الفاقة والتعب، إضافة إلى ما يحصل عليه الموظف الصيني من الرشاوى والهدايا.

وجاءت حرب الأفيون الثالثة التي تعاونت فيها كل من بريطانيا وأمريكا وفرنسا وطلبت من الصين أن تجعل هذه التجارة مشروعة، وأن يفتح لها المجال في مناطق أخرى في الصين، مع وضع ضمانات لحماية المنصرين والتجار الأجانب في جميع أنحاء الصين.

وفي سنة ١٩٠٠م دخلت جيوش الحلفاء بكين، بعد أن قامت جماعة من المواطنين الصينيين بحركة تمرد ضد الإمبراطورية التي أقنعتهم بتوجيه الضربة ضد الأجانب، فأخذوا يذبحون الأجانب ويشردوهم في كل أنحاء الصين، وانتصر الحلفاء عليهم وفرضوا على الصين غرامة حربية عظيمة، تنازلوا عن جزء منها واشترطوا أن ينفق ذلك على الطلاب الصينيين ليدرسوا في بلدان الحلفاء كأمریکا وبريطانيا وروسيا واليابان...

السبب الرابع: كسر طوق عزلة الشباب الصيني عن العالم.

ذلك الطوق الذي مكن الإمبراطورية من الاستمرار في السيطرة على الشعب

وحكمه زمنا طويلاً^(١).

ذلك أن آفاً من الطلبة الصينيين غادروا الصين مزودين بأموال الغرامة الحربية، ليدرسوا في جامعات: بريطانيا، وألمانيا، وأمريكا، واليابان، وكانوا صغار السن سريعي التأثير بالأفكار الجديدة، وأدهشهم ما شاهدوا من وسائل الراحة وحرية الأفراد التي لم تكن تدور بخلدكم، وأخذ الآلاف منهم يعودون إلى بلادهم، وقد كفروا بعبادة الآباء، وانتشروا في مدن الصين يذرون في عقول مواطنيهم الثورة على الأنظمة القديمة.

وساعدهم على ذلك ما رآه أهل البلد من نمط عيشة الأجانب من المنصرين والتجار والدبلوماسيين من وسائل الراحة والترف، حيث قوى ذلك عندهم الرغبة في نيل حظهم من رغد العيش، وهم يعلمون أنهم لا يصلون إليه إلا إذا حصل تغيير للنظام القديم في بلادهم، فكان ذلك من أهم الأسباب التي هيأت الفرصة للثورة على النظام الإمبراطوري، والتمكين لقيام النظام الجمهوري، وبخاصة بعد ضعف العقيدة الدينية وعبادة الآباء في نفوس كثير من الصينيين.

أبو الجمهورية الصينية:

وقد ساعدت هذه العوامل كلها أحد أبناء الصين، لينال شرف تأسيس أول جمهورية في بلاده، وهو المدعو بـ (صون يات صن).

فقد ولد في عام ١٨٦٦م، وقدر له أن يتعلم في مدرسة مسيحية ذات منهج غربي وأساليب غربية بحتة يديرها أحد الرهبان في هنولولو — بجزر هاواي — واعتنق المسيحية، وعندما رجع إلى الصين التحق بالكلية الحربية البريطانية، فكان أول طالب صيني يتخرج منها، وقد أفقدته هذه الدراسات عقيدته الدينية الصينية،

(١) [قلت: الطرق الذي يعزل العقول عن الفكر الجديد أشد من سور الصين العظيم الذي يعزل الغزاة العظام عن اقتحامه].

وأوغر صدره ما لاقاه هو وأبناء وطنه من إهانات الأوربيين الذين سيطروا على ثغور بلاده وجماركها، وعجز الحكومة الصينية عن حماية مصالح الشعب، لذلك اعتقد أن أول خطوة يجب اتخاذها لتحرير الصين من سيطرة الأجانب هي القضاء على الزمرة الإمبراطورية (أسرة المانشو).

فأخذ يجول في المقاطعات الصينية لجمع المال الذي يوجب به نار الثورة، ولقي تجاوباً ومساعدات من النقابات التجارية والجمعيات السرية القوية التي يتوق قادتها إلى القضاء على الطبقة الحاكمة، ثم سافر إلى الغرب وزار مدن العالم يجمع التبرعات من تجار الصين، وفي أثناء ذلك وصلت إليه رسالة من قوات الثورة في بلاده تخبره بأنها قد استولت على جنوب الصين وأنها في طريقها إلى الاستيلاء على شمالها، وأنها قد اختارته رئيساً للجمهورية.

وعندما عاد وجد بعض المقاومة من الحكومة الصينية التي كانت تعيش على اسم عرش الإمبراطور المرتعش، ولكن الثورة شقت طريقها، فلفظت الإمبراطورية آخر أنفاسها، وأعلنت الجمهورية في سنة ١٩١١ م.

ورفع صون بات صن الذي أصبح أول رئيس للجمهورية الصينية شعار الثورة في المبادئ الثلاثة: (القومية، والديمقراطية، والإصلاح الاجتماعي)^(١).

وأخذت العقائد والأنظمة السياسية والاجتماعية والأساليب التعليمية القديمة تتغير، وبدأ سدُّ عزلة الصين عن العالم يُفْتَح^(٢)، كما بدأ قبله فتح شيء من سد يأجوج ومأجوج.

(١) [القاموس السياسي، لأحمد عطية الله (حرف السين)].

(٢) [أقصد به السد المعنوي، وهو الحواجز التي وضعها حكام الصين على رعاياهم، بحيث لا يتصلون بالعالم، ولا يتصل العالم بهم، ولكن هذا الانفتاح الذي حصل بقيام جمهورية الصين الوطنية، سدّه قيام جمهورية الصين الشعبية....].

هزيمة خلف أبي الجمهورية وهربه إلى تايوان:

وتوفي أبو الجمهورية (صون بات صن) عام ١٩٢٥م.

وخلفه على زعامة الحزب (المسمى: كيومتانج أي حزب الشعب الوطني، الذي تأسس عام ١٩٠٥م) وقيادته العامة "تشيانج كاي شك" المولود سنة ١٨٨٧م، واختير رئيساً للدولة سنة ١٩٢٨م وأخذ يعمل لتوحيد الصين ومقاومة التوسع الياباني، ثم اضطر للهرب إلى جزيرة فرموزا (تايوان) سنة ١٩٤٩م بعد أن مني بهزيمة كاسحة أمام الزحف الشيوعي وبذلك أصبحت الصين دولة شيوعية بزعامة ماو تسي تونغ، وتوفي تشيانج كاي شك في عام ١٩٧٥م.

جمهورية الصين الشعبية:

بدأ تأثر بعض المثقفين الصينيين بالأفكار الشيوعية اللينينية، بعدما قامت الثورة الاشتراكية في شهر أكتوبر سنة ١٩١٧م في روسيا، فقامت على إثر ذلك حركة ثورية في الصين، ظهرت بدايتها بإضرابات العمال ومظاهرات الطلاب في ٤/٥/١٩١٩م.... وفي ١/٧/١٩٢١م أسس الحزب الشيوعي الصيني، وكان من مؤسسيه (ماو تسي تونغ) وأخذ الحزب ينمو ويقوى، وعندما غزت اليابان الصين تم التحالف بين الحزب الشيوعي، والحزب الوطني الديمقراطي الحاكم (كيومتانج) الذي كان يتزعمه (تشيانج كاي شك)، ثم نشب الخلاف بين الحزبين لاختلاف سياستهما وولائهما، وقامت بينهما معارك انتهت بانتصار الحزب الشيوعي بقيادة ماو تسي تونغ في ١٩٤٩م، وهزيمة الحزب الوطني الذي فر زعماءه وموالوهم إلى فرموزا (تايوان) وأقاموا دولتهم فيها زاعمين أنهم الحكام الشرعيون للصين كلها، وجزيرة تايوان إنما هي إحدى ولايات الصين اضطروا للبقاء فيها مؤقتاً، إلى أن يتمكنوا من العودة إلى البر الصيني الذي لا يزالون هم حكامه — في نظرهم — كما أن الحزب الشيوعي أيضاً يعتبر تايوان إحدى الولايات الصينية التي يجب أن تنضم إلى أخواتها من الولايات الصينية. وسيأتي الكلام عن تايوان.

وفي ١/١٠/١٩٤٩م أعلن ماو تسي تونغ من على منصة ميدان (تيان آن من) في

بكين قيام جمهورية الصين الشعبية^(١).

نبذة عن ماو تسي تونج:

ولد ماو تسي تونج في أسرة فلاحية، في ٢٦/١٢/١٨٩٣م، وأمضى في الجيش بعد القضاء على الملكية نصف سنة، والتحق بمدرسة المعلمين وتخرج فيها، ثم أخذ يدرس الثقافات المتنوعة: الثقافة الإقطاعية الصينية والثقافة البرجوازية الغربية، وقرأ مؤلفات المفكرين والفلاسفة القدامى والمحدثين.

وبعد قيام حركة ٤ مايو/١٩١٩م أخذ في قراءة كتب وبحوث الثورة الماركسية، فجذبت به إلى اعتقادها، وخاض غمار السياسة متحالفاً مع الحكومة الوطنية والحروب ضد اليابان، ثم أعلن الحرب ضد الحكومة الوطنية، حتى أقام جمهورية الصين الشعبية، كما مضى قريباً^(٢).

خلافات الحزب الشيوعي:

انتصرت الثورة الشيوعية، وأخذ الرفاق في ترتيب شئون الدولة وتقاسم السلطة التي كان على قمتها (ماو تسي تونج) وأرسوا قواعد الاشتراكية التي شملت كل شيء في البلاد: الزراعة والصناعة والتجارة والحرف اليدوية، ووضعت لذلك الخطط — المتسارعة — التي لم تنفذ تنفيذاً كاملاً... (وشهدت الأمة نكسات في البناء الاشتراكي نظراً لأخطاء كثيرة في خط الحزب والحكومة، ولذا تعرض للهجوم عدد كبير من كوادر الحزب الشيوعي الذين تجردوا على الإفصاح عما في قلوبهم وإنكار الأخطاء في أثناء: "القفزة الكبرى إلى الأمام").

ويبدو أن السبب في عدم تنفيذ تلك الخطط عدم اقتناع القائمين عليه، إما لشعورهم بالأضرار التي تلحق المواطنين من جراء ذلك التنفيذ، وإما لعجزهم عن

(١) [موجز أحوال الصين (ص: ٥٧ — ٦٩)].

(٢) [يراجع للاطلاع على حياة ماو تسي تونج وسياسته كتاب (ماو تسي تونج) الذي طبعته باللغة العربية دار النشر باللغات الأجنبية في بكين، سنة ١٩٨٩م، تأليف تشونج وان شينان].

ذلك، لقيام تلك الخطط على أسس مبالغ فيها غير قابلة للتنفيذ دفعة واحدة، توقفاً إلى سرعة إنجاز التحول الاشتراكي، كما هي عادة الأحزاب والأنظمة الجديدة التي تحل محل أحزاب وأنظمة قديمة، حيث تحاول الأنظمة المستبدة الجديدة نفس كل أسس الأنظمة القديمة — دون التفات إلى صالحها من طالحها — ومحو أثرها من الوجود دفعة واحدة، وهذا يخالف سنة الاجتماع البشري، ويحدث الفوضى والاضطراب في حياة الناس، ولهذا راعى التشريع الإلهي سنة التدرج في أحكامه الشرعية، سواء ما أوجبه منها أو ما حرمه.

الثورة الثقافية أساسها وآثارها:

وقد اشتهر تاريخ (ماو) بالثورة المسماة بـ(الثقافية) التي كانت ناتجة عن أمرين خطيرين، ما نزلا بأمة إلا دمرت حياتها وأضعفتها وشتت شملها:

وهما الاستبداد الذي يتخطى صاحبه مشاوره أهل الحل والعقد في شئون الأمة ومصالحها العامة، والغرور الذي يصيب المستبدين حتى يظنوا أنهم أدرى بمصالح الأمة منها، فيتصرفون في أمورها بجهل وغفلة وإفساد متعمد، يوقعها في مصائب ونكبات في حياتها، يُعتدى فيها على كل الضرورات التي لا حياة لها إلا بحفظها.

وقد وصف كاتب صيني "الثورة الثقافية" التي طبقها (ماو) بقوله: (وفي عام ١٩٦٦م وبسبب تقييمه [يعني ماو]. الخاطئ للوضع المحلي والدولي شن "الثورة الثقافية" التي تحولت إلى فوضى سياسية مفلتة العنان، ابتعدت إلى حد مفرط عن توقعاته وسيطرته، نتيجة لتلاعب زمري لين بياو وجيانج تشينج المعادين للثورة، واستمرت "الثورة الثقافية" عشر سنوات، فألحقت أضراراً وخسائر فادحة بكثير من الأجهزة داخل الصين...) (١).

وقال كاتب آخر عن (ماو) وثورته الثقافية: (بدأت "الثورة الثقافية" في مايو

(١) [ماو تسي تونج: سيرة حياة — تقييم — ذكريات، لمؤلفه تشنج ون شيان، (ص: ١٦)].

١٩٦٦م ودامت ما يزيد عن عشر سنوات، وقد قلبت التنمية الصناعية رأساً على عقب، وأحدثت أضخم النكسات والخسائر في البلاد، منذ تأسيس الجمهورية الشعبية، وهذه الثورة أربكت العالم قاطبة قد شنها وقادها (ماو تسي تونج) رئيس اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني... وكانت هيبة (ماو تسي تونج) قد وصلت إلى ذروتها.... وقد أصابه الغرور تدريجياً، فأخذ يتصرف تصرفاً عشوائياً، ونصب نفسه فوق لجنة الحزب المركزية، عازلاً نفسه عن الواقع وعن الجماهير... ثم أخذ يصف ما جرى إثر ذلك بين أعضاء الحزب من تنازع وانقسامات وتناحر إلى أن قال: (وقعت الصين في حالة من الفوضى المُطبقة وعاشت في حقبة من الرعب، وشتت الأجهزة الحزبية والحكومية من مختلف المستويات، جزئياً أو كلياً، وهوجم واضطهد الكوادر القياديون والمثقفون ذوو المعارف والخبرات...) (١).

وإذا كان ما ذكر من مآسٍ قد وقع على بعض أعضاء الحزب الحاكم، فما بالك بما وقع لعامة الشعب الذين يتصرف فيهم الطغاة المستبدون تصرف الذئاب — لا الرعاة — في الشياه!؟

وقد وصف طالب عربي مخاطر "الثورة الثقافية" فقال: (فهو — يعني الانقلاب الموصوف بـ) الثورة الثقافية) — عملية طغيانية واسعة النطاق، سوف تحيط الصين بمآسٍ رهيبية، كما ستهدد العالم بأسره...) (٢).

كما بين في موضع آخر ما كانت (الثورة الثقافية) تريد تحقيقه، فقال: توخت "الثورة الثقافية البروليتارية" نفس جميع الثقافات في العالم، بدءاً بالثقافة الصينية نفسها. فقد صرح الزعماء الصينيون بأن (كل ما أبدعه الفكر الإنساني في العصور الماضية، على ما فيه من حقيقة وفائدة وجمال، ليس فيه — ولا يعقل أن يكون فيه

(١) [موجز أحوال الصين (ص: ٧٨ — ٨٤)].

(٢) [عراقي في الصين الحمراء، لـ "فؤاد الصاحب"، دار النهار للنشر بيروت (ص: ٢٤)].

— ما يشفي غليل أبناء العصر الاشتراكي^(١).

وقال — واصفاً — حرب اللافتات بين قادة الحزب الاشتراكي: (استعمل الصينيون بين حزيران ١٩٦٦م وحزيران ١٩٦٧م، من الورق لكتابة اللافتات، ما يساوي كمية الورق التي استعملها جميع دول العالم في طبع الكتب والجرائد والمجلات في الفترة نفسها، وكان حجم اللافتة الواحدة يتراوح بين متر مربع واحد وبين عشرات الأمتار المربعة...) ^(٢)، وحرب اللافتات حرب إعلامية تميزت بها الصين عن غيرها من الدول، إلى درجة أن الرئيس (ماو) خط بيده إحدى اللافتات المحرصة على بعض قادة الحزب^(٣).

وقال في موضع آخر يصف بؤس عامة الناس — ولو كانوا أعضاء في الحزب — : "وفي مجال الحياة الخاصة والمعيشة لم أجد هناك ما يشير إلى وجود رائحة الديمقراطية، فحتى الزواج لا يتم بين الصديق وصديقه إلا وفق شروط سياسية خاصة، وإذا لبس أحدهم ملابس جديدة، دون الرجوع إلى المنظمة لأخذ رأيها في ذلك، فإن الانتقاد يوجه إليه على نحو يتناسب مع مكانته وعمله.

وإذا أقدم أحدهم على شراء الطعام من السوق، دون تناوله في المطعم الجماعي في المؤسسة، فإن النصيحة توجه إليه من قبل منظمته، باعتبار أنه تناول طعاماً يختلف عما تناولته الأكثرية في المطاعم الجماعية، مما يؤدي إلى الانحراف نحو الحياة الرجعية.

وإذا ذهب أحدهم إلى صديقه أو صديقه في أوقات الفراغ للتره، فإن ذلك يعتبر لبرالية، إذ أن المؤسسات الرسمية تنظم لأعضائها أربع زيارات جماعية للمنتزهات

(١) [عراقي في الصين الحمراء. (ص: ٣٧)].

(٢) [عراقي في الصين الحمراء. (ص: ٣٩ — ٤٩)].

(٣) [موجز أحوال الصين ص: ٨٠].

والمتاحف في كل سنة^(١)...

والاهتمام بنظافة الجسم والملابس والطعام يعتبر في نظر القيادة الصينية من العادات التي يجب عدم الانتباه إليها كثيراً... وقد جاء في افتتاحية "جريدة الشعب اليومية" الناطقة بلسان الحكومة الصينية، والصادرة في ١٧ آب ١٩٦٦م ما يلي: (على جميع الشبان الثوريين أن يعيشوا وسط الجماهير ويعملوا معها، وأن يتوسخوا باستمرار بالقاذورات والدهونات^(٢)).

ويعتبر الصينيون أقل شعوب الأرض استعمالاً للكهرباء، فاليوت نصف مظلمة وهكذا الشوارع، وتشارك جميع مدن الصين في هذه الظاهرة... ولا يسمح للصيني بمراسلة أصدقائه في الخارج^(٣)..

وقد توفي (ماو تسي تونج) في ٩/٩/١٩٧٦م.

التقسيم الإداري:

يقوم تقسيم إدارة الصين الشعبية على أساس نظام المستويات الثلاثة، وهي:

١ — المقاطعات.

٢ — المحافظات (المدن).

٣ — النواحي (البلديات).

عدد المقاطعات: ٢٣ مقاطعة، خمس مقاطعات ذاتية الحكم، وثلاث بلديات مدارة

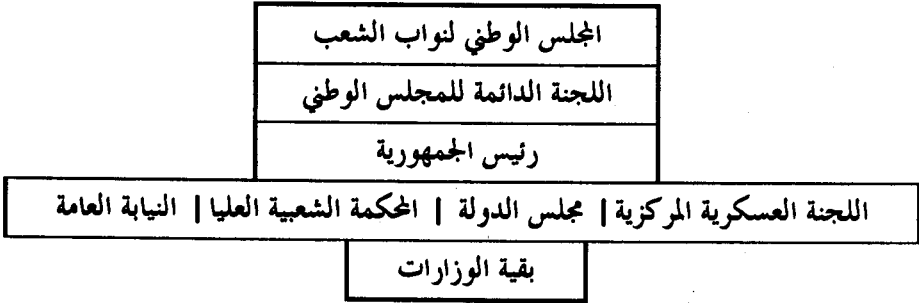
(١) [هذه المعاملة لم يعامل بها سكان الأدغال المتوحشون دواهم].

(٢) [ظاهر هذا أن الهدف من ذلك هو أن يكون الشبان الثوريون قدوة للناس يرون فيهم التواضع معهم ومخاطبتهم لاستمالة قلوبهم إلى الحزب، ولكن الحقيقة هي جعل أبناء الشعب كلهم — ماعدا القادة الكبار — متساوين في الفقر المدقع والعوز، حتى يحطموا فيهم أي تطلع للتمتع بالعيش الكريم الذي قد يسمع بأنه يوجد في بعض البلدان الأجنبية، ليتمكن القادة الكبار من الاستئثار برغد العيش فلا يراحمهم فيه ملاسين السكان، وليصرفوا الناس عن الدعايات الغربية التي تفضح استبداد الحكومة الصينية التي تحرم الشعب من التمتع بالقدر المناسب من المعيشة. — عراقي في الصين الحمراء. (ص: ٥٢ — ٥٤).]

(٣) [عراقي في الصين الحمراء. (ص: ٥٢ — ٥٤).]

مركزياً^(١)، وهي مدينة (بكين) العاصمة، ومدينة (تيانجين) وتبعد عن بكين خمسين دقيقة بالقطار، وتقع في الجنوب الغربي، ومدينة (شانغهاي).
أجهزة الدولة^(٢):

- ١ — المجلس الوطني لنواب الشعب.
- ٢ — اللجنة الدائمة للمجلس الوطني لنواب الشعب
- ٣ — رئيس الجمهورية.
- ٤ — مجلس الدولة.
- ٥ — اللجنة العسكرية المركزية.
- ٦ — مجالس نواب الشعب المحلية، والحكومات الشعبية المحلية...
- ٧ — المحاكم الشعبية، والنيابات العامة الشعبية.



والنظام الإداري الصيني نظام صارم، نظام قابض على ناصية الشعب قبضة حديدية محكمة، في كل شبر من أراضي الصين.

المؤتمر الاستشاري السياسي للشعب الصيني ومهامه:

هذا المؤتمر يتكون من مندوبين عن الحزب الشيوعي الحاكم والأحزاب السياسية الديمقراطية، والديمقراطيين غير الحزبيين، والمنظمات الشعبية، والشخصيات العامة.

(١) [موجز أحوال الصين (ص: ٢)].

(٢) [ولكل جهاز من هذه الأجهزة اختصاصاته، ويمكن مراجعة الكتابين: (موجز أحوال الصين) ص: ١٠٥

— ١٢٧، الصين ص: ٢٩ — ٤٣].

والظاهر أن الهدف من الإبقاء على هذا المؤتمر إظهار الحكومة الصينية للرأي العام وجود حرية سياسية ديمقراطية.

وقد عقد دورته الكاملة في عام ١٩٤٩م بعد الاجتماع التحضيري، لوضع "البرنامج المشترك للمؤتمر الاستشاري السياسي للشعب الصيني"^(١).

وبعد انعقاد الدورة الأولى للمجلس الوطني الأول لنواب الشعب سنة ١٩٥٤م أصبح المؤتمر ولجانه شبيهاً بمتحف من متاحف التاريخ السياسي، لأن الدستور أعطى المجلس الوطني وما تفرع عنه جميع الصلاحيات التي تسير الدولة.

وقد لخصت مهمات هذا المؤتمر في العبارة الآتية: (يقوم هذا المؤتمر مسترشداً بدستور جمهورية الصين الشعبية ولوائحه الخاصة به بالمشاورات، ويقدم الآراء والنصح في الشؤون الهامة بالحياة السياسية في البلاد والجهة المتحدة الوطنية)^(٢).

الأحزاب السياسية في الصين:

الحزب الشيوعي الصيني هو الحزب الذي يسير شئون الدولة، وقد تأسس في عام: ١٩٢١م، وأعضاؤه يربون على ٥٢ مليوناً^(٣).

وهناك أحزاب ومنظمات سميت بالأحزاب الديمقراطية، لا أهمية لها في القرارات السياسية، وهي شبيهة بالمؤتمر الاستشاري بجانب المجلس الوطني لنواب الشعب الصيني

عصابة الأربعة تطلعونهم والقضاء عليهم:

بعد وفاة (ماو تسي تونج) تنفس غالب قادة الحزب الشيوعي الصعداء، لأمرين: الأمر الأول: قوة نفوذه الذي طغى على جميع أجهزة الدولة، بما فيها المجلس الوطني

(١) [كان عبارة عن دستور مؤقت].

(٢) [موجز أحوال الصين: (ص: ١٣١)].

(٣) [موجز أحوال الصين (ص: ١٣٣)، الصين (ص: ٤٤)]. وهذا الأخير طبع عام ١٩٩٣م.

لنواب الشعب الذي يعتبر أعلى سلطة في البلد، بحسب الدستور^(١) كما سبق: (وكانت هيئة "ماو تسي تونج" قد وصلت إلى ذروتها.... وقد أصابه الغرور تدريجياً، فأخذ يتصرف تصرفاً عشوائياً، ونصب نفسه فوق لجنة الحزب المركزية، عازلاً نفسه عن الواقع وعن الجماهير)^(٢).

الأمر الثاني: ما وصلت إليه البلاد من فوضى واضطراب في كل المجالات: السياسية — الداخلية والخارجية — والاقتصادية والاجتماعية، وتمادي (ماو) في تنفيذ خطته المؤدية إلى كل تلك المآسي، إضافة إلى شل حركة نشاط ذوي الخبرات والكفاءات الذين كانت البلد في أمس الحاجة إلى خبراتهم كما سبق ذلك: "وقعت الصين في حالة من الفوضى المطبقة وعاشت في حقبة من الرعب، وشتت الأجهزة الحزبية والحكومية من مختلف المستويات، جزئياً أو كلياً، وهوجم واضطهد الكوادر القياديون والمثقفون ذوو المعارف والخبرات"^(٣).

ولكن (ماو) خلف وراءه عصابة شرسة أرادت أن تحل محله، وتقبض على أزمة أمور الدولة، وتسير في نفس الخط الذي سلكه، عرفت بـ(عصابة الأربعة) وكانوا ذوي نفوذ قوي في عهد (ماو)، وعلى رأس تلك العصابة أرملته، وتدعى: "جيانج تشينج" و"وانج هونج وان" و"شانغ تشون تشاو" و"ياو ون يوان".

(ولم يكن هؤلاء الأربعة يحبون ماو، بل كانوا يمكرون به، لأخذ السلطة، فلما مات أرادوا مواصلة المكر، ولكنهم هزموا)^(٤).

وذكر الأخ محمد نوح^(٥) أن الرجل الذي خلف (ماو) في الحكم ادعى أن ماو

(١) [صيفت بعد قيام جمهورية الصين الشعبية أربعة دساتير، وضع آخرها عام: ١٩٨٢. الصين (ص: ٣٣)].

(٢) [ماو تسي تونج: سيرة حياة — تقييم — ذكريات، لمؤلفه تشنج ون شيفان، (ص: ١٦)].

(٣) [موجز أحوال الصين (ص: ٧٨ — ٨٤)].

(٤) [معلومة من الأخ محمد نوح].

(٥) [سبأني التعريف به في المذكرات].

استخلفه، وكان معه وزعم أن ماو قال له: كن رئيساً، وأنا أطمئن إليك، وكان معه صورة مرسومة تجمع بينه وبين ماو وهما يتصافحان، عندما قال له تلك الكلمة، ويسمى خليفته: (هوا قوه فين) وهو الذي قبض على عصابة الأربعة، ومكث سنتين في الحكم ثم اختفى، ولا يدري عنه أحد، ويبدو أنه نفى إلى مكان مجهول.

إلا أن المكتب السياسي وضع حداً لهذه العصابة، وأنهى حياتها السياسية. وفي سبتمبر ١٩٧٦م توفي ماو تسي تونج، وظنت عصابة الأربعة أن الوقت موات لها لأن تغتصب السلطة العليا في الحزب والدولة، وكانت قد زورت وصية وقدمتها على أنها وصية ماو تسي تونج التي كتبها وهو في الترع الأخير^(١) في محاولة للاستيلاء على السلطة علانية، وفي أكتوبر ١٩٧٦م اتخذ المكتب السياسي للجنة الحزب المركزية... إجراءات حاسمة لسحق عصابة جيانج تشينج المعادية للثورة، ولوضع حد لسنوات الثورة الثقافية المفعمة بالاضطرابات".

بلد واحد.. نظامان:

بلد واحد.. نظامان أطلقها الصينيون بعد قيام جمهورية الصين الشعبية، والقصد منها عودة بعض الولايات الصينية المستعمرة أو المنفصلة إلى الوطن الأم، ويقصد بها كلا من: "هونج كونج" و"مكاو" و"تاوان".

ومعنى ذلك أن هذه الولايات الثلاث، وإن كانت أنظمتها رأسمالية، وهي تختلف عن النظام الشيوعي، فإن ذلك لا يمنع من اندماجها في الوطن الأم فيما يتعلق بالشئون الخارجية والدفاع، مع بقائها على نظامها الرأسمالي، فتكون كل ولاية منها جزءاً من دولة الصين الواحدة، وقد نصت المعاهدة البريطانية الصينية فيما يتعلق بـ (هونج كونج) أن يكون لها نظامها الخاص فيما يتعلق باستقلالها في السلطة

(١) [ظنا منهم أن هيئته في حياته ستبقى بعد مماته].

القضائية، والنظام الاجتماعي والنظام الاقتصادي الموجودين فيها حالياً، وتكوين حكومة محلية من المواطنين المحليين، دون تغيير في ذلك كله لمدة: ٥٠ عاماً بعد عام ١٩٩٧م!!

والسبب في إطلاق هذه العبارة هوطمأننة سكان الولايات الثلاث، الذين يتناهم الخوف من أن تطبق الحكومة الصينية النظام الشيوعي الصارم على ولاياتهم، فتحرمهم بذلك مما كانوا يتمتعون به من حرية سياسية ديمقراطية واقتصادية ويصبحون — بعد أن كانوا أغنياء ورؤساء في الولايات المذكورة — فقراء مضطهدين، لا قيمة لهم، وكذلك طمأننة الدول الغربية التي لها مصالح في تلك الولايات.

أولاً: هونج كونج:

سبق أن بريطانيا استعمرت "هونج كونج" ووقعت الصين بموجبها اتفاقية مع بريطانيا تنازلت فيها الأولى للأخيرة عن "هونج كونج" عام ١٨٤٢م وكانت آخر اتفاقية وقعت بين حكومة الصين وبريطانيا في عام ١٨٩٧م على أن توجر الحكومة الصينية مع "هونج كونج" وتتبعها أكثر من ٢٣٠ جزيرة صغيرة، وشبه جزيرة "كولون" كما يسميها الإنجليز، وهي متصلة بالبر الصيني، ويسميها الصينيون "جيولونج" لمدة ٩٩ عاماً، تنتهي في ٣٠ يونيو من سنة ١٩٩٧م^(١).

ولم يبق على هذا الموعد إلا سنة واحدة وخمسة أشهر وأحد عشر يوماً من وقت كتابتي لهذه السطور في ٣٠ / ٩ / ١٤١٦ هـ — ١٩ / ٢ / ١٩٩٦ م. وقد تسلمت الصين هونج كونج في موعدها.

وهي تقع على الساحل الجنوبي الشرقي للصين، وجنوب شرق "كانتون".

(١) [كتاب: الصين (ص: ٥٤ — ٥٥)].

وتبلغ مساحة جزيرة "هونج كونج" وتوابعها: ١٠٦٧ كيلو متراً^(١).
أما جزيرة هونج كونج فيبلغ طولها: ١٨ كيلومتراً، وعرضها: ٣ — ٨ كيلو متر،
ولكنها على صغرها من أهم مناطق العالم في النشاط التجاري العابر، كما أنها
توسعت توسعاً صناعياً مذهلاً^(٢).

وبها ميناء بحري رئيس هام، وكذلك مطار لا ينقطع عنه صعود الطائرات العالمية
وهبوطها، كما يزدحم بها السكان والسائحون والمهاجرون — هجرة قانونية أو
غير قانونية.

وعدد سكانها الآن: ستة ملايين نسمة، غير المهاجرين بطرق غير قانونية، ونظراً
لضيق مساحتها فإنها تزدحم ازدحاماً شديداً بالسكان، ولذا أخذت السلطات في
ردم البحر لإيجاد مساحات تبني عليها القصور الشاهقة التي تستغل للسكن
ومكاتب الشركات، والمعيشة بها مرتفعة، وأجور الفنادق غالية جداً.

هذا، وقد بدأ كثير من رجال الأعمال والتجارة في مغادرة البلدة، أو في توظيف
أموالهم أو تهريبها إلى غيرها من البلدان الأجنبية، ولا سيما سنغافورة، وبعض بلدان
أوروبا وأمريكا، وبعض دول جنوب شرق آسيا، خوفاً من غدر النظام الشيوعي بهم
وخلفه الوعود التي قطعها على نفسه في المعاهدات المتعلقة بها.

والذي يبدو أن الحكومة الصينية ستحكم قبضتها على البلد بعد تسلمها، وأن تتخذ
الوسائل الممكنة المتأنية لجعل إدارتها بيد المواليين للنظام الشيوعي من سكانها المحليين
الذين قد أعدتهم لها من فترة طويلة، ولكنها سوف لا تغير نظامها الاقتصادي
بسرعة، لأنها ستستفيد من بقائها سوقاً حرة فائدة كبيرة، لصادراتها ووارداتها،
وللحصول على مبالغ طائلة من العملات الصعبة، وهي الآن تفتح أبواب السوق

(١) [الصين (ص: ٥٤)].

(٢) [موسوعة الغد — الموسوعة الجغرافية — (١٣٦/١)].

الحرّة في مناطق في داخل الصين نفسها، وبخاصة في مدينة "شانغهاي".
والفئة التي يخشى من التضييق عليها والحد من حرية نشاطها، هي الفئة المسلمة التي لا يوجد من يدافع عنها ويحميها من المسلمين في الخارج، كغيرها من الأقليات المسلمة في العالم، بخلاف النصارى وغيرهم من ذوي الأديان الأخرى، فإن وراءهم دولاً ومؤسسات اقتصادية وسياسية تدعمهم، ولكن الله سيجعل للمسلمين مخرجاً، والله وحده المستعان.

ثانياً: ماكاو:

تقع "ماكاو" — وهي شبه جزيرة — في الجنوب الشرقي للصين، تبعد عن "هونغ كونج" غرباً ٤٠ ميلاً بحرياً وتضم جزيرتي "دانغستاي" و"لوهوان" وتبلغ مساحتها الإجمالية: ١٧٥ كيلومتر مربع.

يقال: إن البرتغاليين نزلوا بماكاو في عام ١٥٥٧م بدفع رشوة للأهالي، وفي سنة ١٨٤٠م وفي عام ١٨٨٧م أرغموا الحكومة الصينية على توقيع معاهدة تنص على أن تحتفظ البرتغال بـ (ماكاو) والمناطق التابعة لها إلى الأبد، وتقوم هي بإدارة شئونها... وبعد أن تم الاتفاق بين بريطانيا والصين على حل مشكلة "هونغ كونج" بدأت المفاوضات بين الصين والبرتغال في حل مشكلة "ماكاو" انتهت بتاريخ: ١٣/٤/١٩٨٧م في بكين على بيان مشترك يعطي الصين حق تسليم "ماكاو" في ٢٠/١٢/١٩٩٩م^(١).

وهي متأخرة جداً في العمران والصناعة والتجارة بالنسبة لـ (هونغ كونج) ويبلغ عدد سكانها الآن نصف مليون نسمة، وعدد البرتغاليين عشرين ألفاً^(٢).

(١) [أي بعد أقل من أربع سنوات بقليل من وقت كتابتي هذه الأسطر على الكمبيوتر، في ١٤١٦/٩/٣٠ هـ ١٩٩٦/٢/١٩م وبعد سنة إلا أربعة أيام من وقت قيامي بتنسيق وتصحيح هذا الكتاب. كتبت هذا في ٢٦ يناير ١٩٩٩م].

(٢) [سأبي ما كتبه عنها في مذكراتي عندما زرتها في هذه الرحلة زيارة استغرقت بضع ساعات].

ثالثاً: تايوان:

سبق أن كتبت عن هذه الجزيرة بعض المعلومات، حيث زرتها مرتين:

المرّة الأولى: سنة ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م.

والمرّة الثانية: سنة ١٤٠٩هـ — ١٩٨٩م

وقد سبق أن حكومة الصين الوطنية بقيادة تشيانج كاي شك، اضطرت إلى الهرب من الصين إلى تايوان بعد أن انتصر الحزب الشيوعي عليها سنة ١٩٤٩م.

ولا زالت حكومة تايوان، تعتبر نفسها هي الحكومة الشرعية للصين كلها، وأن تايوان ما هي إلا ولاية من ولايات الصين، اضطرت للتروح إليها مؤقتاً، كما أن حكومة جمهورية الصين الشعبية تعتبر تايوان إحدى ولايات الصين التي يجب أن تعود إلى الوطن الأم، وأن الحكومة الموجودة بالجزيرة ليست شرعية، ولذلك قطعت علاقاتها بالدول التي اعترفت بها.

بل إن الجمعية العامة للأمم المتحدة أجازت في دورتها الـ (٢٦) في شهر أكتوبر عام ١٩٧١م، قراراً بإعادة كل الحقوق الشرعية لجمهورية الصين الشعبية في الأمم المتحدة، وطرد سلطات تايوان فوراً من الهيئة المذكورة، واعترفت الولايات المتحدة الأمريكية في ١/١/١٩٧٩م بأن حكومة جمهورية الصين الشعبية، هي الحكومة الشرعية الوحيدة للصين، وصرحت بإنهاء علاقاتها الدبلوماسية مع تايوان، وهكذا فعلت دول أخرى كانت تقيم علاقات دبلوماسية مع تايوان^(١).

وفي هذا العام^(٢) قامت الصين بمناورات عسكرية بالقرب من تايوان، وفي المضيق

(١) [ولكن الولايات المتحدة لا زالت تتعهد بحماية تايوان، وتستقبل زعماءها].

(٢) [المقصود العام الهجري. كتبت هذه الأسطر في أواخر شهر رمضان من سنة ١٤١٦هـ، والمناورات كانت في شهري ربيع الأول وربيع الآخر - يوافقهما شهرا يوليو وأغسطس من عام ١٩٩٥م، وقد بدأت بتجارب على إطلاق الصواريخ في منطقتين واقعتين في الشمال الشرقي والجنوب الغربي لتايوان، بتاريخ: ١٩/١٠/١٤١٦هـ — ٣/٨/١٩٩٦م، كما بدأت بمناورات جوية وبحرية بتاريخ:

المسمى بمضيق تايوان، وحكومتها مترعجة من ذلك غاية الانزعاج. وقد لا يمضي وقت طويل على تدخل حكومة الصين الشعبية العسكري — إن لم يتم توحيد البلاد بأي صيغة يتفق عليها الطرفان عن طريق التفاوض — في تايوان، ولا يدان لحكومة تايوان في الوقوف أمام قوات الصين الشعبية، وإن كانت تحاول إعداد جيشها وتسليحه تسليحاً قوياً، ولكن أنى لسكان لم يزد عددهم عن عشرين مليون نسمة، أن يقف جيشهم أمام شعب قارب عدد سكانه ملياراً ونصف المليار من البشر؟! من البشر!؟

يضاف إلى ذلك أن سكان تايوان منقسمون الآن فيما بينهم، إذ يرى بعضهم الانضمام إلى حكومة البر الصيني.

ولا يتوقع من الولايات المتحدة الأمريكية أن تتدخل تدخلاً مباشراً في حرب سافرة ضد الصين إذا قررت غزو تايوان، لأنها — أي الولايات المتحدة — تعاني مشكلات اقتصادية، ومعارضة قوية من الشعب الأمريكي للزج بأبنائه، في أتون الحروب، وإرهاقه بالضرائب التي لم يعد يطيق تحملها، إضافة إلى فقد كثير من الموظفين وظائفهم في الدولة وفي الشركات الخاصة^(١).

كما أن غالب دول العالم قد لا تؤيدها لو أرادت التدخل عسكرياً ضد الصين. فالمشكلة الحقيقية تكمن في قضية تايوان، أما هونج كونج، وماكاو، فقد قرب وقت تسلم حكومة الصين الشعبية لهما رسمياً، كما مضى.

٢٣/١٠/١٤١٦ هـ — ١٢/٣/١٩٩٦ م وستستمر إلى ١/١١/١٤١٦ هـ — ٢٥/٣/١٤١٦ م وقد حشدت أمريكا بعض قواتها في المنطقة، ولكن الصين لم تلق لها بالاً، وهي ماضية في مناوراتها مصرحة بأنها سترد الجزيرة إلى الوطن الأم بالقوة إذا تدخلت فيها قوات أجنبية، أو أعلن حكماها الانفصال رسمياً بعد انتهاء الانتخابات! — ٣/١٢ القادمة ستقوم بمناورات آخر في نفس المضيق.

(١) [ولا زال الأمريكيان يتذكرون ما حصل لهم من هزيمة منكرة، وخسائر فادحة في الأرواح والعتاد، في الحرب الفيتنامية].

علاقة العرب بالصين قبل الإسلام:

ذكرت مصادر التاريخ قَدَمَ علاقة العرب بالصين وأنها كانت قبل الإسلام بقرون. قال بدر الدين حيّ الصيني: (إن علاقة الصين بالعرب لم تكن وليدة لعصر الإسلام، بل ابتدأت قبل الإسلام بقرون، غاية الأمر أن عراها لم تكن أوثقت كما في زمن الإسلام، لكن العلاقة كانت موجودة على طريقة غير مباشرة أولاً، ثم تطورت إلى علاقة مباشرة عندما قرب ظهور الإسلام... واتفقت المصادر الثلاثة: الصينية والإيرانية والرومانية، على وجود العلاقة بين العرب والصين قبل الإسلام بـبضعة قرون في شكل غير مباشر^(١)...

ومن المؤكد أن بلاد الصين كانت معروفة عند القرشيين قبل الإسلام، بدليل قوله **الطبري**: (اطلبوا العلم ولو بالصين)^(٢).

لأنه **الطبري** لم يرحل إلى خارج بلاد العرب، وإذا صح ما قلنا فلا نشك في أن علمه باسم الصين، قد جاء من الأخبار السائرة في جزيرة العرب في وقته، وذلك لم يكن إلا بعلاقة القرشيين بالصينيين أولاً، ثم عرف هذا الاسم في بلاد العرب حتى شرفه صاحب الرسالة بذكره في الحديث^(٣).

(١) [يقصد بالشكل غير المباشر: اتصال تجار العرب بالصينيين عن طريق التجار الإيرانيين والرومانيين، كما بين ذلك في (ص: ٢٠) من الكتاب المذكور].

(٢) [الحديث فيه كلام طويل للعلماء، منهم من حكم عليه بالوضع، ومنهم من حكم عليه بالضعف، ومنهم من رأى أنه قد يرقى إلى رتبة الحسن، قال ابن عراق رحمه الله: (قال الحافظ المزي الشافعي: وله طرق كثيرة عن أنس، يصل مجموعها إلى مرتبة الحسن... وفي تلخيص الواهيات للذهبي: روي عن علي وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وجابر وأنس وأبي سعيد، وبعض طرقه أوهى من بعض، وبعضها صالح، والله أعلم. تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة (٢٥٨/١) وحكم عليه الألباني بالوضع (ضعيف الجامع الصغير وزياداته، ص: ١٢٩، رقم: ٩٠٦، ٩٠٧)].

(٣) [العلاقات بين العرب والصين، (ص: ٨، ٢٠) الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية. سنة ١٣٧٠هـ — ١٩٥٠م. الصين وفنون الإسلام، للدكتور زكي محمد حسن (ص: ٧) مطبعة المستقبل، القاهرة].

وقال: (من الوثائق التاريخية الإسلامية علمنا أن محمداً رسول الله ﷺ خاتم النبيين وسيد المرسلين، قد قال في أحد أحاديثه المشهورة: (اطلبوا العلم ولو بالصين).

ويبنى على هذا الحديث الكريم ثلاثة أمور تاريخية:

أولاً: أنه يثبت بهذا الحديث أن هناك نوعاً من الصلات، مباشرة كانت أو غير مباشرة، بين بلاد العرب والصين، قبل ظهور الإسلام، وبفضل وجود هذه الصلة أصبح اسم الصين معروفاً عند العرب، حين ظهر رسول الله ﷺ، وبدأ يبشر برسالته من قلب جزيرة العرب إلى كافة الناس في العالم.

ثانياً: أن الصين كانت معروفة عند العرب بأنها عظمة الشان، وعريقة في الحضارة والمدنية، ولها آداب رفيعة وحكمٌ عالية، غير أنها من الناحية الجغرافية بعيدة جداً من جزيرة العرب، التي فيها منزل الوحي ومهد الإسلام.

ثالثاً: أن رسول الله ﷺ، كان يشجع بحديثه هذا الصحابة وأتباع الصحابة، ومن دخل في دين الإسلام الحنيف فيما بعد على مخاطرة أنفسهم بالسفر إلى بلاد نائية، كالصين التي تقع في أقصى الشرق، لأجل طلب العلم والبحث عن الحكمة^(١).

متى وصل الإسلام إلى الصين؟

سبق أنه يكتنف أصل سكان الصين غموض شديد، وهذا الغموض يخيم — أيضاً — على أوضاع المسلمين في الصين، مما جعل الأمير "شكيب أرسلان" يقول في ذلك: (مسلمو الصين كأنهم ليسوا من هذه الدنيا، فالمعلومات عنهم قليلة، والروايات بشأنهم متناقضة، وإلى هذه الساعة لم يعرف المؤرخون كيف كان وصول الإسلام إلى الصين... كما أن الجغرافيين وعلماء الإحصاء إلى اليوم لم

(١) [تاريخ المسلمين في الصين، (ص: ١٥) لبدر الدين و. ل. حيّ — وهو صاحب كتاب العلاقات بين العرب والصين السابق الذكر — ، دار الإنشاء للطباعة والنشر، طرابلس لبنان. وسبق تخريج الحديث].

يتفقوا على عدد المسلمين الصينيين...) (١).

وأسباب الغموض في أصل سكان الصين — وقد سبق ذكر شيء منها قريباً — هي أسباب قلة المعلومات عن المسلمين الصينيين.

روايات دخول الإسلام إلى الصين وتقومها:

بعد هذه المقدمة التي يُعَلِّمُ منها صعوبة توثيق تحديد وصول الإسلام إلى الصين، نذكر ما ورد من الروايات في ذلك، ثم نذكر ما نراه أقرب إلى الصواب — في الجملة — :

الرواية الأولى: يزعم أصحاب هذه الرواية أن الملك الثاني من أسرة "تانج Tang" الملقب "تاي تسونج Tai Tsung" الذي تولى الحكم في الصين من سنة ٦٢٧م إلى سنة ٦٤٤م رأى في منامه حيواناً مفترساً يهاجمه، ولم يخلصه منه إلا رجل وقور يلبس طيلساناً وعمامة بيضاء بيده سبحة، وفسر له وزراءه ذلك بأن ثائراً سيخرج عليه، وأن الرجل الذي يخلصه منه هو نبي ولد في جزيرة العرب، فبعث الملك وفداً إلى النبي ﷺ يطلب منه إرسال بعثة تنشر الإسلام في الصين، فبعث ثلاثة: توفي اثنان منهم في الطريق، ووصل الثالث، فأكرمه وبني له مسجداً في العاصمة ينطلق منه لنشر الإسلام.

وقد علق على هذه الرواية الشيخ محمد مكين بقوله: (ولكن المؤرخين لا يقيمون لهذه الرواية وزناً).

الرواية الثانية — وهي رؤيا منامية أيضاً —: أن الملك الأول من أسرة "صي Sui" الملقب "ون تي Wen Ti" رأى نجماً باهراً، وفسر له بأنه ظهور رجل عظيم الشأن في بلاد العرب، فأوفد رسولاً للتحقق من ذلك، وطلب من الرسول ﷺ أن يسافر إلى الصين، فاعتذر وأرسل معه أربعة من أصحابه، منهم خاله "سعد ابن أبي

(١) [حاضر العالم الإسلامي (٢/٢١٩)].

وقاص" في سنة ٥٨٧م... وأن الملك أمر ببناء جامع في "كانتون Canton" سماه "جامع الشوق — أو "الحنين" أو "الذكرى" — إلى النبي ﷺ. "ثم غادر سعد الصين، وقيل: إنه توفي في كانتون ودفن في ضاحتها!! وسيأتي الكلام عن هذا المسجد عند ذكر ما يتعلق بالمساجد في الصين.

الرواية الثالثة: أن رجلاً يدعى "ابن حمزة" خال النبي ﷺ، وصل إلى الصين في سنة ٦٣٢م، ومعه نسخة من القرآن الكريم، يصاحبه ثلاثة آلاف رجل من الجند، وأنهم أصدروا مرسوماً دينياً حددوا فيه الآداب الإسلامية العامة^(١).

الرواية الرابعة: أن أحد أصحاب الرسول ﷺ، ممن هاجروا إلى الحبشة عام ٦١٥م تقريباً، ويدعى: "أسعد ليب" لم تعجبه الإقامة في الحبشة، فسافر على باخرة إلى "كانتون Canton" وقام بنشر الإسلام بين التجار العرب الذين كانوا يسكنون بها، وبخاصة الحضارم ولم تكن الدعوة الإسلامية قد وصلت إليهم^(٢).

تأفت الروايات الأربع المذكورة وأسبابه:

وهذه الروايات الأربع بعيدة كل البعد عن الصحة، وذلك لسبعة أسباب:
السبب الأول: عدم ثبوت كل هذه القصص في السيرة النبوية ضمن الوفود التي قصدت المدينة المنورة للاجتماع بالرسول ﷺ، في السنة التاسعة للهجرة، ولو وقعت هذه القصص أو إحداها، لكانت أولى بالإثبات من غيرها لغرابتها من حيث الوافدون الذين لم يعهد العرب وجود مثلهم في بلادهم، وغرابة وطنهم الذي يضرب به المثل في البعد، وغرابة هؤلاء الوافدين ووطنهم أشد من غرابة سلمان، ووطنه، وقد ذكرت قصته مفصلة غاية التفصيل.

(١) [العلاقات بين العرب والصين (ص: ١٥٠ — ١٥٣)].

(٢) [الدعوة الإسلامية في ماليزيا — ظهورها وانتشارها (ص: ٥٤)، للدكتور وان حسين عزمي، والدكتور

هارون دين، كلية الدراسات الإسلامية — الجامعة الوطنية الماليزية].

السبب الثاني: عدم ثبوت وصول أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الصين، لا في قصص الرسل الذين بعثهم الرسول ﷺ إلى الملوك والرؤساء والبلدان، ولا في تراجم الصحابة رضي الله عنهم.

ومرة آخر أقول: إنه لو صح أن الرسول ﷺ بعث أحداً منهم إلى الصين لكانت العناية به في السيرة النبوية، وكتب التاريخ المعتمدة وتراجم الصحابة أولى من العناية ببعثه الرسل إلى فارس والروم وغيرهما، ومن بعث الدعاة والأمراء إلى اليمن والبحرين وغيرهما، وعدم ذكر ذلك في هذه المصادر حجة قاطعة على اختلاق هاتين القصتين.

السبب الثالث: الكذب الصريح واضح في الرواية الثانية التي ذكر فيها أن الرسول ﷺ بعث سعد بن أبي وقاص سنة ٥٨٧م إلى الصين، لأن الرسول ﷺ لم يُبْعَثْ إلا في سنة ٦١٠م أي بعد التاريخ المذكور بثلاث عشرة سنة، فكيف يُبْعَثْ إلى الصين صحابياً يعلم الناس الإسلام قبل أن يشرفه الله بالرسالة؟!.

السبب الرابع: عدم معرفة رجل يدعى ابن حمزة، وأنه خال النبي ﷺ.

السبب الخامس: دعوى أنه اصطحب معه نسخة من القرآن، مع أن القرآن لم تكتب له نسخ قابلة للتوزيع، إلا في عهد عثمان رضي الله عنه، والسنة التي ذكر أنه وصل فيها إلى الصين هي السنة التي توفي فيها الرسول ﷺ، ولم ينقل أن الصحابة الذين كان الرسول ﷺ يبعثهم للدعوة أو الجهاد كانوا يحملون معهم نسخاً من المصحف.

السبب السادس: دعوى أنه اصطحب معه ثلاثة آلاف من الجنود، وهذا أمر لو حصل لكان مشهوراً في كتب السيرة والغزوات والتاريخ!.

السبب السابع: عدم وجود ذكر لاسم "أسعد ليب" في مهاجري الحبشة في السيرة النبوية، وعدم الإشارة إلى رحلة أي صحابي منهم إلى الصين، وقد كانت هجرتهم إلى الحبشة بأمر من الرسول ﷺ، وكانت إقامتهم بها إقامة سعيدة، لما لقوا من إكرام ملكها: "النجاشي" رضي الله عنه، ويبعد كل البعد أن يشذ أحد المهاجرين

وفارق صحبه تلك المفارقة، ويرحل تلك الرحلة الخيالية، دون أن تذكرها كتب السيرة النبوية! بل الاسم من حيث هو غريب في أسماء القرشيين! الرواية الخامسة: أن أول وفد قدم إلى الصين، كان في عهد الخليفة الثالث "عثمان بن عفان" رضي الله عنه، في سنة ٦٥١م، ويقال أيضاً: إن وفداً آخر من العرب وصل بعد ذلك بخمس سنين، أي في سنة ٦٥٥م، وهذه الرواية معقولة كما قال الشيخ محمد مكين رحمه الله^(١).

وقال محمد يوسف لي هواين: (تفيدنا المصادر الصينية أن أول مندوب مبعوث من الخليفة "عثمان بن عفان" وصل إلى "تشانغآن" (شيان اليوم، وعاصمة الصين آنذاك) في ٢٥ أغسطس ٦٥١م... — وقال في الحاشية — : (اتفق المؤرخون الصينيون على أن سنة ٦٥١م... هي سنة دخول الإسلام إلى الصين)^(٢). بل يقال: إنه من سنة ٦٥١ إلى سنة ٨٠٠م بلغت السفارات العربية إلى الصين أربعاً وثلاثين سفارة^(٣).

صعوبة تحديد زمن أو شخص لإدخال الإسلام إلى الصين:

ولا ينافي وصول هذا الوفد الذي يقال: إنه أول وفد وصل إلى الصين في عهد عثمان رضي الله عنه في ذلك التاريخ، وصول بعض أفراد من المسلمين قبله، لأن العرب كانوا يضربون في الأرض — براً وبحراً — للتجارة بحثاً عن الرزق، قبل الإسلام

(١) [ذكر هذه الروايات الشيخ "محمد مكين" الصيني، رحمه الله في محاضراته التي ألقاها في القاهرة سنة ١٣٥١هـ، ونشرنا في مجلة الفتح في غرة رمضان، وفي ٦ من ذي القعدة من السنة المذكورة كما في حاضر العالم الإسلامي (٢٦٣/٢)، وطبعنا — المحاضراتان — في كتيب، بعنوان (نظرة جامعة إلى تاريخ الإسلام في الصين وأحوال المسلمين فيها) المطبعة السلفية ومكتبها للشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله. وقد نقلت من الكتيب المذكور هذه الروايات مع شيء من التصرف (ص: ٦ — ٩)].

(٢) [المساجد في الصين (ص: ١١ — ١٢). الطبعة الأولى — عام ١٩٨٩م — بدار النشر باللغات الأجنبية بكين].

(٣) [العلاقات بين العرب والصين (ص: ١٨٠)].

وبعده، وقد ذكر بعض الكتاب أنه تم اكتشاف ثلاث قطع من الأواني الخزفية في أحد القبور التي يرجع تاريخها إلى عهد أسرة (تانغ) وبالذات في عهد الإمبراطور (وو ده ٦١٨ — ٦٢٦م) في ضاحية من ضواحي (يانغتشو)، وأن رسوماً خضراء وجدت على جدران إحدى تلك القطع تدل على معنى (الله أكبر) على حدّ حُكْم أحد العلماء اليمينين، وهذا — إذا صح — يدل على وجود بعض أفراد المسلمين في تلك المنطقة من ذلك التاريخ^(١).

ولكن هل يمكن الجزم بوقت محدد لوصول الإسلام إلى الصين أو معرفة أول رجل وطئت قدماه هذه البلاد؟

علم مما تقدم عدم صحة رواية وصول أحد من الصحابة إلى الصين، ولكن كثيراً من المؤرخين يرون أن أول من وصل إلى الصين هو صاحب القبر الذي وجد في ضاحية كانتون، وأن صاحبه يدعى: سعد بن أبي وقاص^(٢).

وأنه يوجد على قبره شاهد كتب عليه: (هذا أول مسجد في الصين بناه سيدنا وقاص رضي الله عنه)، إذ دخل هذه الدار لإظهار الإسلام بأمر رسول الله ﷺ، ثم جده المتأخرون مرة بعد مرة، وإلى الآن حفظه الله تعالى من الآفات "في الأحياء"^(٣).

وهو في الصين مبدأ الإسلام ومنبع العلوم، فينبغي على مسلمي الصين أن يزينوا ظهره بالعمارة الحسنة، ويصلحوا باطنه بإقامة الجماعة، ووضع مدرسة خصوصاً على مسلمي هذا البلد، فاعتبروا يا أولي الأبصار، اللهم انصرنا على أعداء الإسلام آمين — التوقيع: الوصي: سليمان عبد الكريم^(٤).

(١) [الإسلام في الصين، تأليف: إبراهيم فنغ جين يوان (ص: ٩)].

(٢) [اختلفت الروايات في اسمه: بعضها يذكره هكذا "سعد بن أبي وقاص" وبعضها يزيد: خال النبي ﷺ، وبعضها تذكره هكذا "وقاص"].

(٣) [لعله يقصد "في كل الأحياء"].

(٤) [الإسلام في الصين (ص: ٤١ — ٤٢)، عالم المعرفة — الكويت، عدد ٤٣، شعبان/رمضان ١٤٠١هـ —

وقال بدر الدين حيّ الصبّني: (وحاصل الكلام أن كِتَابَ الصين القدماء لم يتفقوا على سَنَةِ وصول الإسلام بحراً إلى الصين، كما أنهم لم يستطيعوا الاتفاق على من هو الأول الذي جاء بالإسلام عن طريق البحر إليها)^(١)..

وقال — بعد أن ناقش — دعوى أن هذا الضريح هو ضريح سعد بن أبي وقاص وفند تلك الدعوى: (وبناء على ما أوردناه من الأدلة والبراهين، نقول موقنين: إن صاحب الضريح في كانتون غير سعد بن أبي وقاص، ومن الممكن أن أحداً ممن سموا بذلك الاسم قد سافر إلى الصين في أواخر القرن الثامن الميلادي، فمات هناك ودفن بها، ويظهر أنه كان زعيماً من زعماء العرب المستوطنين في الصين، وكانت له مكانة عظيمة لدى الإمبراطور وفي أعين المسلمين هناك، فلذلك كانوا ولا يزالون يعظمون قبره، لكن نأسف أن التاريخ لم يخبرنا باسمه الحقيقي، ولا نعرف هل يظل هذا الاسم مجهولاً هكذا إلى الأبد، أو يصبح معلوماً يوماً من الأيام)^(٢).

وقال في كتاب آخر: (وفي البحث عن العلاقة بين العرب والصين بذلتُ مجهودات غير قليلة في تحقيق: من كان المسلم العربي الأول الذي ذهب بالإسلام إلى الصين، لغرض التبليغ والدعوة، كما سعيت إلى الاهتداء إلى أسناد تاريخية تثبت بصورة قاطعة: من كان مؤسساً لجامع ذكرى النبي ﷺ القائم إلى الآن في مدينة كانتون، بجنوب الصين، ومن مؤسس الجامع "سي — آن" أحد الجامعين الأقدمين بعاصمة

يوليه ١٩٨١م للصحفي المعروف فهمي هويدي وقد زار المؤلف الصين وزار هذا القبر، وذكر أن هذا النص كتب باللغة العربية على لوحة رخامية بغير إشارة إلى تاريخها، وذكر قبل ذلك أن أحد الصينيين، وهو عبدالرحمن ناجونج أن القصة التي يُزعم فيها أن هذا القبر للصحابي سعد بن أبي وقاص عليه السلام مختلفة، وأن غاية ما يمكن أن يقال في هذا القبر... إنه لواحد من التجار المسلمين الأتقياء الذين أقاموا بكانتون، وكان اسمه وقاص].

(١) [العلاقة بين العرب والصين (ص: ١٥٢)].

(٢) [العلاقات بين العرب والصين (ص: ١٥٨)].

الصين القديمة، غير أنني بالأسف الشديد لم أهتم إليها، لا من المصادر العربية، ولا من المصادر الصينية، أو من المصادر الإسلامية الأخرى.

فلذا أميل إلى الاعتقاد بأن اسم مبلغ الإسلام الأول في الصين، سيظل مجهولاً إلى ما شاء الله، لأن أحداً من العلماء أو المؤرخين — الصينيين أو المستشرقين — لم يستطع القول: إن فلاناً من الصحابة أو من أتباع الصحابة قد ذهب إلى الصين في سنة كذا وكذا، ودعا الناس وحاكم^(١) الصين إلى دين الإسلام...^(٢).

وقد قال بعض الكتاب المسلمين الصينيين: (إن لتحديد وقت دخول الإسلام إلى الصين أثره الحاسم في دراسة تاريخ الإسلام في الصين، ولذلك أصبحت هذه المشكلة تلح في إيجاد حل لها، ولكنها ما زالت لغزاً إلى زمننا هذا لعدم توفر المعلومات التاريخية الدالة على ذلك...)^(٣).

وبهذا يُعَلَّمُ أنه لا يوجد دليل يُعْتَمَدُ عليه في تحديد وقت معين لدخول الإسلام إلى الصين، ولا على من أول من دخل الصين من المسلمين.

ومع ذلك فإننا لا نشك في أن الإسلام وصل إلى الصين في وقت مبكر جداً عن طريق التجار المسلمين، لأن السعي التجاري لم ينقطع في الغالب، لاسيما إذا تذكرنا أن "علاقة العرب بالصين كانت غير مباشرة قبل الإسلام بقرون، ثم أصبحت مباشرة قرب ظهور الإسلام عن طريق إيران والرومانيين"^(٤).

ويترتب على معرفة وصول الإسلام إلى الصين في وقت مبكر أمران:
الأمر الأول: التحقيق العلمي التاريخي.

(١) [تراجع هذه اللفظة في الأصل].

(٢) [تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر (ص: ج، د) من المقدمة].

(٣) [الإسلام في الصين، تأليف إبراهيم فنج يون، تعريب محمود يوسف لي هوانين — دار النشر باللفات

الأجنبية، بكين، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩١م (ص: ٤)].

(٤) [العلاقات بين العرب والصين (ص: ٨، ٢٠)].

والأمر الثاني: معرفة فضل أسلافنا الأبرار الذين لم يتوانوا عن إيصال هذا الدين إلى أقاصي الأرض التي تمكنوا من ورودها، في وقت لم يكونوا يملكون فيه من وسائل المواصلات — براً أو بحراً — ما يتيح لهم السفر الآمن وسرعة الوصول إلى الهدف، كما هو حاصل اليوم لأبنائهم الذين أهملوا تعاهد ما ورثوه لهم في كل أنحاء العالم، ولعل في ذلك ما يحفزهم من بقيت في نفوسهم بقية من غيرة على ذلك الميراث العظيم!

أما وفود المسلمين الرسمية فإن "الرواية الرابعة" التي ذكر فيها أن أول وفد قدم إلى الصين، كان في عهد الخليفة الثالث "عثمان بن عفان" رضي الله عنه، في سنة ٦٥١م، فلا يوجد ما يمنع قبولها، وهذه السنة توافق (سنة ٣٠) من الهجرة النبوية، وقد وصلت قوة المسلمين آنذاك إلى أواسط آسيا من ناحية، وإلى السند من ناحية أخرى، وقد ذكرت هذه الرواية المصادر الصينية، وفيها أن أعضاء الوفد ذكروا أن ملكهم يسمى "أمير المؤمنين" إلا أنه يبقى في النفس شيء من عدم ذكر المصادر العربية لهذا الوفد وبعض الوفود التي تلت^(١).

من هنا نعلم أن الإسلام قد وصل مبكراً إلى الصين عن طريق التجار المسلمين، سواء أكانوا من العرب أو من الإيرانيين، أو عن طريق وفود بعثها بعض الخلفاء، ولكن تعيين الوقت كسنة كذا وكذا، أو تعيين شخص أو أشخاص كانوا أول من أدخل الإسلام إلى الصين، هو صعب المنال.

عَلِمَ مَلِكُ الصِّينِ قُوَّةَ الْمُسْلِمِينَ وَبَأْسَهُمْ سَنَةَ ٢٢ هـ:

ذلك فيما يتعلق بوصول وفود المسلمين إلى الصين، أما معرفة ملك الصين بقوة المسلمين وبأسهم وفتوحاتهم التي أربته فقد كانت قبل ذلك. فعندما تابعت هزائم "يزدجرد" أمام جحافل الجهاد في آخر حياة عمر بن

(١) [راجع الكتاب السابق العلاقات بين العرب والصين (ص: ١٥٨، ١٦٠)].

الخطاب، ﷺ، كتب يزدرجد إلى ملك الترك و"ملك الصين" يطلب منهما العون والمدد، ولكنهما لم يحتفلا بأمره عندما جاءهما رسوله، إلا أنهما — ملك الترك وملك الصين — أنجدها بعد دخوله أرضهما، لأن شرع الملوك يقتضي ذلك، ومع ذلك فقد هزمه رجال الله المجاهدون شر هزيمة، وتخلّى عنه ناصروه^(١).

وبعد هزيمته بعث إلى ملك الصين يستنجده، فاعتذر إليه وعلل ذلك بخشيته على إزالة المجاهدين ملكه، إذا استجاب لنجدته!

قال ابن كثير رحمه الله: (ورجع كسرى "يزدرجد" خاسراً الصفقة، لم يُشَفَ له غليل، ولا حصل على خير، ولا انتصر كما كان في زعمه، بل تخلّى عنه من كان يرجو النصر منه وتنحى عنه وتبرأ منه أحوج ما كان إليه، وبقي مذبذباً، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء: ﴿وَمَنْ يُضِلِلْ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾^(٢) وتحير في أمره ماذا يصنع؟ وإلى أين يذهب، وقد أشار عليه بعض أولى النهى من قومه حين قال: قد عزمت أن أذهب إلى بلاد الصين، أو أكون مع خاقان في بلاده، فقالوا: إنا نرى أن نصانع هؤلاء القوم^(٣). فإن لهم ذمة وديناً يرجعون إليه، فتكون في بعض هذه البلاد وهم مجاورينا^(٤) فهم خير لنا من غيرهم، فأبى عليهم كسرى ذلك.

ثم بعث إلى "ملك الصين" يستغيث به ويستنجده، فجعل ملك الصين يسأل الرسول عن صفة هؤلاء القوم الذين فتحوا البلاد وقهروا رقاب العباد، فجعل يخبره عن صفتهم، وكيف يركبون الخيل والإبل؟ وماذا يصنعون؟ وكيف يصلون؟^(٥). فكتب معه إلى "يزدرجد": إنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجيش أوله عمرو وآخره

(١) [يختصر من البداية والنهاية (١٣/٧ - ١٣٢)، لابن كثير].

(٢) [النساء: ٨٨].

(٣) [يعنون المسلمين، لما لمسوا من معاملتهم، مع أنهم في حالة حرب معهم].

(٤) [هكذا، والصواب: (مجاورونا) لأنه خير المبتدأ].

(٥) [صفات فروسية، وصفات عبادة، وفي اجتماعهما يكمن نصر الله].

بالصين الجهالة بما يَحِقُّ عليّ، ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك صفتهم، لو يحاولون الجبال لهدوها، ولو جئت لنصرك أزالوني ما داموا على ما وصّف لي رسولك، فسالمهم وارض منهم بالمسألة!...) ^(١).

وفر "فيروز بن يزدجرد" إلى إمبراطور الصين، فعينه رئيساً لحرسه في قصر "سي آن" عاصمة الصين القديمة، فبقي هناك إلى أن وافاه الأجل يائساً حزيناً ^(٢).

وصول بعض المجاهدين المسلمين إلى الصين:

لقد زحف القائد المسلم العظيم: "قتيبة بن مسلم الباهلي" رحمه الله بجيوشه إلى خراسان ثم إلى ما وراء النهر، لإخضاع الأتراك الذين كانوا يتمرّدون على المسلمين عقب كل هزيمة تلحق بهم — الأتراك — من قبل قواد المسلمين الآخرين فأخضعهم، وواصل زحفه فاتحاً مدناً عدة حتى وصل إلى مدينة "كاشغر" وهي إحدى مدن الصين، ففتحها سنة (٩٦هـ).

دعوة ملك الصين إلى الإسلام:

ومن هذه المدينة بعث "قتيبة" رسله إلى ملك الصين يدعوه إلى ما دأب على الدعوة إليه قواد المسلمين — امتثالاً لأمر الرسول ﷺ، وهو: الدخول في الإسلام، أو دفع الجزية الدال على الخضوع وعدم التمرد والخروج على جند الله من المسلمين، أو القتال الذي يكون النصر فيه غالباً للمسلمين إذا التزموا بتقوى الله وطاعته وتوكلوا عليه.

وقد ذكر ابن كثير، رحمه الله، قصة دخول هذا الوفد على ملك الصين وما دار بينهم وبينه، وهي قصة طويلة ولكنها طريفة، تستحق أن تنقل بنصها في هذا

(١) [البداية والنهاية (١٣٢/٧)]. وقد بقي يزدجرد في بعض البلاد مقهوراً حتى قتل بعد سنتين من خلافة

عثمان رضي الله عنه قرب مرو على يد رجل ينقش الأرجية (جمع رحي) وهي الطواحين. نفس المصدر (٧/

[١٦٤].

(٢) [العلاقات بين العرب والصين، (ص: ٢٤) لبدر الدين الصيني].

الموضع المناسب لها:

قال رحمه الله: (وفيها — أي سنة ٩٦ هـ — فتح قتيبة بن مسلم، رحمه الله تعالى "كاشغر" من أرض الصين، وبعث إلى ملك الصين رسلاً، يتهدده ويتوعده، ويقسم بالله لا يرجع حتى يطأ بلاده، ويختتم ملوكهم وأشرافهم، ويأخذ الجزية منهم أو يدخلوا في الإسلام.

فدخل الرسل على الملك الأعظم فيهم، وهو في مدينة عظيمة، يقال: إن عليها تسعين باباً في سورها المحيط بها، يقال لها: "خان بالق" من أعظم المدن وأكثرها ريعاً ومعاملات وأموالاً، حتى قيل: إن بلاد الهند — مع اتساعها — كالشامة في ملك الصين، والصين لا يحتاجون إلى أن يسافروا في ملك غيرهم، لكثرة أموالهم ومتاعهم، وغيرهم محتاج إلى ما عندهم من المتاع والدنيا المتسعة، وسائر ملوك تلك البلاد تؤدي إلى ملك الصين الخراج، لقهره وكثرة جنده وعدده. والمقصود أن الرسل لما دخلوا على ملك الصين، وجدوا مملكة عظيمة حصينة، بقدر مدينة كبيرة^(١).

فقال لهم ملك الصين: ما أنتم؟ — وكانوا ثلاثمائة رسول، عليهم "هيرة بن الشمرج الكلابي" — فقال الملك لترجمانه: قل لهم: ما أنتم؟ وما تريدون؟ فقالوا: نحن رسل قتيبة بن مسلم، وهو يدعوكم إلى الإسلام، فإن لم تفعل فالجزية، فإن لم تفعل فالحرب.

فغضب الملك وأمر بهم إلى دار، فلما كان الغد دعاهم، فقال لهم: كيف تكونون في عبادة إلهكم؟ فصلوا الصلاة على عادتهم، فلما ركعوا وسجدوا ضحك منهم، فقال: كيف تكونون في بيوتكم؟ فلبسوا ثياب مهنهم، فأمرهم بالانصراف، فلما

(١) [الذي يطلع على بعض قصور أباطرة الصين، لا يدهش من هذا الوصف، فقصورهم — في عظمها واتساعها — مدن، وقد رأيت في القصر الإمبراطوري في بكين ما ينبي عن تلك القصور، ولذلك يسميها الصينيون أنفسهم (مدناً) إذ يطلقون على القصر المذكور: (المدينة المحرمة)].

كان من الغد أرسل إليهم، فقال: كيف تدخلون على ملوككم؟ فلبسوا الوشي^(١) والعمائم والمطارف ودخلوا على الملك، فقال لهم: ارجعوا فرجعوا، فقال الملك لأصحابه: كيف رأيتم هؤلاء؟ فقالوا: هذه أشبه بهيئة الرجال من تلك المرة الأولى، وهم أولئك.

فلما كان اليوم الثالث أرسل إليهم فقال: كيف تلقون عدوكم؟ فشددوا عليهم سلاحهم ولبسوا المغافر والبيض، وتقلدوا السيوف، نكبوا القسي^(٢) وأخذوا الرماح وركبوا خيولهم ومضوا، فنظر إليهم ملك الصين فرأى أمثال الجبال مقبلة، فلما قربوا منه ركزوا رماحهم ثم أقبلوا نحوه مشمرين، فقليل لهم: ارجعوا — وذلك لما دخل قلوب أهل الصين من الخوف منهم — فانصرفوا فركبوا خيولهم واختلجوا رماحهم، ثم ساقوا خيولهم كأنهم يتطاردون بها. فقال لأصحابه: كيف ترونهم؟ فقالوا: ما رأينا كهؤلاء قط.

فلما أمسوا بعث إليهم الملك: أن ابعثوا إلي زعيمكم وأفضلكم، فبعثوا إليه (هيرة) فقال له الملك حين دخل عليه: قد رأيتم عظم ملكي، وليس أحد يمنعكم مني، وأنتم بمنزلة البيضة في كفي، وأنا سائلك عن أمر، فإن تصدقني وإلا قتلتك. فقال: سل! فقال الملك: لم صنعتم ما صنعتم من زي أول يوم والثاني والثالث؟ فقال: أما زينا أول يوم فهو لباسنا في أهلنا ونسائنا وطيينا عندهم، وأما ما فعلنا ثاني يوم، فهو زينا إذا دخلنا على ملوكنا، وأما زينا ثالث يوم فهو إذا لقينا عدونا.

فقال الملك: ما أحسن ما دبترتم دهركم، فانصرفوا إلى صاحبكم — يعني قتيبة — وقولوا له: ينصرف راجعاً عن بلادني، فإني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه، وإلا بعثت إليكم من يهلككم عن آخركم.

(١) [الوشي: النقش في الثياب].

(٢) [المغافر جمع (مَغْفَرَة) زَرَدٌ يلبسه المحارب تحت القلنسوة، والبيض: السيوف، والقسي النبال].

فقال له هبيرة: تقول لقتيبة هذا؟! فكيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون؟! وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاً ببلادك؟! وأما تخويفك إيانا بالقتل فإننا نعلم أن لنا أجلاً إذا حضر فأكرمها عندنا القتل، فلسنا نكرهه ولا نخافه.

قال الملك: فما الذي يرضي صاحبكم؟

فقال: قد حلف أنه لا ينصرف حتى يطأ أرضك، ويختم ملوكك، ويحيي الجزية من بلادك.

فقال: أنا أبر يمينه وأخرجه منها، أرسل إليه بتراب من أرضي، وأربعة غلمان من أبناء الملوك، وأرسل إليه ذهباً كثيراً وحريراً وثياباً صينية لا تُقوَّم ولا يدرى قدرها. ثم جرت لهم معه مقاولات كثيرة، ثم اتفق الحال أن بعث صحافاً من ذهب متسعة، فيها تراب من أرضه ليطأه قتيبة، وبعث بجماعة من أولاده وأولاد الملوك ليختم رقابهم، وبعث بمال جزيل ليريمين قتيبة، وقيل: إنه بعث أربعمائة من أولاده وأولاد الملوك، فلما انتهى إلى قتيبة ما أرسله ملك الصين قبل ذلك منه، وذلك لأنه كان قد انتهى إليه موت الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين، فانكسرت همته لذلك..^(١).

استمرار علاقات المسلمين بالصين بعد توقف الفتوحات:

توقفت فتوحات العرب بعد موت "الوليد بن عبد الملك" وقتل "قتيبة" رحمه الله، بعد خروجه على سليمان بن عبد الملك في "فرغانة" في شهر ذي الحجة من سنة ٩٦ هـ وعمره (٤٨ سنة)^(٢).

ولكن العلاقات بين المسلمين والصين لم تنقطع، بل إن بعض أهالي "تركستان الشرقية" وهي ما أطلق عليها الصينيون — بعد احتلالهم لها — "سينكيانج" وتعرف

(١) [البداية والنهاية (٩/١٤٧ — ١٤٩)].

(٢) [البداية والنهاية (٩/١٧٤)].

أيضاً بـ "التركستان الصينية" قد أسلموا — على الأرجح — في زمن "قتيبة" رحمه الله، ومنهم قوم "أويغور"^(١) الذين أسلموا في آخر القرن الأول الهجري — وهم شعب متفرع عن التتار.

وفي سنة ٧٥٤م ثار أحد حكام الولايات الصينية، وهو "آن لوشان An lushan" على ملك الصين "سونج" فاستنجد بالمسلمين "الأويغور" فأنجذوه وأنقذوا حكمه من الانهيار، واستمر حكم أسرته إلى منتصف القرن العاشر الميلادي، وكان الأصل بين الأويغور والصين الود والصداقة، وقد تسوء — أحياناً — العلاقات بينهم، ولكنهم سرعان ما يرأبون الصدع ويعيدون المياه إلى مجاريها.

قلت: وهذه الصلات الحسنة في الغالب، والسيئة أحياناً، تبين مدى العلاقات التي استمرت بين المسلمين من التتار ومن معهم من العرب، وبين الصين إلى أن احتل الصينيون بلاد المسلمين "تركستان الشرقية" وعاملوا أهلها أسوأ معاملة عرفها المسلمون، وبخاصة في عهد الثورة الشيوعية. وستأتي الإشارة إلى ذلك في المكان المناسب من هذا الكتاب.

ويقال: إن ملك الصين هذا، طلب النجدة من "أبي جعفر المنصور" فبعث إليه أربعة آلاف من المقاتلين الأشداء، ولما انتصر بهم على عدوه كافأهم على الإذن لهم بالإقامة في الصين وأكرمهم غاية الإكرام، وأنهم هم أصل المسلمين في الصين.

ويرى بعض الكتاب الصينيين المعاصرين أن في هذا القول نظراً، لأن الأوضاع في عهد أبي جعفر كان فيها من الاضطرابات الداخلية في تلك الفترة ما يصعب معه بعث جيش للنجدة في خارج البلاد الإسلامية^(٢).

ويرى بعض الكتاب العرب المعاصرين غير هذا الرأي، إذ يذكرون هذه القصة

(١) [معنى كلمة "أويغور" في اللغة التركية: المعاهدة أو المراقبة].

(٢) [راجع: العلاقات بين العرب والصين (ص: ٢٦ — ٤١)].

مؤكددين وقوعها^(١).

ويبدو لي أن ما أشار إليه الكاتب الصيني صحيح، فقد قيل: إن أبا جعفر المنصور بعث الجند لنجدة ملك الصين في سنة ١٣٩هـ / ٧٥٦م وقد كانت هذه السنة وما قبلها وما بعدها من أشد الأوقات اضطراباً في عهد المنصور، فقد خرج على المنصور عمه عبد الله بن علي سنة ١٣٧هـ وبعد أن هُزم عبد الله وسُجن أظهر أبو مسلم العصيان والخروج على طاعة المنصور، فاستدرجه حتى قدم عليه وقتله في سنة ١٣٨هـ^(٢)...

وإذا كان المنصور قد بعث جيشاً في هذا الوقت العصيب لنجدة ملك الصين، فلا بد أن يكون قد اختار لقيادة ذلك الجيش من يرغب — المنصور — في نفيه من البلاد حذراً منه، أما المواليون له فهو أشد حاجة إليهم من ملك الصين، ويعد أن يفرط فيهم ويؤثر بهم غيره.

الطرق التي سلكها المسلمون إلى الصين:

للوصول إلى الصين من البلاد الغربية طريقان^(٣):

الأولى الطريق البرية:

وكانت أكثر تنظيماً وسلوكاً قبل ظهور الإسلام^(٤).

واستمرت كذلك بعد ظهوره، وإن أصبح البحر بعد ذلك أكثر استعمالاً^(٥).

(١) [تركستان الصينية (الشرقية)، محمود شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣م (ص: ١٧).

حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة — جميل المصري (ص: ٥١٦)].

(٢) [البداية والنهاية (١٠ / ٧٦) وما بعدها].

(٣) [إذا أطلق لفظ البلاد الغربية أو الغرب في كتب الصين القديمة، فالمراد به ما وقع في غرب الصين، إلى

البحر الأبيض واستنبول، راجع كتاب العلاقات بين العرب والصين ليدر الدين حيّ الصيني (ص: ١٠)،

[١٤٤].

(٤) [العلاقة بين العرب والصين (ص: ١٠٨) ولتفصيل أكثر عن الطريق البري راجع (ص: ١٢٠ — ١٢٩)

من نفس الكتاب].

قال حسين عزمي، وهارون دين: (لقد أثبت التاريخ أن للقوافل التجارية من شبه جزيرة العرب إلى الصين طريقاً برياً يسلكه التجار من قدم الزمان...) ثم نقلاً عن المسعودي في مروج الذهب وصفاً للطريق البري المؤدي إلى الصين، ثم قالوا: (مما تقدم يتضح لنا ما يأتي: أن الطريق البري من شبه جزيرة العرب إلى الصين موجود من قدم الزمان، وأن القوافل التجارية قد سلكتها من زمن بعيد، وكانت نقطة الانطلاق الأولى لهذه القوافل من أرض شبه جزيرة العرب هي: "البصرة" فهي بداية الطريق، ثم عبور الخليج الفارسي إلى "سيراغ" وهي نقطة التجمع الأولى بأرض فارسية، ثم إلى "كاشغر" وهي أول مدينة صينية تدخلها القوافل التجارية بأرض الصين، وتقع في ولاية "سينكيانج"...) (٢).

وقد اشتهر طريق البر هذا بـ(طريق الحرير) الذي كانت تجارته مزدهرة، إذ تصدره الصين إلى روما وبيزنطة، عن طريق الإيرانيين (٣).

وبهذا الطريق سلكت بعض وفودهم الرسمية، ومنها أول تلك الوفود الذي بعثه الخليفة عثمان رضي الله عنه (٤) وكذلك المجاهدون الذين فتحوا تلك المناطق القريبة من الصين، وبخاصة الجيوش التي قادها قتيبة بن مسلم الذي وصل إلى مدينة "كاشغر" وهي مدينة صينية (٥).

ويذكر بعض المؤرخين احتمال وجود طريق برية أخرى سلكتها بعض المسلمين إلى

(١) [نفس المرجع (ص: ١٠٨)].

(٢) [الدعوة الإسلامية في ماليزيا (ص: ٥٠)].

(٣) [الصين وفنون الإسلام (ص: ٧) لزكي محمد حسن، وموجز أحوال الصين (ص: ٣٤٤) والإسلام في الصين (ص: ٢٧) لفهمي هويدي].

(٤) [الإسلام في الصين (ص: ٤٢)].

(٥) [حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، (ص: ٥٦٠) لجميل عبد الله المصري، دار أم القرى، طبع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط ٢ ١٤٠٩ هـ].

الصين، غير طريق الحرير، وهي المنطقة الحدودية بين مقاطعة "يوان" الصينية و"بورما" جاء منها مسلمون من العرب والفرس ومسلمون من وسط آسيا^(١).

الثانية الطريق البحرية:

قال الدكتور أديب مخول^(٢): (كان عرب جنوب شبه الجزيرة العربية — على الغالب — هم أول من مخروا عباب المحيط الهندي، وقبل قرون من ظهور الإسلام، كان البحارة العرب يعملون كوسطاء بين التجار الأوربيين والتجار الآسيويين... وعلى الرغم من أن الرومان.. وبعدهم الفرس (من نهاية القرن الخامس إلى السابع) كانوا ينافسون العرب في محاولة للسيطرة على تجارة المحيط الهندي... أصبح العرب مع غيرهم من المسلمين في القرن التاسع سادة التجار هناك... فقد كشفت السجلات الصينية القديمة أنه كان للعرب... في الصين سنة ٣٠٠م أماكن استيطان في "كانتون Canton" إن العرب في العصور القديمة والوسطى ملكوا زمام التجارة البحرية بين مصر وإيران والهند من جهة، وبين الهند وشرق وجنوب شرق آسيا من جهة أخرى...

وقد أضحت في العصور الإسلامية أكثر استعمالاً من ذي قبل، وأول موالي العرب التجارية في زمن الإسلام: "البصرة" كما كانت قبل ذلك منطلق التجارة البرية، ومن المواني التي كان لها دور في اتصال العرب بالصينيين والعكس مدينة: "عدن" مع صغرها...^(٣).

(١) [المسلمون الصينيون — أسئلة وأجوبة — إعداد: شيو يوان — باللغة العربية — دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، (ص: ١). الطبعة الأولى، سنة ١٩٩١م. وهو من الكتب التي اقتنيها عندما زرت الصين، ولم أحصل عليها إلا بعد جهد جهيد].

(٢) [عميد الكلية الجامعية وأستاذ الفلسفة في جامعة الفلبين].

(٣) [الإسلام في الشرق الأقصى — وصوله وانتشاره وواقعه (ص: ١٥ — ١٩). دار العربية — بيروت، تعريب الدكتور نبيل صبحي. راجع أيضاً الدعوة الإسلامية في ماليزيا (ص: ٣٥) وما بعدها. وكتاب موجز أحوال الصين (ص: ٣٤٤)].

وقال بدر الدين الصبيي: (وابن خرداذبة لم يترك "عدن" أيضاً، فإنه قال: إنها من المرافئ العظام.. ويؤيد هذا القول الإدريسي، إذ قال: إن مدينة "عدن" صغيرة، لكنها مشهورة بأنها مرسى التجارة التي تبهر منها إلى السند والهند والصين، وتأتي من الصين أنواع الصنائع... ويظهر من التاريخ أن بحر الهند كان تحت نفوذ ملاحه إيران قبل الإسلام، فلما ظهر الإسلام في جزيرة العرب وانتشر إلى الممالك المجاورة في بضعة عقود من السنين، وقويت سيطرته في البر والبحر، حلت ملاحه العرب محل ملاحه الإيرانيين في خليج فارس، كما أنها حلت محل ملاحه الروم في البحر الأبيض^(١)).

وقال الشيخ محمد مكين: (وعلمنا من مبادئ تاريخ الشرق، للمؤرخ الصيني "فوا ين جانغ Chang Fu Yen" أن المسلمين كانوا هم الذين يقبضون على ناصية التجارة الدولية في الشرق والغرب، من أوائل القرن الثامن إلى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، يبحرون بمناجرهم من الخليج الفارسي، ويعبرون المحيط الهندي، حتى يصلوا موانئ الصين التجارية "كانتون" حاضرة ولاية: "كونغ تونغ Kwangtung" و"تسونجو Tsuancho" ميناء ولاية "فوكين Fukien" و"يانغ جو Yang Chao" ميناء ولاية "كيانغ سو Kiangsu" و"هانغ جو Hang Chao" و"مينغ جو Ming Chao" مينائي "جيكيانغ Chekiang". وكانت التجارة في كانتون أكثر منها في سائر الموانئ^(٢)).

المناطق التي استقر بها المسلمون في الصين:

ظهر لنا مما مضى أن المسلمين — عرباً كانوا أو غير عرب — كان لهم طريقان إلى

(١) [العلاقة بين العرب والصين (ص: ١٠٧ — ١٢، ٢٣٥)، ويوصف طريق البحر بأنه طريق البخور، كما يوصف طريق البر بأنه طريق الحرير. كتاب المسلمون الصينيون (ص: ١) وكلاهما وصف تغليبي، لأن البضائع لا تقتصر على هاتين السلعتين في كل من الطريقين].

(٢) [نظرة جامعة إلى تاريخ الإسلام في الصين وأحوال المسلمين فيها، (ص: ٩)].

الصين: طريق البحر، وطريق البر.

وكان استيطان غالب سالكي طريق البحر سواحل جنوب شرق الصين. فالذين جاءوا عن طريق البحر — وكانوا في الغالب تجاراً، وقليل منهم من الوفود الرسمية — استوطنوا في السواحل الجنوبية الشرقية للصين وبخاصة مدينة "كانتون" التي كان المسلمون يسمونها: "خانفو"^(١).

وكان لهم محلة خاصة يسكنون بها، ولهم إمام يصلى بهم ويخطب ويدعو لسلطان المسلمين، كما كان لهم قاض منهم يحكم بينهم بأمر حاكم الصين، وكانوا ينتخبون منهم من يسمى بشيخ المحلة "الحارة" وتسمى في اللغة الصينية "فانغانغ"^(٢). ويتولى أمورهم باسم الملك الصيني، وله لباس رسمي خاص — رداء فضفاض — على الطراز الصيني، وإدارة خاصة تسمى — (مكتب شيخ الأجانب)، ووظيفته النظر في شئون المسلمين التجارية وما يتعلق بالخراج والضرائب التي تدفع للسلطة الصينية... وقد توغل بعضهم إلى المدن القريبة من الساحل^(٣). كما سبق قريباً ذكر الموانئ التي كان العرب يقصدونها، بل واستوطنها كثير منهم ومنها: "كانتون" حاضرة ولاية: "كونغ تونغ Kwangtung" التي كانت التجارة فيها أكثر من سائر الموانئ الصينية و"تسونجو Tsuanchao" ميناء ولاية "فوكين Fukien" و"يانغ جو Yang Chao" ميناء ولاية "كيانغ سو Kiangsu" و"هانغ جو Hang Chao" و"مينغ جو Ming Chao" مينائي "جيكيانج Chekiang"^(٤).

وقد اشتهر في موانئ الصين الجنوبية الشرقية سوقان تجاريان، سيطر عليهما

(١) [تاريخ المسلمين في الصين (ص: ١٦ — ١٧) لبدر الدين الصيني].

(٢) [الإسلام في الصين — تأليف إبراهيم فنغ جين يوان (ص: ١٥)].

(٣) [تاريخ المسلمين في الصين (ص: ١٨ — ٢١) لبدر الدين الصيني. وكتاب: تركستان الصينية (ص: ٥٣) لمحمود شاكر].

(٤) [نظرة جامعة إلى تاريخ الإسلام في الصين وأحوال المسلمين فيها، (ص: ٩)].

المسلمون، وهما سوقا (كانتون) و(تشوان تشو)، وكان المسؤول عنهما — واسمه أبو علي إبراهيم الصيني — يلقب بـ (أبي السوقين)، ورقّي إلى منصب "مدير عام إدارة المراقبة على الملاحة والتجارة البحرية" وهي إدارة استحدثت في الصين بسبب الازدهار التجاري الإسلامي الذي لم يسبق للصين أن حظيت به من قبل^(١). هكذا كان المسلمون الذين يهاجرون إلى أي بلد للتجارة يستوطنون في المناطق التي يعملون فيها، كما فعلوا في بريطانيا، كان يسكن غالبهم في الموانئ البحرية الكبيرة، وكما فعلوا في أمريكا حيث سكنوا في ميتشجان "ديترويت" بقرب عملهم في مصنع سيارات "فورد" حتى سميت منطقتهم لكثرتهم: "القرية العربية" وقد سجلت ذلك في رحلاتي للبلدين وفي كل الأحوال يهني الله لهم من يقيم لهم دينهم ويؤمنهم وينون المساجد التي تكون من أقوى الروابط بينهم^(٢). غالب سالكي طريق البر استوطنوا العاصمة تشانغ آن.

أما الذين جاءوا من طريق البر:

١ — فكان منهم التجار المسلمون من العرب والإيرانيين الذين وفدوا إلى الصين، قاطعين الجبال والأودية عن طريق آسيا الوسطى (تركستان) وكانوا يتزلون غالباً في عاصمة الصين القديمة "شانغ آن"^(٣).

قال إبراهيم فنغ جين يوان: (وكان هناك طريقان، يدعى أحدهما: "طريق الحرير" ويمتد من شانغآن (شيان) عاصمة الصين آنذاك إلى غرب آسيا...

ومع انتشار الإسلام في مغارب العالم ومشاركه وظهور الدولة الإسلامية توارَدَ التجار المسلمون إلى الصين براً وبحراً، ففي أوائل عهد أسرة تانغ كانت شوارع

(١) [تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر (ص: ٢٣)، لبدر الدين. وراجع كتاب الإسلام في الصين لفهمي هويدي (ص: ٥٤)].

(٢) [تاريخ المسلمين في الصين، ص: ٢٢].

(٣) [راجع تاريخ المسلمين في الصين (ص: ٢٢) لبدر الدين].

تشانغآن (شيئان) مزدحمة بالتجار المسلمين، من العرب والفرس، إذ كانت محلاتهم ومساكنهم تتناثر في كافة أنحاء المنطقتين التجاريتين: الشرقية والغربية من المدينة...^(١).

٢ — وكان منهم الجنود المسلمون من الأويغور الذين طلب الإمبراطور من أميرهم في تركستان نجدة بهم على عدوه "آن لوشان" الذي كاد يُفقد الإمبراطور ملكه، فجاءه منهم في سنة ٧٥٥م خمسة آلاف محارب، وبعد سنتين تبعهم أربعة آلاف فاستأصلوا شأفة عدوه، فكافأهم على ذلك بتخييرهم في العودة إلى بلادهم أو البقاء في أرض الصين، فبقي كثير منهم وتزوجوا صينيات فكثرت نسلهم مع تمسكهم بدينهم، ويقال: إن الملك فرقهم في مدن الصين^(٢).

ولكن غالبهم بقى في العاصمة وما جاورها من مدن شمال الصين الغربي^(٣).

٣ — وكان منهم الكتيبة المسلمة المكونة من أربعة آلاف مقاتل التي أنجد بها أبا جعفر المنصور هذا الإمبراطور نفسه — إذا صحت روايتها — وقد استقر أكثرهم في العاصمة "شيئان" وفي منطقة يونان، وتزوجوا من صينيات وأنجبوا وتكاثروا، حتى صار لهم شأن عظيم^(٤).

انتشار المسلمين في أنحاء الصين بعد الفتح المغولي:

٤ — عندما شملت فتوحات المغول الصين، وأُسست أسرة (يوان) سنة ١٢٧٧م هاجر كثير من المسلمين من العرب والإيرانيين إلى آسيا الوسطى والتركستان، ودخلوا في خدمة الجيش المغولي وتولوا مناصب مهمة، وكثر عددهم وانتشروا في أنحاء الصين، ودخل كثير من الصينيين في الإسلام، وبذلك انتشر المسلمون في كل

(١) [الإسلام في الصين (ص: ١٢ — ١٣)، لإبراهيم المذكور].

(٢) [العلاقة بين العرب والصين (ص: ٣٨، ٤١). لبدر الدين الصيني].

(٣) [تاريخ المسلمين في الصين (ص: ٢٢) لبدر الدين الصيني].

(٤) [تركستان الصينية (ص: ١٧ — ١٨) لمحمود شاكر].

بقاع الصين، وإن كان عددهم في بعض المناطق أكثر من غيرها^(١).

أسباب انتشار الإسلام والمسلمين في مناطق الصين:

يَبِينُ لنا مما سبق أسباب انتشار المسلمين وتفرقهم في مناطق الصين كلها، ولنحمل هذه الأسباب فيما يأتي:

السبب الأول: تعدد منافذ الدخول.

فقد تبين أن لدخول الصين في الزمن القديم منفذين، منفذ عن طريق البحر، ومنفذ عن طريق البر.

فالذين جاءوا عن طريق البحر استوطنوا الموانئ البحرية وما جاورها في السواحل جنوب شرق الصين، والذين جاءوا عن طريق البر للتجارة أو السفارة أو النجدة استوطنوا الأماكن التي نزلوا بها وما جاورها في الغالب، وهي في شمال غرب الصين.

وهذا لا يمنع من عبور بعض سكان الموانئ إلى بعض مناطق الصين الأخرى، كما لا يمنع من عبور بعض سكان شمال غرب الصين إلى غيرها من المناطق أيضاً.

قال بدر الدين حيّ الصبيني: (كان للتجار المسلمين حرية مطلقة في الانتقال بين بلدة وأخرى في داخل بلاد الصين، كما لهم حرية في الإقامة بأي مرفأ من المرافئ.

ولحفظهم من الوقوع في الخطر وتأمين أموالهم وأنفسهم (و)^(٢).. كانت الحكومة الصينية قد وضعت قانوناً خاصاً، يقضي بتسجيل المسافرين في داخل حدود الصين

وما معهم من الأمتعة والأموال، وقانوناً آخر يقصد به مراقبة الفنادق بجميع المدن، وتُعنى عناية خاصة براحتهم وتأمينهم إذا انتقلوا من مدينة إلى مدينة أخرى (و)^(٣)

(١) [تاريخ المسلمين في الصين (ص: ٢٦) لبدر الدين].

(٢) [يبدو أن هذه الواو زائدة في الكلام، لأن قوله: (ولحفظهم..) متعلق بـ(كان) والمعنى يستقيم بدون الواو، أي إن الحكومة كانت قد وضعت لحفظهم قانوناً].

(٣) [وهذه الواو كسابقها يبدو أنها زائدة، لأن المقصود أن الحكومة تعنى بهم مدة إقامتهم].

مدة إقامتهم بها^(١)..

السبب الثاني: توزيع المقاتلين على مدن الصين بأمر الملك.

فقد أمر ملك الصين بتوزيع المقاتلين الذين نصره على الخارجين عليه على مدن الصين، بحيث أنشئت لهم في كل مدينة مدينة خاصة بهم.

السبب الثالث: نزوح المسلمين من دول الجوار إلى الحدود المجاورة.

فقد كثرت الفتوحات الإسلامية التي جعلت المناطق القريبة من الصين دولاً إسلامية، لأن اتصال بعض الشعوب المتجاورة ببعض من أسباب انتشار الأديان والدين الإسلامي أكثر قبولاً من غيره، وكل دولة من دول الجوار يتصل المسلمون فيها بما جاورها من بلاد الصين.

السبب الرابع: انتشار المسلمين في الصين بعد حكم المغول.

إن استيلاء المغول على بلاد الصين وتمكينهم المسلمين في مناصب عالية، وإدخال كثير منهم في الخدمة العسكرية، جعل المسلمين ينتشرون في بلدان الصين كلها، وكان بعض قادة المغول أنفسهم مسلمين، وقد أصبحوا هم حكام الصين في كل ولاياتها.

السبب الخامس: اختلاط الصينيين بالمسلمين:

فقد اختلط الصينيون بالمسلمين ودخل بعض الصينيين في الإسلام، عن طريق المصاهرة، بحيث تزوج المسلمون صينيات، ولا بد أن يدخلن في الإسلام قبل الزواج بهن، لأنهن لسن كتابيات حتى يحل زواج المسلمين بهن وهن على دينهن، بل هن وثنيات، كما دخل بعضهم في الإسلام عن طريق الدعوة إلى الله، لأن من طبيعة المسلمين — سواء كانوا تجاراً أو علماء — الاجتهاد في دعوة الناس إلى الإسلام بالقول أو بالقدوة الحسنة، ودخول الناس في الإسلام يزيد من انتشار

(١) [العلاقات بين العرب والصين (ص: ١٣٧)].

المسلمين في المناطق كلها، ولهذا نجد المسلمين — إلى الآن — في غالب القوميات الصينية.

السبب السادس: ثبات المسلمين على دينهم.

إن المسلمين يثبتون على دينهم في الغالب، حيث لا يجوز للإسلام للمسلم أن يدعه ويدخل في دين غيره، بخلاف غير المسلمين، فإنه لا حرج عندهم في الانتقال من دين إلى آخر، وهذا الثبات يقوي انتشار المسلمين، من جهتين:

الجهة الأولى: استمرار تناسلهم وانتشار ذرائعهم في مواطنهم وانتقالهم إلى أماكن أخرى طلباً للرزق، أو القيام بأعمال توكل إليهم.

الجهة الثانية: تأثر غيرهم بدينهم والدخول فيه.

السبب السابع: تناسل المسلمين الذي يفوقون فيه غيرهم.

حيث يجوز عندهم تعدد الزوجات، كما أنهم يتبارون في كثرة الأولاد امتثالاً لحث الإسلام لهم على ذلك، بل كانوا يضمنون إليهم اليتامى والمشردين من أولاد الصينيين الذين يموت آباؤهم أو يهملونهم، فيربيهم المسلمون على الإسلام^(١).

اهتمام المؤرخين الصينيين بعلاقات المسلمين بالصين:

السجلات الصينية القديمة اهتمت بصلة العرب بالصين، وأماكن استيطانهم بها، واستمر ذلك الاهتمام بعد ظهور الإسلام^(٢).

وتذكر سجلات الصين القديمة المسلمين باسم "داشي" وهي تعني "التاجر" والأمويون يذكرون باسم "باي لي داشي" أي ذوي الملابس البيضاء، والعباسيون

(١) [راجع لانتشار الإسلام والمسلمين في الصين الكتب الآتية: نظرة عامة إلى تاريخ الإسلام في الصين وأحوال المسلمين فيها (ص: ٢٤) لمحمد مكي. حاضِر العالم الإسلامي (ص: ٥٦٠) لجميل المصري. تركستان الصينية (ص: ٥١) لمحمد شاكر].

(٢) [الإسلام في الشرق الأقصى — وصوله وانتشاره وواقعه (ص: ١٧ — ٢١)].

يذكرون باسم "خي لي داشي" أي ذوي الملابس السوداء^(١).

وقد ذكر بدر الدين الصيني: إن الأستاذ "بريتش نيدر Breitschneider" ألف كتاباً سماه: (علم الصينيين القدامى عن العرب) ثم قال: (فمن يريد التوسع في هذا الموضوع يستطيع أن يراجع هذا الكتاب، بدون أي تعب، ولم أدخل في أبحاثي فصلاً خاصاً عن علم الصينيين عن العرب، لأنني أرى أن هذا الكتاب يغني عن هذا الفصل..)^(٢).

تمني الحداد تاريخاً لعلاقات المسلمين بإندونيسيا كما في الصين:

ولعناية المؤرخين الصينيين بعلاقات العرب قبل الإسلام وبعده ببلادهم، تمنى السيد علوي بن طاهر الحداد لو وُجد لإندونيسيا تاريخ قدم يدل على وفود الخلفاء الراشدين إليها كما وُجد ذلك في تاريخ الصين، فقال: (أقول: يا ليت شعري من أين نجد تاريخاً لإندونيسيا قديماً يدلنا على وفود الخلفاء الراشدين، ومن بعدهم من الأمويين والعباسيين إلى جزائر إندونيسيا وملوكها وشعوبها، وما السبب في حفظ الصين لهذه الأخبار القيمة وضياعتها في إندونيسيا؟)^(٣).

ويتهم السيد الحداد — وهو محق في اتهامه، وقد دلل على اتهامه هذا في نفس الكتاب المشار إليه، في (ص: ٣٧٢ — ٣٧٤) — المستعمرين والمستشرقين، بضياع تاريخ الإسلام في إندونيسيا حيث قال بعد ذلك: (وأنا أذكر أسماء الكتب الصينية، ليعرف الفرق بين تاريخ الصين الذي بقي محفوظاً، وتاريخ جزائر الهند الذي لعب

(١) [وهذا دليل على حرص المسلمين على العمل، وطلبهم الرزق الذي يغنيهم عن الحاجة إلى ما في أيدي الناس، وتجنبهم للكسل، مما جعل الصينيين يغلبون في تسميتهم هذا الوصف، وهو: (التاجر)].

(٢) [علاقات العرب بالصين (ص: ٤٦)].

(٣) [الدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى (ص: ٣١٢ — ٣١٣) الطبعة الأولى — عالم المعرفة — جدة — سنة ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م].

به وشتته المستعمرون والمستشرقون...^(١).

وذكر بعضُ مؤرخي الصين أن الحكومة الملكية الصينية، اتخذت التقويم العربي تقويمياً رسمياً، سنة: ١٣٨٤م، وهي توافق: سنة ٧٨٦هـ.

وقد كان بعض صغار السن من الصينيين يدونون في مذكراتهم ما يشاهدونه من شئون المسلمين، وبعض شعرائهم يمجّدون الآثار الإسلامية في قصائدهم، وكتّابهم يدونون ذلك كله^(٢).

وإن الروايات المتنامية التي سبقت عن دخول الإسلام في الصين — مع أنها أقرب إلى الأساطير والخيالات — لتدل على عناية الصينيين بتدوين معلومات عن الإسلام في الجملة.

مواقف الأسر الإمبراطورية من الإسلام والمسلمين:

سنشير هنا إلى أهم الأسر الإمبراطورية التي تزامنت مع البعثة النبوية، وما تلا ذلك من الزمن، أما الأسر الحاكمة قبل ذلك فلا داعي لذكرها، إلا من حيث معرفة علاقة العرب بالصين قبل الإسلام، وقد سبق الكلام على ذلك — إجمالاً.

وسبق ذكر رواية بعث الرسول ﷺ "سعد ابن أبي وقاص" ﷺ إلى الصين في عهد الإمبراطور الأول من أسرة: "Sui" الملقب بـ "ون تي Wen Ti" في سنة ٥٨٧م، وأن هذه الرواية محض كذب وافتراء، لمخالفتها واقع التاريخ، لأن الرسول ﷺ لم يُبعث إلا في سنة ٦١٠م أي بعد التاريخ المذكور بثلاث عشرة سنة.

(١) [المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى (ص: ٣١٥).. ولد السيد الحداد في بلدة (قيدون) بمحرموت، جاء إلى إندونيسيا سنة ١٣٤١هـ، كما ذكر ذلك في نفس الكتاب المشار إليه هنا (ص: ٣٧٣)، وكان من مؤسسي الرابطة العلوية بإندونيسيا، تولى الإفتاء في سلطنة (جمهور) بماليزيا، توفي سنة ١٣٨٢هـ. ذكروا بعض مؤلفاته في مقدمة كتابه المذكور].

(٢) [المساجد في الصين (ص: ١٤ — ١٥)، محمد يوسف لي هوان].

المسلمون في عهد أسرة: تانغ Tang: (٦١٨م — ٩٠٧م):

ولهذا كانت أول الأسر الإمبراطورية التي تولت الحكم في بداية البعثة النبوية، هي أسرة "تانغ Tang" في سنة ٦١٧م بعد انقراض أسرة "صي Sui" وبعد البعثة الشريفة بست سنوات.

ويرى بعض المؤرخين أن تولي أسرة: "تانغ Tang" بدأ في سنة ٦١٨م، ولعل السبب في هذا الاختلاف — وهو يسير — تقارب الزمن بين انتهاء أسرة "صي Sui" وابتداء حكم أسرة "تانغ Tang"^(١).

وكان أول عاهل من هذه الأسرة هو: "تانغ كاو جو Tang Kao Tzu" الذي امتد نفوذه السياسي إلى سمرقند وبخارى..

وكان قائداً عسكرياً شجاعاً... وفي عهده وقعت حوادث خطيرة في البلاد العربية، كانت ذات تأثير بالغ في سياسة العالم:

منها: بعثة الرسول ﷺ، التي سبقت تولّي هذا الإمبراطور بسنة واحدة أو أقل. ومنها خلافة أبي بكر ﷺ بعد وفاة الرسول ﷺ، وما أعقبها من حروب الردة. ثم خلافة عمر ﷺ، والفتوحات الإسلامية التي كان من أهم آثارها سقوط الدولة الكسروية، وغير ذلك من الحوادث^(٢).

أحداث إسلامية بارزة حصلت بعد البعثة في عهد هذه الأسرة:
وتتلخص هذه الأحداث فيما يأتي:

١ — قضاء الجيش الإسلامي على آخر ملوك الساسانيين "كسرى يزديجرد" واستنجاهه بملك الصين واعتذاره إليه، وكان ذلك في عهد عمر ﷺ.

(١) [راجع كتاب: الصين — تأليف: تشين شي (ص: ١٣) وكتاب الإسلام في الصين، لفهمي هويدي (ص: ٤٠)].

(٢) [راجع كتاب العلاقات بين العرب والصين (ص: ٣٠ — ٣٢)، لبدر الدين الصيني].

٢ — الوفود الإسلامية الرسمية إلى الصين، وكان أولها الوفد الذي بعثه الخليفة الثالث "عثمان رضي الله عنه" وما تلاه من الوفود التي بلغت سبعة وثلاثين وفداً^(١)..

٣ — وفد الدعوة والجهاد الذي بعثه قتيبة بن مسلم، رحمه الله.

٤ — الكتبية التي أنجد بها المنصور أحد أباطرة هذه الأسرة، عندما خرج عليه بعض ولاته.

٥ — إنشاء المستوطنات التجارية للمسلمين، على ساحل الصين الجنوبي الشرقي للمسلمين، وأماكن أخرى لسكن المسلمين الوافدين عن طريق البر من التجار أو الوفود الرسمية إلى العاصمة "تشانغ آن"^(٢).

وكانت العلاقات بين هذه الأسرة وبين المسلمين من العرب والأويغور وغيرهم علاقات احترام وتعاون في الغالب، وكان لنجدة المسلمين لبعض ملوكها على الخارجين عليه أثر طيب جداً، وإن كان قد شاب هذه العلاقة ما كدّرها بسبب سوء تفاهم بين المسلمين وبعض كبار الموظفين الصينيين، سرعان ما قُضي عليه وعادت المياه بينهم إلى مجاريها^(٣).

المسلمون علي عهد أسرة سونغ Sung (٩٦٠ — ١٢٧٩):

يوجد خلاف في بداية تواريخ الأسر ونهايتها بين الكتاب — أحياناً — وعلى سبيل المثال ذكر الشيخ محمد مكين تاريخ هذه الأسرة هكذا: (٩٦٠ — ١٢٧٥) بنقص أربع سنوات في النهاية، كتاب: نظرة عامة إلى تاريخ المسلمين في الصين (ص: ٤٥)، وعند الشيخ بدر الدين حيّ، هكذا (٩٥٠ — ١٢٧٧) بنقص عشر سنوات في البداية، وستين في النهاية، كتاب: تاريخ المسلمين في الصين (ص: ١٨). والظاهر أن من أسباب هذا الاختلاف أن بعض الكتاب يؤرخ بقيام أسرة "سونغ

(١) [الإسلام في الصين (ص: ٤٧)].

(٢) [سبق الكلام على هذه الأحداث بشيء من التفصيل، وذكر المراجع المستفاد منها].

(٣) [العلاقات بين العرب والصين (ص: ٤١ — ٤٣)].

Sung" الشمالية التي كان حكمها مبكراً، فيكون التاريخ الذي يعتمد عليه متقدماً، وبعضهم يؤرخ بقيام أسرة سونغ في الجنوب التي كان حكمها متأخراً، فيكون التاريخ الذي يعتمد عليه متأخراً أيضاً، كما فصل ذلك (شي يوان) المذكور أعلاه^(١). هناك خمس أسر من الأسر الإمبراطورية الحاكمة تولت الحكم مدة قصيرة في الفترة: من ٩٠٧ إلى ٩٦٠م يغفل الكتاب عن المسلمين في الصين ذكرها، ويبدو أن السبب تعاقبها السريع على الحكم، مما جعل أثرها غير ذي بال في مسيرة المسلمين في الصين^(٢).

كان وضع المسلمين في الصين في عهد هذه الأسرة شبيهاً بالوضع في عهد أسرة "تانغ Tang" من حيث احترامهم للمسلمين وإفساح المجال لتجارهم، بل كان نشاط المسلمين التجاري في عهد أسرة "سونغ Sung" أوسع منه في عهد أسرة "تانغ Tang" وكذلك العلاقات السياسية وكثرة الوفود الرسمية، وزيادة عدد المسلمين، ومنحوا امتيازات كبيرة جداً حتى في شئونهم السياسية. قال الشيخ محمد مكي: (ورد في مختصر تاريخ الشرق أنه كان في أسرة "سونغ Sung" .. عينت في مواني الصين مناطق خاصة بالجاليات الإسلامية، فيها جوامع وفنادق وأسواق، والإمام يتولى الأمور الدينية المحضة، والقاضي يحكم بين المتحاكمين، ووظيفة الإمام والقاضي مخصوصة بالعرب. وعلى ما جاء في مذكرات بعض الأدباء الصينيين في ذلكم العصر، كان ملك

(١) [ولا يزال في النفس شيء من اختلاف تواريخ الأحداث الصينية!].

(٢) [راجع كتاب: الصين (ص: ١٣)، تأليف: تشين شي، وكتاب: موجز أحوال الصين (ص: ٤٢)، تأليف: تشي ون. ثم رأيت في كتاب: هجة المعرفة — المجموعة الثانية (٤/ ٥٨) النص الآتي الدال على ما ذكرت: (تلت عهد أسرة "تانغ Tang" حقبة تدعى (عهد الأسر الحاكمة الخمس). وذلك بين ٩٠٧ و ٩٦٠. إذ أخذت الدول، كما يقول شاعر صيني: تنشأ وتزول كما تذوب الشموع في الريح). الناشر: الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان].

الصين عين على المنطقة الإسلامية رئيساً مسلماً، ليقوم بإدارة شئونها السياسية والتجارية والدينية، وإذا كان المتخاصمان مسلمين، قضى بينهما بالأحكام الإسلامية، وإذا كان أحدهما مسلماً والآخر صينياً قضى بينهما بالأحكام الصينية، فكان للمسلمين في بلاد الصين امتيازات خاصة...^(١).

تنبيه:

من مصلحة المسلمين في البلدان غير الإسلامية أن يكونوا متقاربين في السكن، ليتعاونوا على إقامة حياتهم على مبادئ دينهم، كإقامة صلاة الجماعة في المساجد، وتعليم العالم منهم الجاهل، ولتتناصحو فيما بينهم، ويُعاد مريضهم ويحضر جنازة ميتهم... ولكن الذي يظهر أن تخصيص الصينيين حارات خاصة بالأجانب تقليد متبع وهدفهم منه عزل الأجانب — قدر الاستطاعة — عن الاختلاط بأهل البلد لئلا يتأثروا بعقائد الأجانب وعاداتهم، وقد استمر الصينيون على هذا التقليد مع الدبلوماسيين والطلاب وغيرهم، ولكنهم اضطروا في الفترة الأخيرة إلى نوع من الانفتاح، وسيأتي الكلام عن عزلة الصين عن العالم.

وقال في ذلك شي يوان: (شهد انتشار الإسلام في عهد "سونغ" تطوراً جياشاً عن طريق التجارة البحرية، لا سيما أن أسرة "سونغ" شجعت التجارة الخارجية، فقد نشأت علاقات تجارية بين أسرة "سونغ" الشمالية (٩٦٠ — ١١٢٧) وبضعة عشر بلداً، وكان التجار العرب في مقدمة الوافدين إلى الصين.

أما في عهد أسرة "سونغ" الجنوبية (١٢٢٧ — ١٢٧٩) فقد بلغت التجارة البحرية الصينية ذروة ازدهارها، إذ نسجت الصين علاقات تجارية مع أكثر من خمسين بلداً ومنطقة، وكان التجار العرب يحتلون مكانة هامة، وكان معظمهم من المسلمين مما أدى إلى انتشار الإسلام وتطوره في الصين. في عهدة أسرة "سونغ" لم يزد عدد

(١) [راجع نظرة جامعة إلى تاريخ الإسلام في الصين (ص: ٥٤)].

المسلمين الصينيين فحسب، بل شكلوا قوة لا يستهان بها، تركت آثارها وسجلت مآثرها في مجالات السياسة والثقافة والاقتصاد^(١).

أما الوفود العربية الإسلامية الرسمية التي بعثها حكام المسلمين، إلى ملوك الصين في عهد هذه الأسرة، فقد بلغ عددها (٤٩) تسعة وأربعين وفداً^(٢).

ثناء أسرة سونغ على الرسول ﷺ وعلى دينه:

ومما يدل على احترام حكام هذه الأسرة للإسلام والمسلمين، أمر الإمبراطور الصيني ببناء الجامع الأعظم في العاصمة القديمة "تشانغ آن" ويطلق عليها الآن: "شيان" والثناء الذي سجله على الحجر التذكاري لبناء الجامع، مراقبُ البلاط الملكي على الرسول ﷺ.

قال الشيخ محمد مكين، رحمه الله: (نُصِبَ سنة ٧٤٢م في الجامع الأعظم الذي بني بأمر الملك في "سيانفو" Sianfu^(٣)). عاصمة الصين القديمة، نُصِبَ تذكاري حجري، حُفِرَ عليه مذكرة لمراقب البلاط الملكي "وانغ هونغ Wang Hung" جاء فيها: (إن حكيم العرب^(٤)) ولد بعد حكيم الصين "كونفوشيوس" ونشأ في جزيرة العرب، فكانت الفترة بينهما طويلة، والمسافة بين القطرين بعيدة، فما اتفقت سنتاهما مع اختلاف لغتيهما إلا لأن قلييهما متحد، فاتحدت سنتاهما، وقد مضى الحكيم^(٥)) ولكن آثاره مازالت باقية علمنا منها أنه ولد عبقرياً يعلم أسرار السماوات والأرض، وأخبار الدنيا والآخرة، وعلم أتباعه أن يطهروا أبدانهم

(١) [المسلمون الصينيون — أسئلة وأجوبة — (ص: ٢). دار النشر باللغات الأجنبية — بكين، سنة ١٩٩١م.

راجع أيضاً كتاب حاضِر العالم الإسلامي — لجميل المصري (ص: ٥٦٥)].

(٢) [الإسلام في الصين (ص: ٥٢). فهمي هويدي].

(٣) [غالب الكتاب الصينيون يكتبون اسم هذه المدينة بالحروف العربية هكذا "تشانغ آن" وهو يخالف ما

كتب هنا].

(٤) [محمد ﷺ].

(٥) [قصده أن الرسول ﷺ مات].

بالوضوء والغسل، ويربوا أرواحهم بكسر الشهوات، ويروضوا نفوسهم بالصيام، ويجتهدوا في الخير، ويتعدوا عن المنكر، ويعاملوا الناس بصدق النية والوفاء، ويتعاونوا على عقد الزواج وتشجيع الجنابة، وبالجملة ما من أصل من أصول المجتمع الإنساني إلا وقد أثبتته، وما من قاعدة من قواعد الصحة والأخلاق إلا وقد شيدها^(١).

تعقيب:

هكذا قاس ملك الصين محمداً ﷺ، على كونفوشيوس الذي لا يوجد عندهم من يجلونه مثله، ولا يعلمون من أتاهم بمبادئ العدل والرحمة وحب الخير مثله، وهو قياس مع الفارق البعيد بين الرجلين، فمحمداً ﷺ رسول من عند الله، وكل ما جاء به من تشريع فهو من عند الله، بخلاف كونفوشيوس الذي لم يدع النبوة هو لنفسه، ولم يكن يدع الناس إلى الإيمان بوجود خالق ولا باليوم الآخر، بل كان ينصح أتباعه بعدم الخوض في ذلك، ولكنه هو المثل الأعلى عند الصينيين الذين اتبعوه، فلا غرو أن يجعلوه مقياس دعاة الخير، وبخاصة عندما يرون شيئاً من توافق دعوة الرجلين — في الجملة — إلى الأخلاق الفاضلة والرحمة والعدل.

وقال جميل المصري عن حالة المسلمين في عهد أسرة "سونغ": (في عهد هذه الأسرة بلغت قوة المسلمين ونفوذهم حداً جعل حكام تلك الأسرة يقرون المسلمين على من يختارون من ولاية المسلمين عليهم، وأصبحت لهم حقوق وامتيازات خاصة، فتولوا المناصب التي تتطلب أمانة كبيرة، ومن ذلك أنه عندما استُحدث منصب مدير عام الملاحة في مدينة "كانتون" كان هذا المنصب قاصراً على المسلمين وحدهم، ولكنهم بقوا في عزلة عن الصينيين، شيدوا لهم أحياء خاصة في كل مدينة كبيرة وميناء بحري، وأسست لهم مساجد ومدارس خاصة.

(١) [نظرة جامعة إلى تاريخ الإسلام في الصين (ص: ٢١)].

وأدى نشاط المسلمين التجاري إلى إنعاش الاقتصاد الصيني، فتمتعت جاليات المسلمين بتأثير كبير في المجتمع الصيني، وازدهرت "كانتون" و"تشوان شو" كمنطقتين إسلاميتين، ومن أشهر الآثار الإسلامية مسجد "ذكرى النبي ﷺ" في "كانتون"^(١).

المسلمون في عهد أسرة (Yuan) (يوان): (١٢٨٠ - ١٣٦٨):

سبق التنبيه على اختلاف الكُتّاب في بداية تاريخ الأسر الحاكمة ونهايتها، وهو يحتاج إلى مراجعة وتحقيق^(٢).

وقد أشار الشيخ محمد مكين إلى أحد أسباب الاختلاف في هذا الأمر في تاريخ وفد الخليفة عثمان عليه السلام^(٣).

أطلق هذا اللقب [يوان] على إمبراطورية المغول التي أسسها "جنكيزخان" الذي اجتاحت جيوشه البلدان الإسلامية وغيرها من بلدان العالم، ومنها الصين^(٤).

فقد كان هجوم المغول على بلاد المسلمين سبباً في هجرة كثير منهم من العرب والفرس وسائر القوميات إلى بلدان العالم، وكان للصين حظها من هذه الهجرة، إما هرباً من الغزو المغولي الذي عاث في الأرض فساداً وأهلك الحرث والنسل، وانتهك

(١) [حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة (ص: ٥٦٥)، سيأتي الكلام على المساجد في مكانه].

(٢) [راجع الكتب الآتية: موجز أحوال الصين (ص: ٤٢)، الصين (ص: ١٣)، تاريخ المسلمين في الصين (ص: ٢٦)، نظرة عامة إلى تاريخ الإسلام في الصين (ص: ٤٥ - ٤٦)، حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة (ص: ٥٦٥)، المساجد في الصين (ص: ٢٣) لمحمود يوسف لي هواين، وقد أشار إلى اختلاف التواريخ فيما يتعلق بالمساجد. الإسلام في الصين (ص: ٥٨) لفهمي هويدي].

(٣) [نظرة جامعة إلى تاريخ الإسلام في الصين (ص: ٨ - ٩)، وكتاب المسلمون في الصين. . الملف الضائع (ص: ١٣٦) لجمال محمد العبد المنعم].

(٤) [امتدت الإمبراطورية المغولية من الصين إلى البحر الأدرياتيكي وتمر القوقاز وبولندا، راجع موسوعة المورد (٤/ ٢٠٢، ٦/ ٧٢)].

الحرمات واعتدى على الأعراض^(١). وإما انضماماً إلى صفوف الغزاة محاربين قهراً، مشاركة في وظائفهم السياسية والمالية والعسكرية، وبخاصة بعد أن دخل بعض قادة المغول أنفسهم في الإسلام واستعانوا بالمسلمين في غزوهم وتثبيت حكمهم. فقد خاض المغول حرباً في الصين استمرت عشرين عاماً ضد إمبراطورية أسرة "سونغ" انهزمت في نهايتها هذه الأسرة وبدأ بعدها حكم أسرة: "يوان" التي شعرت — وهي أسرة أجنبية — بحاجتها إلى تقريب من تثق فيه من غير أهل البلد، فلم يكن أمامها إلا المسلمون الذين — إضافة إلى كونهم غرباء — كانوا مؤهلين لتولي شئون الدولة في كل المناصب السياسية والعسكرية والطبية والعلمية — كالطب والفلك وغيرهما — فمكنتهم من تسنم مناصب لم يكونوا نالوها قبل هذا العهد. لذلك امتاز عهد هذه الأسرة بكثرة المسلمين الوافدين — إبان الفتح المغولي وبعده — إلى الصين وانتشارهم في كل أرجاء البلد، وعزمهم على الاستيطان في الصين، وعدم التفكير في العودة إلى أوطانهم، كما كان يفعل ذلك بعض إخوانهم الذين سبقوهم من التجار والوفود الرسمية، وكانت كثرتهم وانتشارهم في الأقاليم سبباً في دخول كثير من المغول ومن الصينيين في الإسلام، لما رأوا فيهم من القدوة الحسنة والتفوق في العلم والإدارة وغيرهما، مع التحلي بالأمانة والعدل والإتقان. قال الكاتب الصيني إبراهيم فنغ جين يوان: (لم يعد الإسلام في عهد أسرة "يوان" Yuan غريباً لدى الصينيين، كما كان في عهد أسرتي "تانغ" و"سونغ" وقد أصبح موضع اهتمام لدى الحكام المنغول... من ذلك أن علماء الإسلام كانوا يتمتعون بالحماية القانونية ويعفون من الضرائب وأعمال السخرة... وكان للإسلام تأثيرات وسط الحكام المنغول، ومن ذلك أن الأمير "آنندا"... كان مسلماً مخلصاً، يقرأ الذكر الحكيم، ويتدرب على الخط العربي في المسجد طول اليوم، ويأمر بختن

(١) [كما تفعل أمريكا الآن في البلدان الإسلامية، وبخاصة العراق وأفغانستان].

الأطفال المنغول، وينشر الإسلام وسط العسكرين، وبفضل جهوده أسلم (١٥٠ ألفاً) من الضباط والجنود... وعلى الرغم من أن المسلمين المقيمين في الصين في عهد أسرة "يوان" كانوا من العرب والفرس وأبناء القوميات في آسيا الوسطى على وجه العموم، إلا أن عدد أبناء المنغول وأبناء تانغو وهان الذين اهتموا بالإسلام، لم يكن بالقليل في ذلك العهد.

وفيدنا "تاريخ الفاتحين في العالم" أن هناك عدداً من الوثنيين قد اعتنقوا الإسلام عن رضا ورغبة، إلى جانب عدد من الوثنيين أسلموا بعد أن أصبحوا عبيداً للمسلمين، وعدد من أبناء الوثنيين تحولوا إلى مسلمين، بعد أن شبوا وترعرعوا في حظيرة الإسلام، ولا تفوتنا الإشارة إلى أن معظم الوثنيين وأولادهم المذكورين آنفاً هم من أبناء "هان"^(١)...

ووفقاً لما سبق ذكره يجوز لنا القول بأن عدد مسلمي الصين في عهد أسرة "يوان" قد ازداد أضعافاً مضاعفة، وأن الإسلام قد دخل مرحلة متصاعدة في الصين، فقد تدفق المزيد من المسلمين إليها دون أن يكون لذلك أي علاقة بالفتوحات العسكرية^(٢)..

مظاهر مكانة المسلمين في عهد أسرة (يوان):

حظي المسلمون في عهد هذه الأسرة بمكانة لم يسبق لهم أن تمتعوا بمثلها في ظل الأسر السابقة، حيث تولوا مناصب عالية في الدولة، وتمكنوا من المشاركة في بناء البلاد وتقديمها في شتى مجالات الحياة، ومن مظاهر مكانتهم وإسهامهم في تطوير البلاد الأمور الآتية:

(١) [وهذه هي القومية الغالبة في الصين، وهي التي تحكم البلاد في حقيقة الأمر اليوم].

(٢) [الإسلام في الصين (ص: ١٨ — ٢١) — دار النشر باللغات الأجنبية — بكين، الطبعة الأولى ١٩٩١ م.

وراجع كتاب: المسلمون في الصين (ص: ٣)، إعداد شيو يوان، الطبعة الأولى سنة ١٩٩١ م — دار النشر

باللغات الأجنبية — بكين].

المظهر الأول: تولي مناصب الدواوين في الدولة.

لقد تولى كثير من المسلمين مناصب الدواوين في العاصمة "بكين" التي بناها الإمبراطور "قوبلاي" — بعد ما دمرتها جيوش جده "جنكيزخان" — واتخذها عاصمة له، وتولوا تلك المناصب في غيرها من عواصم الأقاليم.

المظهر الثاني: تولي عدد منهم مناصب عليا في الدولة.

لقد تولى عدد من المسلمين منصب المساعد الأول والمساعد الثاني لرئيس الوزراء، كما تولى عدد منهم منصب المستشار السياسي، بل إن "قوبلاي" عين في حكومته وزيراً مسلماً يسمى "أحمد البناكتي"^(١).. بل وصل كثير منهم إلى مناصب حكام الولايات، وكان غالب حكام الولايات في بعض الفترات من المسلمين. فقد كانت الصين كلها في عهد "قوبلاي" مقسمة إلى اثني عشرة ولاية، وكان حكام ثمان منها من المسلمين، كما كان وكلاء حكام الولايات في غالب الأحيان منهم.

كما شغلوا مناصب كتاب في كل الإدارات الحكومية.

المظهر الثالث: أن كثيراً منهم شغلوا مناصب عسكرية عليا.

فكانوا ضباطاً في الجيش، وعين بعضهم حاكماً عسكرياً على بعض المدن المهمة.

المظهر الرابع: إسهامهم في كثير من العلوم والإدارات.

فقد أسهموا إسهاماً عظيماً في كثير من العلوم، وتولوا مناصب إدارية رفيعة فيها، فعلوم الطب والفلك، فقد كانت مؤسسات الهيئة الفلكية والمستشفيات والمدفوعات تحت إشراف أخصائيين مسلمين وإدارتهم.

المظهر الخامس: مشاركتهم في الأعمال المتصلة بحياة الشعب.

فقد شاركوا في الأعمال المتصلة بحياة عامة الشعب، كالزراعة ونحوها من المهن

(١) [الإسلام في الصين (ص: ٦٤) لفهمي هويدي].

المفيدة، فقد كان كثير منهم مهرة في تلك الأعمال التي كانت سبباً في الاختلاط بالدولة والشعب معاً.

المظهر السادس: تعليم أهل البلد الأدب والأخلاق والنظام.

وهذا المظهر هو أهم المظاهر، لما فيه من إصلاح حياة الشعب الاجتماعية، فقد كان سكان بعض الولايات^(١) (كما ذكر في تاريخ "يوان" في حالة بربرية، لا يعرفون الآداب والأخلاق، ولم يكن عندهم نظام للتعليم والتهديب، فكان رجال الولايات ونساؤها يختلطون اختلاطاً حراً بإباحياً ويحرقون موتاهم، وكانت القراءة والكتابة معدومتين عندهم، فالسيد الأجل^(٢) هو الذي أدخل الإصلاحات في الحياة الاجتماعية وعاداتها وعلم الأهالي الآداب والأخلاق والسلوك، ووضع الترتيبات للزواج بواسطة الوسيط بين الطرفين، ثم وضع نظاماً يقضي باستعمال التابوت في دفن الموتى^(٣).

وبعد هذا وذاك.. فقد وضع مشروعاً للري، وعلم الأهالي الحرث والزراعة.... ومن هذه الشواهد؛ وخصوصاً وجود المسلمين في المراكز العليا في حكومة الإمبراطورية المغولية في الصين، يسهل على الإنسان أن يفهم كيف وصل المسلمون إلى تلك الرتبة العالية، وكيف انتشر نفوذهم في أنحاء بلاد الصين في العصر المغولي^(٤).

(١) [وهي يوتان].

(٢) [سيأتي التعريف به في مكانه].

(٣) [السنة أن يدفن الميت في قبره بدون تابوت، ولعل السيد الأجل رغبهم في ذلك سداً لذريعة حرق موتاهم]..

(٤) [راجع لهذه الفقرات كلها كتاب تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر (ص: ٢٦ — ٣٢) لبدر الدين الصيني].

أسباب انتشار الإسلام في الصين:

هذا فيما يتعلق بانتشار الإسلام في عهد أسرة "يوان" خاصة، وسبق الكلام على أسباب انتشار الإسلام في الصين بصفة عامة^(١).

وقد لفت انتشار الإسلام وحصول المسلمين على تلك المكانة في عهد أسرة "يوان" نظر الكتاب والمؤرخين الذين أخذوا يبحثون عن السبب في ذلك، فتلخصت تحليلاتهم في ثلاثة أسباب:

السبب الأول: التوسع في المصالح التجارية بين الصين والبلدان الإسلامية ومنها البلاد العربية، فقد كان هذا التوسع سبباً في نمو العلاقات بين الجانبين.

السبب الثاني: أن المغول كانوا في الأساس بدون دين، بخلاف الأسر الصينية التي حكمت الصين قبلهم التي كانت تدين بالبوذية، فأرادوا — وهم أجانب عن الصين — إحداث توازن يمكنهم من البقاء في الحكم، وإضعاف قوة خصومهم الصينيين، فتساهلوا مع حملة الأديان الأخرى وبخاصة الإسلام، وفتحوا الأبواب لدخول المسلمين إلى الصين، وكان من ضمنهم الأتراك المعروفون بالشجاعة والجلاد في المعارك، ومنحهم الحرية الدينية ومكنوهم في تلك المناصب^(٢).

السبب الثالث: مركب من السببين المذكورين: التوسع التجاري والاقتصادي، وحاجة المغول إلى الاستعانة بالمسلمين أمام الصينيين وبوذيتهم.

(١) [راجع كتاب الإسلام في الصين (ص: ٥٨) لفهمي هويدي].

(٢) [والساسة يعرفون ما للدين من سيطرة على النفوس، ولذا تراهم عندما يحتاجون إلى الاستعانة بالدين يفتحون لأهله الأبواب حتى يقضوا به لبائهم، فإذا استغنوا عنه أو توهوا أنه يهدد مصالحهم حاربوه وضيقوا على أهله الخناق، وهذا ما فعله النصارى مع المجاهدين الأفغان وغيرهم من شباب الإسلام الذين هزموا بمهادهم في سنوات معدودة الاتحاد السوفييتي الذي لم تستطع دول الغرب هزيمته خلال نصف قرن من الزمان، فلما تحقق لهم هدفهم أخذوا يطاردون المجاهدين العرب وغيرهم في كل مكان، وكان لذلك آثاره الخطيرة التي أدخلت العالم في فوضى واضطرابات لا يُدرى عن نهايتها، بعد حادث ١١ سبتمبر والحملة الأمريكية الظالمة على الإسلام والمسلمين في كل مكان].

حقّد ووشاية ومعاملة ظالمة!

إنه برغم ما ناله المسلمون من حرية في دينهم ومكانة في حياتهم الاجتماعية والسياسية في عهد أسرة "يوان" فقد كدر صفو تلك الحرية وتلك المكانة موقف الإمبراطور المغولي "قوبلاي" الذي صدّق وشاية ابن أخيه "أباقا" الذي أوغرت صدره زوجه النصرانية على المسلمين، فحرض عمه ضدهم وخوفه منهم، (فجردهم — قوبلاي — من حقوقهم وامتيازاتهم القديمة حتى في شئون أحوالهم الشخصية، وأجبرهم على اتباع أحكام (الياسا) التي وضعها جنكيزخان، بعد أن كان للمسلمين قضاة يتولون شئونهم، وأمر قوبلاي بإزالة الأئمة من المنابر، وأكره المسلمين على أكل اللحوم المخنوقة على طريقة المغول.

غير أن قوبلاي اكتشف بعد سبع سنوات من ممارسته لهذا الاضطهاد، أن المسلمين خرجوا تباعاً من الصين إلى جزائر الهند الشرقية، وامتنعوا عن التجارة مع الصين، وتوجهت مراكبهم إلى العراق ومصر، الأمر الذي أدى إلى نقص واضح في واردات حكومته، وهو ما اضطره إلى التراجع عن قراراته واحداً تلو الآخر..^(١).

وفي التاريخ عبر!

وإننا نأخذ من هذه القصة أربعاً من العبر:

العبرة الأولى: استمرار عداوة أهل الكتاب للمسلمين في كل زمان ومكان، وما كان سبب وشاية "أباقا" بالمسلمين إلا تحريض زوجه النصرانية له ضدهم.

العبرة الثانية: ما يتسبب فيه الوشاة الخاقدون من ظلم لأهل الخير، وبخاصة المسلمين، وهذه الوشائيات تتكرر في جميع الأزمان.

العبرة الثالثة: سرعة تصديق طغاة الحكم للوشاة المحيطين بهم، واتخاذهم مواقف ظالمة ضد الموشى بهم، بدون تثبت ولا تمحيص، وهو سلوك نهى الله عنه في كتابه

(١) [الإسلام في الصين (ص: ٦٢) لفهمي هويدي].

هَيَّا صَرِيحاً، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(١).

وهذا ما نشاهده اليوم في كثير من بلدان المسلمين، فما بالك بغيرهم؟!
العبرة الرابعة: أن الموشى به المعتدى عليه المظلوم، يجب أن يعمل ما في وسعه لإجبار عدوه على التراجع عن ظلمه والاعتراف بحقه، فالمسلمون الذين اعتدى عليهم "قوبلاي" بسبب وشاية "أباقا" قاطعوا عدوهم الظالم تجارياً واقتصادياً، فكان لمقاطعتهم أثرها في معرفته قدرهم واكتشافه لكذب الواشي بهم المحرض عليهم، فأعاد لهم منزلتهم وعاملهم المعاملة الكريمة التي يستحقونها.
أما إذا خضع المظلوم لعدوه الظالم، وكافاه على ظلمه بتقويته سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وصناعياً وتجارياً، فإنه بسبب معاملته له في كل تلك المجالات معاملة تُفيض على عدوه من الثمار والأرباح مما يجعله يزداد قوة وسطوة عليه وقهراً له، فذاك ليس من شأن العقلاء وأباة الضيم، وإنما هو من شأن المعتوهين المستعبدين، فهل من مُعتَبِر؟!

المسلمون في عهد أسرة: (مينغ) (١٣٦٨ - ١٦٤٤):

كانت أسرة "يوان" — على خلاف الأسر الصينية الحاكمة قبلها — قد فتحت الباب لتوسيع العلاقات التجارية والاقتصادية والدبلوماسية مع الدول الأجنبية الإسلامية وغير الإسلامية، لأنهم حكام أجانِب يشعرون بالحاجة إلى ذلك الانفتاح، وكان المسلمون بسبب انفتاح تلك الأسرة وما نعموا به في عهدها من حرية، في تواصل مستمر مع إخوانهم المسلمين في خارج الصين، كما كانوا محافظين على تميزهم في أسمائهم ولباسهم وعاداتهم، وكان الصينيون ينظرون إلى ذلك التميز نظرة استنكار وسخرية، لأنهم رأوا أموراً غير مألوفة عندهم، إضافة إلى حقدهم على

(١) [الحجرات: ٦].

المسلمين الذين كانوا يسيطرون على مراكز عالية في الدولة، وهم أجناب. فلما سقطت دولة أسرة "يوان" واستولت على الحكم أسرة "مينغ" وهي أسرة صينية الأصل، والصينيون معروفون بالميل إلى العزلة، انحسرت العلاقات الصينية بالخارج^(١).

فكان ذلك سبباً في انقطاع صلة المسلمين في الصين بإخوانهم في البلدان الإسلامية، وخافوا من أن يجور عليهم الصينيون في هذا العهد المتغير، فأخذوا يغيرون كثيراً من مظاهر حياتهم التي كانوا يتميزون بها، رغبة في البقاء في الصين بصفة دائمة، فلبسوا اللباس الصيني، كما تسموا بأسماء صينية أو غيروا أسماءهم الإسلامية بالاختصار والحذف^(٢).. كما وثقوا صلتهم بالصينيين بالزواج والمصاهرة، وتعلم كثير منهم اللغة الصينية، "وأصبحوا صينيين تماماً في مظاهر الحياة وعاداتها بالاستثناء في العقيدة والعبادات الدينية".

عدم الصدام بين المسلمين وأسرة مينغ وأسباب ذلك:

كان يتوقع أن يحصل بين أسرة "مينغ" والمسلمين صدام، ولكن العلاقة بينهما كانت معتدلة، لم يحصل بينها وبينهم ما كان يخشى من صدام، ويرجع ذلك إلى خمسة أسباب:

(١) [هذا المعنى نقله الصحفي المسلم فهمي هويدي في كتابه: الإسلام في الصين (ص: ٨١) عن المؤرخ الصيني المسلم / عبد الرحمن ناجونج، وهو يتعارض مع ما ذكره الصيني المسلم / بدر الدين في كتابه: العلاقات بين العرب والصين (ص: ٢٠٩) حيث قال: (ونظرة خاطفة إلى الأمور الخارجية لهذا العهد تكشف لنا أن علاقات أسرة (منغ) بالدول الإسلامية قد اتسعت إلى أكبر حد لم يبلغه أي عصر من العصور السابقة، لأن دائرة علاقات (تنغ) و(سونغ) كانت منحصرة في الخلفاء بدمشق وبغداد، وفي أمراء العرب بما وراء النهر وخراسان، كما كانت علاقات (يوان) منحصرة في ملوك المغول بإيران وأواسط آسيا، وأما علاقات (منغ)... فكانت تتصل بمصر وعدة إمارات بشرق أفريقيا، فضلاً عن الرابطة التي قامت بينها وبين الممالك الإسلامية السابقة الذكر...].

(٢) [إذ أصبح اسم مسعود ومحمد ومحمود (ما)، وأصبح حامد وحسن وحسين (حا)].

السبب الأول: ما فعله المسلمون من الاندماج في الشعب الصيني بترك كثير من العادات التي كانوا يتميزون بها في عهد أسرة "يوان" فقد خفف ذلك من نفور الصينيين منهم.

السبب الثاني: السمعة الحسنة التي اكتسبها المسلمون في المدة السابقة.

السبب الثالث: ما كان يتمتع به المسلمون من خبرة في مجالات متنوعة، كما سبق، لحاجة الحكام الصينيين إلى الاستفادة منها.

السبب الرابع: وجود صلات طيبة بين أسرة "مينغ" وحكام البلاد الإسلامية في آسيا الوسطى، ومنهم آل تيمور في سمرقند، وكذلك بعض الإمارات الإسلامية المستقلة في سواحل الهند الممتدة إلى الخليج العربي، فقد كان لتلك الصلات أثرها الطيب في معاملة المسلمين في الصين.

السبب الخامس: وجود بعض الموظفين الكبار من المسلمين في مراتب عليا في الدولة كان لهم فضل في بناء الدولة وعظمة الأسرة^(١).

مظاهر علاقة المسلمين الطيبة بأسرة مينغ:

ومما يدل على طيب علاقة المسلمين بأسرة "مينغ" ثلاثة مظاهر:

المظهر الأول: اعتماد حكام هذه الأسرة على بعض كبار المسلمين في وظائف عليا مهمة في الداخل والخارج، ومن الأمثلة على الوظائف العليا في الداخل القائد المسلم "تشانج يو تشانج Chang Yu Chung" الذي كلفه الإمبراطور عمليات عسكرية مهمة، ورقاه من رتبة إلى أخرى حتى وصل إلى رتبة المستشار السياسي له.

وعندما توفي هذا القائد المسلم حزن الإمبراطور حزناً شديداً على وفاته، وتولى بنفسه ترتيب تشييع جنازته.

(١) [تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر (ص: ٣٣ - ٣٦) لبدر الدين حمي].

كما أبقى الإمبراطور علماء الفلك من المسلمين في عهد هذه الأسرة في تولي إدارة علوم الفلك بشعبها المتنوعة.

ومن الأمثلة على الوظائف العليا التي كانت لها أثر عظيم في خارج الصين الحاج "جهان — جنهو Ho — Jenhu" الذي يعده الصينيون أكبر بحار ظهر في الصين وأثبت تأثيره في تاريخها المديد، فقد خاض غمار البحار سبع مرات بقوات عسكرية، وصل فيها إلى جزائر جاوة وشبه جزيرة ملايا وما حولها من الجزر، كما وصل إلى جزيرة سيلان وسواحل الهند وشرق أفريقيا وعدن وزار مكة المكرمة، وكان الهدف من تلك الرحلات البحرية تقوية الصلة بين الإمبراطورية الصينية وتلك البلدان، وإظهار قوة الصين لحكامها^(١)..

المظهر الثاني: ما كان يظهره بعض أباطرة هذه الأسرة من احترام للمسلمين ومشاعرهم ومساجدهم، ومن ذلك استجابة الإمبراطور "منج تاي تسو Ming To Tou" لطلب القائد العسكري "تشانج يو تشانج Chang Yu Chung" بأن ينظم قصيدة ثناء على الإسلام لتنقش على لوح حجري نصب في الجامع الكبير الذي بني سنة ١٤٦٧ م في مدينة "نانكين"^(٢) ففعل الإمبراطور ذلك وأثنى على الإسلام ثناء بالغاً، وسميت قصيدته بقصيدة (المدح بمائة كلمة).

ونص ترجمة تلك القصيدة: (وُلِدَ في جزيرة العرب النبي الأعظم الذي كتب اسمه في اللوح المحفوظ، وتلقى من الملك العلي كتاباً منقسماً إلى ثلاثين جزءاً، وبعث رحمة للعالمين، فكان ملكاً مربياً للخلق كافة، وسيداً كريماً للرسل والأنبياء أجمعين، وكاشفاً للفيض الأقدس، حامياً للريعية، يصلي كل يوم خمس مرات، داعياً للعالم بالأمن والسلام، ويخاف من الملك الحق، ويشفق على الفقراء والمساكين، ويعين

(١) [تاريخ الصين (ص: ٣٧ — ٣٩)، وكتاب العلاقات بين العرب والصين (ص: ٢٣١)].

(٢) [مدينة "نانكين Nankeen" عاصمة مقاطعة (كيانغسو Kiangsu) في الجزء الشرقي من الصين، أسست عام ١٣٦٨ م].

على الشدائد، ويعلم أسرار الدنيا والآخرة، ويشفع للأرواح وينقذها من النار، فقد غمر العالمين بفضله، وهر المتقدمين والمتأخرين بستته، وجمع الأديان فهذهما حتى صار ديناً ظاهراً حقاً، وإن محمداً لأفضل الأنبياء^(١).

المظهر الثالث: أن العلاقات الطيبة التي قامت بين أسرة "مينغ" وأمراء المسلمين الذين كانوا يحكمون الدول الواقعة غرب الصين، كانت سبباً في استمرار السفارات المتبادلة بين ملوك الصين وأولئك الأمراء إلى حد أن أحد أمراء المسلمين وهو — شاه رخ — أمير هرات بعث برسالة طويلة إلى ملك الصين سنة ١٤١٢م يشرح له فيها محاسن الإسلام ويدعوه إليه، ولم يرد ملك الصين على تلك الرسالة رد الساخط المتكبر، وإنما استمرت السفارات بينهما وتبادل الهدايا.

نص الرسالة العربية:

بعث الأمير (شاه رخ) برسالتين إلى ملك الصين يدعوه فيهما إلى الإسلام: إحداها باللغة العربية، والأخرى باللغة الفارسية، ونصهما منقول في كتاب العلاقات بين العرب والصين^(٢).

نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم
لا إله إلا الله محمد رسول الله، قال رسول الله محمد ﷺ: (لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يُنصَرُ من خذلهم ولا يطاغُ من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك).

لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم وذريته قال: كنت كثيراً مخفياً فأحببتُ أن أعرف،

(١) [نظرة عامة إلى تاريخ الإسلام في الصين.. (ص: ٢٢) للشيخ محمد مكين. ولا بد أن يكون قد تعلم معاني هذه العبارات ونحوها من المعاني المتعلقة بالرسول ﷺ من المسلمين مشافهة أو قرأها فيما كُتب عنهما بلغته].

(٢) [(ص: ٢١٦ — ٢٢١) وراجع كتاب الإسلام في الصين (ص ٨٣ — ٨٦) لفهمي هويدي].

فخلقت الخلق لأعرَف.

فَعَلِمَ أن حكمته جلت قدرته وعلت كلمته من خَلَق نوع الإنسان إيثار العرفان إعلاء أعلام الهدى والإيمان، وأرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، لِيُعَلِّمَ الشرائع والأحكام وسننَ الحلال والحرام، وأعطاَه القرآن المجيد معجزة، ليفحم به المنكرين ويقطع لسانهم عند المنازعة والخصام، وأبقى بعنايته الكاملة وهدايته الشاملة آثاره إلى يوم القيامة، ونَصَبَ بقدرته في كل حين وزمان وفرصة وأوان، في أقطار العالمين من الشرق والغرب والصين ذا قدرة وإمكان وصاحب جنود مجندة وسلطان، ليروج أسواق العدل والإحسان، ويسسط على رءوس الخلائق أجنحة الأمن والأمان، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر والطغيان، ويرفع بينهم أعلام الشريعة الغراء، وأزاح من بينهم الشرك والكفر بالتوحيد في (الملة) الزهراء، فوفقنا الله تعالى بسوابق لطفه ولواحق فضله، أن نسعى في إقامة قوانين الشريعة الطاهرة، وإدامة قواعد الطريقة الزاهرة، وأمرنا بحمد الله أن نفصل بين الخلائق والرعايا في الوقائع والقضايا بالشريعة النبوية والأحكام المصطفوية، ونبني في كل ناحية المساجد والمدارس، ونعمر الخوانق والصوامع والمعابد، لثلا يَنْدَرِسَ أعلامُ العلوم ومعالمُها، وينظمس آثار الشريعة ومراسمُها، ولأن بقاء الدنيا الدنيَّة وسلطنتها واستدامة آثار الحكومة وإيالتها بإعانة الحق والصواب، وإماطة أذى الشرك والكفر عن وجه الأرض، لتوقع الخير والثواب، فالمرجو المأمول من الجانب العالي وأركان دولته أن يوافقونا في المذكورة، ويشاركونا في تشييد قواعد الشريعة المعمورة، ويرسلوا الرسل والقاصدين، ويفتحوا المسالك للسائرين والتاجرين، ليتأكد أسباب المحبة والوداد، ويتعاوض وسائل المودة والاتحاد، ويستريح طوائف البرايا في أطراف البلاد، ويتنظم أسباب المعاش بين صنوف العباد والعباد.

والسلام على من اتبع الهدى، والله رؤوف بالعباد.

تعقيب:

هكذا يكون خلفاء المسلمين عندما يشعرون بالاعتزاز بالله وبدينه، ويقتدون

برسول الله ﷺ ويتبعون تزيله، يعثون إلى زعماء الأمم غير المسلمين رسالهم برسائلهم، يشرحون لهم دين الله ويبينون لهم محاسنه، ويدعوهم إلى الدخول فيه بلا خوف ولا خجل واضعين أمامهم قول الحق ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١).

وهذا بخلاف من لم يرفع بهذا الدين رأساً، ولم يذق طعم الاعتزاز بالله وبدينه، ممن تولى أمر الأمة، فإنه قد يؤدي بعض شعائر الإسلام في نفسه، ولكنه لا يجرؤ على دعوة أنداده من رؤوس الكفر، بل يتوارى خجلاً أن يدعو إلى الله ويقول إنني من المسلمين، وإذا لم يدع قادة الأمم غير المسلمة قادة الأمة الإسلامية فمن يدعوه، وعلى من يقع وزر عدم تبليغهم هذا الدين؟!.

وهذا نعلم أن المسلمين في الصين كانوا على حالتين من أول ما وطئت أقدامهم الصين إلى آخر عهد أسرة (مينغ).

الحالة الأولى: كانت الصلة فيها بين المسلمين والصينيين صلة معاملـة تجارية وسفارات دبلوماسية، وكان المسلمون محصورين — غالباً — في أماكن معينة في الصين، وهي الموانئ التجارية بالنسبة للتجار، والمدن الصغيرة الملحقة ببعض المدن الصينية، ومنها العاصمة، وقد خصصت للوفود الدبلوماسية والكتائب العسكرية التي جاءت إلى الصين لنجدة بعض ملوكها بطلب منهم كما مضى، وكان الصينيون يكرمونهم ويعاملونهم معاملة حسنة، وكانت التجارة والحاجة إلى نجدة المسلمين هما اللتين تدفعان الصينيين إلى تلك المعاملة في الجملة، وهذه الحالة تشمل عَهْدَيْ لَأَسْرَتَيْنِ: (تانغ) و(سونغ).

الحالة الثانية: كانت صلة اختلاط وانتشار وعمل، وتشمل عَهْدَيْ الْأَسْرَتَيْنِ (يوان) و(مينغ) إلا أن مكانة المسلمين في عهد أسرة: (يوان) وصلت إلى ذروتها من

(١) [فصلت: ٣٣].

الاحترام والتوقير والتمكين من المناصب الحكومية، وأن فترة حكم هذه الأسرة كانت هي الفترة التي تمكن المسلمون فيها من الانتشار والنفوذ والتكاثر. ومع الحالتين المذكورتين لم تنقطع الصلات التجارية، ولا السفارات الرسمية بين المسلمين والصين.

وقد لخص الدكتور جميل المصري مسيرة المسلمين في عهد الأسر الأربع السابقة، فقال: (وقد شق الإسلام طريقه خلال ألف عام ببطء شديد بين الصينيين وبقوة، مراعيًا صفات الصينيين الذين يتصفون بالبطء والدقة والحفاظ على القدم، وقد أحبوا الإسلام وأحبوا المسلمين فلمسوا فيه الفطرة، فقد اشتهر المسلمون بالتجارة والكد والنظافة والتعاون والأمانة، ولذلك كانوا مميزين عن الصينيين، وحالهم أجل وأزين، وكثيراً ما كانوا يأخذون أولاد الفقراء من الوثنيين ويربّوهم في حجر الإسلام، خصوصاً عند حصول المجاعات، وكانوا يجمعون الزكاة في صناديق لكل بلد ينفقون منها في شدائدهم ويشدون بها عوز محايجهم، فتجد المعدمين منهم قليلين، وعندهم الحنان والرأفة، وبسبب تحافيتهم الأفيون وأنواع المسكرات كانت أجسامهم أحسن من أجسام غيرهم — فكانوا يفوقون الصينيين صورة ومعنى — فلذلك كثر العساكر المسلمون، واعتمد عليهم الملوك كقادة وأمراء، وأكثروا من بناء المساجد، والمساجد في الصين على شكل معابد الأديان الصينية التي هي على شكل السرايا الملكية، ولم يُسمح بتقليده لأهلها إلا لاحترامها، فكانت حرمة المساجد في قلوب الصينيين لا تقل عن حرمة معابدهم، ولا توجد المآذن إلا في مساجد القرى التي لا يسكنها إلا المسلمون، والسبب أن الكونفوشيوسيين يعتقدون أن البناء الأعلى يُذل الأبنية الوطئية ويشقيها، ولذلك فإن منازلهم متساوية الارتفاع.. وفي عهد هذه الأسرة وصل البرتغاليون إلى الصين، سنة ١٥٢٠هـ / ١٥١٤م، وبانتهاء هذه الأسرة انتهى العصر الذهبي للمسلمين في الصين وأخذ

دورهم يؤل إلى الانحدار^(١).

المسلمون في عهد أسرة: (تسنغ) (١٦٤٤ - ١٩١١)^(٢):

كان عهد هذه الأسرة الذي امتد (٢٦٧ سنة) أسوأ عهد مر به المسلمون في حياتهم من أول وقت وطئت فيه أقدامهم الصين إلى أول وقت تسلمت فيه الأسرة المنشورية "تسنغ" زمام الحكم في هذا البلد^(٣).

وأصل هذه الأسرة من منطقة منشوريا، عرفت فترة حكمها باسم فترة حكم "مانشو Manch" وكانت منشوريا جزءاً من الإمبراطورية الصينية منذ القرن الثالث قبل الميلاد^(٤).

وهي الآن إحدى المقاطعات الكبرى في الصين، وكان الصينيون يعتبرون المنشوريين عندما حكموا بلادهم أجانب عنهم، وعندما استولوا على الصين اشتدوا في معاملتهم على كل من خالفهم، واضطهدوا كل من لا يتفق معهم، في آرائهم وتقاليدهم التي فرضوها على الناس فرضاً، وكان من آثار حكمهم تقويض المدنية الصينية التي بناها الصينيون منذ القرون الخوالي^(٥).

والذي يهمنا من تاريخ هذه الأسرة الوحشية الممجية موضوعان رئيسان: الموضوع الأول: حالة المسلمين في عهدهم.

(١) [حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة (٥٦٧)].

(٢) [تسنغ لقب يطلق على (المنشوريين)].

(٣) [وسياقي الكلام على حالة المسلمين في عهد (ماو تسي تونغ)].

(٤) [وقع منشوريا في الشمال الشرقي من الصين، يحدها من الشمال والشمال الغربي والشرق ما كان يسمى بالاتحاد السوفيتي، وفي جنوبها الشرقي كوريا الشمالية، وفي غربها منغوليا الداخلية، وقد اختفى اسمها (منشوريا) منذ أعيد التقسيم الإداري للصين سنة ١٩٦١م، وأصبحت الآن تشمل مقاطعات: (لياونينغ Liaoning) و(كيرين Kirin) و(هيلونغ كيانغ Heilung kiang). راجع: موسوعة المورد (١٨٦/٦) والقاموس السياسي (ص: ١٢٣١)].

(٥) [راجع كتاب: المسلمون في الصين — الملف الضائع (ص: ١٥١). جمال محمد العبد المنعم].

الموضوع الثاني: الأسباب التي أدت إلى تلك الحالة.

حالة المسلمين في عهد أسرة تسنغ:

سبق أن المسلمين توجسوا خيفة من أسرة: "مينغ" وغيروا كثيراً من عاداتهم — غير العقيدة والعبادة والواجبات والمحرمات الظاهرة في الإسلام، لتشتد روابطهم بالصينيين ويصبحوا كغيرهم من السكان، يألفون ويؤلفون، لا ينظر إليهم الصينيون نظرة عدا واثمزاز، وكان لذلك أثره في بقاء احترامهم وعدم اضطهادهم، في عهد أسرة "مينغ".

مظاهر المظالم المنشورية التي حلت بالمسلمين:

فلما حكم المنشوريون — أسرة: "تسنغ" الصين — اختلفت الأحوال ودالت الدولة على المسلمين، فهجم عليهم المنشوريون هجمة شرسة، يمكن تلخيصها في المظاهر الآتية:

المظهر الأول: إعلان موظفي الدولة الكبار كراهية المسلمين.

فقد أعلنوا في المقاطعات الصينية الكراهية الشديدة للمسلمين، لما عندهم من تمسك بإيمانهم الذي يمنعه من تقليد الأسرة الحاكمة، في عبادة أرواح الأسلاف، وعبادة السماوات والأرض التي كانوا يعتقدونها، مع ما بقي عند المسلمين من شعائر عباداتهم التي يصعب على المسلم التخلي عنها، كالصلاة والصيام وارتداء المساجد، وكالمحافظة على التقويم الهجري — المخالف للتقويم الصيني — الذي تضبط به الأهلة لمعرفة دخول شهر رمضان الذي يجب صيامه من أول يوم فيه، ويسن قيام ليله، ودخول شهر شوال الذي يجب فطر أول يوم فيه، وتجب فيه إخراج صدقة الفطر، وتشرع فيه صلاة العيد والاحتفال به، كما يعرف بها — الأهلة — الأشهر الحرم وأشهر الحج وعيد النحر، والأيام البيض التي يسن صيامها، وكذا يوم عاشوراء...

وكذلك التزام المسلمين بترك بعض المحرمات الظاهرة، مثل لحم الخنزير وشرب الخمر، وكذلك قيام المسلمين ببعض ما أمرهم به دينهم من أحكام الجنائز، كغسل

الموتى وتشيعهم ودفنهم...

كل هذه المظاهر التي بقي المسلمون متمسكين بها، أثارت حفيظة الموظفين وناصبوهم العداء من أجلها، وأخذوا يغرون بهم الملوك ويقدمون لهم التقارير ويحرضونهم على الفتك بالمسلمين وهدم مساجدهم، وإجبارهم على ترك دينهم، والدخول في دين الأسرة الحاكمة.

المظهر الثاني: حرمان المسلمين من الوظائف العليا.

فقد حرّموا المسلمين ذوي الكفاءات المرموقة من الوظائف العليا التي كانوا يتمتعون بها في عهد أسرة "مينغ"^(١).

المظهر الثالث: مصادرة أملاك المسلمين.

المظهر الرابع: إقامة المذابح الجماعية للمسلمين.

وبخاصة عندما كان المسلمون يدافعون عن أنفسهم وأهليهم، وبخاصة ولاية يونان كما شهد بذلك أحد الكتاب الفرنسيين، بأنهم قتلوا ستمائة عائلة من المسلمين، كما قتلوا من المسلمين مليون شخص في يوم واحد عنونه بعض الكتاب الصينيين بقوله: (قامت القيامة الكبرى).

وأغلق المنشوريون بعد انتصارهم على بعض زعمائهم إحدى مدتهم لمنعهم من الهروب، وكان عدد المسلمين خمسين ألفاً، فقتلوا منهم ثلاثين ألفاً، ومثل أعداء الله بالقتلى حتى ملئوا أربعاً وعشرين سلة بأذانهم ورؤوسهم^(٢). وفي بعض المناطق الشمالية قتلوا ثلاثة عشر ألفاً^(٣).

وإنه ليصعب حصر المسلمين الذين استشهدوا في المعارك التي لم تحب جذوتها في

(١) [راجع كتاب: تاريخ المسلمين في الصين (ص: ٤٥)].

(٢) [تاريخ المسلمين في الصين (ص: ٨٧) وما بعدها].

(٣) [المسلمون في الصين — الملف الضائع (ص: ١٥٨)].

غالب عهد هذه الأسرة الظالمة، وإن قال بعض الكتاب: إنهم "خسروا فيها ربع عددهم" (١).

المظهر الخامس: سبي ذراري المسلمين ونسائهم (٢).

المظهر السادس: اضطرارهم إلى أكل لحم الخنزير، لتحريمهم ذبح البقر على المسلمين.

المظهر السابع: منع المسلمين من أداء فريضة الحج.

المظهر الثامن: منع الطلبة المسلمين من السفر إلى البلدان الإسلامية لطلب العلم، حتى يقطعوا الصلة بينهم وبين إخوانهم المسلمين في خارج البلاد.

المظهر التاسع: مضايقة المسلمين في اقتصادهم وفي مصادر رزقهم، بمنعهم من بيع وشراء بعض السلع، وفرض الضرائب الباهظة عليهم في كل ما يملكون، من خيول وأبقار وجمال وغنم وطيور منزلية، وملح وطعام، وخشب ولبات غاز وجلود وفحم وخضروات (٣)...

المظهر العاشر: مطاردة علماء المسلمين الذين كانوا يقومون بتعليمهم دينهم ويؤلفون لهم الكتب الإسلامية أو يترجمونها، ليتفقهوا في دين الله، ومنعهم من نشاطهم في مساجدهم، بل المطالبة بحرق كتبهم (٤).

فكان ذلك سبباً في جهل عامة المسلمين بحقائق الإسلام جهلاً جعلهم يُدخلون فيه ما ليس منه من البدع والخرافات والعادات المخالفة له.

أسباب ظلم أسرة (تسنغ) للمسلمين وانتصارها عليهم:

ويمكن تلخيص الأسباب التي أدت إلى اضطهاد ملوك الأسرة المنشورية للمسلمين

(١) [حاضر العالم الإسلامي ومشكلاته المعاصرة (ص: ٥٦٩)].

(٢) [تركستان الصينية (ص: ٤٧) محمود شاكر].

(٣) [الإسلام في الصين (ص: ١٠٢)، فهمي هويدي].

(٤) [الدعوة إلى الإسلام — أرنولد، (ص: ٣٤٣) الطبعة الثانية — مكتبة النهضة المصرية].

فيما يأتي:

السبب الأول: جهل كبار موظفيهم بالأديان والعقائد وثقافات الأمم الأخرى، وجهلهم بما يجب للرعايا من حقوق، وإن اختلفوا معهم في العقائد والعبادات والآراء.

السبب الثاني: صلة بعض قادة المسلمين بأسرة "مينغ" في أواخر حكمهم وقتالهم في صفهم ضد المنشورين قبل أن يستولوا على البلاد كلها.

السبب الثالث: تمسك المسلمين بعقيدتهم وعبادتهم، وما بقي لهم من العمل ببعض الواجبات وترك بعض المحرمات.

السبب الرابع: تحريش كبار الموظفين وحكام المقاطعات الملوك، بالمسلمين وكتابة تقارير ظالمة عنهم، والإغراء باضطهادهم وكبت حرياتهم، وبخاصة السدعاة إلى الله منهم، كما هي عادة أعداء الحق في كل زمان^(١).

ومن أمثلة ذلك النص الآتي الذي كتبه حاكم ولاية "خوانسسي" Khwang se إلى الإمبراطور "كين لنج" سنة ١٧٧٣م:

(إن لي عظيم الشرف أن أحيط جلالكم علماً بأن مغامراً يدعى "هانفوين Han — Yun — Fo" من ولاية خوانسسي، قبض عليه بتهمة التشرد، فلما سُئل عن عمله اعترف بأنه قضى عشر سنوات يطوف بشق ولايات الإمبراطورية، كي يستطلع أحوال ديانته، وقد وجدنا في إحدى حقائبه ثلاثين كتاباً، كتب بعضها بنفسه، وكتب بعضها بلغة لا يفهمها أحد عندنا^(٢)، وتمجد هذه الكتب ملكاً من ملوك العرب يدعى محمداً [ﷺ]. وفي أسلوب مسرف يدعو إلى السخرية، وحين قدمنا هذا الضال الذي ذكرناه من قبل للتعذيب، اعترف أخيراً بأن الغرض الحقيقي من

(١) [راجع لهذه الأسباب تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر (ص: ٤٦ — ٥٠)].

(٢) [يبدو أنها العربية، ويجوز أن تكون الفارسية].

رحلته أن يدعو لهذا الدين الزائف الذي يتعلمونه من هذه الكتب، كما اعترف بأنه قضى في ولاية "شنسي Shen — Si" مدة أطول مما قضاه في أية ولاية أخرى. لقد اختبرت هذه الكتب بنفسى فوجدت بعضها مكتوباً بلغة أجنبية، ولهذا لم أستطع فهمها، أما بعضها الآخر الذي كتب باللغة الصينية فرديء جداً، ويمكن أن أضيف إلى ذلك أنها كانت أيضاً تبث على السخريّة، لما فيها من مغالاة في مدح أشخاص، من المؤكد أنهم ليسوا أهلاً لهذا المدح، لأنى لم أسمع بهم حتى مجرد السماع^(١).

ربما كان "هانفويون" الذي تقدم ذكره أحد الثوار من "كانسو Kansu" ولا شك أن مسلكه يدعو إلى الريّة، إذ ما كان يريد أن يعمل في هذه الولاية التي طاف بها مدة السنوات العشر الأخيرة من حياته؟ وإنى عازم على بحث هذه المسألة بحثاً جدياً.

وفي هذه الأثناء ألتبس من جلالتكُم أن تأمروا بإحراق صحائف الطباعة التي في حوزة أسرتهم، وبالقبض على من حفروها، وبالقبض أيضاً على من ألفوا هذه الكتب التي أرسلتها إلى جلالتكُم، رغبة في الوقوف على ما ترونها في هذا الأمر^(٢).

ويبدو أن بعض ملوك هذه الأسرة كانوا في أول الأمر لم يستجيبوا لتحريض حكامهم الظلمة، بل أظهروا شيئاً من العطف على المسلمين، وأعلنوا ذلك في مراسيم، كما في المرسوم الذي نشره إمبراطور "ينج تشن Yung Chen" سنة ١٧٣١م وهذا نصه:

"في كل ولاية من ولايات الإمبراطورية، يوجد منذ قرون كثيرة مضت عدد كبير

(١) [وهل عدم سماع الجهلة بأولى العزم من الرسل، أو العظماء من أتباعهم يحط من قدرهم؟!].

(٢) [الدعوة إلى الإسلام (ص: ٣٤٢ — ٣٤٣) أرنولد].

من المسلمين" (١).

يولفون جانباً من الشعب، اعتبرهم كأبنائي، وأنظر إليهم كما أنظر إلى بقية رعيي تماماً، ولا أفرق بينهم وبين الذين لا يدينون بالإسلام.

وقد تسلمت من بعض الموظفين ظلامات سرية ضد المسلمين، سببها أن ديانتهم تختلف عن ديانة غيرهم من أهل الصين، وأنهم لا يتكلمون بلغة الصين، ويلبسون لباساً يختلف عما يلبسه سائر الأهالي، وهم متهمون بالعصيان والغطرسة والميول الثورية، وقد طلب مني أن أتخذ ضدهم تدابير صارمة، فلما بحثت هذه الظلامات والاتهامات لم أجد لها أساساً من الصحة.

والواقع أن الدين الذي اتبعه المسلمون إنما هو دين أجدادهم، والحق أن لغتهم ليست كلغة بقية الصينيين، ولكن ما أكثر اللغات في الصين.

أما فيما يتعلق بدور عبادتهم ولباسهم وطريقتهم في الكتابة، وكلها مختلفة عما عند غيرهم من أهل الصين، فهذه مسائل لا أهمية لها مطلقاً، وما هي إلا عادة من عادات المسلمين. إنهم يتحلون بالأخلاق الفاضلة، كغيرهم من الرعية، وليس هناك ما يدل على ميلهم إلى الثورة.

من أجل ذلك كانت رغبتني أن تطلق لهم الحرية في إقامة شعائر دينهم الذي يهدف إلى تعليم الناس التمسك بالحياة الفاضلة وتأدية واجباتهم الاجتماعية والمدنية.

إن هذا الدين يحترم النظم الأساسية للحكومة، فماذا نستطيع أن نطلب من هذا؟ فإذا ظل المسلمون بعد ذلك يتصفون بما يتصف به الرعايا الأخيار المخلصون، فسأبسط لهم رعايتي، بقدر ما أبسطها إلى أبنائي الآخرين.

لقد ظهر منهم مدنيون وعسكريون ارتقوا إلى أعلى المناصب، وهذا أقوى دليل

(١) [هذه شهادة من قمة الدولة بأمرين:

الأمر الأول: انتشار المسلمين في كل الولايات الصينية، لقوله "في كل ولايات الإمبراطورية".

الأمر الثاني: كثرة المسلمين، لقوله: "عدد كبير".]

على أنهم تطبعوا بطباعنا وتعودوا عاداتنا، وتعلموا كيف يلائمون بين أنفسهم وبين شرائع كتبنا المقدسة، إنهم يجتازون امتحاناتهم في الآداب كما يجتازها أي إنسان آخر، ويقومون بما يفرضه عليهم القانون من تضيحية. وقصارى القول: إنهم أعضاء خُلص في الأسرة الصينية العظيمة، وإنهم يَجِدُّون دائماً في أداء واجباتهم الدينية والمدنية والسياسية.

وحين ينظر القضاة قضية مدنية لا تعنيهم ديانة المتخاصمين، فليس هناك إلا قانون واحد لرعيي، فمن عمل صالحاً كوفئ عليه، ومن عمل سيئاً حق عليه العقاب^(١). ولكن هذا المرسوم الذي يظهر فيه عدل الملك وحكمته والدعوة إلى التسامح مع المسلمين، وتركهم أحراراً في إقامة دينهم ماداموا لم يخرجوا على نظام الدولة، كان نادراً في عامة الأسرة المنشورية، ويجوز أن يكون وجد في الأسرة من هو مثل هذا الملك، ولكن كثرة الوشاة ووشاياتهم وكثرة التقارير المخذرة والمخرضة من الولاية الظلمة، وتكرار ذلك له أثره في نفوس الملوك، ولهذا كانت البطانات الصالحة خير عون لهم على العدل وإيصال الحقوق إلى أهلها، كما كانت البطانات الفاسدة من أعظم أسباب ظلم الملوك لرعاياهم ومنعهم من حقوقهم!

السبب الخامس: تعصبهم الشديد لأرائهم واضطهاد كل من خالفهم^(٢).

السبب السادس: الحقد والحسد الصليبيان على الإسلام والمسلمين، حيث (وصل الأوربيون إلى الصين ووجدوا الإسلام يتغلغل في البلاد، فخافوا من أن تتحول الصين إلى دار إسلام... ولما لم يكن الصليبيون يتمكنون من بسط سلطانهم على هذه البلاد الواسعة العظيمة، لذا لجأوا إلى أسلوبيين من الدس والوقية لتحطيم الإسلام داخل هذه البلاد:

(١) [الدعوة إلى الإسلام (ص: ٣٣٩ - ٣٤٠)، راجع أيضاً كتاب تاريخ المسلمين في الصين (ص: ٤٨) لبدر الدين].

(٢) [المسلمون في الصين - الملف الضائع (ص: ١٥١)].

١ — فأثاروا في المسلمين روح الثورة والتمرد على الحكام الصينيين، وأمدوهم بالسلاح... ففصلوا بذلك المسلمين عن أهل الصين.. وحدوا بذلك من انتشار الإسلام...

٢ — أوحوا للإمبراطور وأهل الصين بخطر المسلمين، وأنهم يتحينون الفرص للانقضاض على الدولة وحكمها، فأوغروا الصدور على المسلمين، ففقضوا على نفوذ المسلمين وأذاقوهم الأمرين....^(١).

السبب السابع: دفاع المسلمين عن دينهم وأنفسهم.

ذلك أنه لما "تعرض المسلمون الصينيون للإهانة والاضطهاد والقمع الدموي الشديد، فاضطروا إلى القيام بانتفاضات مسلحة ضد حكم أسرة تسنغ، وفي الوقت ذاته أدركوا أن الدفاع عن قوميتهم ودينهم الخفيف يتوقف على قوة أبدانهم، الأمر الذي أدى إلى تكوين سجايهم القومية المتمثلة في البطولة والتضامن والصمود ضد الجور والطغيان، وفي ظل ذلك فتحت المساجد في كافة أنحاء البلاد ملاعب^(٢) لتدريب المسلمين^(٣)...

فقد قامت الدولة المنشورية في الصين والمسلمون مجموعتان: مجموعة منتشرة في ولايات الصين الداخلية — في مدنها وقراها — ومجموعة في (تركستان الشرقية) التي عرفت بعد احتلال الحكام المنشوريين لها بـ(سينكيانج) أي الوطن الجديد. أما المجموعة الأولى: فقد اندمجت في الصينيين اندماجاً يصعب على من لا يعرفهم معرفة مباشرة أن يميز بينهم — في غير مساجدهم ومناسبات احتفالاتهم الدينية — وبين غيرهم من غير المسلمين، حتى عبّر الكتاب عن ذلك الاندماج بـ(التَّصِين):

(١) [حاضر العالم الإسلامي ومشكلاته المعاصرة (٥٦٨)، راجع كتاب تركستان الشرقية (ص: ٢٢) محمود شاكر].

(٢) [الأولى أن يقول: ميادين].

(٣) [الإسلام في الصين (ص: ٢١٦)، إبراهيم فنغ حين يوان].

"فتصينوا مع مرور الزمن من الناحية الاجتماعية والمعاشرة والعادات... مع كل هذا قد احتفظوا بعقيدة إسلامية ثابتة وراسخة في قلوبهم تختلف مع عقائد الصينيين..."^(١).

وهؤلاء — مع تصنيهم — نالهم أذى جهلة الأسرة المنشورية، بسبب بقائهم على عقيدتهم وتمسكهم ببعض الشعائر والواجبات الإسلامية، وترك بعض المحرمات، وبقاء بعض عادات أسلافهم التي تظهر في بعض المناسبات.

وكان أذى الأسرة المنشورية لعلماء المسلمين وقادتهم أشد من أذاهم لعامة المسلمين^(٢)، والسبب معروف!

وأما المجموعة الثانية: فكانت في تركستان الشرقية، حيث المسلمون هم الأغلبية فيها، وأخذ حكام الصين يتدرجون في الاستيلاء عليها، مع ما يمارسونه من ظلم المسلمين في كل مقاطعة يستولون عليها.

ثورات المسلمين ضد ظلم المانشو:

فلما شعر المسلمون بظلمهم في المناطق الصينية وباحتلال أرضهم في (تركستان الشرقية) قاموا بعدة ثورات في مناطق مختلفة من الصين^(٣):

الثورة الأولى: وقعت في شمال غرب الصين في (لانتشو):

وكان سبب قيام الحرب بين المسلمين وجيش الحكومة نزاع نشأ بين طائفتين، طائفة ترى الجهر بالقرآن الكريم، وأخرى ترى اعدم الجهر به، فاقتلتا قتلاً سقط في قتلى وجرحى من الجانبين^(٤)، وكان ذلك سنة ١٧٨١م واستدرج الحاكم

(١) [تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر (ص: ٤٥) وما بعدها].

(٢) [تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر (ص: ٤٦)].

(٣) [في تسمية بعض تلك الحروب التي حصلت بين المسلمين وجيش الدولة ثورات تجاوز، ومنها حادثنة (لانتشو) كما هو واضح].

(٤) [سباني التعريف بماتين الطائفتين في الكلام على مذهب المسلمين في الصين وطرقهم الصوفية].

الصيني أحد الزعيمين واغتاله، فهب أتباعه للثأر له، ويقال: إن المسلمين تحصنوا، وعندما رأوا الجيش الحكومي يهاجمهم ولا يدان لهم به، ألقوا بأنفسهم في النار.

الثورة الثانية كانت في منطقة (شيفانباو):

وهي امتداد لقضية (لانتشو) السابقة، ذلك أن المسؤولين في الدولة استمروا في التحقيق مع طائفة "الجهرية" وأذلّوهم، فقام زعيم الطائفة الجديد بتدريب المسلمين على السلاح سنة ١٧٨٣م، وشعر الحكام بذلك، فهاجموهم وحصلت بينهم جميعاً خسائر فادحة، فقام بعض زعماء المسلمين بجمع الجماهير الإسلامية وهجموا على القوات المنشورية، وسيطروا على بعض المدن، ولكن تعزيزات الجيش كانت قوية، لذلك مالوا على المسلمين واستأصلوهم، مخلفين وراءهم نحو خمسة آلاف من النساء والأطفال بلا عائل^(١)!

الثورة الثالثة: قام بها زعيم مسلم يدعى (جهانكير):

في جنوب (تركستان) من سنة ١٨٢٠ — ١٨٢٧م انتهت بهزيمة المسلمين والقبض على زعيمهم، وإرساله إلى بكين العاصمة، حيث قضى بقية عمره في صمت مطبق، لم يجرؤ على كشف أعمالهم الوحشية التي ارتكبوها في حق المسلمين^(٢).

الثورة الرابعة: كانت في منطقة (يونان) في أقصى جنوب الصين:

وكانت ثورات، وليست ثورة واحدة، وقد استمرت — متقطعة — من سنة ١٨١٨م إلى سنة ١٨٧٣م، وقد فتك المنشوريون في بعض المعارك بستمائة عائلة، وكان أشدها في سنة ١٨٥٦م، حيث ذهب ضحيتها ما لا يقل عن مليون، وقد سماها بعض الكتاب الصينيين (يوم مجزرة المسلمين) وعنون لها بعد ذلك بقوله: (قامت القيامة الكبرى في الولاية).

(١) [تاريخ المسلمين في الصين (ص: ٦٥ — ٦٨)].

(٢) [تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر (ص: ٥٩ — ٦٣)].

وهذه المنطقة هي التي عُيِّنَ فيها (السيد الأجل) — وهو من أهل البيت — حاكماً عاماً فيها في عهد أسرة (يوان)، ويكثر فيها عدد المسلمين، وكثير منهم من نسل العرب^(١).

الثورة الخامسة: كانت في (شانسي) و(قانسو)^(٢):

بدأت المعركة في شانسي، سنة ١٨٦٢م، قام بالثورة مسلم يدعى (شنوو) يقال: إنه كان ممن اشترك في ثورة المسلمين في يونان سنة ١٨٥٦م، فقد قاد آلافاً من أتباعه في شانسي — بعد أن قُتِلَ مندوبُ الحكومة — وطوق بهم عاصمة المنطقة (سيآن)، ولكن الدولة بعثت قائدين عاتيين من قوادها بجيش قوي، ودارت المعارك بينهم وبين المسلمين الذين يقل عددهم وتَشِحْ عُدَّتُهُمْ، فقتل منهم عدد كبير، وطلبوا النجدة من إخوانهم في (قانسو) فأجندوهم بمحاربين أسهموا في إنزال خسائر فادحة في المنشورين، ولكن قوة الحكومة كانت فوق طاقتهم ففر من بقي منهم إلى (قانسو).

وأخذت القوات المنشورية تهاجم المسلمين في مقاطعة (قانسو) التي كان يقود الدفاع عنها القائد المسلم (ماهوا لونج) وأبلى المسلمون في تلك المعارك بلاءً حسناً، وقتل منهم عدد كبير، كما كَبِدُوا الأعداء خسائر فادحة، ولكنهم خسروا المعركة في النهاية لتفوق العدو في العَدَدَ والعُدَدَ، واضطر البطل المسلم للاستسلام، محاولاً لدى قائد جيش الدولة الرأفة بالمسلمين، فقتله قائد الجيش، وكان ذلك في سنة ١٨٧٠، وبذلك انتهت مقاومة المسلمين في شانسي وقانسو التي استمرت ثماني سنين^(٣).

(١) [تاريخ المسلمين في الصين (ص: ٨٨ — ٩٥)].

(٢) [تقع في وسط الصين، وهي إلى الشرق أقرب، وعاصمتها سيآن، عاصمة الصين القديمة، وقانسو تقع في شمال غرب الصين، إلى الشرق من ولاية تركستان الشرقية (سينكيانج)].

(٣) [تاريخ المسلمين في الصين (ص: ٦٨ — ٧٢)، وراجع كتاب الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين

السبب الثامن: خذلان القوي من المسلمين الضعيف منهم، وإسلامه لعدوه وعدم نصرته:

فقد كان المسلمون في (شانسي) و(قانسو) في أشد الحاجة إلى نجدة إخوانهم المسلمين في (تركستان) بعد انتصار (يعقوب بيك) واستقلال دولته مدة ثلاثة عشر عاماً، فلم ينفروا لمساعدتهم، فكانت النتيجة أن سحقته القوات المنشورية، ثم زحفت على تركستان فأنزلت بأهلها الولايات واستولت عليها^(١).

ولا زال المسلمون فيها يتجرعون غصص ذلك الاستيلاء البغيض إلى هذه الساعة.

السبب التاسع: اختلاف المسلمين وتنازعهم الذي أدى إلى فشلهم^(٢):

إن من شروط نصر المسلمين على عدوهم، اعتصامهم بحبل الله، أي اجتماع كلمتهم على الحق، وأن يكون جهادهم لرفع راية الإسلام، وأن يعدوا لجهاد عدوهم العدة المستطاعة، ولست هنا في مقام الحديث عن عوامل نصر الله لعباده المؤمنين على أعدائه الكافرين، وعوامل الهزيمة، فهذه لها بابها المناسب لها^(٣).

وإنما أريد — هنا — التنبيه على أن من أهم أسباب هزائم المسلمين تنازعهم المؤدي إلى فشلهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٤).

وقد كان هذا السبب من أهم الأسباب التي أنزلت الهزائم بالمسلمين في الصين في

(١٠٧) وما بعدها، إعداد يوسف لي هوا سن — دار النشر باللغات الأجنبية — بكين، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣م.

(١) [تركستان الصينية (ص: ٤٨) — مؤسسة الرسالة — بيروت، محمود شاكر].

(٢) [وهو من أهم أسباب هزائم المسلمين].

(٣) [وقد فصلت القول فيها في كتابي: الجهاد في سبيل الله — حقيقته وغايته (٢/ ٩٦) وما بعدها].

(٤) [الأنفال: ٤٦].

بعض معاركهم مع عدوهم، مع قلة عددهم وضعف استعدادهم^(١).

وقد استغل عدو المسلمين بعض ضعاف النفوس منهم، عن طريق الوظائف واستعان بهم على إخوانهم^(٢).

وإن التأمل في حياة المسلمين، ليرى أن أعداءهم لم يذلّوهم ويستعبدوهم، إلا بسبب تفرقهم وصراعاتهم فيما بينهم، الدال على الضعف الشديد في إيمانهم وقلة صلتهم برهم، وفقد إحساسهم بحياة الذل والهوان، وحياتنا اليوم خير شاهد على هذا الخطب الجلل.

كتبت هذه السطر في يوم الأحد بتاريخ ١٤١٦/١١/٥ هـ — ٣١٩٩٦/٢٤ م، ومئات المسلمين شباباً وشيخاً، رجالاً ونساءً وأطفالاً يساقون إلى معتقلات اليهود وسجونهم ليعذبوا حتى يموت بعضهم تحت التعذيب، بتهم كاذبة على كثير منهم، أو لقرابتهم ممن يدافعون عن وطنهم وحرماقتهم ومساجدهم وعلى رأسها بيت المقدس، أو لصلة بعضهم بأولئك المجاهدين، ولا ذنب لهم إلا أنهم آباء أو أمهات، أو إخوان أو أخوات، وهو نقيض ما تقضي به شرائع الله كلها، ونقيض القوانين البشرية وما يُدعى أنه حقوق الإنسان في هذا العصر، ويُخرجُ اليهود الأسر من منازلهم ويجمعون جيران الأسر التي يخرجونها بقوة السلاح من بيوتهم ويَقْفُوهم في مكان يشرف على تلك المنازل، ثم يهدموها بالمتفجرات، ولا يقدر أحد يعارضهم إلا أطفال المسلمين الذين يضجون بالتكبير ويرمون أعداء الله بالحجارة. ومع إخراجهم من ديارهم وهدمها يُعدُّ اليهود العدة لطردهم من بلادهم إلى خارجها ليزيدوا من عدد المشردين منهم في الأرض. وحكام الشعوب الإسلامية يتصارعون

(١) [تاريخ المسلمين في الصين (ص: ٩٣)].

(٢) [تاريخ المسلمين في الصين (ص: ٥٩)، وحاضر العالم الإسلامي (٢/ ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٥٣) لشكيب أرسلان — الطبعة الثالثة، ١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م — در الفكر. وحاضر العالم الإسلامي ومشكلاته المعاصرة (ص: ٥٧١) — جميل المصري].

فيما بينهم ويهرولون إلى اليهود وأعوانهم من الصليبيين المعاصرين، ليمنحوهم الاعتراف الشرعي باغتصاب الأرض وتدنيس الأقصى.

وطلاب الكراسي والجاه والعلو في الأرض على إخوانهم الفلسطينيين، مع النذل والاستخذاء لليهود ينفذون أوامر اليهود باعتقال المجاهدين وسجنهم وإفزازهم في منازلهم هم وأسرههم في جوف الليل. تُرى لو اجتمعت كلمة حكام المسلمين على الحق، واجتمعت كلمة الفلسطينيين على الحق، ووقفوا صفاً واحداً للدفاع عن حقهم، أيستطيع يهود ومن والاهم أن يعيشوا هذا الفساد في أرض الميعاد؟! وسيعيثون غداً فساداً في كل بلدان المسلمين...!!!

ثم ها أنا أرتب هذه الرحلة في الكمبيوتر مرة أخرى وأصححها، في يوم الخميس الثالث من شهر شوال، لعام ١٤٢٤هـ — ٢٧ نوفمبر لعام ٢٠٠٣م، وقد اشتدت الحملة الصهيونية الصليبية على المسلمين في كل أنحاء العالم وقد احتلت أمريكا أفغانستان والعراق، وهي تحشد جيشها وأسلحتها ومخابراتها وعملاءها في كل الأقطار الإسلامية، آمرة ناهية تريد تغيير خارطة العالم سياسياً ودينياً وعسكرياً وإعلامياً واقتصادياً، بحجة أن ينعم العالم بجنة الحرية والديمقراطية، مع أن أمريكا تمارس استعباد العالم والسيطرة عليه بغير وجه حق...

ومرة أخرى أقول: لو اجتمعت كلمة المسلمين على الحق لما أصيبوا بهذا الاستعباد والقهر...

آثار ثورات المسلمين على مسيرة الإسلام في الصين:

عندما تحدث الاضطرابات والحروب والفتن، في أي شعب من الشعوب، تصاب حياة الناس — الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بل والحياة الدينية — بالضيق والنكد والضعف والتمزق، ويشمل ذلك المنتصر والمهزوم، وإن تفاوتت الخسائر والمصائب.

ولكن الخسارة والآثار المدمرة التي تتزل بقليل العدد الضعيف العدد أنكى وأشد، من خسارة من كثر عدده وقوي بالآلات الحرب وعدتها ساعده، وبخاصة إذا كان

الضعيف من أقليات الرعية، والقوي هو والي الدولة الإمبراطورية.
وهذا ما حصل لمسلمي الصين، فقد كان عددهم — بالنسبة لعدوهم — قليلاً،
واعتادهم الحربي في مواجهته ضئيلاً!

المصالح التي جناها المسلمون من معاركهم ضد الدولة:

إنه لمن الظلم المححف أن يذكر الكتاب والمؤرخون للإسلام والمسلمين في الصين،
الآثار السيئة التي عادت عليهم من معاركهم مع الدولة المنشورية، دفاعاً عن
أنفسهم وعن دينهم وأعراضهم وأموالهم، وينسوا المصالح المترتبة على تلك المعارك.
ومن الإنصاف أن تذكر هذه وتلك، لما فيهما من الدروس والعبر، للحاضرين من
أجيال المسلمين اليوم وخلافهم غداً.

١ — فمن مصالح المسلمين من تلك المعارك: غيرتهم على دينهم ودفاعهم عنه،
حفظاً لأصوله ومعانيه وبقاء حبه واحترامه في نفوس أجيالهم، فإن الدفاع عن الدين
وحفظه من الضياع ضرورة من ضرورات الحياة^(١). وهو لا يحفظ إذا انطمست
معالمه وانتهكت حرماته، وأصبح ذلك الانتهاك عادة يألفها المسلمون ويستمرؤوها
ويطبقونها في حياتهم، وهذا ما كان يريده أعداء الإسلام من الأسرة المنشورية.
ويدخل في ذلك حماية مساجدهم، وحریتهم في أداء شعائرتهم من صلاة وصيام
وحج، واحتفالهم بعيدي الفطر والأضحى، وما يلزم لذلك من معرفة التاريخ
الهجري الذي لا يمكن معرفة كثير من عباداتهم إلا به..

٢ — ومن مصالحهم بقاء تميّزهم عن سواهم في ترك ما حرمه الله عليهم، من
المأكّل (كلحم الخنزير ولحم الميتة) والمشارب (كشرب الخمر)، وغير ذلك مما
حرمه الله تعالى، كالزنى واللواط والربا...

وقد كان الحكام المنشوريون يريدون من المسلمين أن يسلكوا مسلكهم في كل

(١) [راجع مبحث (حفظ الدين) من كتابنا الإسلام وضرورات الحياة].

شيء، فلا حلال إلا ما أحلته أهواءهم، ولا حرام إلا ما عاقبه نفوسهم، وإذا جاراهم المسلمون على ذلك نشأت أجيالهم على ما عودهم عليه آبائهم، لا يعرفون من دينهم حلالاً ولا حراماً!

٣ — ومن تلك المصالح إظهار المسلمين لعدوهم أنهم أعزة، لا يقبلون الذل ولا يستكينون لظلم، لأن العدو إذ علم من عدوه قبولاً للعيش على ضيم ركبته وزاد طغيانه عليه وظلمه له، فإذا علم بسالته وعلو همته وذوده عن عزته وكرامته، فكر وقدر ثم فكر وقدر وقدم رجلاً وأخر أخرى، قبل الإقدام على ظلمه وطغيانه.

٤ — ومن مصالحهم أن ينقل التاريخ للأجيال الإسلامية، أن هذا الدين كان غالباً عند آبائهم وأجدادهم، وأنهم لم يفرطوا فيه، بل بذلوا في سبيل حفظه لهم والدفاع عنه ليصل إليهم، كل ما يملكون من نفس ومال، حتى يقتدي اللاحقون في الاعتزاز بهذا الدين بالسابقين منهم.

الأضرار التي لحقت المسلمين بسبب تلك الثورات:

أما الأضرار التي نالت المسلمين من تلك الثورات، فهي أضرار فادحة ومن أعظمها ما يأتي:

المضرة الأولى: المذابح الجماعية التي ذهب ضحيتها ملايين الأفراد وآلاف الأسر من المسلمين، حيث ذكرت كتب التاريخ أنهم فقدوا في تلك المعارك ربع عددهم، وكان ذلك سبباً في قلة المسلمين بعد كثرتهم التي تمكنهم من زيادة الانتشار في البلد والاختلاط بغير المسلمين، وهما — الانتشار والاختلاط — من عوامل دخول الناس في الإسلام، وبخاصة إذا كان المسلمون قدوة حسنة في معرفة دينهم والعمل به.

المضرة الثانية: ضياع آلاف الأسر من النساء والأطفال والعجائز، بسبب فقد أولياء أمورهم من الرجال المقاتلين، الذين كانوا يجلبون لهم الرزق ويحموهم من التشرد، وتسلب أعدائهم عليهم الذي أفسد حياتهم الدينية والاجتماعية.

المضرة الثالثة: القضاء على كثير من علمائهم — وقد كانوا هم قادتهم — إما في

أثناء المعارك وإما بقتلهم بعد أسرهم أو استسلامهم مضطرين، بعد هزائهم في ساحات القتال.

وقد المسلمون علماءهم من أعظم خسائرهم، لما في ذلك من غياب العلم النافع بغياب أهله، وما يترتب عليه من جهل بالإسلام وبُعدٍ عنه.

المضرة الرابعة: هدم مساجدهم وغصب أملاكهم، واتخاذ الوسائل التي تضطربهم إلى أكل ما حرم الله عليهم، كحظرهم ذبح البقر عليهم، لياكلوا لحم الخنزير.

المضرة الخامسة: زيادة التضييق على المسلمين في الصين، بقطع الصلة بينهم وبين إخوانهم المسلمين في خارج الصين، وقد كان اتصافهم بالمسلمين في البلدان الإسلامية من أسباب زيادة تفقهمهم في الدين بالتلمذ على العلماء والاطلاع على ما جد من الكتب الإسلامية المطبوعة، وصرم جبل هذا الاتصال حرمهم من ذلك كله.

المضرة السادسة: منعهم من القيام بأداء ركن الإسلام: (الحج) الذي كانوا يستفيدون منه — إضافة إلى أداء مناسكه — الاجتماع بإخوانهم المسلمين، وبخاصة العلماء، وتبادل الآراء في شئونهم ومشكلاتهم، وما يمكن أن يُقترح لها من حلول^(١).

ولكن يجب أن ننبه — هنا — إلى أن بعض هذه الأضرار لم يكن سببها ثورات المسلمين للدفاع عن دينهم فقط، بل كان الحكام المنشوريون — وبخاصة بعض حكام الولايات — يكونون للمسلمين الحق ويضيقون ذرعاً بدينهم وعاداتهم، كما مضى، فلا يبعد أن يؤذوا المسلمين ويحدثوا بهم هذه الأضرار أو بعضها، ولو لم يقوموا بتلك الثورات، وإن كانوا — المنشوريون — اتخذوا تلك الثورات ذريعة للهجوم على المسلمين وسفك دمائهم...

(١) [الإسلام في الصين (ص: ١٠٢، ١٠٣) فهي هريدي].

هل يؤاخذ المسلمون على ثوراتهم التي أحدثت لهم تلك الأضرار؟

لا بد — هنا — من كشف بعض الحقائق التي بها يعلم الجواب عن هذا السؤال:

الحقيقة الأولى: أن الحق والباطل — دائماً — في تدافع، وأن للباطل قوته التي تطغيه، وأنه لا بد للحق من قوة تحميه.

قال تعالى في الباطل وأهله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾^(١).

وقال تعالى في الحق وأهله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾^(٢).

الحقيقة الثانية: أن سنة الله قضت أن تكون الغلبة للحق على الباطل، وهذه السنة لا تتخلف، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِلَهُمُ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ﴾^(٣).

وقال تعالى ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤).

الحقيقة الثالثة: أن كون نصر الله تعالى لعباده المؤمنين لا يتخلف، معناه أن العاقبة الحسنة تكون لهم، ولا يلزم من ذلك عدم تأخر هذا النصر أحياناً لابتلاء المؤمنين وتمحيصهم واتخاذ شهداء منهم، أو لتقصيرهم في إعداد القوة الذي أمرهم به، أو ضعف إيمانهم الذي علق تعالى نصره لهم عليه.

والإيمان الذي علق نصره لأهله هو الإيمان الذي فصله تعالى في كتابه وفي سنة رسوله، وهو ما تترتب عليه طاعة الله وعدم معصيته، وليس الإيمان الميت أو المريض

(١) البقرة: ٢١٧.

(٢) الأنفال: ٦٠.

(٣) الصافات: ١٧١ — ١٧٣.

(٤) الروم: ٤٧.

الذي لا يمنع من معصية، ولا يدفع إلى طاعة، وهو ما يتحلى به كثير من المسلمين، ويظنون أنه مراد الله.

ولهذا ابتلى الله أصحاب نبيه بسبب معصية صدرت من بعضهم له في غزوة أحد بإدالة المشركين عليهم، ولو قورنت تلك المعصية بالمعاصي التي حصلت ولا تزال تحصل ممن جاء بعدهم، لا تعد شيئاً يذكر، وعندما تعجبوا من إدالة المشركين عليهم نزل القرآن مجيباً لهم بأنهم هم السبب في تأخر نصر الله لهم كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

الحقيقة الرابعة: أن من مقتضيات الإيمان الذي ينصر الله به عباده، اجتماع كلمتهم على الحق، وترك الأسباب المؤدية إلى التنازع الذي يترتب عليه فشلهم وذهاب قوتهم وهيتهم، كما قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢).

هذه الحقائق الأربع تناسب الحديث عن هذه الفقرة والإجابة عن هذا السؤال. فالمسلمون الصينيون كانوا أهل حق، والحكام المنشوريون كانوا أهل باطل، وأهل الباطل كانوا يملكون قوة اتخذوها وسيلة لظلمهم والاعتداء بها على المسلمين، والمسلمون شعروا بالظلم والاعتداء على أنفسهم ودينهم وعرضهم، فأرادوا أن يدفعوا الظلم والعدوان بالقوة التي كانوا يملكونها.

والمسلمون — وهم أهل حق — كانوا ينتظرون من الله نصره الذي وعد به عباده المؤمنين على عدوهم، وأنهم مهما توالى عليهم الابتلاءات بسبب كثرة عدوهم الظالم وقوته، وقتلهم هم وضعفهم، فإن العاقبة ستكون لهم، لقول الله تعالى: ﴿كَمْ

(١) آل عمران: ١٦٥.

(٢) الأنفال: ٤٦. [ويراجع لما تدل عليه هذه الآيات كتب التفسير، ويراجع كتاب السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، للدكتور عبد الكريم زيدان].

مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١﴾.

وعلى ضوء ما سبق يمكن أن يقال: إن المسلمين لا يؤاخذون على ما قاموا به من محاولة دفع العدوان عن أنفسهم بحسب قدرتهم.

والذين لاموهم على تلك الثورات، رأوا أنهم وقفوا أمام عدد لا طاقة لثلاثهم به عادة، إضافة إلى أن ذلك العدد هو جيش الدولة وقوته هي قوة الدولة بكل إمكاناتها، والمسلمون لا دولة لهم، ووضعهم شبيه بوضع المسلمين في مكة قبل الهجرة، وقد أصابهم من البلاء ما هو معلوم، ومع ذلك عندما همَّ بعضهم بدفع العدوان بالقوة أمرهم الله بالكف عند ذلك، كما قال تعالى: ﴿لَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (٢).

قال ابن كثير رحمه الله: (كان المؤمنون في ابتداء الإسلام وهم بمكة مأمورين بالصلاة والزكاة... وكانوا مأمورين بالصفح والعفو عن المشركين والصبر إلى حين، وكانوا يتحرقون ويودون لو أمروا بالقتال ليتشفوا من أعدائهم، ولم يكن الحال إذ ذاك مناسباً لأسباب كثيرة؛ منها: قلة عددهم بالنسبة إلى كثرة عدوهم. ومنها: كونهم كانوا في بلدهم وهو بلد حرام أشرف بقاع الأرض، فلم يكن الأمر بالقتال ابتداء كما يقال، فلماذا لم يؤمروا بالجهاد إلا بالمدينة، لما صارت لهم دار ومنعة وأنصار) (٣).

وهذا المبدأ يجب الأخذ به وتطبيقه كلما نزلت بالمسلمين حالة تشبه تلك الحالة التي كان عليها المسلمون في مكة، فحفظ الدين لا يكون بالجهاد المسلح فقط، بل قد يكون — أحياناً — بالصبر على المحن والعدوان، وهو نوع من أنواع الجهاد الشرعي، عندما يستفحل الطغيان ويقوى أهله قوة لا يدان للمسلمين بها، بحيث إذا

(١) البقرة: ٢٤٩.

(٢) الآية، النساء: ٧٧.

(٣) [تفسير القرآن العظيم (٥٧٦/١) الطبعة الأولى — دار الخیر].

قاوموه سحقهم سحقاً.

متى يشرع الجهر بالإسلام ومتى يسر به؟

بل قد يكون المشروع في حق المسلمين العمل السري حتى في شعائر دينهم كالصلاة والصيام وتلاوة القرآن، عندما يرون عدوهم سيقضي عليهم ويستأصلهم إذا جهروا بذلك، كما فعل الرسول ﷺ وأصحابه في مكة فترة من الزمن، ولا عبرة بكلام بعض المنتسبين إلى العلم، ممن يجهلون السيرة النبوية وفقهها وأحوال المسلمين على مدى التاريخ، فينكرون العمل الإسلامي السري في كل الأحوال، ولو أن هؤلاء عادوا إلى الثورة الكمالية على الإسلام في تركيا، وكيف كان علماء الإسلام يعلمون أبناء المسلمين القرآن الكريم سراً في الدهاليز التي أعدت مأوى للحيوانات — كإسطبلات الخيول — خشية من أن تعلم عنهم أجهزة العذاب (المسماة بأجهزة الأمن) لو أنهم علموا ذلك وعلموا ما حل بالمسلمين في القرن المسمى بالقرن العشرين في الدول الشيوعية، لاستحووا من تلك الفتاوى الجاهلة التي تحكم على كل عمل سري للإسلام بأنه من أعمال الماسونية.

وكثير من أبناء المسلمين في الدول الشيوعية — روسيا والصين وغيرهما — تعلموا القرآن والحديث والفقه والعقيدة في المخابئ التي يقون فيها الليالي والأيام، بل الأشهر مع علمائهم، ولهذا عندما تمزق الاتحاد السوفييتي، وكشف الله بعض الغمة عن المسلمين ظهر طلاب ولدوا وترعرعوا في ظل الحكم الشيوعي القاسي، ظهورا وهم يحفظون القرآن وبعضهم يحفظون بعض كتب الحديث ومتوناً في الفقه واللغة العربية، فهل كان يجب عليهم عدم العمل السري، لأنه من أعمال الماسونية؟!!

نعم! الأصل في الإسلام الجهر به وبشعائره الدينية كلها، وعبادته الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية، وسياسته الشرعية، وقواعده الجهادية، وعلاقاته الدولية، ولا يجوز كتمان شيء من ذلك ما دام دعاة الإسلام يجدون مجالاً لبيان ذلك كله، كما هو الحال في البلدان التي تحكّم بشريعة الله، أو تأذن بالدعوة والبلاغ، لأن البيان واجب والكتمان محرم لأن الله فاعله، هذا هو الأصل في الإسلام، وهو بيانه

وإيضاحه كاملاً غير منقوص، ليصل إلى الناس كافة (وهو معنى البلاغ المبين). ولكن إذا وجد المسلمون أنفسهم في بلد يحكمه طغاة جبارون، يمنعونهم من إظهار شعائر دينهم، ولا قدرة لهم على تحطيم سدود الطغيان، فعليهم أن يقيموا ما يقدرون عليه من هذا الدين سرّاً حتى يفرج الله همهم، وإذا كانوا في بلد يأذن فيه حكامه بمزاولة بعض هذا الدين ويحظرون عليهم بعضاً، ولا قبل لهم بمقاومة من حرمهم من إقامة ذلك، فعليهم أن يودوا ما أذن لهم بمزاولته علناً، وما لم يؤذن لهم به يزاولونه سرّاً؛ لأن ما يقدرون عليه لا يجوز لهم التفريط فيه، وما لم يقدروا عليه لا يكلفهم الله إياه ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

ولكن العمل السري يحتاج إلى فقهاء في الدين يوجهون أهله، وإلا وقعوا في محاذير، وتعاطوا ما يظنون أن لهم تعاطيه شرعاً، وهو غير مشروع، لأن بعض أحكام الإسلام لا تنفذ عن طريق الأفراد ولا الجماعات، وإنما تنفذ عن طريق أمراء المؤمنين، كإقامة الحدود وجهاد الطلب، أي غزو بلدان الكفار ونحو ذلك.

إن المقارنة بين المصالح الراجحة والمفاسد المرجوحة، وتقديم الراجح على المرجوح، ومتى يكون العمل سرّاً ومتى يكون جهراً، ومتى يشرع للمسلمين مقاومة الطغيان، ومتى يشرع الصبر على العدوان، كل ذلك أمر واجب في ضوء نصوص الشريعة وقواعدها.

وقد يبذل الفرد أو الجماعة أو الدولة الجهد المستطاع في سبيل الوصول إلى معرفة المصلحة الراجحة، لتقديمها على المصلحة المرجوحة، أو معرفة المفسدة الراجحة لدرئها وارتكاب المفسدة المرجوحة، وقد يصيب المجتهد ويفوز في إقدامه أو إحجامه، وقد يخطئ ويخفق في ذلك، وقد يرى الحاضر مالا يراه الغائب، وكل بلد أهله أدرى بخفاياه من غيرهم، والناقد من وراء الحدود قد يَنقُذُ نَقْدَهُ إذا تجاوزها.

وبعض الثورات الإسلامية في الصين نجحت كثورة (يعقوب بيك) في (تركستان) التي أقام فيها بعد انتصاره دولته المستقلة واستمرت مدة ثلاثة عشر عاماً كما مضى.

والمسلمون في مكة برغم قتلهم وضعفهم، ما كانوا ليصبروا على عدوان المشركين عليهم وإهانتهم وتعذيبهم، لولا وجود الرسول ﷺ بينهم يُصبرهم بما يترل عليه من الوحي.

أما المسلمون في الصين فقد كان علماؤهم قلة، وقد يكون كثير من أولئك العلماء قليلي الخبرة بشئون الحرب وشئون السياسة، وقد تكون عندهم خبرة ولكنهم اجتهدوا وأخطئوا، وقد يكون بعضهم كان يرى الصبر على العدوان وعدم الدخول في صدام مع الدولة، ولكنهم غلبوا على أمرهم من تسرع عامة المسلمين الذين لم يستطيعوا الاستمرار في تحمل الهوان.

ويكفي أن نعلم أن الرسول ﷺ كان رأيه عدم الخروج من المدينة في غزوة أحد، ولكن كثيراً من المسلمين ألحوا عليه في الخروج فخرج، فكيف بالناس — ولو كانوا مسلمين — مع غير الرسول ﷺ؟!

ثم إن استمرار الاعتداء على دين الأمة وأرضها وعرضها، وإهانة أعزها، يصعب الاستمرار على تحمله، وقد يرى المسلمون أن موقفهم في ميدان المعركة خير لهم من ذبحهم كالنعاج، وسفك دمائهم خير من انتهاك أعراضهم، وهم يشاهدون لا يحركون ساكناً.

هذا، وإن لنا في أطفال فلسطين لعبرة، وهم الذين ولدوا وقد احتل العدو اليهود أرضهم، وأمهاهم وآباؤهم يعذبون ويعتقلون ويسجنون ويقتلون، ويطردون من أرضهم، وتهدم مساكنهم، وتدمر مساجدهم ويحرق ثالث مسجد في الإسلام في بلدهم وهم يشاهدون، ويمنعون من الصلاة فيه، ويرون حكومات في الشعوب الإسلامية تخلت عن جهاد اليهود وإخراجهم من بلاد الإسلام، بل إن كثيراً منهم تأمر مع اليهود والنصارى على التخلي عن أرض الإسراء والمعراج.

وإذا أولئك الأطفال يحملون على عدوهم اليهودي حملة الأبطال المغاوير، ولا يجدون في حملتهم تلك سلاحاً يرمون به ذلك العدو إلا الحجر، والعدو يرميهم بكل أسلحته من المسدس إلى الصاروخ، ومع ذلك زلزلوا أقدامه، ونظر الآباء

والأمهات الذين كانوا مستضعفين لليهود، إلى أبنائهم وبناتهم، وهم يخرجون من مدارسهم ومنازلهم حاملين حقائبهم، فإذا رأوا جيش العدو المدجج بالسلاح أخذوا يقذفونه بتلك الحجارة، وهم في كر وفر، مكبرين تكبيراً يزلزل قلوب اليهود، فاستحى آباء الأبطال الصغار وأمهاتهم من القعود الدليل، فهبوا هبة مسلم واحد يقتدون بأبنائهم، ويدلون أنوف اليهود بنفس السلاح (الحجر) الذي يبدو أنه يشير بقرب ظهور أخيه الذي ينطقه الله، فيقول: تعال يا عبد الله، فإن ورائي يهودياً فاقتله..!

وقر سنوات عجاف على يهود يعجزون فيها عن مقاومة الطفل والحجر، فإذا الطفل يشب وينتقل من سلاح الحجر إلى سلاح المتفجرات التي يتقمصها ويتحزم بها ثم يفجر نفسه بين جيش عدوه، فيزداد العدو دهشة، ويشتد خوفه من أن تسري روح الجهاد في شباب الأمة الإسلامية في كل مكان، فيهب المفادون من جاكركتا إلى نواكشوط، مطالبين حكامهم بمناصرة إخوانهم المجاهدين في فلسطين، وتنقلب الأوضاع من هزيمة المسلمين واستسلامهم إلى تحد وجهاد يرد أعداء الله إلى ذلتهم التي كتبها الله عليهم.

ومن هنا بدأ التآمر اليهودي الصليبي المعاصر على المجاهدين، فأقاموا مؤتمر مدريد الذي كان أبرز مصطلح نطق به فيه رئيس وزراء العدو اليهودي (إسحاق شامير) في كلامه هو: (الجهاد) الذي طالب المجتمعين بالقضاء عليه.

وفي سرعة البرق يعقد اليهود — تحت — إشراف النصارى الصليبيين اتفاقات سرية مع من كان — في الظاهر — عدوهم ليتسلم في فلسطين إدارات الشرطة والاستخبارات الفرعية التي تتولى القضاء على الجهاد الذي شكاه منه إسحاق شامير.

نعم..! اليهود لم يستطيعوا الوقوف في وجه أطفال الحجارة، ولا أمام شباب المتفجرات، فاستقدموا لأولئك الأطفال وهؤلاء الشباب آباءهم وإخوانهم، من الطامعين في القعود على الكراسي ولو كانت كراسي شرطة يهودية، لينوبوا عن

اليهود في القضاء على أبنائهم وإخوانهم المجاهدين الذين كانوا سبب استدعاء اليهود لهم...!

وإذا كان لا بد من إبداء ملحوظات على المسلمين الصينيين، في ثورتهم تلك، فلنذكر الملحوظات الآتية، مما ذكره الكتاب:

الملحوظة الأولى: أنهم لم يعدوا للأمر عدته الكاملة^(١).

الملحوظة الثانية: الاختلاف في توقيت الثورات في المقاطعات وعدم التنسيق بين الثوار، حيث كانت كل ثورة تقوم في وقت من الأوقات، فإذا أخذتها القوات المنشورية، قامت ثورة أخرى في مكان آخر^(٢).

وقد مكن ذلك للقوات المنشورية التفرغ لكل ثورة على حدة، ولو أنها قامت في وقت واحد لتشتت قوات العدو تشتتاً يضعفها ولقويت شوكة المسلمين.

الملحوظة الثالثة: عدم صفاء صفوف المسلمين من المنافقين والمندسين فيها الذين لم ينصحوا الله ورسوله والمؤمنين، والعضو الفاسد في الصف يفسد الصف.

الملحوظة الرابعة: خذلان بعض المسلمين إخوانهم الذين كانوا في حاجة إلى عونهم ومناصرتهم عندما أرهقهم عدوهم بقوته، كما حصل من تخاذل حكام (تركستان) عن نصرة المسلمين في (قانسو) و(شنسي).

الملحوظة الخامسة: تفرق المسلمين وتنازعهم إما من عند أنفسهم، وإما بمؤامرة من أعدائهم، في الوقت الذي هم في أشد الحاجة — بل الضرورة — لاجتماع كلمتهم واعتصامهم بجبل الله ضد عدوهم، وقت اشتداد المعارك واحتدامها بينهم وبين الأعداء^(٣).

(١) [من أشار إلى هذه الملحوظات/ محمود شاكر، في كتاب: تركستان الشرقية (ص: ٤٦ — ٤٩].

(٢) [يظهر ذلك من تواريخ تلك الثورات، كما مضى].

(٣) [تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر (ص: ٩٣)، وحاضر العالم الإسلامي (٢) / ٢٣٥، ٢٢٩، ٢٨٢] للأمر شكيب أرسلان.

وهذه هي أعظم طامة مُنيَ بها المسلمون في تاريخهم الطويل، والذي يقرأ أحوال المسلمين في العالم اليوم، لا يخالجه شك في أن غالب أسباب هزائمهم وانتصار أعدائهم عليهم، هو تفرقهم وتنازعهم وعدم اجتماع كلمتهم على الحق، وإذا أراد القارئ دليلاً على ذلك — وما إخاله مريداً ذلك لوضوحه — فليراجع مسيرة المسلمين في فلسطين وفي الفلبين، وفي تايلاند، وفي إريتريا، وفي أفغانستان، وفي كشمير، وفي كثير من بلدان إفريقيا، وفي البوسنة والهرسك، وفي الشيشان، وفي كل مكان في هذا العالم، فإنه سيجد تلك الكارثة هي السبب الرئيس في هزائم المسلمين وفي تأخرهم، وفي تنازع البلدان الإسلامية ومنها الدول العربية عبرة لمن اعتبر!

ومن أعظم ما يدمي قلوب المؤمنين ويغيظها أن ينبري بعض من يزعم العلم والغيرة على الدين لمحاربة دعاة الإسلام وأهله وإطلاق ألسنتهم بالتكفير والسب والشتم على غير هدى من الله، وأمامهم ميادين فسيحة يسرح فيها أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والعلمانيون المنافقون المحاربون لهذا الدين فلا تجد لهم في تلك الميادين سيفاً ولا قلماً، وكأنهم ليسوا لهم بأعداء، فلا يعرفون لهم عدواً يبارزونه إلا دعاة الإسلام!

حالة المسلمين في عهد: جمهورية الصين الوطنية ١٩١١ — ١٩٤٩ م

للكتاب في حالة المسلمين الصينيين رايان:

الرأي الأول: أن حالتهم تحسنت كثيراً في هذا العهد، في كثير من المجالات: التعليمية والاقتصادية والسياسية والعسكرية، وغيرها. ولذلك التحسن ثلاثة أسباب رئيسة:

السبب الأول: أن الحركة الوطنية بزعامة (صون بات صين SUN YAT SEN — أبي الجمهورية) كانت مضطرة إلى توحيد صفوف القوميات الصينية كلها، لتمكين من السيطرة على البلاد، والقضاء على الاضطرابات والمؤامرات التي كانت تحاك ضدها من الداخل والخارج، ولهذا أظهر هذا الزعيم العناية بالمسلمين والإشفاق

عليهم، لما نالهم من اضطهاد وظلم من الحكومات السابقة، وبخاصة في عهد المنشورين.

فقد ترجم الشيخ محمد مكين رحمه الله من كتاب الزعيم المذكور، المسمى بـ(المبادئ القومية الثلاثة) النص الآتي الدال على ما ذكر:

"الغرض الأول من المبادئ القومية الثلاث فك رقاب شعوب الصين من الاستبدادات والاستعمار، وتحقيق المساواة بينها في الحقوق المدنية. وما أصاب المسلمين فيما مضى من الظلم والاضطهاد كان أشد مما أصاب مواطنيهم، والحمية عندهم أقوى منها عند مواطنيهم أيضاً، فيجب علينا أن نشتغل بتنبيه المسلمين ليشاركوا في الحركة الوطنية.

وقد اشتهر المسلمون في العالم بالشجاعة والتضحية، فإذا تنبه المسلمون في الصين كانوا حصناً حصيناً للحركة الوطنية.

والأمة الصينية لن تنسى في صفحات تاريخ المساواة والحرية، ما يقدم إليها إخوانها المسلمون من الإغاثة والمساعدة.

وأول عمل من أعمال الحركة الوطنية مقاومة الاستعمار، ولكن هذا العمل لن يتم على أيدي الأمة الصينية وحدها، فلا بد لإتمامه من اتحاد الأمم المستضعفة في آسيا. والأمم المستضعفة في آسيا هي: الإيرانية والتركية والهندية والأفغانية والعربية، وهذه الأمم كلها إسلامية تكون منها الممالك الإسلامية التي تحرز قوة هائلة في المطالبة بالحرية والاستقلال، وقد أصابها ضغطة شديدة، فلا بد لنا من القيام في صف واحد لمقاومة السياسة الاستعمارية وتخريبها.

وبالجملة لن تنجح الحركة الوطنية الصينية بدون إشراك الشعب الإسلامي، ولن يتم عملنا في مقاومة السياسة الاستعمارية بدون الاتحاد مع الأمم الإسلامية"^(١).

(١) [نظرة عامة إلى تاريخ الإسلام في الصين وأحوال المسلمين فيها، صفحة: ٥١ — ٥٣].

السبب الثاني: أن زعماء الحركة الوطنية — وعلى رأسهم الدكتور صون بات صين — كانوا يدركون ما للمسلمين من صفات عسكرية يتميزون بها...

السبب الثالث: أن المسلمين وقفوا في صف الحركة الوطنية، وأسهموا في توحيد البلاد بقيادة الجنرال (تشينانج كاي شيك) بعد وفات (صون بات سين) لمدة (١٦) عاماً من: ١٩١٢ إلى ١٩٢٨) حيث نجحت الحركة نجاحاً تاماً، وكان القائد المسلم (عمر باي تشونج هُشي) في طليعة قيادة هذه الحركة الوطنية.

السبب الرابع: أن المسلمين — بقيادة (عمر) المذكور — وقفوا صفاً واحداً ضد الغزو الياباني للصين بجانب الحكومة الوطنية للدفاع عن بلادهم وتحريرها من الغزاة.

فقد كوّن المسلمون بقيادة (عمر) المذكور (جمعية الصين الإسلامية) لإنقاذ الوطن سنة: (١٩٣٨م) وكان مركزها الرئيس في مدينة: (تشونج كنج)^(١) ولها ٣٣ فرعاً مركزياً فرعياً في المقاطعات، و(٤٠٠ فرع) في المديریات، وأكثر من (٩٠٠) مكتب محلي في أنحاء البلاد.

مظاهر دفاع المسلمين عن الوطن:

وكان المسلمون في تلك المراكز والفروع والمكاتب، يشاركون المواطنين في الدفاع عن الوطن مشاركة ممتازة، وتجلت مظاهر نشاطهم في المجالات الآتية:

المجال الأول: الدعاية القوية لمناصرة القضية الوطنية، والوقوف ضد الغزاة اليابانيين.

المجال الثاني: جمع التبرعات المالية من المسلمين للإسهام في نفقات الحرب.

المجال الثالث: حث المسلمين — وبخاصة الذين لا يستطيعون التبرع بالمال — على

القيام بالخدمة المجانية في الأعمال الدفاعية.

المجال الرابع: قيام وفود وبعثات من المسلمين الصينيين بزيارات لبعض البلدان

(١) [العاصمة الحربية للصين].

الإسلامية، لمقاومة الدعاية المضللة التي كلفت الحكومة اليابانية بعض المسلمين اليابانيين القيام بها في تلك الدول.

فقد قامت بعثة إسلامية صينية بأداء مناسك الحج عام ١٩٣٩م، ثم زارت بعض البلدان العربية، كما زارت الهند في طريق عودتها إلى الصين.

كما قامت بعثة أخرى من المسلمين بزيارة إلى كل من (جاوة) و(ملايا) عام ١٩٣٩م لشرح القضايا الوطنية الصينية.

وقامت بعثة أخرى منهم بزيارة لباكستان التي استقلت حديثاً لنفس الغرض. "ولقد كان للنشاطات والمجهودات التي قام بها المسلمون الصينيون في الداخل والخارج، أثر كبير في دعم التفاهم والصداقة بين الجمهورية الصينية والبلدان الإسلامية التي تتجاوب وتتعاون معها في كثير من المجالات الدولية حتى يومنا هذا".
مكاسب المسلمين في عهد الحكومة الوطنية:

وقد تحقق للمسلمين في عهد حكومة الصين الوطنية مكسبان رئيسان:
المكسب الأول: التوسع في النشاط التعليمي المدني لأبنائهم الذين كان يغلب عليه قبل ذلك الجهل، حيث أنشئت لهم (٢٠٠) مدرسة ابتدائية في مناطق الصين، كما شجعتهم الدولة على مواصلة التعليم الثانوي والعالي، عن طريق المنح الدراسية والمساعدات المالية.

المكسب الثاني: تمكينهم من الاتصال بإخوانهم المسلمين في البلدان الإسلامية العربية وغيرها، وقد استفادوا من هذا الاتصال تعريف الحكومات الإسلامية بمشكلاتهم، ومساعدة أبنائهم بالمنح الدراسية التي مكنتهم من تعلم أمور دينهم، حتى بلغ عدد الطلاب المسلمون الصينيون الذين درسوا في الأزهر، في فترة الحكومة الوطنية بين عام: ١٩٣١م وعام ١٩٤٩م: (٣٥ طالباً) كما سيأتي^(١).

(١) [راجع لحالة المسلمين في عهد الحكومة الوطنية الصينية كتاب تاريخ المسلمين في الصين في الماضي

الرأي الثاني: لبعض الكتاب الصينيين، وهو عكس الرأي الأول.
وخلاصته: أن الحكومة الوطنية، ألحقت بالمسلمين أذى شديداً: فقتلوا منهم
عشرات — بل مئات — الآلاف، وأحرقوا منازلهم، وهدموا مساجدهم، وضيقوا
عليهم الخناق في عبادتهم^(١)...

وقد ذكر الشيخ محمد مكين رحمه الله — عند نقله وصية أبي الجمهورية (DR. SUN YAT SEN) السابقة — ما ينبئ عن هذا الرأي الأخير، ولكن بأسلوب
الكاتب الواقع تحت ضغط دولة ناقمة عليه وعلى إخوانه المضطهدين، فقال: (وقد
ظهر إهمال حكومة نانكينغ لشؤون المسلمين أنها تمنى لو ينطفئ نور الإسلام في
الصين من تلقاء نفسه، فيندمج شعب المسلمين في شعب الهانين بطبيعة الحال،
ولكن الله يأبى ذلك، فإن دينية المسلمين فوق وطنيتهم، وإذا لم تتعارض الوطنية مع
الدينية فهم مخلصون لوطنهم، وإذا تعارضا فهم متمسكون بدينهم، وهذا هو
السبب الوحيد لمجاملة الحكومة الصينية لرعيته المسلمين ولتمنيها انطفاء نور
الإسلام في الصين.

وهذه الأمنية لا تضرنا، بل تبهنا من نومنا العميق، وتدفعنا إلى الإقدام والمنافسة
لبقاء ديننا الكريم مع وطننا العزيز ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى
أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

والحاضر (ص: ١٣١ — ١٣٨)، فقد استقيت هذه المعلومات من الكتاب المذكور مع شيء من
التصرف].

(١) [نقل هذا الرأي الصحفي المشهور (فهمني هويدي) في كتابه: (الإسلام في الصين) وسلسلة عالم المعرفة،
رقم: (٤٣) — الكويت — شعبان ورمضان — ١٤٠١ هـ صفحة: (١١٨) وعن كتاب: (الصين
المتحررة) الذي نشر في: (بكين) عام: (١٩٥٦م) أي بعد قيام الحكومة الشيوعية بقيادة (مساو) بسبع
سنوات. وقد أشار (فهمني هويدي) إلى أنه قد يكون في هذا الرأي مبالغة، لكونه كتب في عهد حكومة
ذات عداوة شديدة للحكومة الوطنية].

(٢) [سورة البقرة، آية: ٢١٦].

ومما لا نزاع فيه أن معاملة حكومتنا لنا أحسن من معاملة أية دولة من الدول المستعمرة لأهل مستعمراتها^(١)..

وإنما رجاؤنا من حكومتنا أن تعمل بوصية أبي الجمهورية الصينية الدكتور (سون يات سين) (DR. SUN YAT SEN) التي وصى بها أتباعه بالتعاون مع أبناء وطنه المسلمين وإخوانهم في الخارج، في كتابه المقدس عند أتباعه أعضاء الحزب الحاكم^(٢)..

حالة المسلمين في عهد جمهورية الصين الشعبية:

جرت عادة قادة الانقلابات والثورات — وبخاصة قادة الشيوعية — على اجتذاب كافة فئات الشعوب إلى صفوفهم، ليكثروا سوادهم ويقفوا معهم ضد أعدائهم من حكام الدول السابقة.

ويتخذون لذلك كل الوسائل المتاحة التي تغرس ثقة الناس في العهد الجديد، وهذا ما فعله الحزب الشيوعي بزعامة: (ماو تسي تونج) مع فئات الشعب الصيني — وبخاصة المسلمين.

وهو ما فعله زعماء الثورة الشيوعية في روسيا قبل ذلك مع المسلمين في البلدان الإسلامية في وسط آسيا.

وكان معلوماً لدى الثوار أن المسلمين يتوقون إلى تحقيق بعض أهدافهم الضرورية، ومن ذلك الحصول على نوع من الحكم الذاتي في المناطق التي هم فيها أكثرية — مثل تركستان الشرقية التي كانت مع جناحها الآخر: (تركستان الغربية) التي استولى عليها الشيوعيون الروس — دولة إسلامية، لأن استقلالهم الذاتي يكفل لهم حريتهم في إيمانهم وعبادتهم وتعليم أبنائهم، وأداء ما أوجبه الله عليهم وترك ما

(١) [شكوى ذكي!].

(٢) [صفحة: ٥١ من الكتاب المذكور].

حرمه عليهم، وتعليم أبنائهم دينهم الذي ارتضاه الله لهم، والتخلص من الكبت والاضطهاد اللذين سامتهم بهما الحكومات المتعاقبة.

ومن هنا كال لهم القادة الجدد المديح، وأظهروا لهم عدم الاستغناء عنهم، وقد قال (ماو) في أحد خطاباته: (من المستحيل علينا أن نحقق رسالتنا ومهمتنا، إذا لم نكسب المسلمين إلى جانبنا ونضمهم إلى جبهتنا).

ووعدهم بتحقيق أهدافهم، من إقامة حكومة إسلامية مستقلة ذاتياً، وحرية الاعتقاد... وأمر المحاربون الصينيون بالكف عن دخول مساجد المسلمين، وعدم الدخول عليهم في منازلهم بدون استئذان، واحترام أموالهم وأعراضهم.

ونص في الدستور الصيني في المادة: (٨٨) لعام ١٩٥٤م، على حرية الاعتقاد الديني لمواطني الجمهورية الصينية.

وقد أحدث ذلك لدى المسلمين تفاؤلاً وأملًا في مستقبل أفضل مما كانوا عليه، في عهود الحكومات السابقة.

رحم الله السارق الأول!

يُحكى أن رجلاً كان يحفر القبور بعد دفن الموتى فيها، ليسرق أكفانهم ثم يعيد التراب عليهم كما كان، وكان الناس شديدي الكره له، إذا ذكروه صبوا عليه اللعنات، فثوفي وخلف ابناً له اقتدى به في مهنته، ولكنه زاد على ما كان يفعله أبوه شيئاً آخر، وهو أنه يملأ القبر — بعد أخذ الكفن — حطباً ويشعل فيه النار ليحرق الميت! فلما علم الناس ذلك استصغروا جرم أبيه وغدا عندهم يستحق الدعاء بالرحمة — لأن جرم ابنه جعل جرمه تافهاً في نظرهم — فقالوا: رحم الله السارق الأول!.

فقد كانت الحكومات الصينية القديمة برغم جرمها وظلمها للمسلمين، هي السارق الأول الذي يستحق الترحم عليه، بعد أن جاء السارق الثاني (الذي يجب أن تنصب اللعنات عليه)، وهم قادة الثورة الشيوعية الذين فاقوا في جرمهم وظلمهم كل الحكومات التي سبقتهم..

على حد قول الشاعر الصوفي:

وكننت امرأ من جند إبليس فارتمى بي الدهر حتى صار إبليس من جندي
يقال: إن العدنيين كانوا يترحمون على بريطانيا التي احتلت بلادهم فترة طويلة من
الزمن، بعد أن حكمهم أبناء جلدتهم من الشيوعيين وساموهم من العذاب
والحرمان والقتل والسجن والتشريد ما لم تفكر فيه بريطانيا.
ولا غرابة في أن يكون حكام عدن وحكام بكين في صف السارق الثاني، فكلهم
شيوعيون ملحدون! وإن كانوا بعد الانهيار الذي حل بهم يحاولون إن يغيروا
جلدهم القديم، كما يغير الثعبان جلده بعد أن يهترئ!.
وقد ذهب حكام عدن الشيوعيون مع إلحادهم بحملة شعبية وعسكرية، ووجد الله
شطري اليمن بجهود رجال التوحيد... ونسأل الله لهذا البلد التقدم والرفي بحقائق
دينه الذي لا سعادة للمسلمين إلا به^(١).

القضاء على مكاسب المسلمين:

لقد قضى الحزب الشيوعي بقيادة (ماو) على كل المكاسب التي تحققت للمسلمين
في عهد الحكومة الوطنية، بعد فترة قصيرة من قبضته الحديدية على الشعب الصيني.
١ — فاخفت الجمعيات الإسلامية واحدة تلو الأخرى، وحلت محلها جمعية
واحدة، وهي: (الجمعية الإسلامية للصين الشعبية) التي أنشئت عام ١٩٥٣م —
بعد أربع سنوات من قيام الحكومة الشيوعية — واتخذها الحزب الشيوعي وسيلة
لتحريف المبادئ الإسلامية بما لا يخالف منطلقات الدولة العقائدية والسياسية
والاقتصادية والاجتماعية^(٢)...

(١) [ذكر لي بعض علماء اليمن أن كثيراً من أعضاء الحزب الاشتراكي — الذين كانوا أعضاء في الحزب
الشيوعي سابقاً — لم يعودوا يعتقدون بالإلحاد كما كانوا سابقاً — بل أصبحوا يعترفون بالإسلام
ويصلون، ونسأل الله لنا ولهم الهداية والتوفيق، ومن تاب تاب الله عليه].

(٢) [وسبأني الكلام على هذه الجمعية في مبحث خاص يتعلق بالجمعيات الإسلامية الصينية].

وهذه الوسيلة تتخذها كثير من الحكومات العلمانية في البلدان الإسلامية، للحد من النشاط الإسلامي الذي يخالف سياستها، بحيث لا يقوم بالدعوة والتعليم في تلك البلدان إلا من توظفهم تلك الحكومات، أو تأذن لهم بذلك.

٢ — شنت أجهزة إعلام الدولة حملة شديدة على نشاط المسلمين، والتحريض على وقفه وعدم السماح ببقائه على ما كان عليه قبل الحكم الشيوعي.

٣ — أجبر المسلمون على الاشتراك مع غير المسلمين في التجمعات المختلطة (الكومونات) الزراعية والصناعية، بحيث يختلط فيها الرجال والنساء، كباراً وصغاراً، وكان من أعظم ما مس مشاعرهم الزج بقيادة المسلمين من الأئمة والشيوخ في هذه التجمعات، وتكليفهم القيام بما لا يليق بمقامهم ولا بسنهم، وبذلك خلعت مساجد المسلمين وقراهم من الأئمة والمدرسين.

٤ — أغلقت مساجد المسلمين في كل أنحاء الصين، وحولت إلى مصانع ومستودعات، لتخدم الثورة الثقافية التي سموها: (القفزة الكبرى) ما عدا بعض المساجد الموجودة في بعض المدن الكبرى — كمدينة بكين — لاتخاذها لافتات أمام الدبلوماسيين الأجانب، لإقناعهم بأن حرية التدين مكفولة، كما فعل ذلك الروس قبلهم.

٥ — أغلق معهد بكين الإسلامي الذي كان يتبع الجمعية الإسلامية، وقد كان أبناء المسلمين يستفيدون منه — نسبياً — حيث يدرسون فيه القرآن والتفسير والفقه والحديث... فلما أغلق سدت الأبواب في وجوههم لتلقي بعض مبادئ الإسلام، ولو كان كثير منها محرفاً.

٦ — توقف صدور مجلة (المسلمون في الصين).

٧ — توقف سفر بعثات الحج إلى مكة المكرمة.

٩ — هجروا آلاف الأسر الصينية إلى المناطق التي يكثر بها المسلمون، كما هجروا آلاف الأسر المسلمة من مناطقهم إلى مناطق يكثر فيها غير المسلمين، كل ذلك من أجل تذويب المسلمين في المجتمع الصيني والتطبيع بطبعه، والابتعاد عن العادات

الإسلامية التي توارثوها عن آبائهم.

- ١٠ — ألغوا كل المناسبات الدينية التي كان المسلمون يزاولونها، كالعيدين...
- ١١ — أغلقوا مطاعم المسلمين، وحرّموا عليهم ذبح الأنعام بحجة إضعاف الاقتصاد، وضيقوا عليهم الخناق ليأكلوا ما هو حرام عليهم، كلحم الخنزير.
- ١٢ — دعوا المسلمين إلى إحراق موتاهم، كغيرهم من الصينيين، بحجة أن مقابرهم تحتل مساحة من الأرض، فيكون ذلك سبباً في عدم استثمارها، وقد وقف المسلمون وقفة صلبة فحرسوا مقابر موتاهم ودافعوا عنها، فلم تهدم كما هدمت مقابر المسيحيين التي لم تحرس.
- ١٣ — عدلوا المادة الدستورية (٨٨) لعام ١٩٥٤م، التي كانت تنص على حرية الاعتقاد الديني لمواطني الجمهورية، إلى المادة الدستورية (٢٨) لعام ١٩٥٧م ونصها: (للمواطن حرية الكلام والمراسلة والنشر والاجتماع... ولهم حرية الاعتقاد وحرية عدم الاعتقاد في الأديان ونشر الإلحاد).
- وبذلك أصبحت الدعوة إلى الإلحاد دستورية، بخلاف الدعوة إلى الدين — أيّا كان — وبخاصة الإسلام فإنها محظورة.

ولعل في المنشور الذي وجهه الحرس الأحمر للمسلمين في ١١/١٠/١٩٦٦م ما يبين حالة المسلمين البائسة في هذا العهد البغيض:

فقد جاء في المنشور المذكور: (يا رجال الحرس الأحمر لا يمكن أن ندع عدواً من أعدائنا يهرب، وعلينا من الآن فصاعداً أن نهاجم أكثر الأعداء تخفياً — المسلمين الذين يقومون بنشاط ضد الحزب وضد الصينيين تحت قناع الدين المزعوم، ويختبئ أولئك المسلمون في الجوامع وبتوجيه من الاستعماريين، كما تسيطر عليهم الدول الأجنبية ضد بلادنا وشعبنا العظيم، وزعيمنا الجزيل الاحترام الرئيس ماو).

من الآن فصاعداً لن يسمح لكم بأن تضعوا قناعكم الديني على وجوهكم، سنطردكم وندمركم، ومن اليوم فصاعداً لن يسمح لكم بأن تأكلوا لحم الأبقار، لأن الأبقار تخدم الشعب، يجب أن تأكلوا لحم الخنازير... ولا يمكنكم من الآن

فصاعداً أن تضيعوا وقتكم في الصلاة، يجب ألا تتكلموا اللغة العربية التي هي ضد اللغة الصينية، ولن يسمح لكم بأن تقرأوا ما يسمى بالكتاب المقدس (القرآن)!

اسمعوا أيها المسلمون... دمروا جوامعكم!! حلوا المنظمات الإسلامية، أحرقوا القرآن... ألغوا الحظر الذي وضعتموه على الزواج المشترك... كفوا عن الصلاة، ألغوا الختان. . ادرسوا أفكار ماو. .

إذا لم تندموا سنطردكم وندمركم، يجب أن نسحق جحور الجرذ الدينية وندمرها معكم..

فلتحي الثورة الثقافية الكبرى... فليحي طويلاً طويلاً.. الرئيس ماو^(١)...

ومع كل هذا الاضطهاد والتنكيل والظلم الغاشم على المسلمين في عهد الحزب الشيوعي الصيني بزعامة (ماو) جاهد المسلمون في سبيل تمسكهم بما قدروا عليه من دينهم، وتلقوا ما أمكنهم من معرفة دينهم من علمائهم والعمل بما استطاعوا، في تخفٍ وسرية كاملين.

(وتوفي ماو تسي تونج عام ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م، بعد أن أهدرت الثورة الثقافية كل ما بناه المسلمون وأنجزوه منذ إعلان الجمهورية عام ١٩١١م، وبدأ أمامهم المستقبل قائماً كئيماً، وحجبت أخبارهم عن العالم وعن أنظار الباحثين، ولم يتسرب إلا تنف يسيرة مما أمكن أن يتسرب عن المسلمين داخل الصين...) ^(٢).

حالة المسلمين بعد عهد ماو:

الكفر ملة واحدة، والإلحاد هو الإلحاد في عهد ماو وقبلة وبعده، ولكن رعوس الكفر والإلحاد يختلفون في شدة وسائل الظلم والقهر وخفتها - نسبياً - والذي يخفف وسائل الظلم منهم لا يخففها شفقة بالمظلوم أو مراعاة لمصالح الشعب، وإنما

(١) [الإسلام في وجه الزحف الأحمر، للشيخ محمد الغزالي، رحمه الله (صفحة: ٣٦ - ٣٧. مكتبة الأمل -

الكويت) - حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة: (٢/٥٨٠). جميل المصري].

(٢) [حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة: (٢/٥٨٠). جميل المصري].

يفعل ذلك عندما يشعر بأن مصلحته هو مهددة إذا لم يفعل، وهذا ما جرى في الصين بعد وفاة (ماو).

فقد بلغت الحرب الباردة بين هذا الحزب والدول الغربية — التي تزعم بأنها حامية حقوق الإنسان وتدافع عنها — أوجها، وأحس الحكام الشيوعيون بخطر الانهيار الاقتصادي الذي يتبعه الانهيار السياسي، بسبب الدعاية الغربية الداعية إلى التحرر من القهر الشيوعي والقضاء على قاداته، وأخذ الصراع بين الأربعة المتشددين الذين يريدون الاستمرار في تنفيذ سياسة (ماو) والوصاية على تركته، وعلى رأسهم أرملته العجوز، وبين بقية القادة الذين رأوا أنه لا بد لبقائهم من التعديل في تلك السياسة، وتمكن هؤلاء من القضاء على عصاة الأربعة^(١)، وتنفسوا الصعداء من قبضة (ماو) الحديدية التي لم يكونوا قادرين على التخلص منها مع وجوده، وإن كانت الخلافات قد برزت بينه وبين زملائه قبل موته.

وتم القضاء على الأربعة وحصل بعده انفراج نسبي للمسلمين، بسبب الانفتاح على العالم الذي تقرر مبدئياً في عام ١٩٧٨م نال المسلمون قسطاً منه^(٢).

مكاسب المسلمين بعد موت ماو:

وكان من ثمرة ذلك المكاسب الآتية:

- ١ — سمح رسمياً بالاعتقاد الديني.
- ٢ — أعيد فتح المساجد وترميم بعضها.
- ٣ — استؤنف التعليم المسجدي لأبناء المسلمين.
- ٤ — سمح لهم بالاحتفالات الدينية في المناسبات، كالعديد..

(١) [عصاة الأربعة هم: ١ — جان شين، وهي زوجة ماو تسي تونغ. ٢ — وانغ هونغ وان. ٣ — تشوا صون شوا. ٤ — يوا وان يوان ويلصق الزعماء الشيوعيون في الصين بعد وفات ماو كل ما حصل في البلاد من فساد وتدمير وظلم إلى هذه العصاة].

(٢) [موجز أحوال الصين: صفحة (٩٧)].

- ٥ — عادت العطلات الرسمية.
- ٦ — استؤنفت بعثات الحج.
- ٧ — تمكن المسلمون من إعادة جسور اتصالهم بإخوانهم في الأقطار الإسلامية، عن طريق تبادل الزيارات وحضور بعض الندوات والمؤتمرات، وكان أول مؤتمر تمكنوا من حضوره الملتقى الإسلامي في الجزائر عام (١٩٧٩م)^(١).
- ٨ — استطاع الشباب المسلم الصيني أن يسافر إلى بعض البلدان الإسلامية، للدراسة في المعاهد والجامعات الإسلامية، بعد انقطاع طويل، وهذا يعتبر من أحسن الفرص التي أتاحت لأبناء المسلمين، لأنهم بذلك يتفقهون في الدين، ويعودون إلى أهلهم فيعلمونهم مما علمهم الله، وليس بخاف جهل الصينيين الشديد بالإسلام، وحاجتهم إلى من يعلمهم فروض العين التي لا يعذر أحد بتركها، إذا كان قادراً على العلم بها وأدائها^(٢).
- ٩ — تمكن بعض أبناء المسلمين من مواصلة دراستهم في المدارس الحكومية.
- ١٠ — كما تمكنوا من المشاركة في بعض الوظائف الحكومية — وإن كان جلها من الوظائف الصغيرة أو الخدمية.
- ١١ — أعيد فتح مطاعم المسلمين في كل المقاطعات والمدن.
- ١٢ — أتاحت الفرصة — غير الرسمية — للشباب المسلم في الصين أن يقوموا بنشاطات إسلامية مفيدة ومحدودة جداً، كالمخيمات والمعسكرات في حدود

(١) [راجع: حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة: (٥٨١/٢). جميل المصري. وينبغي أن يعلم أن المسلمين الذين مكنتهم الصين من حضور مؤتمرات أو غيرها، هم الذين يتعاونون معها من أعضاء الجمعية الإسلامية، والهدف من موافقتها على خروجهم من الصين هو إشعار المسلمين في خارج الصين أن المسلمين في الصين قد نالوا حريتهم، حتى لا تتحرج الدول الإسلامية من إنشاء علاقات دبلوماسية واقتصادية... أما العلماء الذين تشكل الصين في ولائهم لها فإنها تمنعهم من السفر إلى البلدان الإسلامية].

(٢) [تراجع مقابلي للطلاب الصيني محمد نوح التي ستاتي في هذا الكتاب].

طاقاتهم، حيث يتدرب الشباب في تلك المخيمات على إلقاء بعضهم الدروس على بعض، وتعليم أهل القرى التي تقام فيها تلك المخيمات ببعض المبادئ الإسلامية، كما يتبادلون الخبرات في مناهج الدراسة ويستفيد بعضهم من بعض.... ولكن مراقبة الدولة لنشاط المسلمين — وبخاصة العلماء منهم والأئمة شديدة. وهي تحكم قبضتها على نشاط المسلمين عن طريق الجمعية الإسلامية في بكين، التي توجد لها فروع في كل منطقة يوجد بها مسلمون، ويقوم أعضاء الجمعية بمراقبة المساجد والأئمة، والمدارس والمناهج والمدرسين، ويدون ملحوظاتهم وتبئهم على كل نشاط يخالف سياسة الدولة، ويقدمون تقارير دورية إلى الجهات المختصة في الدولة، مع العلم أن (مكتب الشؤون الدينية التابع لمجلس الوزراء يشرف على جميع النشاطات الدينية لكافة الأديان، ويعمل على فرض مراثيات ومتطلبات الحزب الشيوعي، على كافة الهيئات الدينية، ولا يتم تطبيق نشاط ديني بدون موافقة هذا المكتب، الذي يعمل على توجيه الدين إلى ما لا يتنافى مع سياسة الحزب والحكومة)^(١).

الجمعيات الإسلامية في الصين:

بعد قيام الجمهورية الصينية، أنشأ المسلمون عدداً من الجمعيات الإسلامية، وقد ذكر الشيخ محمد مكي، رحمه الله سبع جمعيات^(٢)..

(١) [داخل أسوار الصين: (٢٦/١) للشيخ محمد بن ناصر العبودي، وسيأتي ما حل ولا زال يحل بمسلمي تركستان الشرقية التي اغتصبتها الصين، وأذاقت أهلها سوء العذاب... وبخاصة في هذه الأيام التي أسجل فيها هذه السطور (١٤١٧/١٠/٥ — ١٩٩٧/٢/١٢ م)].

نقلت وكالة الأنباء العالمية وفاة (دينغ زياو بينغ — الزعيم الصيني في ١٠/١٢/١٤١٧ هـ ٢١/١٩/١٩٩٧ م؟) عندما كنت أبيض معلومات هذه الرحلة.

(٢) [في محاضراته التي ألقاها في القاهرة في شهر ربيع الأول سنة ١٣٥٣ هـ، ونشرت في مجلة الفتح، ثم طبعت في كتيب صغير، سمي: (نظرات جامعة إلى تاريخ الإسلام في الصين وأحوال المسلمين فيها) قدم له الشيخ عبد الدين الخطيب رحمه الله وطبعت المحاضرة].

وهناك جمعية ثامنة ذكرها غيره، وهي:

أولاً: جمعية التقدم الإسلامي.

وهي التي أنشأها أعيان المسلمين برئاسة: (الشيخ عبد الرحمن وانغ هاويان) في مدينة: (بكين) سنة: ١٩١١م. وقد أنشأ أعيان المسلمين في بعض ولايات الصين فروعاً لهذه الجمعية، ومن أقوى فروعها: (الجمعية الإسلامية الصينية) في "يوتان". وقامت الجمعية وفروعها بأعمال مفيدة للمسلمين، وامتد نشاطها إلى (رانجسون) عاصمة (بورما).

من تلك الأعمال:

١ — ترجمة معاني القرآن إلى اللغة الصينية.

٢ — إدارات للمعارف والهداية والصلح والإفتاء..

ثانياً: الجمعية الإسلامية الصينية.

وقد أنشئت في مدينة (شنغهاي) سنة: ١٩٢٣م، أنشأها الأستاذ الإمام هلال الدين (هاتي جنغ HA TE CHING) وزملاؤه، وكانت هدفها: إحياء العلوم الدينية، ونشر فضائل الإسلام، وتنشيط التعليم الإسلامي، وتوطيد كتلة المسلمين. وقد شيدت بناء شامخاً لإدارتها، ومدرسة المعلمين الإسلامية، ومدرسة التهذيب الإسلامية.

ثالثاً: جمعية نقابة المسلمين.

وقد قام بإنشائها الجنرال: (مافو سيانغ MA FU SIANG) وبعض زملائه، في (بكين) سنة ١٩٢٧م، وأنشئت لها فروع في بعض المقاطعات. وكان الهدف من إنشائها توثيق عروة المسلمين وترقية أبنائهم. رابعاً: جمعية الاتحاد الإسلامية.

أنشئت في: (تين تسين) وقد اهتمت بمصالح المسلمين في هذه المنطقة، وطار صيتها في أنحاء الصين لقوة تصديها للدفاع عن الإسلام، وكان من زعمائها: (السيد ليومن يانغ LIU MUNG YANG)، وهي أقدم من نقابة المسلمين.

خامساً: جمعية شبان الشعب الإسلامي الصيني.

وتم إنشاؤها سنة ١٩٣٣م في (بكين). وقد اهتمت بتوثيق الأخوة الإسلامية، والتواصي بالعلم والأخلاق، ونشر الثقافة الإسلامية، والمطالبة بالحرية والمساواة في الحقوق المدنية للشعب الإسلامي الصيني.

سادساً: لجنة الترقية لأبناء المسلمين.

وقد أنشأها عدد من المسلمين، منهم: الأستاذ (ووي كونغ WU TE KUNG) سنة: ١٩٣٣م في: (نانكينغ).

وقد اهتمت بإحصاء شئون التربية الإسلامية، ووضع المشروعات، وتقديم الاقتراحات، وتعميم التربية في المجتمع الإسلامي وترقيته...

سابعاً: جمعية الهداية الإسلامية الصينية.

وقد أنشئت في: (تاي يون TAI YUAN) حاضرة: (شانسي SANSI) ورئيسها: الأستاذ (ماجون تو)^(١)...

ثامناً: الجمعية الاتحادية الإسلامية.

التي أنشئت سنة ١٩٣٨م وكان رئيسها: الجنرال (عمر باي تشونغ) وزير الدفاع الصيني حينذاك، وكان هدفها مقاومة العدوان الياباني وتوثيق العلاقات مع الدول الإسلامية^(٢).

هذه الجمعيات الثمان — وغيرها — كلها أنشئت في عهد الحكومة الوطنية، وقد اختفت جميعاً في عهد الحزب الشيوعي كما سبق، واختفاؤها دليل على ما تم بعد ذلك من حرب سافرة للإسلام والمسلمين.

(١) [المراجع السابقة].

(٢) [راجع كتاب: المسلمون في الصين — جمال محمد العبد المنعم. الطبعة الأولى — لجنة الدعوة الإسلامية — الكويت ص: ١٦٢].

الجمعية الإسلامية الصينية والغرض من إنشائها:

أنشئت هذه الجمعية كما سبق في عام (١٩٥٣م) بعد انتصار الحزب الشيوعي على الحكومة الوطنية واستيلائه على البلاد بأربعة أعوام، وكان الغرض الحقيقي من إنشائها إحكام الحزب السيطرة الكاملة على جميع أنواع النشاطات الإسلامية، بحيث لا يزاول المسلمون في عباداتهم وعاداتهم، في منازلهم ومساجدهم ومناسباتهم، إلا ما تأذن لهم به الدولة، مما لا يعارض سياستها المرسومة.

رأي مسلمي الصين في الجمعية الإسلامية الصينية:

تنبيه: أفراد هذه الجمعية بشيء من التفصيل أمر مهم، لأمر:

الأمر الأول: أنها هي الجمعية الرسمية الوحيدة التي تشرف على شئون المسلمين في الصين. ولا يجرؤ أحد من المسلمين على الخروج عن توجيهاتها علناً، لأنها إدارة حكومية — في حقيقة الأمر — وهي تعمل تحت إشراف مكتب تابع لمجلس الوزراء، مسئول عن الشؤون الدينية.

الأمر الثاني: انخداع كثير من المسلمين في خارج الصين، أو من تمكن من زيارتها منهم باسم الجمعية وما تبثه من الدعاية التي تخدم الحزب الشيوعي، وكثير منها غير صحيح وليس في مصلحة المسلمين في الصين^(١).

الأمر الثالث: أن لهذه الجمعية — مع سلباتها — بعض الإيجابيات، والإنصاف يقتضي ذكر ما لها وما عليها.

الأمر الرابع: أن بعض موظفيها قد لا يكونون راضين بكل ما يجري فيها، ولكنهم مضطرون لعمل ما أمكن من مصالح للمسلمين، مع تحمل ما فيها من مفسد. لمسلمي الصين في هذه الجمعية ثلاثة آراء، آرايان معلنان متعارضان، ورأي خفي

(١) [في الغالب].

يوافق أحد الرايين المعلنين^(١):

الرأي المعلن الأول:

يرى أصحابه أن هذه الجمعية هي جمعية حكومية، يقوم الموظفون فيها — وإن كانوا ينتسبون إلى الإسلام — بتنفيذ سياسة الحكومة التي خدعتهم في أول الأمر بوعدهم بمستقبل مشرق لهم ولأبنائهم، كما أرادت أن تخدع بهم العالم الإسلامي بشائهم على الحزب الشيوعي، وأنه أعطى المسلمين حرية كافية في عبادتهم وعاداتهم، لتتمكن الدولة بذلك من إقامة علاقات سياسية ودبلوماسية واقتصادية وثقافية وعسكرية، مع حكومات الشعوب الإسلامية، وأهل هذا الموقف المعلن هم الذين يعيشون خارج الصين الشيوعية.

ومن يرى هذا الرأي المسلم الصيني (بدر الدين حي) الذي عمل مستشاراً في سفارة الصين الوطنية في المملكة العربية السعودية بجدة في التسعينات الهجرية، والسبعينات الميلادية.

وسألخص رأيه من كتابه: (تاريخ المسلمين في الصين)^(٢).

١ — فهو يرى أن الشيوعيين أظهروا للمسلمين في بداية حكمهم، نوعاً من التسامح لإرضائهم، مكرراً وخداعاً لإماتهم في النهاية.

٢ — وأن من مكرهم وخداعهم طلبهم من بعض الزعماء المسلمين، تكوين جمعية إسلامية شعبية في البر الصيني، لتعمل تحت توجيهات السلطة الشيوعية^(٣).

(١) [استخلصت هذه المواقف الثلاثة من زيارتي للصين، ومن قراءتي لكتاب صينيين مسلمين].

(٢) [كتب مقدمة هذا الكتاب في ٢٥ رمضان من عام ١٣٩٥هـ].

(٣) [وقد ذكر منهم أسماء سبعة زعماء، وهم: ١ — برهان الدين الشهيدي (حاكم سينكيانج آنذاك). ٢ — سيف الدين (وهو من أهالي شمال سينكيانج) ٣ — الشيخ إبراهيم دابو تشنغ (وهو من شنغهاي) ٤ — الشيخ محمد مكين (وهو من يونان) ٥ — السيد تواضع بانغ. ٦ — السيد يانغ تشونغ زين (وهما من شمال الصين)].

٣ — وأن الحكومة أجبرتهم — بعد أن أنشئوا مراكز تعليمية واجتماعية كثيرة في مناطق الصين — على تأليف كتب عن الإسلام وترجمة لمعاني القرآن، تتفق مع النظريات الشيوعية^(١).

٤ — و أن من أهم أغراض الحزب الشيوعي من إنشاء هذه الجمعية، تقييد حركة المسلمين وتحديد نشاطاتهم التي خشوا من توسعها وعدم السيطرة عليها، لو تركوا المسلمين ينشئون لأنفسهم جمعيات بعيداً عن سيطرة الدولة.

٥ — خداع المسلمين في البلدان الإسلامية، ووفود الزائرين منها للصين، وأعضاء السلك الدبلوماسي منهم، عن طريق هذه الجمعية، بأن المسلمين لهم حرية كاملة في ممارسة شعائرهم الدينية، وأن لهم جمعية ترعى حقوقهم، وأن لهم مساجد ومراكز إسلامية في كل أنحاء الصين^(٢).

٦ — وأن من أساليبهم الماكرة في خداع المسلمين خارج الصين، قيام الجمعية المذكورة بطبع مجموعة من الرسائل والكتب باللغات العربية والإنجليزية والصينية، تعبر عن نشاط المسلمين في كل نواحي الحياة في الصين على نفقات الحكومة الشيوعية، وأمروا موظفي الجمعية بتوزيع تلك الكتب على الزوار المسلمين، ليعودوا إلى بلدانهم بتصور سليم عن معاملة الشيوعيين للمسلمين، كما بعثوا بتلك

(١) [يعني تحريف معاني القرآن ومبادئ الإسلام، ومن الأمثلة التي ذكرها الكاتب لتحريف معاني القرآن، تفسير قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ وأن المراد من قوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ الخضوع الكامل لمن يستحق العبادة من كبار الزعماء الشيوعيين ورئيسهم الأعلى: (ماو تسي تونغ) وأن معنى ﴿أَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ هو إطاعة من جاء بالرسالة الشيوعية رحمة لطبقة الكادحين، ومعنى: ﴿أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ أي الذين هم من أمتكم وقومياتكم. . فأولو الأمر في الصين هم الحكام الشيوعيون!!!].

(٢) [وذكر الكاتب أن هذا الخداع انطلى على بعض من زاروا الصين من كبار المسلمين، ومنهم الشيخ حسن الباقوري الذي كان وزيراً للأوقاف في مصر، وأن هؤلاء الزوار صرحوا بما أرادت الحكومة الشيوعية تحقيقه عن طريق هذه الجمعية، وهو أن السلطة الشيوعية تمنح قدراً كبيراً من الحرية في العقيدة والعمل والعبادة].

الكتب إلى سفاراتهم في الخارج ليوزعوها على المسلمين.
وقد نقل الشيخ بدر الدين، ملخصاً لما جاء في تقرير سكرتير الجمعية العام الذي رفعه إلى مجلسها التنفيذي عام: ١٩٥٥م، للاستدلال به على أن الجمعية كانت مطية لتحقيق أهداف الحكومة الشيوعية، وهو خداع المسلمين في البلدان الإسلامية بأن المسلمين في الصين ينالون كل رعاية واحترام، وتحريف معاني الإسلام تحريفاً يتفق مع مبادئ النظريات الشيوعية، وهذا نص ما ذكره بدر الدين في كتابه المذكور:

(....) فإلى القراء بعض ما جاء في تقرير سكرتيرها العام "مايو كوي" المرفوع إلى مجلس الجمعية التنفيذي في نوفمبر ١٩٥٥م، قال فيه: (إن الجمعية قد كملت الأعمال التالية خلال السنتين الماضيتين عقب تشكيلها:

١ — إنما قد وضعت تخطيطاً لازماً لإصلاح التعليم الديني الإسلامي على أساس: "حب الوطن والحرية الدينية" وفقاً لسياسة الدولة في الصين الشيوعية.
٢ — إنما قد عملت الترتيبات اللازمة لاستقبال الزعماء المسلمين، الذين وردوا من البلدان الإسلامية في الشرق الأوسط وجنوبي شرق آسيا، لزيارة الصين الشيوعية والترحيب بهم والحفاوة بهم، وتقديم الخدمات اللازمة لهم مدة إقامتهم في الصين، فضلاً عن تزويدهم بالمعلومات اللازمة عن أوضاع المسلمين في الصين الشيوعية المتحررة.

٣ — إنما قد أرسلت بعض أعضائها العاملين إلى مؤتمر (باندونغ) بإندونيسيا، ضمن الوفد الحكومي الصيني، كما قامت بإرسال وفد إلى مؤتمر السلم العالمي في (هلسنكي).

٤ — قد بعثت بعثات الحج إلى مكة المكرمة في سنة ١٩٥٥م، وتعدّد النية على تكرار بعثات الحج إليها في السنوات القادمة، على نفقة الحكومة، وذلك لتوثيق العرى مع البلدان الإسلامية أثناء موسم الحج وبعد الموسم.

٥ — إن الجمعية قامت بترجمة دستور الصين الشعبية، إلى اللغة العربية وقامت

بطبعه في بكين، كما طبعت القرآن باللغة العربية على المطبعة الحكومية، مع وضع تفسير له باللغة الصينية، على ضوء المبادئ والنظريات الماركسية.

٦ — إنها قد أخرجت أفلاماً عن حياة المسلمين ونشاطاتهم في بكين خاصة، وفي أنحاء الصين الشيوعية على وجه عام، مع شرح باللغات الثلاث: العربية والصينية والإنجليزية، كما قامت بطبع الكتب ونشر المجلات بتلك اللغات الثلاث، تنوه فيها بحياة المسلمين ونشاطاتهم في الصين الشعبية المتحررة...^(١).

الرأي الثاني المعلن:

هو موقف غالب العلماء والأئمة والموظفين العاملين في أجهزة الدولة، والمنخرطين في سلك الحزب الشيوعي — ومنهم أعضاء الجمعية أنفسهم، سواء كانوا في إدارتها المركزية، أو في الإدارات الفرعية — وكذلك بعض الكتاب المثقفين من المسلمين، وهؤلاء يشيدون بالجمعية وأعمالها، وبالدولة ودعمها للمسلمين إشادة مطلقة مبالغاً فيها، ويزعمون أن الدولة لا تتدخل في شئون المسلمين الدينية، ويعترفون بأن منهج الجمعية يسير على وفق سياسة مبادئ الحزب وسياسة الدولة^(٢).

ومن نماذج هذا الموقف: مؤلف كتاب: المسلمون الصينيون — أسئلة وأجوبة — قال في كتابه المذكور^(٣):

(تنفذ الحكومة الصينية سياسة الحرية في الاعتقاد الديني، فتحترم الاعتقاد الديني للمسلمين... وقد تأسست في عام ١٩٥٣م الجمعية الإسلامية الصينية في بكين

(١) [راجع الكتاب المذكور (من صفحة: ١٥٧ إلى ١٦١)].

(٢) [هذا مع العلم أن بعض أعضاء الجمعية قد يقول ما يقول مضطراً، ليدراً عن نفسه الضرر إن هو لم يفعل، وقد يرى أن من المصلحة الثناء على الجمعية وعلى الدولة، ليتمكن من عمل ما قدر عليه لإخوانه المسلمين].

(٣) [وهو باللغة العربية، صفحة: ٢٠٢ الطبعة الأولى — دار النشر باللغات الأجنبية — بكين].

أولاً، ومن ثم تأسست جمعيات إسلامية محلية في سائر المقاطعات والبلدان والمناطق ذات الحكم الذاتي، وفي المناطق والمحافظات والمدن التي يتجمع فيها المسلمون، ليدبروا بأنفسهم شؤونهم الداخلية دون تدخل الحكومات فيها...^(١).

وقال في موضع آخر^(٢) مبيناً بعض وظائف الجمعية:

(ومهام الجمعية الإسلامية الصينية هي مساعدة الحكومة على تطبيق سياسة الحرية في الاعتقاد الديني، وتطوير التقاليد الإسلامية الحميدة، وحماية الحقوق الشرعية لرجال الدين الإسلامي والمسلمين، وتحسين إدارة الشؤون الدينية، وتوحيد المسلمين من مختلف القوميات، لحب الوطن الأم والاشتراك في البناء الاشتراكي المادي والمعنوي، ودفع قضية توحيد الوطن... والتقيّد بالقوانين).

الرأي الثالث الخفي:

وهو يوافق الرأي الأول: وهو موقف العلماء والأئمة وطلاب العلم الذين رزقهم الله الفقه في دينه، وهم الذين يعيشون في داخل الصين الشيوعية.

وهؤلاء كثيرون، ولكنهم لا يجرؤون على إعلان موقفهم، لعلمهم بما تفعله الحكومة لمعارضيهما، فقد أهانت آلاف العلماء وسجنت وقتلت كثيرا منهم، في عهد الثورة الثقافية، ولا زالت تبرص بمن يظهر منه شيء من المخالفة^(٣).

ولكنهم إذا وجدوا من يثقون فيه، لا يترددون في البوح له بأشجانهم والمظالم الشيوعية التي تتزل بهم وبأسرهم، وبعض هؤلاء هم ممن أودوا في أنفسهم وأسرهم

(١) [نعم إذا التزموا بالتعليمات التي تصدرها الحكومة والتقيّد بها في نشاطهم، أما إذا خرجوا عن تلك التعليمات — ولو كان ما يعملونه من جوهر الإسلام — فهي لهم بالرصد وبعضهم على بعض رقيب!].

(٢) [صفحة: ٢٠٩].

(٣) [وهي تغلق كثيراً من المساجد التي قد يشد بعض أئمتها عن تنفيذ توجيهاتها، كما تغلق المدارس التي لا تثق في القائمين عليها، ولا تردد في اعتقال من لا يتقيّد بأوامرها، بل إنها تقتل العشرات من المسلمين الذين يطالبون ببعض حقوقهم الضرورية، كما هو الحال الآن في تركستان الشرقية (سينكيانج)].

وأموالهم وأودعوا في السجون فترات طويلة، ولا زالت الدولة تراقبهم وتحذرهم من الخروج عن سياستها المرسومة وتحد من نشاطهم...

ومن الكتاب الذين أظن أنهم من هذا الصنف مؤلف كتاب: (الإسلام في الصين) ويدعى: (إبراهيم فنغ جين يوان)، فقد تصفحت هذا الكتاب — ولم أقرأه كله — وقرأت فهرسه فلم أجد فيما قرأت فيه ذكراً للجمعية الإسلامية الصينية، مع أن عنوانه يقتضي ذكرها، ولم يشد بالحكومة الصينية كغيره من الكتاب الذين يعيشون في داخل الصين.

رأيت له — فيما قرأت من كتابه — نصاً مختصراً يشير فيه إلى موقف الحكومة الصينية في سياق ترميم المساجد، وهو قوله: (ونظراً إلى استمرار الحكومة الصينية في تطبيق سياسة حرية العقيدة الدينية، واحترام الأعراف لدى الأقليات القومية، تم ترميم كثير من المساجد العريقة والمقابر الإسلامية)^(١).

وهي عبارات أراد بها المؤلف فيما يبدو التخلص من اتهامه بالعداء للدولة ومبادئها. كما أن غالب ما يذكر من المنجزات الإسلامية — إن لم يكن جميعه — متقدم التاريخ، أي قبل قيام الحكومة الشيوعية، إلا ما كان من جهود شخصية قام بها بعض علماء الإسلام، مع أن الرجل عمل في موقع علمي مهم، وهو: (معهد البحوث الدينية التابع لأكاديمية العلوم الاجتماعية الصينية).

ما للجمعية الإسلامية الصينية وما عليها:

قاعدة مهمة:

إن العدل يقتضي — مع ذكر السلبيات لأي شخص أو مؤسسة أو جماعة أو دولة — أن تذكر معها الإيجابيات، بل ويقتضي مع ذلك دراسة ظروف السلبيات، ومعرفة ما إذا كان صاحبها قد تعمدتها، أو عملها مكرهاً أو جاهلاً، ولا يجوز لمن

(١) [صفحة: ٥٨.. وقد طبع الكتاب في بكين — دار النشر باللغات الأجنبية سنة ١٩٩١م].

تنقل إليه الأحداث وآثارها من موقعها، أن يتسرع في الحكم على أهلها، وهو بعيد عنها لم يعلم أحوال أهلها علماً يسوغ له إصدار حكمه جزافاً، كما قد يفعله بعض من يدعون العلم وينصبون أنفسهم بمرحيين معدلين، بدون روية ولا تثبت! وإذا عدنا إلى السيرة النبوية رأينا فيها ما يرشدنا إلى هذه القاعدة المهمة.

فقد أذن الله ﷻ لمن أودى أذى لا قدرة له على تحمله، أن ينطق بلسانه كلمة الكفر — مع اطمئنان قلبه بالإيمان — كما في قصة عمار بن ياسر ؓ، وقد أنزل الله تعالى ذلك في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١). والقصة معروفة.

وقد ثبت في الحديث الصحيح أن الصحابة ؓ، عندما نزل قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢). اشتد عليهم الأمر، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق... وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها. قال رسول الله ﷺ: (أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم. فأنزل الله في إثرها قوله: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^(٣). فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى: فأنزل الله ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا

(١) النحل: ١٠٦.

(٢) [البقرة: ٢٨٤].

(٣) البقرة: ٢٨٥.

لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴿١﴾ (قال: نعم) ^(١).

فقد عذب كفار قريش (عمار بن ياسر) رضي الله عنه عذاباً شديداً لم يطق الصبر، من أجل أن يسب دين محمد ﷺ، ففعل بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان، وجاء إلى الرسول ﷺ خائفاً من أن يكون قد خرج بذلك من زمرة المؤمنين، فأنزل الله تعالى آية النحل دالة على أنه معذور فيما فعل، وأن إيمانه باق، وهي شاملة لكل من ناله من الأذى ما نال عماراً، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وآيات البقرة واضحة في أن الله لا يحمل خلقه ما لا يطيقون، وأنه لا يكلف نفساً إلا وسعها.

والمؤمنون ليسوا سواء في قوة الصبر على الأذى وتحمله، فقد يصبر مؤمن على أذى لو نزل جزء منه على مؤمن آخر نفذ صبره، وقصة بلال رضي الله عنه مع قصة عمار خير شاهد لهذا وهذا، فقد اشتد على بلال عذاب المشركين، فصبر وكان يقول: أحذُّ أحداً! وقصته معروفة في السيرة النبوية.

وعلماء الصين في عهد الحزب الشيوعي — وبخاصة في وقت الثورة الثقافية التي سميت بالقفزة الكبرى — لا أظن أن وسائل تعذيب عمار في عهد قريش تبلغ عشر معشار وسائلها التي توافرت لدى أعدائهم لتعذيبهم، وإيمان علماء الصين — وغيرهم — لا يبلغ مبلغ إيمان عمار، فضلاً عن إيمان بلال، رضي الله عنه.

فإذا ما حصل لهم من التعذيب والإكراه ما لا طاقة لهم به وكان فوق وسعهم، أو خافوا من وقوعه بهم خوفاً حقيقياً دلت عليه الظروف المحيطة بهم، فهم معذورون فيما حصل منهم كما تدل عليه الآيات والأحاديث.

لكن قد يقال: إنه يوجد فرق بين ما حصل من عمار وما حصل لأعضاء الجمعية

(١) [صحيح مسلم: (١١٥/١) - (١١٦)].

الإسلامية الصينية من وجهين:

الوجه الأول: أن ما حصل من عمار من الاستجابة لما طلبه المشركون، كان قاصراً عليه، أما ما حصل من بعض علماء الصين من تحريف لبعض معاني القرآن، استجابة للحزب الشيوعي، فإنه متعد إلى غيرهم من المسلمين، وهو تأثرهم بذلك التحريف الذي يجعلهم يفهمون منه غير مراد الله تعالى، والضرر المتعدي غير الضرر القاصر، لأن الضرر المتعدي تفتن به أمة، وليس فرداً، وما تفتن به الأمة لا يعذر صاحبه، بل يجب عليه أن يصبر على ما يناله، ومن هنا صمد الإمام أحمد رحمه الله للفتنة، ولم يستجب لما طلب منه خصومه وأخذ بما أخذ به بلال من العزيمة.

الوجه الثاني: أن ما حصل من عمار لم يكن يخشى منه التباسه على الناس بالتشريع وفهمهم له أنه من الإسلام، لأن قريشاً كانوا يعلمون أنه فعل ما فعل استجابة لطلبهم الذي أكرهوه عليه وهو إعلان سبه للإسلام، وليس الاعتراف بمعان جديدة تخالف الإسلام، ولأن الرسول ﷺ كان بين أظهرهم، ينزل عليه الوحي ويبلغ به الناس، أما ما حصل من الجمعية فهو تحريف بعض معاني الإسلام وزعم أنها من الإسلام مع تسجيلها كتابة في ترجمات معاني القرآن أو الحديث، أو غيرهما من كتب العقيدة أو العبادة أو الأخلاق، وإعلام المسلمين — وعامتهم جهال — بأن ذلك حق يرضاه الله ورسوله، ولم يكن أحد يجرؤ على إعلان ما يخالف ذلك — وإن وجد من صبر على البلاء ورفض الانضمام إلى من وافق على التزييف. وهنا يكمن الخطر وهو إضلال المسلمين بما حصل من التحريف.

والجواب: أن الإنسان مكلف بما يطيق، وما لا يطيقه لا يكلفه الله به، لا فرق بين قاصر ومتعد، ولهذا لم يصبر زملاء الإمام أحمد من العلماء على ما صبر عليه هو، ولم يستطيعوا الصمود مثله، فأخذوا بما أخذ به عمار، فهو من عذر المكروه الذي لا يؤاخذ الله صاحبه ما دام قلبه مطمئناً بإيمانه.

أما فيما يتعلق باللبس الذي يخشى على عامة المسلمين منه، فالواجب على من أكره على شيء من ذلك أن يتقي الله جهده، وأن يحاول اتباع المعارض التي قد يتخلص

بها من فتنة المُكْرَه (بكسر الراء) ويكون الاحتمال الراجح فيها هو الحق لا الباطل، فإذا فعل ما استطاع من ذلك، فهو معذور أيضاً لعموم النصوص، فإذا كان قادراً على التخلص من اللبس ولم يفعل كان آثماً...

هذا، وقد وجد من علماء الصين من صبر على البلاء كما صبر بلال، كما سيأتي في قصة الشيخ محمد أمين.

كما وجد غيرهم من دعاة الإسلام الذين صمدوا حتى أزهقت نفوسهم في سبيل الله، في بلدان كثيرة في العصور الغابرة والحاضرة، ومنهم سيد قطب وإخوانه الذين قتلهم عبد الناصر بعد أن أنزل بهم من التعذيب ما يزلزل الجبال لو كانت لها أرواح، وغالبهم لم يستطيعوا ذلك.

ونقل الصحفي المصري فهمي هويدي ما يدل على أن الدولة كانت تراقب أفراد المسلمين في بيوتهم، لتعاقب من تجده يصلي، وهذا نصه: (قال لي الحاج محمد علي رئيس الجمعية الإسلامية: إن من كان يريد أن يؤدي الصلاة العادية في بيته آنذاك، كان يتخفى في ركن جانبي ويؤدي الفريضة، بينما هناك من يحرسه ليحذره من أي قادم يضبطه متلبساً بالوقوف بين يدي الله^(١)).

كما نقل أنه تعرض للتعذيب والإهانة في عهد الثورة الثقافية كبار العلماء، بما فيهم رئيس الجمعية ونائبه^(٢)...

والله تعالى هو العالم بمن أكره منهم وقلبه مطمئن بالإيمان، ومن باع دينه بدينه أو دنياه غيره، وهو وحده الذي يحاسبهم، أما نحن فعلينا بيان الحق والتواصي به، وحسن الظن بالمسلم ما وجدنا إليه سبيلاً، والله المستعان.

أما من استجاب للشيوخيين وحرف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لينال منصباً أو

(١) [الإسلام في الصين، صفحة: ١٤٧].

(٢) [نفس المرجع: ص: ١٤٥. فهمي هويدي].

جاهاً، أو لمجرد توهم أن يصيبه أذى، فهو آثم داخل في زمرة أهل الكتاب، كما سيأتي، إذ يجب أن يعلم أن من أكره على إعلان شيء يخالف الإسلام، يجب عليه أن يبين للناس ذلك إذا تمكن سراً، وأنه إذا زالت أسباب الإكراه وجب عليه أن يبين ذلك علناً، وهذا هو الواجب على أعضاء الجمعية الإسلامية الصينية وغيرهم ممن دخل في حكمهم بعد أن خف الضغط عليهم..

فإذا استمروا على إقرار تحريفهم مع قدرتهم على بيانه فذلك دليل على رضاهم به، فهم آثمون عند الله ولا عذر لهم، وعليهم إثم تحريفهم وإثم من عمل به إلى يوم القيامة وهم داخلون في زمرة أهل الكتاب الذين حرفوا كتاب الله ليشتروا به ثمناً قليلاً..

كما قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾^(١).

وقد أخبرني بعض الطلبة الصينيين أن بعض أعضاء الجمعية كانوا — بعد أن خفت الوطأة عليهم — لا يصلون وينصحون الطلاب الذين يحافظون على الصلاة أن يتركوها، وهذا دليل على فقدهم الإيمان من قلوبهم، أعاذنا الله من سوء الخاتمة.

وينطبق عليهم وعيد الله لمن كتم الحق أو لبسه بالباطل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعُنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً

(١) البقرة: ٧٩.

(٢) البقرة: ١٥٩-١٦٠.

أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢).

المصالح التي تحققت للمسلمين بوجود الجمعية:

وقد تحققت للمسلمين مصالح لا يمكن إنكارها عن طريق هذا الجمعية — بصرف النظر عن السلبات التي حصلت منها — ومن أهم تلك المصالح ما يأتي:

أولاً: طبع وتوزيع القرآن الكريم، وبعض كتب الحديث، وبعض الكتب الدينية (٣).

ثانياً: إنشاء المعهد الإسلامي الصيني لتخريج الأئمة والباحثين في بكين (٤).

وتبع ذلك إنشاء فروع مشابهة له في مناطق مختلفة من الصين، بلغت تسعة معاهد.

ثالثاً: المساعدة على ترميم المساجد.

رابعاً: مساعدة الجمعيات الإسلامية التابعة لها في المناطق الصينية.

خامساً: بعث بعض الطلاب الصينيين إلى بعض البلدان الإسلامية للدراسة.

(١) البقرة: ١٧٤، ١٧٥.

(٢) آل عمران: ٧١.

(٣) [ذكر الشيخ محمد العبودي في كتابه: داخل أسوار الصين (٢٧/١) ط ١ أن الجمعية طبعت في السنوات

الأخيرة: ١ — القرآن الكريم ٢ — ترجمة معاني القرآن الكريم لفضيلة الشيخ محمد مكي باللغة الصينية ٣

— ترجمة جواهر البخاري، مع شرح القسطلاني باللغتين: الصينية والتركتانية ٤ — تفسير الجلالين ٥ —

اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان. ٦ — دعاء ختم القرآن ٧ — خطب الجمعة ٨ — نور اليقين في

سير سيد المرسلين].

(٤) [أغلق هذا المعهد في عهد الثورة الثقافية، وأعيد فتحه سنة ١٤٠٢ هـ تقريباً كما أشار إلى ذلك الشيخ

محمد العبودي في كتابه السابق. والهدف من هذا المعهد وفروعه تخريج أئمة وخطباء وموظفين في منهج

تشرف عليه الدولة عن طريق الجمعية].

سادساً: تنظيم وفود الحجاج إلى بيت الله الحرام.

سابعاً: تمكين المسلمين من الاحتفال بالمناسبات الدينية — وبخاصة العيدين المباركين.

ثامناً: استقبال وفود البلدان الإسلامية التي رغبت في زيارة المسلمين في الصين^(١).

تاسعاً: حضور أعضاء الجمعية بعض المؤتمرات والندوات الإسلامية في البلدان الإسلامية؛ وفي حضورهم كذلك فائدة، لأنهم يسمعون من أعضاء المؤتمرات والندوات آراء مهمة حول حقوق المسلمين التي حرمتهم منها الحكومة الصينية، والضغط التي مارستها في حقهم، وينقل أعضاء الجمعية الحاضرين للحكومة ذلك، وهي قد تراعي مشاعر المسلمين حرصاً على مصالحها في دولهم.

عاشراً: الجمعية — وفروعها — تعتبر مظلة لنشاط المسلمين العبادي والتعليمي، يستطيع العلماء والأئمة والدعاة الصالحون القيام بتعليم المسلمين وتوعيتهم بالحكمة، والبعد عن الإثارة والتعرض لما يغري السلطات الحكومية بصددهم والحد من نشاطهم^(٢).

ما يؤخذ على الجمعية:

١ — أنها لم تهتم — فيما أعلم — بتصحيح ما حصل من التحريفات في المعاني الإسلامية.

٢ — أنها تشجع الخرافات — كما هو الحال في كثير من الأقطار الإسلامية.

(١) [وفي ذلك فائدة عظيمة، لأن الوفود الزائرة — مهما أحيطت بالتنظيمات الرسمية التي تحول بينها وبين اتصالها بالمسلمين — تحصل على معلومات عن المسلمين وتنقل ذلك للمسلمين في الخارج، كما أنها تبدي نصحتها لأعضاء الجمعية، وذلك يجعل حكومة الصين تخفف من ضغطها على المسلمين وتسهل لهم بعض ما كانت تشدد عليهم فيه].

(٢) [كثير من هذه المصالح التي تحققت من خلال الجمعية يعترف بها المسلمون، ويمكن مراجعة كتاب: (المسلمون الصينيون) صفحة ١٩٨ وما بعدها].

٣ — أن كثيراً من أعضائها يضيّقون ذرعاً بطلبة العلم الذين يتمكنون من الحصول على منح دراسية خاصة ليست عن طريقهم — وبخاصة من فهم الإسلام منهم فهماً صحيحاً مخالفاً لما نشره في كتبهم ومعاهدهم — وقد يحرضون عليهم الدولة من أجل إيدائهم، ويحذرون المسلمين من الطلاب الذين يسموهم بالوهابيين، وهم الذين يتمسكون بالكتاب والسنة، وينبذون الخرافات^(١).

٤ — يعارضون طريقة تدريس العلماء الذين رزقهم الله فهماً صحيحاً للإسلام، في المدارس الإسلامية، ولا يشجعون نشر الأفكار الإسلامية الواعية التي تنبه عقول المسلمين على أسباب قوتهم، وأسباب ضعفهم، ووجوب تطبيق دينهم في حياتهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، بل يحرضون على بقاء المسلمين على ما فهموه من تعاليمهم الماضية.

٥ — المبالغة في التقرب من الدولة بما يرضيها، ولو كان في ذلك ما يمس الإسلام والمسلمين^(٢).

٦ — حرصهم على عدم وجود أعضاء في الجمعية، يخالفونهم في طريقتهم التي يسيرون عليها.

والواجب على من زار الجمعية المذكورة أو بعض أعضائها، في الصين من علماء الإسلام ودعاته، أو اجتمع بهم في خارج الصين أن يحضهم النصيح، ويبين لهم واجبهم في بيان حقائق الإسلام، وتعاونهم مع العلماء والأئمة المتفقهين في الدين،

(١) [لكن بعض هؤلاء الطلاب لا يحسنون مخاطبة الناس، بل قد يقفون مواقف تنفر منهم أئمة المساجد ممن فيهم صلاح ولديهم استعداد لقبول الحق، فتجد الطالب الصغير الذي قد يكون مستواه أقل من المرحلة المتوسطة، يقاطع الصلاة وراء الإمام بسبب أنه لا يقف على رؤوس الآي وهي مسألة لم يسبقهم إليها أحد من طلبة العلم، مع أن قراءة الإمام جيدة، وقد تكون أفضل من قراءة الطالب نفسه، وقد رأيت ذلك بنفسى في بعض المساجد الكبيرة، ولعلني ذكرتها في مذكراتي الآتية في هذا الكتاب].

(٢) [يراجع ما سبق من انتقاد بدر الدين حي للجمعية، ولا زال كثير مما انتقده — مع قدمه — موجوداً إلى اليوم].

وأن يطوروا أسلوهم في التعليم والدعوة، بما يحقق للمسلمين فهمهم الصحيح للإسلام وتمسكهم به، وإقناع الحكومة الصينية بأن فهم المسلمين لدينهم الصحيح وعملهم به في عبادتهم وأحكامهم الأسرية، لا ضرر عليها منه، وأنهم يعلمون أنهم أقلية لا طمع لهم في منافسة الدولة في السلطة ولا يريدون مخالفة قوانينها العامة. هذا وقد زرت الجمعية لألتقي رئيسها "الشيخ محمد علي جانغ جي" فلم أجد أحداً من المسؤولين، ثم عدت إليها مرة أخرى فوجدت نائب الرئيس: (عبد الرحيم أمين) وحاولت أن أجتمع به لأخذ بعض المعلومات عن الجمعية، والحصول على نظامها وأنواع نشاطها، ولكن الرجل اعتذر في ذلك الوقت، ووعدني بالجلوس معي وإعطائي ما طلبت، إن عدت في وقت آخر، ولم يكن باستطاعتي الرجوع إليه لضيق وقتي وترتيبات حجزتي بالطائرات التي يصعب تغييرها، فطلبت منه أن يزودني بالمعلومات المطبوعة، فذهب إلى أحد المكاتب ثم رجع معتذراً بأن مسؤول المستودع غير موجود والمفتاح معه.

وكنت أود أن أسمع ما يدور في الكتب وعلى ألسنة الناس عن الجمعية من رئيسها أو نائبه مباشرة، ولكنني لم أتمكن برغم محاولتي.

مدارس المسلمين وأقسامها:

ذكر الشيخ محمد مكين أن المدارس الإسلامية في الصين أربعة أقسام:

القسم الأول: مدارس دينية قديمة.

وهذا القسم من المدارس كثير في المدن والقرى، وبخاصة في ولاية: "كانسو" ومن تلك المدارس:

١ — مدرسة: (سي نغ SINING) التي يقوم على أمرها تديساً وإنفاقاً الشيخ:

(ماسيانغ جينغ MA SIANG CHENG).

٢ — مدرسة (سانينغ SANYNG).

القسم الثاني: مدارس دينية حديثة، وهي أربع:

المدرسة الأولى: (مدرسة المعلمين الإسلامية) في "بكينغ" وناظرها: (تانغ كوسان

(TANG KOSAN).

المدرسة الثانية: (مدرسة المعلمين الإسلامية) في "شنغهاي" وناظرها الأستاذ الشيخ
(نور محمد تابو شين TA PU SHEN).

المدرسة الثالثة: (مدرسة المعلمين الإسلامية) في "سيجوان" وناظرها: (على لي ين
شان LI JEN SHAN).

المدرسة الرابعة: (مدرسة الأخلاق الإسلامية الثانوية) في "يونانفو" وناظرها:
الأستاذ (يانغ وين بو YANG WEN PO).

القسم الثالث: المدارس الإسلامية المدنية: وتوجد منها مدرستان:
المدرسة الأولى: (مدرسة الأمة الغربية الشمالية الثانوية) في "هونان" وناظرها:
(سون ين يي SON YEN I).

المدرسة الثانية: (المدرسة الإسلامية الثانوية) في "هونان" وناظرها: الأستاذ (ماجين
وو MA CHEN WU)^(١).

القسم الرابع: المدارس الابتدائية الإلزامية، التي تعلم الطلاب فروض العين، وهذه
لا تخلو منها مدينة أو قرية يوجد بها مسلمون.

وجميع المدارس في الأقسام الأربعة أقيمت من تبرعات المسلمين وأوقافهم.
وأكثر أبناء المسلمين يدرسون في المدارس الحكومية في جميع مستوياتها^(٢). انتهى
وقد حدثت بعدها أحداث عظام عصفت بالمسلمين عصفاً، وبخاصة بعد قيام الثورة
الشيوعية الظالمية، التي أغلقت مدارسهم ومساجدهم، وقتلت علماءهم وأهانتهم،
وشردت المسلمين في جميع مناطق الصين، وآذتهم أشد أذية، حتى أصبحوا لا

(١) [الأقسام الثلاثة الماضية مدارس ذات مستوى متقدم في التدريس كما يظهر من السياق].

(٢) [هذه المعلومات ذكرها الشيخ محمد مكي في كتابه (نظرة إلى تاريخ الإسلام في الصين وأحوال المسلمين فيها) صفحة: ٧٠ وما بعدها، وهو عبارة عن محاضرة ألقاها في القاهرة عندما كان طالباً في سنة: ١٣٥٠هـ أي إنه مضى عليها ٦٩ سنة].

يستطيعون أن يقيموا أي شعيرة من شعائر دينهم علناً، بل أجبروا على تناول ما حرم الله عليهم، كأكل لحم الخنزير. وقد سبق ذكر شيء من ذلك. وسيأتي الكلام على المدارس الموجودة حالياً في المقابلات التي أجريتها مع بعض علماء الصين، أو الطلاب الذين اجتمعت بهم في المدينة المنورة.

وإنما ذكرت هذه المدارس هنا من باب الاطلاع على حقبة من تاريخ المسلمين، وقد فرّج الله على المسلمين الآن نوع تفريج، وإن كانت مراقبة الدولة وتضييقها لم ينقطعاً، نسأل الله أن يفرج كرب المسلمين ويرزقهم الصبر على المحن ويعينهم على التمسك بدينهم.

البعثات الطلابية الصينية إلى الأزهر:

إن في قوة العلاقات بين أبناء الأقليات الإسلامية وإخوانهم المسلمين في الشعوب الإسلامية — العربية وغير العربية — دافعاً قوياً لتلك الأقليات إلى التمسك بدينها والاعتزاز به، وبخاصة إذا كان الهدف من تلك العلاقات طلب العلم، كما يحصل من هجرة الشباب لطلب العلم في الجامعات والمعاهد الإسلامية، وأخذ العلم على أيدي كبار العلماء والمفكرين من قادة الأمة الإسلامية، لما في ذلك من التفقه في الدين، والتوسع في علوم اللغة العربية وجميع المواد الإسلامية، فإن هؤلاء الطلاب يعودون إلى بلدانهم حاملين لأمتهم العلم النافع والعمل الصالح، قادرين على تبصيرهم بمصالحهم عن علم وبصيرة وحكمة، كما قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾^(١).

وبذلك ينتشر العلم في المساجد والمدارس والبيوت، ويوجد القراء والمفتون، فيعلم المسلمون الحلال والحرام ويعبدون الله على بصيرة، إضافة إلى تقوية الإيمان في

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

نفوسهم وشعورهم بأن لهم إخواناً في العالم الإسلامي يهتمون بهم ويفقهون أبناءهم، فتستمر تربية الآباء لأبنائهم على مبادئ الإسلام وأخلاقه وآدابه، وتقوى بين الأسر والأفراد والمجتمع المسلم الروابط المبنية على شرع الله، وينحصر الجهل وتقل المعاصي، ويعرف المسلمون حقوقهم وواجباتهم فيما بينهم، وفيما بينهم وبين غيرهم من أهل البلد...

وقد كان لأبناء مسلمي الصين نصيب من هذه العلاقة النافعة في العهد الجمهوري، إذ تمكنوا من الهجرة إلى الأزهر الشريف، فنهلوا من معين العلوم الإسلامية، ودرسوا اللغة العربية وغيرها مما يخدم الإسلام، ورجعوا إلى بلادهم فنشروا العلم وترجموا معاني الإسلام لقومهم، وعلموا أبناءهم القرآن الكريم ومبادئ الإسلام، بعد أن قطع حكام المانشو صلتهم بالمسلمين في خارج بلادهم فترة طويلة. فقد ذكر الشيخ محمد مكين أن سبعة عشر طالباً منهم حصلوا على منح من الأزهر، في أربع بعثات:

البعثة الأولى: — وكان واحداً من أعضائها — وعددهم أربعة، وصلوا إلى القاهرة في ٢٠ ديسمبر من عام: ١٩٣١م.

والبعثة الثانية: وصلت في ٣١ ديسمبر من عام: ١٩٣٢م وعددهم خمسة.

والبعثة الثالثة: وصلت في: ٢٠ مارس من عام: ١٩٣٤م. وعددهم ثلاثة.

والبعثة الرابعة: وصلت في: ١٩ مايو من عام: ١٩٣٤م وعددهم: خمسة. وذكر أسماءهم جميعاً.

أما الآن فقد كثرت بعثاتهم إلى الجامعات والمعاهد الإسلامية إلى كثير من البلدان الإسلامية، وبخاصة باكستان والمملكة العربية السعودية، وقد نفع الله بهم بلادهم، فنشروا العلم وفتحوا المدارس والمعاهد، وأموا الناس في المساجد، وقاموا بخطب الجمعة المفيدة. كما سيأتي في حوار مع الشيخ محمد أمين والأخ محمد نوح وغيرهما.

الصحف الإسلامية في الصين:

إذا كانت وسيلة التعليم تثبت المعلومات في عقول الطلاب، وتسهم إسهاماً فعالاً في تربيتهم واستقامتهم على النهج القويم، عن طريق المعلم والمنهج والكتاب، وتمكنهم من السير في تنمية معلوماتهم وثقافتهم المتنوعة وزيادة استقامتهم ونفعهم لأنفسهم وأمتهم، فإن لوسيلة الإعلام تأثيرها العظيم في التثقيف والتوعية والتذكير بالمصالح التي يجب السعي لجلبها، وبالمفاسد والمخاطر التي يجب درؤها أو رفعها، تمتاز الوسيلة الإعلامية بتنوع موضوعاتها التربوية والأدبية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وبالاطلاع على الأحداث الجارية المستجدة...

لذلك حرصت الدول والأحزاب والمؤسسات والجماعات على اختلاف مبادئها وتوجهاتها، على إيجاد وسيلة إعلام تبلغ بها رسالتها إلى أعضائها أو إلى غيرهم، لنشر محاسن مبادئها وأفكارها والذب عنها...

والمسلمون أحوج من غيرهم إلى حيازة وسائل إعلامية، ينشرون بها مبادئهم ويتقنوا أمتهم، ويصونوا عقولهم من أن تضللها الأفكار والمبادئ المخالفة لدينهم، كما أنهم في حاجة إلى إيصال رسالتهم الإلهية التي كلفهم الله تبليغها إلى الناس كافة؛ لأن الله فرض على الأمم كلها أن تدخل في هذا الدين، وكيف يدخل في هذا الدين من لم يبلغه؟ ومن سيبلغ الناس هذا الدين غير المسلمين؟ وهل فاقده الشيء قادر على أن يعطيه غيره؟ ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾^(١).

وهذا هو معنى البلاغ المبين الذي كلفه الله رسله وأتباعهم، ولم يبق دين على ظهر الأرض يجب أن يبلغ إلى الناس كافة إلا هذا الدين: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً

(١) سورة يوسف، من الآية: ١٠٨.

فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١﴾.

ولا شك أن إخواننا المسلمين في الصين قد أحسوا بخطور وسيلة الإعلام كما أحسوا بخطور وسيلة التعليم، ولهذا حاولوا إيجاد تلك الوسيلة في حدود طاقتهم العلمية والأدبية والمادية... ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

وقد أشار الشيخ محمد مكين رحمه الله إلى تلك المحاولات رغم الفقر المادي والمعنوي، فقال مظهراً أسفه — وهو يقارن بين الإمكانيات المتوافرة للصحف غير الإسلامية، وبين العوز الذي لازم الصحافة الإسلامية في بلاده: (لم توجد في الصين إلى الآن جريدة يومية مسلمة، لا تحتشم إذا وقفت بين زميلاتها الكافرات، وقد تظاهرت في السنوات الأخيرة مجلات إسلامية، ولكن الفقر الأدبي والمادي يثدها واحدة بعد أخرى...

ثم ذكر ثمانى صحف لا زالت تصدر في عهده، وهي:

١ — (نضارة الهلال) التي تصدر في (بكينغ). ورئيس تحريرها: السيد (عبد الله جوبين CHAO PIN).

٢ — (الحكم الإسلامية) التي تصدر في: (كانتون) يصدرها الشيخ عثمان حسين (MA SHUI TO).

٣ — (المنبه الإسلامي: تصدرها جمعية التقدم الإسلامية الصينية).

٤ — (نور الإسلام) التي تصدر في: (تين سين) يصدرها: الشيخ (سعد إلياس (WANG WEN TSING).

٥ — (المسلم) يصدرها بعض المسلمين في: (هونان).

٦ — (مجلة شبان المسلمين) تصدرها جمعية شبان الشعب الإسلامي في: (بكينغ).

٧ — (منبه الثغور) يصدرها بعض الشبان المسلمين الغيورين في: (نانكينغ).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

٨ — (النهضة) يصدرها بعض المسلمين في: (نانكينغ).

ومرة أخرى أقول: إنني لم أذكر هذه الصحف التي مضى على الكلام عنها: ٦٩ سنة إلا للاطلاع على ما كان للمسلمين من نشاط في تلك الحقبة، وهو — وإن كان نشاطاً ضعيفاً كما أشار إلى ذلك الشيخ محمد مكين — فإنه جهد المقل، ومثل المسلمين في ذلك كمن لا يوجد عنده إلا درهم فأنفقه في سبيل الله، ودرهم الفقير قد يسبق دنائير الغني. وليت للمسلمين اليوم صحيفة واحدة فقط — ونحن في عصر الفضائيات والكمبيوتر والإنترنت — توزع في جميع أنحاء الصين وبخاصة أنه يوجد اليوم من الشباب المسلم من عنده قدرة على إيصال صوت الحق عن طريق وسائل الإعلام.

عدد المسلمين في الصين^(١):

يصاب الباحث في عدد المسلمين في الصين بآس من الوصول إلى رقم محدد موثق. وقد كتب فهمي هويدي في هذه المسألة (١٦ صفحة) ولم يخرج بنتيجة محددة^(٢). فقد انحصرت الأرقام التي نقلها عن الكتاب والمتحدثين ما بين: (ثلاثة ملايين — حسب تقدير بعض بعثات التبشير — و مائة مليون تقريباً). [ص ١٦٤، ١٦٥]. ومن أهم البنود التي ذكرها في كتابه ثلاثة بنود:

(١) [قد تتكرر بعض العناوين بتكرر المقالات أو النقل من المراجع المتيسرة].

(٢) [الإسلام في الصين: (ص: ١٥٧ — ١٦٨) ولم أذكره في طليعة المراجع لوجود ما يمكن الجزم به، فهو نفسه يقول في مطلع كلامه: (أزعم أن هذه الصفحة من ملف مسلمي الصين هي من أكثر صفحاته إهماماً وغموضاً، وإن لم تكن أكثرها أهمية أو خطراً...). وإنما ذكرته كذلك لثلاثة أمور:

الأمر الأول: أن الرجل صحفي محترف منقّب.

الأمر الثاني: أنه زار الصين وجال في مناطقها والتقى فيها فئات متنوعة من رسميين وغيرهم.

الأمر الثالث: أنه أجهد نفسه — كما يبدو من صفحات كتابه — بالبحث في المراجع التي تمكن من جمعها، وفي مقابلاته للصينيين مسلمين وغير مسلمين، رسميين وعلماء تاريخ، ليفوز بسبق صحفي في هذه المسألة — كمادة الصحفيين — فنطح صخرة كما نطحها الأرائل قبله].

البند الأول: أن كتاب الصين السنوي — وهو كتاب مُقَرَّر من الحكومة الصينية — الذي صدر في سنة ١٩٣٥م والذي أصدرته المطبعة التجارية المحدودة في شنغهاي، ذكر أن عدد المسلمين في الصين (٥٠ مليوناً). ومثله كتاب الصين السنوي في تايوان لعام: ١٠٦٣ — ١٩٦٤م^(١).

البند الثاني: اعتراف بعض المؤرخين المسلمين الصينيين بأنهم — أي المسلمين — كانوا يبالغون في عدد المسلمين في الثلاثينات، وبخاصة عندما كانوا يلتقون إخوانهم المسلمين في خارج الصين، فيقدرونهم بخمسين مليوناً... ليرفعوا أصواتهم ضد اضطهاد الحكومة الصينية لهم..

فقد نقل فهمي هويدي عن أستاذ التاريخ الإسلامي: عبد الرحمن ناجونج — وهو من المخضرمين الذين عاشوا في العهدين قبل — ما سمي — بالتحريك وبعده: (أنه حدثت مبالغات كثيرة في أعداد مسلمي الصين في الماضي، وهي مبالغات لها ما يبررها، وقد شاركت بنفسي في الترويج لها طوال سنوات الدراسة العليا. بمصر في الثلاثينات. فقد كنا نعيش في ظروف صعبة، وكنا نواجه اضطهاداً من حكومة الكومنتانغ — وهي الحكومة الوطنية التي نزلت بعد هزيمتها إلى تايوان — في ذلك الحين، خصوصاً في مقاطعة يونان.

وحتى نوصل أصواتنا إلى العالم الإسلامي ونحثه على إنقاذنا، فقد كنا نعلن في كل مناسبة أن عدد مسلمي الصين خمسون مليوناً مرة، وستون مليوناً مرة أخرى. ذلك فيما يتعلق بالخارج، أما في الداخل فقد كنا حريصين أن نبدو في حجم أكبر أمام الحكومة، لنحصل على مناصب متكافئة مع التمثيل العادل لهذا العدد...)

هنا ملحوظتان:

الملحوظة الأولى: أن الاضطهاد الشيوعي — في عهد الثورة وبعدها — أشد من

(١) [صفحة: ١٦٢، ١٦٣ من الكتاب].

الاضطهاد الوطني، وكان القياس أن يبالغ المسلمون في عددهم أكثر من مبالغتهم السابقة، فلم لم يفعلوا، بل أيدوا تقديرات الحكومة الشيوعية في عددهم ودافعوا عنها؟!

الملحوظة الثانية: أن كون المسلمين بالغوا في عددهم — إن صح القول — في عهد الحكومة الوطنية ليرفعوا أصواتهم للمطالبة بحقوقهم في التمثيل العددي المترتب عليه رفع الظلم عنهم وإنصاف الحكومة لهم، يدل على البون الشاسع بين ضغط وظلم حكومة الكومنتانغ الوطنية التي كانوا يرفعون صوتهم ضد ظلمها، والحكومة الشيوعية التي لم يجرؤوا إلى الآن — رغم خفة الضغط — المطالبة الرفيعة بحقوقهم منها..

البند الثالث: مناقشته لمسؤول في الدولة — وهو رئيس مصلحة شؤون الأديان في بكين — حول عدد المسلمين، فقد اعترف هذا المسؤول بعدم وجود رقم دقيق، وقدره بـ (١٣ مليوناً).

والمهم في هذا البند أن المسؤول المذكور أبرز سبباً من أهم الأسباب لفقد الرقم المحدد للمسلمين، وهو أن الدولة لا تؤمن بالأديان، ولذلك لا يهتمها إحصاء أعداد أصحابها، سواء كانوا من المسلمين أو من غيرهم^(١)..

وغالب المسلمين الصينيين في الثلاثينات وما بعدها يقدرون العدد بخمسين مليوناً، ومنهم الشيخ محمد مكي رحمه الله الذي اعترف بعدم وجود إحصاء دقيق، وذكر بعض الأسباب في ذلك، فقال: "ولا يعرف عدد المسلمين في الصين بالضبط، لأنهم منتشرون في طول البلاد وعرضها، أكثرهم في تركستان الصينية... ولم يكن لدينا إحصاء دقيق.

وأما إحصاءات الأجانب فمتناقضة، وما اختلفوا في ذلك — وهم محققون مدققون

(١) [حوار الكاتب مع المسؤول المذكور في ص ١٥٨ — ١٦١].

— إلا لأغراض خاصة سياسية أو دينية، فمنهم من يقول: ستون مليوناً، ومنهم من يقول: عشرون مليوناً، ومنهم من يقول: أقل من عشرة ملايين^(١). وعلى تقديرنا أنهم خمسون مليوناً، وهذا أقرب إلى الحقيقة، فإن المسلمين متفرقون في أنحاء الصين، فما من بقعة إلا ويوجد فيها مسلمون كثيرون أو قليلون، وهم في بعض الولايات أكثرية، وفي بعض الولايات نصف السكان تقريباً^(٢).

وذكر الشيخ بدر الدين حي الصيني رحمه الله: (أن الطبعة الإنجليزية لكتاب الصين السنوي عام م ١٩٤٠ من قبل المطبعة التجارية الكبرى بشنغهاي، وكذلك كتاب الصين السنوي الذي نشر من قبل الحكومة الصينية في تشينغ كونغ عام ١٩٤٨ م، قد ذكر كل منهما أن عدد المسلمين قد بلغ ٤٨,٠٠٠,٠٠٠ ثمانية وأربعين مليون نسمة...) ثم قال: وبناء على الأرقام التي قبلتها الجهات الرسمية في الحكومة الصينية كان المسلمون يوزعون على ما يلي... وذكر جدولاً فيه ٢٥ ولاية صينية، وأمام كل ولاية ما فيها من المساجد، وعدد السكان المسلمين، فبلغ مجموع المسلمين في تلك الولايات (٤٨,١٠٤,٢٤٠)^(٣).

وذكر في مطلع الكتاب أن عدد المسلمين في الصين في سنة ١٩٤٩ م — وهي السنة التي استولى فيها الشيوعيون على الحكم في البر الصيني — بـ (٤٨ مليوناً)، خرج منهم عدة آلاف إلى جزيرة تايوان^(٤)...

(١) [بل منهم من يقول: خمسة ملايين، وثلاثة ملايين، كما في كتاب الإسلام في الصين (ص: ١٦٥) لفهمي هويدي].

(٢) [نظرات عامة إلى تاريخ الإسلام في الصين (ص ٦١). وليس مراده من أهم في بعض الولايات أكثرية وفي بعضها نصف السكان، أهم كذلك في ولايات الصين كلها، بل مراده أهم كذلك في بعض الولايات، بدليل قوله قبل ذلك: (كثيرون أو قليلون) ثم إنه لو فهم أهم كذلك في ولايات الصين لكان عدد المسلمين أكثر من عدد غيرهم، وهو أبعد من بعيد].

(٣) [تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر (ص: ١٠٢ — ١٠٤)].

(٤) [في كلمته التمهيدية لكتابه: تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر (صفحة: ه)].

وقال في كتاب آخر انتهى من تأليفه سنة ١٩٤١م: (وأما الآن فيبلغ المسلمون على أصوب تقدير أربعين مليوناً أو يزيد، وإن كان هناك قائلون بأكثر من خمسين مليوناً..)^(١).

وإذا رجعنا إلى الأمير شكيب أرسلان الذي أولى شؤون المسلمين — ومنهم مسلمو الصين — جُلَّ اهتمامه، وجدنا أن غالب من نقل عنهم من مسلمي الصين، وبعضهم كانوا طلاباً في الأزهر، وأحدهم كان عالماً صينياً مهاجراً، يقدر عدد المسلمين في تلك — الثلاثينات وما بعدها — بخمسين مليوناً^(٢)...

أما الكتاب المسلمون الصينيون، الذين كتبوا عن المسلمين في داخل الصين في عهد الشيوعيين، فغالبيتهم يعتمدون الإحصاء الحكومي الذي يقدر أن عدد المسلمين (١٣ — ١٧ مليون) ولا يعترفون بالتقديرات السابقة للحكم الشيوعي.

والإحصاء السنوي للحكومة الشيوعية، ليس مبنياً على تعداد المسلمين في الصين، لأنها لا تعترف بالأديان كما مضى، وإنما هو مبني على أن عشر قوميات صينية مسلمة، مع أنه يوجد مسلمون كثيرون من غير هذه القوميات.

فقد قال الأستاذ إبراهيم فنغ جين يوان: (ولم يكن قبل سنة ١٩٤٩م إحصاء دقيق لعدد المسلمين الصينيين، وكان بعض الناس يقول بأن عددهم يبلغ ٨٠ مليون نسمة، وبعضهم الآخر يقول بأنه يبلغ ٥٠ مليوناً، والحقيقة أن هذه المقولة أو تلك ليس لها أساس من الصحة).

وفيدنا الإحصاء العام الرابع الخاص بعدد سكان الصين والذي أجري سنة ١٩٩٠م بأن عدد أبناء القوميات المسلمة في الصين يربو على: (١٧ مليون و٥٩٧

(١) [العلاقات بين العرب والصين، صفحة: ٢٩١].

(٢) [حاضر العالم الإسلامي، راجع على سبيل المثال منه: (٢٤٣/٢، ٢٦٥، ٢٧٥، ٢٨٣) نشر دار الفكر،

الطبعة الثالثة: ١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م].

ألف نسمة...^(١).

وقال المسلم الصيني: شيو يوان: (لم يجر إحصاء دقيق لعدد المسلمين في الصين قبل عام ١٩٤٩م — عام تأسيس الصين الجديدة. لقد ورد في حوليات الصين عام ١٩٣٥م أن في الصين نحو ٥٠ مليون مسلم. وهناك من قال: كان في الصين ٨٠ مليون مسلم في تلك الفترة. وظل هذان الرقمان كثيرَي التداول في العالم.

إذن كم عدد المسلمين في الصين بالضبط؟

إذا أردنا الجواب على هذا السؤال، فلا بد من أن ننظر إلى تكوين القوميات في الصين... ثم ذكر أن قوميات الصين كلها: ٥٦ قومية، وعدد القوميات المسلمة عشر، وهي: (هوي، الويغور، القازاق، دونغشيانغ، القرغيز، سالار، الطاجيك، الأوزبك، بأوان، وقومية التتار) وذكر مع كل قومية عدد أفرادها، وقال: (وبمجموع عدد أبناء هذه القوميات: ٥٩٧، ١٧ مليون نسمة، وهذا الرقم موثوق به، أنه جاء نتيجة الإحصاء السكاني العام الرابع الذي أجري في الصين عام ١٩٩٠م...)

ثم استدرك قائلاً: (ومن الضروري أن نشير هنا إلى أن هناك مسلمين لا ينتمون إلى القوميات العشر السابقة الذكر...)^(٢).

وذكر جمال محمد عبد المنعم في مذكرات زيارته الأولى للصين، أن عدد المسلمين في الصين (١٢٠ مليوناً)^(٣).

وذكر لي الشيخ محمد أمين في مدينة "كومنغ" أن عدد المسلمين في الصين أكثر من عشرين مليون نسمة.

(١) [الإسلام في الصين (ص ٣ من مقدمة المؤلف: نبذة عامة)].

(٢) [المسلمون الصينيون: صفحة: ٦، ٧].

(٣) [ملحق كتابه: المسلمون في الصين. . صفحة: ١٩٢ ولم يذكر مرجعاً].

نتائج وأسباب:

من هذه التقديرات نخرج بثلاث نتائج:

النتيجة الأولى: عدم وجود إحصاء دقيق لمسلمي الصين.

النتيجة الثانية: أن عدم وجود هذا الإحصاء الدقيق له ستة أسباب:

السبب الأول: يعود إلى الحكومة الصينية التي لا تعترف بالأديان من جهة، ولا تريد إعطاء الرقم الحقيقي للمسلمين من جهة أخرى^(١).

السبب الثاني: يعود إلى مراكز التبشير (التنصير) والاستشراق والبحوث التاريخية في الغرب التي عندها من الإمكانيات ما يمكنها من الوصول إلى معلومات دقيقة، ولكنها لم تعلن الحقيقة، كما قال الشيخ محمد مكين.

السبب الثالث: يعود إلى اتساع مساحة الصين ووعورة مسالكها، وضعف مواصلاتها، وتفرق المسلمين في مناطقها.

السبب الرابع: الاضطهاد الذي حصل على المسلمين في عهود الحكومات الصينية كلها، مما جعل كثيراً من المسلمين يخفون هويتهم، ويغيرون أسماءهم، بحيث لا يفرق بين اسم المسلم وغيره في الوثائق الرسمية، وكذلك في اللباس... وإن كان كثير منهم يتخذون أسماء إسلامية فيما بينهم.

السبب الخامس: عدم وجود اهتمام من المؤرخين المسلمين الصينيين أنفسهم بهذا الأمر، إذ لو وجد عندهم اهتمام به، فقامت كل مجموعة منهم بإحصاء المناطق التي يوجدون فيها، والمناطق المجاورة لهم لتمكنوا من الوصول إلى رقم لعدهم، قد يقترب من الرقم الحقيقي.

السبب السادس: غفلة المسلمين خارج الصين في العصور المتأخرة عن إخوانهم

(١) [بخلاف الحكومة الصينية قبلها، فقد اعترفت في الكتاب السنوي الذي نشر سنة ١٩٤٠م بأن عدد المسلمين: ٥٠ مليوناً، كما مضى].

الصينيين وعدم العناية بهم.

وهذه الغفلة ليست في تعداد المسلمين الصينيين فحسب، ولكنها غفلة في جوهر تقوية المسلمين في الصين، كما سيأتي.

فقد اتجهوا إلى بلدان الغرب وزاروا كثيراً من مناطقها ومدنها مراراً وحضروا ندوات ومؤتمرات بل أقاموها، وكتبوا عنها في الصحف والمجلات وتحدثوا عنها في الإذاعات وفي القنوات الفضائية — في الفترة الأخيرة — ولم يعطوا الصين شيئاً من هذا الاهتمام.

وإذا اعتذروا بتشدد الحكومة الصينية في السياحة ومراقبتها للزوار وللمسلمين الصينيين ومن يتصل بهم، فإن هذا العذر — مع وجاهته — يمكن التغلب عليه بوسائل كثيرة يمكن اتخاذها، إذا وجد العزم وتوافرت الإمكانيات.

النتيجة الثالثة: يبدو أنه يوجد هضم متعمد لعدد المسلمين في الصين، لأن الأرقام التي ذكرت في الثلاثينات وما بعدها مهما كانت مبالغاً فيها لا تصل إلى هذا الرقم المتدني!

ولنفرض أن المبالغة وصلت إلى ٥٠% ونقول: إن الرقم الصحيح كان (٢٥ مليوناً) فكم سيكون عدد المسلمين اليوم؟ أينقص عن (١٠٠ مليون نسمة)؟.

اعتراف واقتراحات:

ومع ذلك فإننا نقف حيث وقف القوم، ونقول: لا دليل على رقم محدد، ونطلب من القادرين على اقتحام العقبة أن يقتحموها، فمن هم؟ ومتى؟ وإني أقترح على المؤسسات الإسلامية في البلدان العربية وغيرها، أن تنسق فيما بينها للقيام بما يلي:

١ — تخصيص ميزانية لإعداد بحوث عن المسلمين في الصين.

٢ — اختيار عدد من الباحثين والمؤرخين، وبخاصة من لهم خبرة في هذا المجال، وتكوين فريق عمل منهم يتولى التخطيط لإجراء مسح شامل لمناطق الصين، لتسجيل أعداد المسلمين في كل منطقة، على فترات متفرقة، ثم جمع ذلك كله في

ملف كمبيوترى.

٣ — ومما يسهل تنفيذ هذه الخطة الاستعانة ببعض الشباب من المسلمين الصينيين المثقفين، المعروفين بعاطفتهم الإسلامية وقدرتهم على اتخاذ الأساليب التي لا تلفت نظر من قد يعارض الفكرة، بحيث يختار لكل مجموعة من المناطق المتجاورة مجموعة من شبابها، تحت إشراف خبير أو باحث، للقيام بهذا الأمر دون ضجيج إعلامي ألفناه من كثير من المؤسسات.

٤ — تصنيف الإحصاء — حسب الإمكان — : ذكور، إناث، أعمار، متعلمون، أميون، موظفون، عمال، تجار، عاطلون، متزوجون...

٥ — ينبغي معرفة احتياجات المسلمين في كل منطقة، من مساجد ومدارس...

فوائد الإحصاء:

ولهذا الإحصاء — لو تم — فوائد، منها:

- ١ — إظهار الرقم الصحيح للمسلمين في الصين، وللرقم قيمته في المطالبة بالحقوق.
- ٢ — بناء تخطيط المؤسسات الإسلامية في العالم الإسلامي، لمساعدة إخوانهم في الصين على أساس سليم، من حيث المساجد والمدارس والمصاحف والكتب الدراسية والمراجع الإسلامية وغيرها مما يمكن مدهم به.
- ٣ — ربط الشركات في العالم الإسلامي — حسب الإمكان — صلات قوية بالشركات الصينية التي يديرها مسلمون، أو يكونون أعضاء بارزين فيها، فهم أولى بالتعامل من غيرهم.

الأسماء التي أطلقت على الإسلام وسبب إطلاقها:

من أشهر الأسماء التي أطلقها الصينيون على المسلمين لفظ (هوي)، ويسمون الدين الإسلامي: (دين هوي) وذكر بعض الكتاب أن سبب هذا الإطلاق هو: أن إحدى قوميات المسلمين العشر تسمى: (قومية هوي) وهذه القومية منتشرة في كل مناطق الصين، أما القوميات التسع الأخرى فإنها تنحصر في مناطق معينة لذلك اشتهرت قومية: (هوي) بالإسلام في الصين، فأطلق الصينيون هذا اللفظ على الإسلام،

اعتقاداً منهم — وهو اعتقاد غير صحيح — أنه لا يوجد مسلمون في غير هذه القومية^(١).

ومن الأسماء التي أطلقوها على المسلمين كلمة: (داشي) وهي تعني معنى: تاجر، والسبب في ذلك أن لمسلمين الأوائل الذين وفدوا على الصين كانوا تجاراً فأطلقوا عليهم ذلك.

وهناك تسميات أخرى عند الصينيين أطلقوها على الإسلام، ترجمات بعضها كما يأتي: (دين الصفاء، دين السلام، الدين المقدس، الدين الخفيف...)

وفي عهد الحكومة الشيوعية — عام ١٩٥٦م — صدر بلاغ يوجب الالتزام بإطلاق اسم الإسلام، ويمنع غير ذلك من الأسماء فأصبح هو الغالب على السنة الناس^(٢).

المساجد في الصين:

شأن المساجد في الإسلام عظيم، فقد أذن الله برفعها وعمارتها، وذكر اسمه فيها، وتطهيرها من الشرك والمعاصي، منذ أن جعل الله أول بيت في الأرض (المسجد الحرام) ثم بوأ إبراهيم مكانه، وأمره — مع ابنه إسماعيل جد سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله ﷺ — برفع قواعده.

قال تعالى: ﴿إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ

(١) [الإسلام في الصين: الصفحة الأولى من مقدمة المؤلف: نبذة عامة — إبراهيم فنج جين يوان. المسلمون الصينيون صفحة: ١٦].

(٢) [الإسلام في الصين، صفحة: ٣٦. فهمي هويدي، وقد أشار في صفحة ١٩٢ من نفس الكتاب إلى أن قومية (هوي) أطلقت على المسلمين من ذوي الأصول العربية والفارسية، ويمكن مراجعة: مجلة دراسات شرقية، العددان: ٣، ٤ ص: ٥٤. لسنة: ١٤١٤ هـ — ١٩٩٤ م. باريس].

اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾
 وقال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ
 لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى
 وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾
 — إلى قوله تعالى: — ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ
 مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرَفَّعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ
 وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ
 الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ
 بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (١٧) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ
 مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَىٰ الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ
 أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (٦).
 وقد بعث الله تعالى آخر الرسل وخاتمهم محمداً ﷺ في أول مسجد وضعه الله للناس
 (المسجد الحرام) ليظهره — كما طهره أبواه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قبله

(١) [آل عمران: ٩٦، ٩٧].

(٢) [الحج: ٢٦].

(٣) [البقرة: ١٢٥، ١٢٧].

(٤) [النور: ٣٦، ٣٧].

(٥) [التوبة: ١٧، ١٨].

(٦) [الجن: ١٨].

— من أرجاس الشرك والوثنية التي كان المشركون يدنسونه بها.
وعندما هاجر ﷺ كان أول أعماله بناء مسجد قباء، وكان من أول أعماله في
المدينة بناء مسجده الشريف الذي هو مركز المدينة.

وعندما اتخذ أعداء الله إقامة مسجد للتأمر فيه على رسوله ﷺ وصحابته الكرام
والإضرار بهذا الدين نبهه الله تعالى على ذلك فهدمه كما هدم الأصنام.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا
لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ
لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ
تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾^(١).

وحث الرسول ﷺ على عمارة المساجد واتخاذها في الدور.

ومضى على عمارتها أصحابه ﷺ، والتابعون لهم بإحسان إلى يومنا هذا، وإلى يوم
الدين بإذن الله الذي أذن في رفعها لذكره.

لذلك لا تجد أرضاً وطنتها أقدام المسلمين، إلا كان من أهم آثارهم فيها المساجد
التي ما تزال مناراتها شاهدة لهم بأنهم رفعوا منها كلمة التوحيد.

وهاهي الجوامع الكبيرة والمساجد تُشاد اليوم في كل مكان في العالم، في أوروبا
بمناحيها الغربي والشرقي، وأمريكا الشمالية وأختها الجنوبية، وفي دول إفريقيا غير
المسلمة، وفي الهند وأستراليا ونيوزيلندا، وفي الفلبين وتايوان واليابان والصين
وكوريا...

ولا زالت المساجد هي مراكز مدن المسلمين الكبرى وأحيائها وقراها، لذلك ترى
تلك المدن والأحياء والقرى تحيط بجوامعها ومساجدها، كما تحيط مباني مكة
المكرمة، والمدينة المنورة، بالمسجد الحرام ومسجد رسول الله ﷺ.

(١) [التوبة: ١٠٧، ١٠٨].

والذي يشاهد اليوم مساجد المسلمين القديمة التي بقيت لهم مساكن حولها في الصين، يتبين له أن أحياءهم كانت تبني محيطة بتلك المساجد من كل جانب، كما هو الحال في مدينة: شيان.

صعوبة إحصاء المساجد في الصين وأسباب ذلك:

وإن دراسة تاريخ المساجد في الصين وإحصاءها، شبيه في صعوبته بصعوبة إحصاء المسلمين أنفسهم، للأسباب الآتية:

السبب الأول: أن الحكومة الصينية تعامل مساجد المسلمين، كمعاملتها للمسلمين أنفسهم، فكما لا تهتم بهم في الإحصاء السكاني، لأنها لا تعترف بالدين، لا تهتم بمساجدهم كذلك، ولا تحافظ عليها إلا عندما يكون لها مصلحة في المحافظة على بعضها، كالمساجد الكبيرة في المدن الكبرى، لتبدو أمام الزوار والدبلوماسيين الأجانب، أنها تمنح المسلمين حرية في أداء شعائر دينهم.

السبب الثاني: أن كثيراً من المساجد القديمة قد تهدمت، ويصعب الوقوف على أطلالها لحصرها، والحكومة الصينية تمنع تجديدها، وبخاصة في المناطق التي يغلب فيها المسلمون، كتركستان الشرقية.

قال الكاتب الصيني المسلم: (و مما يؤسف له أن الكثير من هذه المساجد قد تقوض ثم تلاشى بفعل الكوارث الطبيعية أو الغزو الاستعماري، الأمر الذي جعل من المتعذر دراسة تاريخ مساجد الصين دراسة دقيقة وافية..)^(١). ومما يذكر أن الإمبراطور المغولي "قوبلاي" بنى مسجداً في بكين كان يتسع لمائة ألف مصل^(٢). وهو بدون شك من المساجد المتدثرة.

السبب الثالث: أن كثيراً من المساجد التي تنتشر في القرى والأرياف مساجد

(١) [المساجد في الصين صفحة: ١٠].

(٢) [الإسلام في الصين (ص: ٦٢) فهمي هويدي].

صغيرة، لا يعرفها إلا أهلها ومن جاورهم.

كما قال الشيخ محمد بن ناصر العبودي — في زيارته لأحد الأرياف^(١) الصينية وقد أعجب بأحد المساجد — : (فسألناهم بهذه المناسبة عن عدد المساجد في هذه المنطقة؟ فأجاب رئيس الجمعية الإسلامية التي هي الجهة الوحيدة المسؤولة عن المساجد التي تعترف بها الحكومة: إن عددها يبلغ مائة وخمسين مسجداً... (و) إن هذه المساجد كلها مساجد جديدة..)^(٢).

وإن وجود (١٥٠ مسجداً) جديداً في ريف واحد، لدليل على كثرة المساجد في الصين.

قد يقال: إن هذه المنطقة يكثر بها المسلمون، فلا غرابة أن تكثر بها المساجد! ولكن ليس الاستدلال على كثرة المساجد بمجرد وجود مساجد، بل بكون هذه المساجد جديدة، والغالب أن المساجد الجديدة لا تدخل في الإحصاء إلا بعد حين من الزمن.

السبب الرابع: أن كثيراً من المساجد لا توجد لها مآذن تدل الزائر — المهتم بالمساجد — على وجودها.

السبب الخامس: أنه لو أراد السائح الاهتمام بمعرفة المساجد، قد لا يجد من يرشده إليها حتى من المسلمين الصينيين ما لم يكونوا يعرفونه شخصياً، وهم يخافون من مرافقة الأجانب — وبخاصة المسلمين — لشدة الرقابة التي يعرفونها من أجهزة أمن الدولة التي تراقب تحركات المسلمين الصينيين أنفسهم.

السبب السادس: أن كثيراً من المساجد قد أغلقت في عهد الثورة المشوومة،

(١) [في مقاطعة: "ننشا" في وسط الصين].

(٢) [داخل أسوار الصين (١/ ٨٨)].

والمساجد المغلقة ليست داخلة في المساجد التي تذكر في الإحصاء الرسمي^(١).
السبب السابع: أنه توجد مساجد كثيرة غير معترف بها من قبل الحكومة، وهذه أيضا لا تدخل في إحصاء المساجد.

تسمية المساجد في الصين:

للمسجد عن الصينيين أسماء متعددة، تختلف — فيما يبدو — باختلاف فهمهم لوظائف المسجد، أو تسميته ببعض أجزائه.

من تلك الأسماء: "لي تانغ" أي قاعة الاجتماع. كما قال أحد الكتاب الصينيين: (في بلاد الداشي^(٢)) "لي تانغ" وهو يستوعب عشرة آلاف شخص، ومن عادة الملك أن يتوجه إليه حيث يصلى ويعتلي المنبر لشرح الأحكام على الملأ..).

ومنها: "تسي تانغ" أي قاعة التقديس.

ومنها: "لي باي تانغ" أي قاعة الصلاة.

ومنها: "غوانغتا" أي المنارة.

ومنها: "هوي هوي سي" أي معبد هوي هوي.

ويسمى كثير من المسلمين المسجد: "لي باي سي" أي المصلّى^(٣).

تقسيم المساجد في الصين:

تنقسم المساجد في الصين — في الجملة — قسمين:

القسم الأول: المساجد القديمة.

ويعيز هذا القسم أن غالبه بني من الحجارة والطوب، وتظهر فيه الهندسة المعمارية العربية، حيث لا يوجد فرق بين هذه المساجد ومثيلاتها في البلدان العربية من حيث

(١) [داخل أسوار الصين (١/ ١١٨)].

(٢) [يعني الدولة الإسلامية].

(٣) [الإسلام في الصين (ص: ٣٠)، إبراهيم فنغ جين يوان. المساجد في الصين (ص: ٨)، محمد يوسف لي هواين].

تركيباتها الهندسية، وإن تأثرت بعضها ببعض مزايا الهندسة المعمارية الصينية، وهذا القسم أصبح قليلاً، لأن غالب مساجده قد تقدمت، وهي التي بني غالبها في عهد أسرتي: تانغ وسونغ (٦١٨ — ١٢٧٩م).

وأقدم المساجد من هذا القسم: مسجد "هوايشنغ" أي مسجد الحنين إلى النبي ﷺ، في مدينة: "غوان شو" والذي يقال: إن بناءه تم على أيدي بعض الجاليات العربية القديمة التي استوطنت الصين، كما سيأتي الحديث عنه.

القسم الثاني: المساجد الحديثة — نسبياً — .

ويتميز غالب هذه المساجد بسمات الهندسة المعمارية الصينية، وهي التي بني أكثرها في عهد أسرتي مينغ وتشينغ (١٣٦٨هـ — ١٩١١م).

تميز المساجد عن سواها من المعابد:

هذا ومع كون المساجد في الصين قد تأثرت — قليلاً أو كثيراً — بأسلوب الهندسة المعمارية الصينية، فإن سماتها الإسلامية تميزها عن غيرها من المعابد الأخرى، ولهذا قال الكاتب الصيني المسلم إبراهيم فنغ جين يوان: (وتختلف مباني هذه المساجد عن مباني المعابد البوذية والطاوية والكونفوشيوسية والكنائس المسيحية، أنها تحمل صبغة إسلامية واضحة... وتنتشر هذه المساجد من أدنى الصين إلى أقصاها انتشار الأزهار المبرقشة على البساط السندسي اللون مدلة بجمالها^(١)).

مسجد هوايشنغ:

اشتهر هذا المسجد بأنه أول مسجد بني في الصين في مدينة "غوانغشو" وهي مدينة: "كانتون" الشهيرة في التاريخ، الواقعة على ساحل بحر الصين الجنوبي، حيث استوطن التجار العرب الأوائل، بل يزعم بعض الكتاب أن الذي بني هذا المسجد هو الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص، ولكنه زعم باطل يطله تاريخ الصحابي

(١) [الإسلام في الصين (ص: ٧٠)].

المذكور^(١).

وقد بني المسجد في عهد أسرة: "تانغ" (٦١٨ — ٩٠٧). قال محمود يوسف لي هواين: (وتتجلى قيمة مسجد هوايشنغ في عراقة تاريخه، وضخامة بنائه المتميز بأسلوب العمارة العربي: منارة أسطوانية الشكل ترتفع ٣٦ متراً عن أدم الأرض، وتبدو كأنها شعلة تناطح السحاب لأنها تتكون من جزأين: الجزء الأعلى يمثل فتيل الشعلة، ونظيره الأسفل يمثل بدنها... ولو صعدت إلى قمة المنارة للفت نظرك معالم مدينة غوانغتشو كلها.. وعلى الرغم من أن هذه المنارة قد أختى عليها الدهر، إلا أنها ما زالت تنتصب بكل خيلاء على ضفة نهر اللؤلؤ...)^(٢).

مسجد شيان جريت موسك (XI AN GRTEAT MOSQUE):

هكذا سماه لي إمامه الحالي: يحيى^(٣).

(ويبدو أن هذه التسمية جديدة)، ويسمى أيضاً: "داشيو هشي شيانغ" كما يسمى: "جامع هوا غيويه" باسم الزقاق الذي بني فيه^(٤) وسماه فهمي هويدي^(٥): "تشنغ تشن داسي جان داسي" وتختلف أسماء المساجد والأشخاص وغيرها بسبب اختلاف تسميات الصينيين أنفسهم، وقد يكون السبب عدم فهم النطق الصيني عندنا نحن العرب.

وتفيد الروايات التاريخية أن هذا المسجد من أقدم المساجد المبنية في الصين، وهو في مدينة شيان، وقد بدئ في تنفيذ بنائه في سنة (٧٤٢م) أي بعد بناء مسجد

(١) [العلاقات بين العرب والصين (ص: ١٥٨)، ليدر الدين حي].

(٢) [المساجد في الصين (ص: ١٢ — ١٨) وما بعدها. والإسلام في الصين (ص: ٥٥) إبراهيم فنج حين يوان].

(٣) [عندما زرته وصليت معه المغرب، بتاريخ: ١٤١٦/٣/٢ هـ كما سيأتي في مذكراتي].

(٤) [المساجد في الصين (ص: ٤، ٣٩)].

(٥) [في كتابه: الإسلام في الصين (ص: ٢٠٥)].

"هوايشنغ" السابق بمائة سنة، بأمر من الملك الصيني "تيان باو" لرعاية المسلمين الذين كان إمامهم "بدر الدين" وتم بناؤه في نفس السنة، وقد أقيم بالمسجد نصب حجري نقش فيه هذا التاريخ مع معلومات أخرى^(١).

وقد وصفه الكاتب الصيني المسلم محمود يوسف لي هوان وصفا مفصلاً^(٢). ومما قاله في وصفه: (يبدو جامع "هوا غيويه" على شكل مستطيل، وتبلغ مساحته ١٣ ألف متر مربع، وهو يشبه القصر الإمبراطوري بضخامة بنائه وروعة هندسته، فلا يعتبر من أكبر الجوامع في الصين فحسب، بل يعد من كنوز الفن المعماري الصيني، ويتكون هذا الجامع من أربع دور متراصة تتوزع فيها أربع وثلاثون غرفة من المباني الرئيسية والإضافية توزعاً متناسقاً...) ^(٣).

وقال إبراهيم فنغ جين يوان^(٤): (ومن المعروف أن جامع "هوا غيويه" في مدينة شيثان بمقاطعة شنسي هو النموذج الفريد من نوعه... ويبلغ طوله من الشرق إلى الغرب: ٢٤٥ر٦٨ م وعرضه من الجنوب إلى الشمال: ٦٥ ر ٤٧ م ويغطي مساحة قدرها: ٥٤ ر ١٦٨٤ م).

وأنا أقول: لقد بهرني منظر المسجد وسعته وكبر أجزاء بنياته وكثرة مرافقه، مع عدم وجود الوقت الكافي للاطلاع على مرافقه كلها بالتفصيل، إلا أن كثيراً من بنياته — غير قاعة الصلاة فيه — تكثر بها الصور والتماثيل على غرار الطراز الصيني الوثني!.

(١) [المساجد في الصين (ص: ٤)].

(٢) [وكذلك وصفه لي إمامه الحالي يي، ولكني لم أستطع كتابة وصفه في مذكراتي، لضيق الوقت وصعوبة فهم بعض عباراته].

(٣) [المساجد في الصين (ص: ٤٠)].

(٤) [في كتابه الإسلام في الصين (ص: ٤٠)].

مسجد شارع البقر (نيوجيه):

هذا المسجد من المساجد الكبرى المشهورة في الصين، وهو أكبر وأقدم مساجد مدينة بكين التي يقال: إنها تبلغ الآن (٨٣ مسجداً)^(١).

وهو يقع في شارع اشتهر بشارع البقر، وسمى المسجد مسجد شارع البقر. وقد كانت في المنطقة قبل القرن العاشر الميلادي، قرية جميلة في الضاحية الجنوبية لبكين، تمر بها أنهار متشابكة على ضفافها أشجار وارفة، فجذب جمال منظر القرية جماعة من المسلمين فاستوطنوها، ويروي الكتاب الصينيون أنه في عام ٩٩٥م جاء إلى القرية عربي يسمى قوام الدين، ومعه ثلاثة أولاد: يدعى أكبرهم صدر الدين، ويدعى الثاني ناصر الدين، ويدعى الثالث سعد الدين، وأن سعد الدين بنى مسجداً في شرق بكين، وناصر الدين أقام مسجداً في جنوب بكين بأمر من الإمبراطور، وكان مسجداً صغيراً، وأن هذا المسجد قد وسع مراراً حتى وصل إلى صورته الحالية، وآخر ترميم له كان في عهد الحكومة الشيوعية الحالية سنة ١٩٧٩م.

وتبلغ مساحة المسجد (٦ آلاف متر مربع). ويتسع لقراءة ألف مصلى^(٢).

أما سبب تسمية المسجد العربية بـ(مسجد شارع البقر)، فإن المسلمين يذبحون في هذا الشارع الأبقار والأغنام على وفق الشريعة الإسلامية، ويبيعون فيه اللحم، فغلب على الشارع من ذلك الوقت هذه التسمية^(٣).

والبحت هنا لا يتيح الفرصة للحديث عن هذه المساجد أو غيرها بالتفصيل، وقد

(١) [المسلمون في الصين (ص: ٤٢ — ٤٤)].

(٢) [المساجد في الصين (ص: ٢٨)]. وقد زرت المسجد المذكور بتاريخ: ١٤١٦/٢/٢٩ هـ — ١٩٩٥/٧/٢٧ م، كما سيأتي في مذكراتي، وقدرت صفوف المصلين فيه — إذا امتلأ هم — — (٢٥ صفاً) في كل صف (٦٠ مصلياً) أي إنه يتسع لـ(مائة وألف مصلى) وهو تقدير مقارب لما ذكره الكاتب الصيني.

(٣) [المسلمون الصينيون (ص: ٤٣)].

فصل الكتاب الصينيون الذين نقلنا عنهم هذه المعلومات بعض التفصيل، فلنكتف بما ذكر.

ملحق عن ترميم هذا المسجد:

أقدم مساجد بكين تحت الترميم^(١).

04/26/article07. — online. net/Arabic/news/2005 — <http://www. islam.shtml>

وحدة الاستماع والمتابعة — إسلام أون لاين. نت / ٢٦ — ٤ — ٢٠٠٥
يخضع حاليًا أقدم وأوسع مساجد العاصمة الصينية بكين والذي يقع في قلب حي "نيوجي" ذي الأغلبية المسلمة لأعمال ترميم من المقرر إنجازها مع نهاية العام الجاري (٢٠٠٥).

وذكر الموقع الإلكتروني لصحيفة "الصين اليوم" الثلاثاء ٢٦ — ٤ — ٢٠٠٥ أن هذا المسجد الذي تم بناؤه منذ أكثر من ألف عام (عام ٩٩٦) خلال فترة حكم سلالة "ليو" (٩٠٧ — ١١٢٥)، يُعدّ أقدم وأوسع مساجد الأقلية المسلمة في بكين.

وأضافت الصحيفة أن "مشروع الترميم" الذي بدأ الأسبوع الماضي ورصد له المجلس البلدي ببكين استثمارات بحوالي ٢٠ مليون يوان (٢. ٤ مليون دولار أمريكي) لن يقتصر على مساحة المسجد الحالية التي تبلغ ٥ آلاف متر مربع، بل سيشمل أيضاً مبنين مجاورين.

وأشارت إلى أن هذين المبنين كانا في الأصل تابعين للمسجد إلا أن عدة منظمات استغلتهما فيما بعد كمدرسة ابتدائية، ومعاهد، بالإضافة إلى مقر لأعمال تجارية، وقد عثرت هذه المنظمات على أماكن بديلة لهذه الأنشطة، وانتقلت بالفعل إليها.

(١) [انظر صورة رقم (٥٠) مسجد نيوجي بملحق الصور].

وأضاف "يو" أن "أحد المبنين سيستأنف نشاطه الأصلي كموقع للسيدات المسلمات، أما الثاني فرمما يتم تحويله إلى مكتب لرابطة مسلمي مقاطعة إكسوانوو".
مكان مؤقت للصلاة:

من جانبه قال "وي تشانجي" نائب رئيس المكتب الإداري للمسجد: "إن أعمال الترميم لن تقتصر فقط على إصلاح المباني القديمة، مثل قاعة الصلاة والبرج المخصص لمشاهدة الهلال (لتحديد بدايات الشهور القمرية)، لكنها ستشتمل أيضاً على تغطية مصادر المياه، وإمداد المسجد بأنظمة للكهرباء والتدفئة".
وأشار "وي" إلى أن رابطة مسلمي المقاطعة "اختارت مبنى على بعد ٢٠٠ متر من المسجد الخاضع للترميم كمكان مؤقت لإقامة الصلاة؛ نظراً لتعذر استخدام المسجد أثناء عمليات الترميم".

"ليو" .. سعيد جداً:

"ليو تشاوليانج" مسلم يبلغ من العمر ٧١ عاماً، عاش كل حياته في حي "نيوجي"، عبر للصحيفة الصينية عن السعادة البالغة التي غمرته حين علم بمشروع الترميم.
وقال: "المسجد هو المركز الروحي لما يزيد على ١٠ آلاف مسلم يعيشون بالقرب منه. أنا سعيد لمعرفة أن المسجد سيتم توسعته، وسيعود إلى تصميمه الأصلي".
وأشار "ليو" إلى أنه "مع اكتمال أعمال الترميم فإن مساحة المسجد ستتضاعف تقريباً، وستجد السيدات المسلمات أماكن خاصة بهن لأداء الصلاة"، متمنياً أن يلتزم "عمال الترميم بتعاليم الإسلام أثناء تواجدهم داخل المسجد".

وحول المكان المؤقت الذي تم تخصيصه لأداء الصلاة لحين الانتهاء من أعمال ترميم المسجد قال "ليو": "من الملائم بالنسبة لي الذهاب إلى المكان الجديد لأداء الصلاة كل يوم، بدلاً من السير مسافة طويلة للوصول إلى المساجد الأخرى في المدينة".
وأوضح قائلاً: "المبنى المؤقت المخصص للصلاة حالياً مملوك أيضاً لمسلمين محليين، وقد أعيد إليهم مؤخراً. وأنا ممن لسياسة الحكومة الدينية".

وقد مرّ مسجد "نيوجي" بثلاث عمليات ترميم خلال أعوام ١٩٥٥، ١٩٧٩،

و١٩٩٦. وقد رمم المجلس البلدي بيكين أيضًا عدة مساجد أخرى خلال السنوات الأخيرة، مثل مسجد "تونجزو" ومسجد "دونجسي". ودخل الإسلام الصين خلال حكم سلالة "تانج" (٦١٨ — ٩٠٧). ووفقاً للإحصاءات الرسمية يوجد حالياً في العاصمة بكين حوالي ٢٥٠ ألف مسلم، يعيش معظمهم في حي "نيوجي" بالعاصمة الصينية. ويبلغ عدد الأقلية المسلمة في الصين نحو ٢٠ مليوناً أغلبهم في مناطق نينجكسيا وكسينجيانج وجانسو كينجهاي. أ.هـ.

عدد المساجد في الصين:

ومع ذلك ذكر بدر الدين حي أن عدد المساجد الذي قبلته الجهات الرسمية في الصين حسب إحصاء سنة ١٩٤٨م (٤٢٣٧١)^(١). لكن بعض الكتاب الصينيين الذين أتوا بعده وهم في داخل الصين، ذكروا أرقاماً أقل بكثير مما ذكر، فقال بعضهم إن عدد المساجد هو: (٢٣ ألف مسجد)^(٢). وقال آخر: (٢٤ ألف مسجد)^(٣).

وهذان الرقمان الأخيران سجلا في عهد الحكومة الشيوعية كما مضى، وإذا صح أحدهما — وصحته بعيدة — فهو يدل على شدة حرب هذه الدولة الملحدة للإسلام والمسلمين، والمحاولة الجادة لتحطيم كل مرفق من مرافقهم التي تساعد على أداء بعض شعائر دينهم. !

انتهى القسم الأول وهو (معلومات عن الصين)
ويليه القسم الثاني، وهو (المذكرات اليومية)

(١) [تاريخ المسلمين في الصين (ص: ١٠٢، ١٠٣)].

(٢) [المساجد في الصين (ص: ١)].

(٣) [إبراهيم فنغ يوان الإسلام في الصين (ص: ٣٩)].

الصين الشعبية . القسم الثاني

المذكرات اليومية ١٤١٦ هـ . ١٩٩٥ م والناتج والتوصيات

رغبة وأسباب:

١ — لقد كانت رغبتي في زيارة الصين الشعبية أشد من رغبتي في زيارة أي بلد آخر من بلدان العالم، مع اشتياقي الشديد لزيارة كل بلدان العالم بل ومدن كل بلد.

٢ — وهذه الرغبة الشاملة — لزيارة بلدان العالم — نبتت نواتها في نفسي منذ بدأت طلب العلم، عندما درست الجغرافيا^(١) التي كان ينفر من دراستها غالب زملائي في معهد صامطة العلمي، حتى إن إدارة المعاهد العلمية في الرياض أصدرت قراراً بتخيير الطلاب في دراسة الجغرافيا والحساب والهندسة أو عدم دراستها، وسُمِّي الطلاب الذين رفضوا دراسة تلك العلوم (متخصصين)، وكان أستاذ الجغرافيا^(٢) لا يجرؤ على القول بأن الأرض كروية — فضلاً عن القول بأنها تدور! — وعندما سألته ذات يوم — فيما بيني وبينه — كيف نتصور كروية الأرض؟ قال لي: هل تكتم السر إذا أريتك الكرة الأرضية التي تتمكن بها من هذا التصور؟ قلت: نعم. قال: فتعال عندي في المنزل، فاستأذنته في أن يحضر معي أحد زملائي^(٣) — وهو يعرف أنه من الراغبين في ذلك — فأذن لي فذهبت أنا وزميلي إليه، فأخرج لنا الكرة الأرضية التي كان يريد إحضارها إلى المعهد، ولكنه عندما بدأ يتحدث

(١) [سنة: ١٣٧٦هـ].

(٢) [واسمه: فكري، وهو مصري].

(٣) [هذا الزميل هو الأخ علي بن عبد الله الأهدل الذي تخرج معي في المعهد، ثم ذهب هو لكلية الشريعة بالرياض، وأنا ذهبت إلى الجامعة الإسلامية، وبعد تخرجه تعوقد معه للتدريس في المعاهد العلمية، ومنها المعهد العلمي في سامطة، ولا زال حياً].

عن كروية الأرض، ثار عليه جميع طلاب الفصل منكرين، أخفاها في منزله، وأخذ يشرح لنا كروية الأرض وقتاً طويلاً — وكان زميلي أسرع فهماً لها مني، لأنه درس مبادئ الجغرافيا في المرحلة الابتدائية بمجدة.

وأما أنا فلم أكن أعرف عنها شيئاً — وكان من ضمن أسئلتي له، عندما رأيت صورة المياه البحرية التي تأخذ مساحة واسعة من اليابسة: كيف لا يسقط الماء من على وجه الأرض مع أنه يوجد كثير منه في الجانب الأسفل منها؟ فذكر لي أن العلو والسفل نسبيان.

ومع ذلك التصور ثم دراسة القارات والدول وتصورها في الخارطة، بدأت تحدثني نفسي بما كنت أظنه من المستحيلات، وهو زيارة بعض تلك البلدان والاطلاع على العجائب التي كنا نسمع عنها ونقرأ، فيما يتعلق بالجبال والغابات والبحار والجليد والأرض التي لا يرى أهلها الشمس إلا نادراً، وألوان البشر والحيوانات المتنوعة...!

٣ — ثم اختفت تلك الرغبة الميؤوس من تحقيقها، إلى أن بدأت طلب العلم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة^(١).

حيث كان زملائي من شتى أقطار العالم، وكانوا كل عام يزددون وتزداد الأقطار التي يفدون منها، وكنت أسمع عن أحوال المسلمين في تلك البلدان الإسلامية أو غيرها، كما كنت أسمع عن وصف تلك البلدان وما فيها من كثرة الأمطار والأنهار والغابات والوحوش.... فعاودتني الرغبة في الاطلاع على عجائب مخلوقات الله في أرضه، وبخاصة أن بعض زملائي كانوا يسافرون في الإجازة الصيفية ثم يعودون للدراسة فتتجدد المعلومات وتشتد الرغبة، ولكن تحقيقها كان عندي شبيهاً بالأحلام الممتعة.

(١) [سنة: ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م].

٤ — ثم مضى الوقت وانتهيت من الدراسة وأصبحت مدرساً في المعهدين التابعين للجامعة (المتوسط والثانوي)، وبدأ بعض المسؤولين والأساتذة في الجامعة يسافرون إلى بعض البلدان في إفريقيا وغيرها، وبدأت أقرأ عن رحلاتهم التي لم يسجلها منهم تسجيلاً فيه شمول — نسبي — ووصف للرحلة إلا أحد المسؤولين في الجامعة^(١). وهنا ازدادت الرغبة وزاد التفكير في الرحلات إلى الخارج، وبدأ الأمل في تحقيق تلك الرغبة ينمو، فأنا من مدرسي المعهدين بالجامعة، وصلتي بالجامعة قوية، ويمكن أن يأتي وقت يقال لي فيه: هل ترغب أن تسافر إلى البلد الفلاني؟ فيكون الجواب سريعاً بالإيجاب.

٥ — وجاء تكليفي بعد ذلك من قبل سماحة شيخي العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الذي كانت وظيفته الرسمية في تلك الفترة، نائب رئيس الجامعة^(٢) القيام بالإشراف على شئون الطلاب في الجامعة الإسلامية، فإذا أنا أعيش ليلاً ونهاراً بين طلاب العالم الإسلامي الذين زادت جنسياتهم بعد فترة عن مائة جنسية، وكان لاختلاطي بهم ومعرفة الكثير عن بلدانهم ومشكلاتهم، حافزاً آخر على الرغبة في الأسفار، حيث كانوا يقدمون بحوثاً في الندوات والرحلات الكثيرة التي كانت تنظم لهم، للتعريف بتلك البلدان وأحوال المسلمين فيها وما يجد فيها من أحداث، واستمر ذلك مدة تقارب عقداً من الزمان.

(١) [وهو الشيخ محمد بن ناصر العبودي الذي ألف أول كتاب له في الرحلات، وهو (في إفريقيا الخضراء) وقد زار بعد ذلك غالب دول العالم، وكتب رحلاته وطبع الكثير منها].

(٢) [وكان رئيس الجامعة — رسمياً — سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، مفتي المملكة العربية السعودية].

أول رحلة في حياتي إلى خارج أرض الحرمين:

٦ — وكان أول سفر لي إلى خارج المملكة سنة ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م إلى جمهورية مصر العربية من أجل مواصلة دراسة الماجستير — انتساباً^(١) في جامعة الأزهر.

وعندما أفلعت الطائرة السعودية من جدة إلى مصر فوق البحر الأحمر أخذت أتأمل في البحر والسحب فأدهشني المنظر وأخذ بلي، وذهبت أفكر في مناظر العالم الفسيح، وبعد فترة راعني منظر آخر جديد لم أره من قبل، وهو نهر طويل يمتد من الجنوب إلى الشمال يتلوى مثل الثعبان، تكتنفه من الجانبين خضرة مستمرة، والنهر والخضرة يقعان في وسط صحراء، فسألت المضيف: ما هذا؟ فقال: ألا تعرف نهر النيل؟ قلت: أسمع عنه ولكني لم أره، قال: هو هذا.

وكنت من وقت خروجي من مطار المدينة إلى جدة ثم من وقت خروجي من مطار جدة فوق البحر الأحمر، أنظم أبياتاً من الشعر من بحر الرجز أصف فيها مشاعري في الرحلة، وأسجل ما يعرض لي، وهذه أول مرة أطل من نافذة الطائرة من الجو، فالطائرة التي أقلتني من جيزان سنة ١٣٨٢ هـ كانت من نوع يسمى "داكوتا" وكانت المرة الأولى في حياتي أركب فيها الطائرة، وكنت طول الوقت أتقيأ لمدة ساعتين ونصف الساعة أو أكثر، فلم أكن أحرؤ على النظر من النافذة.

وهذا نص الأبيات التي نظمتها في رحلة القاهرة:

خرجت من مدينة	نينيا الحبيبة
مودعاً أولادي	في آخر الميعاد
رافقني الأصحاب	وكلهم أحباب
إلى المطار العام	وهو من المفاخر ^(٢)
دخلت في الطيارة	فزالت الحراره

(١) [ذهبت في الإجازة الصيفية مرتين، وبعد الانتهاء من الامتحان أعود إلى عملي].

وانتفضت وطارت	لجُدةٍ قد سارت
وحلقت في الجو	سريعة في العدو
بدأت في القراءة	لأنها هـواي
وفجأة مضينا	قال البرول هاهنا
وعادت الحراره	في خارج الطيارة
وطال بي انتظار	في قاعة المطار
للسند المصدق	إلى مدير الفندق ^(٣)
وكان خير ما حصل	أن زارني الشهم البطل
المسلم النقي	محمد الأبي
وسرت للمطار	في الموعد المختار
وهاهنا تول بي	مشكلة لم تحسب
إن الجواز ما ختم	ووقت سيرنا حتم
ولم أكن بعالم	بهذه المعالم
ألححت في المراجع	واشتدت المنازع
وأخذ الم لازم	في غضب بخاصم
وصعدا لركاب	لكنهم قد آبوا
لقاعة المغادره	منتظرين الطائره
قلت لم التوقف؟	قالوا مريض مدنف
ينقل للقاهرة	مشتشفيا للصدمة
وحصل التصريح	والشكر والتسبيح
وهذه كرامه	تبعها السلامه

(١) كان منح التأشيرة في الجواز شرطاً في السفر تلك الأيام.

(٢) وقد وُسِّعَ كثيراً، حتى أصبح يستقبل الطائرات الدولية الآن.

(٣) كانت الرحلة من جدة إلى القاهرة في اليوم الثاني، والمبيت في الفندق على حساب السعودية.

(٤) السحب.

وفوق بحر الأحمر
وبعد قطع البحر
وارتكم السحاب
لرقصة الطائرة
وفجأة بدا لنا
يمتد في تبختر
بجانيبه تشرّب
ذكرت عند ذلك
كما ذكرت الجنه
وقلت في خشوع
سبحان مجري الماء
وموجد الثمار
فأين شكر المنعم
وبدت القاهرة
ولم تزل دواره
وكان ذاك بغية
فما يراه العالي
وبدت العجائب
فذا قدّم هاجع
وفي المطار المزدحم
وكانت المعامله
وسرت في طريقي
نزلت بالميدان
واختلفت أجوائني
فما ليّيت الله
ومما مثل طيبة
لكنها الأسفار

جدت همذي الأسطر
طربنا بذات قفر
وانتفض الركاب
وزحمة القاطرة^(٤)
مرحبا نيل المني
على مرور الأعصر
حقوليه وتطرب
قدرة ربي المالِك
فالنيل منها منه
سائلة دموعي
في هذه الصحراء
في هذه القفار
على جزيل النعم
وجالست الطائرة
تنظر الإشهاره
تتمعنا بالرؤية
أوسع في الجبال
وزادت الغرائب
وذا جديدا لامع
كان المسير قد ختم
لطيفة وعاجله
للأزهر العريق
في فندق الرضوان
في هذه الأحياء
في الأرض من مُضاه
في الأرض من محبة
تفرضها الأوطار

فيا إلهي حقق مرام كل متق
وهذه رسالتى إلى جميع الإخوة
مسلماً وداعياً وللقاء راجياً

وصفت هذه الرحلة، مع أن بينها وبين أول رحلة دعوية ست سنوات، وبينها وبين رحلة الصين هذه، أربع وعشرون سنة، ليدرك القارئ مدى رغبتي في الرحلات وعاطفتي للجياشة مع المناظر، رمالاً وجبالاً، وغابات وصحارى، وأتجاراً وبحاراً، ومباني ومدناً.. وسيجد القارئ ذلك واضحاً في جميع هذه السلسلة من الرحلات..

وكانت هذه الرحلة المصرية المحدودة، من الأسباب التي ضاعفت الرغبة في رحلات أوسع.

وحقق الله الرغبة:

نعم حقق الله الرغبة: ففي سنة ١٣٩٨هـ حيث دعاني فضيلة الأخ الكريم الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد، نائب رئيس الجامعة، وكنت عندئذ عميداً لكلية اللغة العربية والآداب في الجامعة^(١) وكان رئيس الجامعة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، فعرض عليّ السفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية لحضور (مؤتمر علماء الاجتماع المسلمين) الذي سيعقد في إنديانا بولس، فلم أتأخر عن الرد الإيجابي لحظة واحدة، إلا أنني قلت له أمهلني لأحدد خط السير، وذهبت لقراءة الخارطة العالمية — المسطحة والكروية — ثم حددت خط السير كما يلي:

المدينة، جدة، لندن، نيويورك، إنديانا بولس، ديترويت، شيكاغو، لوس أنجيلوس، طوكيو، هونغ كونغ، كراتشي، جدة، المدينة.

(١) [قبل أن يغير اسمها كلية اللغة العربية فقط].

ورجوت الشيخ أن يوافق على هذا الخط، لتتمكن بعد حضور المؤتمر من زيارة هذه المناطق للاطلاع على أحوال المسلمين فيها، فتمت الموافقة وكانت رحلات عالمية ممتعة، كما كانت فاتحة لرحلات وطئت قدمي فيها جميع القارات ما عدا قارة أمريكا اللاتينية، زرت خلالها ما يقارب خمسين دولة، وما شاء الله من المدن، وركبت فيها الطائرات والبواخر والقطارات والسيارات.. وبعض البلدان زرتها أكثر من مرة.

وقد سجلت جميع زياراتي في هذه الرحلة العالمية في مذكرات يومية، وقد أفردت هذه الرحلة مع الرحلة الثانية للولايات المتحدة الأمريكية في المجلد الأول من هذه السلسلة، وعنوانها العام: (في المشرق والمغرب) ولقد كانت كتابة هذه الرحلة^(١) شبيهة بالطفولة ثم تلتها رحلات مرافقة ثم الشباب ثم الكهولة، ولعلها تستمر إلى آخر الشيخوخة، أعني بذلك من حيث الكتابة واللقاءات والاقتراحات وغيرها، وسيعرف ذلك من يطلع على المذكرات مسلسل، كان ذلك خلال أكثر من عشرين سنة.

حنين شديد وأسباب:

وكنت في كل تلك السنين أفكر — والشوق يملأ جوانحي — في زيارة الصين الشعبية، ولو أنني خیرت بين زيارتها والكف عن زيارة بقية البلدان لما ترددت في اختيار زيارة الصين، مع أنني لا أرغب في انقطاع الرحلات. وكأني بالقارئ قد خطر بباله أن يقول: ولم كل هذه الرغبة التي جعلتك تفضل ترك زيارة بلدان كثيرة لتزور بلداً واحداً؟

(١) وتم تحديثها وجمع معلوماتها وتنقيحها وطباعتها بالكمبيوتر وإدراج صور الأماكن التي زرتها، وهي المجلد الأول من هذه السلسلة (في المشرق والمغرب).

وأبادر فأجيب: بالأسباب الآتية:

السبب الأول: شُح المعلومات الواضحة قديماً عن هذا البلد، وأقصد بالواضحة أنك نادراً ما ترى أمام عينيك في المكتبات كتاباً — باللغة العربية — عن الصين، لأن الصين باسمها الصريح لم يدخلها الفاتحون فاتحين، كما دخلوا غيرها من البلدان المجاورة لها، ولذا تجد الكتاب يقولون — مثلاً — لقد وصل الفتح الإسلامي إلى حدود الصين شرقاً، وإلى بحر الظلمات غرباً، لذلك لا يفكر في البحث عن معلومات عن الصين إلا الباحث الذي يضطر إلى أن ينقب في المراجع القديمة التي قد لا تخطر ببال القارئ العادي.

السبب الثاني: شُح المعلومات عن هذا البلد حديثاً، فقد عزلته الحكومة الشيوعية عن العالم عزلاً قد لا يكون سبق له مثيل حتى في أيام بناء السد المعروف عند الصينيين وغيرهم بـ(سور الصين العظيم) وسيأتي الحديث عنه.

السبب الثالث: مضي فترة طويلة من حياتي في المدينة المنورة، لم أر حُجَّاجاً أو أسمع عن حجاج وفدوا من الصين، وهذا من أثر العزلة المذكورة.

السبب الرابع: ما نسمع من بعض وسائل الإعلام من اضطهاد إخواننا المسلمين ومضايقتهم، وهدم مساجدهم وقتل علمائهم وحرق مصاحفهم... وقد أخذتُ بعض المعلومات من بعض الإخوة الصينيين في هونغ كونغ في رحلاتي المتكررة لها، حيث كانت نقطة عبور لي في عدد من الرحلات.

السبب الخامس: ما نسمعه عن الصين من أنها بلد العجائب والغرائب، ومن أهم غرائبها سورها العظيم الذي قال عنه بعض الناس: إنه سد ذي القرنين الذي وراءه ياجوج ومأجوج.

السبب السادس: أن الممنوع تشتد الرغبة فيه أكثر من غيره، كما قيل: "وحب شيء إلى الإنسان ما منعا".

ولم يُعرض عليَّ السفر إلى الصين طيلة المدة التي قضيتها في الجامعة موظفاً (٣٥ سنة) بخلاف غيرها من البلدان.

خوف ومسوغات:

وكنت مع تلك الرغبة الشديدة في زيارة الصين في خوف شديد من زيارتها للمسوغات الآتية:

المسوغ الأول: عدم وجود علاقات بين الصين وبين حكومة المملكة العربية السعودية تلك الأيام، فلا سفارة للصين عندنا، ولا سفارة لنا في الصين^(١) وسفر مواطن من بلده إلى بلد آخر لا علاقة له بوطنه مخاطرة قد لا تحمد عقباها، إضافة إلى صعوبة الحصول على تأشيرة.

المسوغ الثاني: كثرة الاضطرابات والقلق التي كانت تحصل في الصين وكانت تنشرها وسائل الإعلام العربية باستمرار.

المسوغ الثالث: ما كنا نسمع من موقف الحكومة الشيوعية من رقابة صارمة على الأجانب وملاحقتهم أينما حلوا وارتحلوا، وعدم السماح لهم بالاختلاط بالصينيين، لا في السكن ولا في الفنادق ولا في الأسواق، وماذا عسى أن يرغبني في سفر إلى بلد هذا شأنه، وبخاصة أن هدي الأول من الزيارة هو الاجتماع بالمسلمين ومعرفة أحوالهم وتسجيلها كما أفعل في رحلاتي كلها، وموقف الحكومة من المسلمين بالذات كان موقف ريبة وحذر أكثر من أي طائفة أخرى؟

المسوغ الرابع: عدم معرفة أحد في البلد، لا من الصينيين ولا من غيرهم، بخلاف الحال في البلدان الأخرى في الشرق أو الغرب، فقد تعرفت قبل سفري على من يساعدني في كل البلدان التي زرتها، وحصلت على عناوين وأرقام هواتف في أوروبا وأمريكا وأستراليا واليابان وغيرها، أما الصين فلا أعرف لها رأساً من ذنب!

المسوغ الخامس: — وهو ناتج عن المسوغ السابق — صعوبة التفاهم مع الناس باللغة، من الذي سترجم بيني وبين صاحب الفندق، أو صاحب المطعم، أو موظف

(١) [وقد أنشئت فيما بعد علاقات تدرجية حتى صارت على مستوى السفارات].

المطار، أو سائق سيارة الأجرة، أو موظف الحجز في المطار، وبخاصة أن غالب الصينيين لا يتكلمون إلا بلغتهم، والذي تعلم اللغة الإنجليزية — مثلاً — حوَّها إلى لهجته حتى أصبحت كأنها لغة صينية^(١).

وأنا ليس عندي إلا كلمات قليلة لا تسمن ولا تغني من جوع لدى أهلها الأصليين، فكيف بالصينيين؟

المسوغ السادس: أن هؤلاء القوم ملحدون، لا تحل ذبائحهم للمسلم إجماعاً، وهم لا يتورعون كما سمعنا من أكل شيء يوجد على ظهر الأرض أو في بطنها، من كلب وقط وخنزير وغبان وعقرب وحشرات وفأر وجرذ... فماذا أصنع إذا لم أجد من ينقذني من هذه الورطة؟

المسوغ السابع: ما كنت أسمع عنه من صعوبة المواصلات، وأن الذي لا يحجز مبكراً في تنقلاته برأ بالسيارة أو القطار، أوجواً، أو بحراً، قد لا يتمكن من السفر إلا بعد مشقة وانتظار.

المسوغ الثامن: أي قد أجد من يرافقني ويساعدني من الإخوة الصينيين الذين تعرفت عليهم في هونغ كونغ في بعض هذه المهمات دون بعض^(٢).

ولكني أحتاج إلى نفقات لي ولهم: سكناً وركوباً وطعاماً... ومن أين لي ذلك؟

المسوغ التاسع: عدم وجود نفقة كافية، لرحلة مجهولة العواقب.

هذه المسوغات ونحوها — وكل مسوغ منها كاف في الخوف من هذه الرحلة — جعلتني أترث كثيراً في السفر إلى الصين في وقت مبكر.

(١) [لست هذا من الصينيين في هونغ كونغ].

(٢) [كالت ترجمة. وإن كان الآن يوجد في المركز الإسلامي في هونغ كونغ من يجيد اللغة العربية (الإمام ونائبه) كما سيأتي].

تصميم واستعداد:

١ — في سنة ١٤١٥ هـ أخذت قراراً من الجامعة بإجازة تفرغ علمي لمدة سنة^(١) قضيت غالبها في كتابة بعض البحوث، وقضيت بعضها في زيارة لدولة كينيا في إفريقيا، وقد سجلت مذكراتي عنها في كتاب^(٢)، وهو جاهز للطبع، وبدأت من أول هذه السنة أقتطع من راتبي مبلغاً شهرياً لرحلة الصين.

٢ — كما اتصلت ببعض أساتذة الجامعة الإسلامية الذين أقاموا دورات في بعض مناطق الصين لتدريس اللغة العربية، والذين زاروها لاختيار طلاب منها للالتحاق بالجامعة، للسؤال عن الأوضاع هناك، وأخذ بعض ما عندهم من العناوين وأسماء الأشخاص الذين يمكنني الاتصال بهم.

٣ — اتصلت برابطة العالم الإسلامي — وبخاصة الشيخ محمد بن ناصر العبودي الأمين المساعد للرابطة — الذي زار الصين رسمياً وكتب عنها، فبعث لي ببعض العناوين، وكتب لي توصية لبعض المسؤولين في الجمعية الإسلامية الصينية.

٤ — طلبت من بعض الأساتذة في الجامعة الإسلامية الذين لهم معرفة بالطلبة الصينيين فيها، أن ينتخبوا لي أحدهم ممن يجيدون اللغة العربية وعنده نشاط ومعرفة ببلدان الصين، ليستقبلني عند قدومي إلى بكين ويرافقني — لأنني قررت السفر في الإجازة الصيفية من سنة ١٤١٦ هـ.

والطلاب يسافرون في الإجازة الصيفية إلى بلدانهم ويعودون على نفقة الجامعة، ولم أتمكن من الحصول على المطلوب بالصفة التي أريد، وإنما وجدت طالباً أسلم حديثاً — قبل ثلاث سنوات تقريباً — وهو قليل المعرفة بالبلاد، وأقل معرفة بالمسلمين، ولغته العربية لا بأس بها في الجملة، فاتفقت معه على أن يقابلني في بكين عند

(١) [وهذه هي المرة الثالثة التي حق لي فيها التفرغ، حسب النظام، وبين كل مرة وأخرى خمس سنوات].

(٢) [وهو المجلد الثامن عشر من هذه السلسلة (المشارك والمغارب)].

قدومي^(١).

٥ — بعثت بخطاب عن طريق الفاكس إلى الإخوة في هونغ كونغ (المسؤولين عن المركز الإسلامي) قبل السفر بشهر أو أكثر، طلبت منهم فيه المساعدة بإعداد عناوين والاتصال بمن يعلمون استعدادهم لمرافقتي ممن يجيد العربية، وإعداد خطة سير للمناطق التي يرون أنها جديرة بالزيارة، وإشعار المسلمين فيها بذلك، وأخبرتهم بهدي من الزيارة وبوقت نزولي في هونغ كونغ، وطلبت منهم الحجز في فندق مناسب، وكانت المعرفة بيننا قديمة واللقاء متكرراً وهم راغبون في زيارتي للصين، إذ قد أخذت منهم عن الصين بعض المعلومات سنة ١٤٠٠هـ وسنة ١٤٠٩هـ، وقدمت تقريراً بذلك إلى الجامعة الإسلامية، واقترحت الاهتمام بقبول الطلبة الصينيين، ونفع الله بذلك، وجاءني الجواب من الإخوة في هونغ كونغ، بأنهم على استعداد للتعاون.

٦ — ما مضى يبين للقارئ أنني بذلت جهداً كبيراً ومبكراً في الاستعداد لهذه الرحلة، لم أبذل لرحلة أخرى في أسفاري الكثيرة، وهو يدل على الخوف من عواقب هذه الرحلة، كما مضى.

الإخوة الذين عنيتهم في هونغ كونغ هم الأخ يوسف يو، رئيس المركز الإسلامي في هونغ كونغ، ونائبه أبو بكر، والأخ علي تنج، إلا أن هذا الأخير لم يُبلغ وهو من أنشط المسلمين الصينيين في هونغ كونغ في خدمة المسلمين الوافدين إليها.

(١) [اسمه العربي (إبراهيم) واسمه الصيني (TANG HAI TANG KE DE) وسياحي الكلام عنه، حيث أحرقت معه مقابلة وسجلت معلومات عن حياته وعن دخوله في الإسلام، وقد كان هو رفيقي في الرحلة كلها، وكانت استفادتي منه في تحقيق هدف الرحلة ضئيلة، لعدم معرفته بالناس كما سيأتي... ووجود شيء خير من لا شيء].

أهدافي من الرحلات:

لرحلاتي كلها هدفان عامان:

الهدف الأول: التعرف على أحوال المسلمين.

من أجل مذاكرتهم في شئون الدعوة والتعليم، وما يعترضهم من مشكلات، وما الحلول التي يتخذونها لحلها، أو ما يمكن أن يقترح لذلك. وهذا هو أهم الهدفين.

ويدخل في هذا الهدف الأمور الآتية:

الأمر الأول: مقابلة زعماء الجمعيات أو الجماعات الإسلامية، وتدوين ما يدلون به عن نشاط مؤسساتهم، وكذلك مديرو المدارس وأئمة المساجد، وعلماء البلد المهتمين بالدعوة والتعليم أو أحدهما، وغيرهم ممن لهم ثقل في البلد وخبرة بشؤون المسلمين.

الأمر الثاني: إلقاء أسئلة بحث البلاغ المبين، على كل من رأيت إمكان الاستفادة منه في هذا الباب، كل فيما يخصه، وتدوين الإجابات مفصلة للرجوع إليها عند الحاجة.

الأمر الثالث: مقابلة من يمكنني مقابلته من المسلمين الجدد في كل بلد، لأخذ معلومات مفصلة — في الغالب — عن كل واحد منهم، عن حياته وأسباب دخوله في الإسلام، وفهمه له وصلته بالمسلمين، وموقف أهل بلده منه وبخاصة أسرته إن لم تكن قد اهتمت مثله...

الأمر الرابع: مقابلة غير المسلمين من أساتذة وباحثين ومستشرقين وغيرهم، وإلقاء أسئلة تتعلق بفهمهم للإسلام، ومصادر معرفتهم له، وقواعد بحثهم التي يسيرون عليها، والشبهات التي يثيرونها أو تثار من غيرهم على الإسلام، ومناقشتهم في ذلك حسب الإمكان.

وقد استخلصت من مقابلاتي لهذين الصنفين — مسلمين جدد وغير مسلمين،

وغالبهم من أوروبا — في رحلتي الأوربية جزئين طبعاً، عنوان أحدهما: حوارات مع مسلمين أوروبيين، والآخر بعنوان حوارات مع أوروبيين غير مسلمين^(١).

الأمر الخامس: عقد ندوات في المؤسسات الإسلامية، وإلقاء محاضرات تتعلق بشئون الدعوة والتعليم، وجلسات خاصة مع زعماء المسلمين، لإبداء الاقتراحات المناسبة للعمل الإسلامي — دعوةً وتعليماً وتعاوناً بين الجماعات والجمعيات الإسلامية — وتقديم تقارير عن أحوال المسلمين في البلدان التي أزورها، للمؤسسات الإسلامية المعنية بالدعوة والتعليم في المملكة العربية السعودية، واقتراحات لما يمكن أن تقوم به تلك المؤسسات، وبخاصة الجامعة الإسلامية، التي تتم أسفاري — غالباً — بانتداب منها، ورابطة العالم الإسلامي، والرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، قبل إحداث وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية والدعوة والإرشاد.

الهدف الثاني: تحقيق رغبتى في زيارة بلدان العالم.

للتعرف عليها والاطلاع على ما فيها من جمال أودعه فيها الخالق ﷻ، من بحار واسعة، وأنهار جارية، وغابات ملتفة، وأشجار مثمرة، وجبال شاهقة، ومناخ منعش، ومدن عامرة بقصور عالية تناطح السحب السائرة، وبالجملة (النظر في ملكوت الله الذي يزيد الإيمان بقدرته وعظمته تعالى). والذي يطالع مذكراتي: (في المشارق والمغارب) سيرى هذين الهدفين بارزين فيها.

اليوميات بداية ونهاية:

بداية الرحلة في يوم الأربعاء: ١٤١٦/٢/٢١ هـ — ١٩٩٥/٧/١٩ م

ونهايتها في يوم الخميس: ١٤١٦/٣/٢١ هـ — ١٩٩٥/٨/١٧ م

(١) [وهي مبثوثة في هذه السلسلة].

من جدة إلى بانكوك:

الأربعاء ١٤١٦/٢/٢١ هـ — ١٩٩٥/٧/١٩ م

أقلعت بنا الطائرة من مطار الملك عبد العزيز الدولي بجدة في الساعة: ١٥/٢١، وهبطت في مطار الملك خالد الدولي بالرياض في الساعة: ٢٢/٣٠ ولم تقلع إلا في الدقيقة العاشرة بعد منتصف الليل.

الخميس ١٤١٦/٢/٢٢ هـ — ١٩٩٥/٧/٢٠ م

وكان وصولنا إلى مطار بانكوك الدولي في الساعة: ١٥، ٧ بتوقيت المملكة وهو يوافق ١١/١٥ بتوقيت بانكوك، أي إن مدة الطيران كانت سبع ساعات وخمس دقائق.

وكانت مدة الانتظار في مطار بانكوك (ترانزيت) ثلاث ساعات وخمساً وأربعين دقيقة.

الأثر يدل على المسير:

بعد أن استرحت في قاعة استقبال — في مكتب الدرجة الأولى — حان وقت صلاة الظهر، توضأت، ثم أخذت أسأل الموظفين في المكتب عن القبلة، فلم يجبني أحد، فسألت عن جهة شروق الشمس وغروبها، فبدت علامة التعجب على وجه القوم! وقد نسيت آلة تحديد القبلة في هذه الرحلة فقط، فقلت لإحدى الموظفات: أريد أن أصلي (PRAYER)، فتهللت وجه الجميع، وأخذوا يقهقهون من شدة الفرح بفهم ما كنت أريده من الأسئلة السابقة، فقالت لي الموظفة: نعم نعم الآن فهمنا، تعال معي، وفتحت باب إحدى الغرف، فإذا هي مُصَلَّى، وبها سجادة موجهة إلى القبلة، ومصحف، وقد علقت على الجدار في جهة القبلة قطعة قماش كتبت عليها آية الكرسي كتابة جميلة، فسررت بذلك كثيراً، كما سرَّ الموظفون.

لو اهتم المسلمون بدينهم لنالوا احترام الناس لهم:

وهنا أود أن أذكر بأن الأمة الإسلامية لو تمسكت بدينها في سفرها وحضرها، لاحترم الناس دينها وراعوا مشاعرهم، وعاملوها بمقتضى ذلك الدين، فلم يكن

يوجد بالمطارات الأجنبية قبل فترة من الزمن مصلى للمسلمين، لا في الدرجة الأولى ولا في غيرها، ولكن تصاعد الصحوة الإسلامية ووجود بعض المسافرين المسلمين الذين يلحون على موظفي المطارات في معرفة جهة القبلة ومكان يصلون فيه، جعل الناس يعدون مثل هذه المصليات، فذلك أثر من آثار هذه الصحوة المباركة: و(الأثر يدل على المسير)..
وإيغال في التقصير!

ولو أن الشركات الإسلامية التي تتعامل مع الشركات الأجنبية — سواء كانت جوية أو تجارية أو غيرها — اشترطت على تلك الشركات التعامل معها على أساس توفير ما يحتاجه المسلمون في أسفارهم — براً أو بحراً أو جواً — أو إقامتهم في الفنادق، من طعام حلال ومترجمين لمن لا يجيد اللغات الأجنبية، لما تأخرت تلك الشركات عن تحقيق ما يطلب منها، لأنها في حاجة إلى التعامل مع الشركات الإسلامية، ولكن غالب المسلمين الذين في استطاعتهم فرض هذه الشروط على شركائهم من غير المسلمين، موغلون في التقصير في حق أمتهم ودينهم ولغتهم، ليس عندهم اهتمام بكل ذلك، إما خجلاً من إظهار إسلامهم الذي يحقق فيهم قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١)، وإما كرها لهذا الدين وكل ما يمت إليه بصلة.

من بانكوك إلى هونغ كونغ:

وكان الإقلاع من مطار بانكوك إلى هونغ كونغ، على الطائرة التايلندية في الساعة: ١٥،٠٠ وهبطت في مطار هونغ كونغ في الساعة: ١٢، ١٧ بتوقيت بانكوك الذي ينقص عن توقيت هونغ كونغ بساعة واحدة، أي إن مدة الطيران كانت

(١) سورة فصلت، آية: ٣٣.

ساعتين واثنتي عشرة دقيقة من بانكوك إلى هونغ كونغ^(١).

من هونغ كونغ إلى بكين:

الأحد ١٤١٦/٢/٢٥ هـ — ١٩٩٥/٧/٢٣ م

ودعني الأخوان إمام المسجد في المركز الإسلامي الأخ "عثمان" والأخ "علي تنج" — وسيأتي التعريف بهما — في مطار هونغ كونغ، وأقلعت بنا الطائرة الصينية: في الساعة: ٣٠، ١٢ ظهراً، وكنت ضمن ركاب درجة رجال الأعمال، وهي مزحومة — فعلاً — برجال الأعمال من الصينيين والأوروبيين، الذين لا يدعون آلائهم الحاسبة إلا لتناول الطعام والشراب، وكان بجانب رجل أعمال صيني، وكنت أشاركهم في العمل على الآلة^(٢)، إلا أنهم يسجلون في آلائهم مبالغ الدولارات وحسابات التجارة ومواعيد الأعمال التجارية المالية، وأنا أسجل ملحوظاتي حول مقابلاتي وتنقلاتي واستفساراتي فيما يتعلق برحلي وتحقيق أهدافها.

ابن الوزير والفأر!

كان صاحبي الصيني يلتفت إليّ خلسة بين وقت وآخر، وأنا ألحظه دون أن أظهر له أي انتباه، ثم أخذ ينظر إلى كتابتي في المفكرة الرقمية، بدون تحفظ، فلم يشف غلته، ثم التفت إليّ قائلاً: (معدرة EXCUSE ME).

قلت له: تفضل.

قال: هل هذه أول زيارة لك إلى الصين؟

قلت: نعم.

قال: وما الهدف من زيارتك؟

(١) [هذا وقد ذكرت ما سجلته من معلومات في هونغ كونغ التي مررت بها ذاهباً إلى الصين وراجعاً منها في الجزء الخاص برحلات هونغ كونغ في المجلد الثالث من هذه السلسلة، وعنوننت له بالزيارة الرابعة لـ (هونغ كونغ) فليراجع هناك].

(٢) [المفكرة الرقمية العربية].

قلت: قضاء إجازة.

قال: ما عملك؟

قلت: مدرس.

قال: هل تعرف أحداً في بكين؟

قلت: لا.

قال: وأين تزل؟

قلت: أي فندق.

قال: هل ستزور مدنا أخرى في الصين؟

قلت: ربما.

قال: من أين أنت؟ FROM WHERE?

قلت: من السعودية.

قال: في دبي؟ FROM DUBAI!

قلت: على مقربة منها!

ثم حاولت أن أتشغل عنه بالالتفات من النافذة إلى الأرض، لشدة ما أحسست به من الفضول، ولقد ندمت على الانفتاح معه في الكلام، لأني أتعب كثيراً في تلمس المفردات الإنجليزية التي كنت أخلط فيها عباساً بدباس، كما أنني أتعب كذلك في فهم عبارات صاحبي، وقد أفهم من كلمة زيد عمراً، ومن كلمة خالد بكراً، ولكن الرجل كان يصبر كثيراً ويكرر لي الكلمات بتأني لأفهم منه، على خلاف أبناء جنسه الذين يسرعون في الكلام ويطوونه طياً في مخارج حروفهم الصينية العجيبة، كما كان يصبر كثيراً علي حتى أجمع له بعض المفردات، ولعل له مارباً تجارياً أو أمنياً جعله يستمر في مخاطبتي ويصبر!

أقول: ندمت لأن عاداتي أن أريح نفسي في أسفاري، إذا لم أكن محتاجاً إلى الرطانة

الصعبة، فأقول لمن يتكلم معي: (NO SPEAK ENGLISH)

وكان هذا الرجل من أحق الناس بهذه الحيلة.

دلالة الحوار:

خرجت من هذا الحوار بما يأتي:

أولاً: أن هذا الرجل، إما كثير الفضول، وإما أنه من رجال المخابرات الصينيين أو غيرهم، وإما أنه كان يطمع في أن أكون رجل أعمال أحتاج إلى عميل أو وسيط لينال مني شيئاً، ولعل الثلاث مجتمعة فيه.

ثانياً: ذكرني قوله مستفهماً، بعد أن ذكرت له: أني من السعودية — من دبي؟ بقصة تحكى لمن عرف شيئاً فَنَسَبَ كُلَّ شيءٍ إليه، ذلك أن ملكاً سجن أحد الوزراء لجريرة صدرت منه، وكان للوزير ابن متعلق به، فاستأذن من الملك في أن يرافقه ابنه في السجن، فأذن له، وعندما دخل غرفته في السجن رأى ابنه الصغير دويبة تتحرك في الغرفة، فسأل أباه: ما هذا؟ قال له: فأر، فسكت، ثم كان كلما قدّم لهما طعام مع اللحم — تارة يكون لحم ضأن، وتارة لحم دجاج، وتارة لحم بقر، وتارة لحم جمل — يسأل الولد أباه: هل هذا هو لحم الفأر؟!

وقد ذكر ابن خلدون رحمه الله حكاية ابن الوزير، في سياق من ينكر أحوال الدول لمجرد أن بعضها ليس بمعهود عنده: "إياك أن تستكثر مثل هذا من أحوال الدول بما أنك لم تره، فتكون كابن الوزير الناشئ في السجن. وذلك أن وزيراً اعتقله سلطانه ومكث في السجن سنين، ربيَ فيها ابنه في ذلك الحبس، فلما أدرك وعقل سأل عن اللحم الذي كان يتغذى به؟

فقال أبوه: هذا لحم الغنم، فيصفها أبوه بشيائها ونعوتها، فيقول: يا أبتِ تراها مثل الفأر، فينكر عليه ويقول: أين الغنم من الفأر؟ وكذا في لحم الإبل والبقر، إذ لم يعاين في محبسه من الحيوانات إلا الفأر، فيحسبها كلها أبناء جنس الفأر...^(١)..

(١) [المقدمة ص: (٣٢٣) نشر دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة].

فهذا الرجل يبدو أنه لم يسمع من البلدان العربية إلا دولة دبي، لأنها بلد تجاري مشهور، ولذلك جعل السعودية من دبي أو العكس، واتضح لي بعد ذلك أن كثيراً من الصينيين لا يعرفون من العالم شيئاً، بل ربما بعضهم لا يعرفون بعض مدن بلدهم، فلعل غالبهم أبناء وزراء لا يعرفون من اللحوم إلا لحم الفأرة!.

سهولة لم أتوقعها في مطار بكين:

وهبطت بنا الطائرة في مطار بكين الدولي في الساعة: ١٥. ٠٠، وكنت قد حملت معي كمية من التمر، بدلاً من الكتب التي جرت عادتي أن أملأ حقائبي بها، من مؤلفاتي وغيرها لأهديها للمسلمين في البلد الذي أقصده، لأن كل من سألته عن أحوال الصين وموقف الحكومة من الزوار، يبالغ في تحذيري، وبخاصة من حمل الكتب، فلم أحمل معي أي كتاب سوى المصحف الذي وضعته في جيبي خشية مصادرتة، وكنت أتوقع تفتيشاً دقيقاً يتعني في ترتيب متاعي، الذي أصبحت بعض حقائبي تشكو إلى بارئها منه.

وكنت كتبت معلومات الجوازات في البطاقة، مثل كتابة الطفل الذي يبدأ التعلم في أول مراحلها، واتضح لي بعد المرور بموظفي الجوازات، ثم بالجمارك أن الصين تحاول أن تثبت للناس أنها بدأت تسير — في الجملة — في المعاملة الغربية المتساحة التي لا تضايق الناس في دخولهم وخروجهم في الجوازات والجمارك^(١).. فلم يطلب مني موظفو الجمارك أي شيء.. وهنا ندمت على عدم حملي بعض الكتب التي ظهر لي شدة حاجة المسلمين الصينيين إليها، ولات ساعة مندم.

انتظار وترقب ومشروع احتياطي:

خرجت من قاعة المطار ونظرت بمنة ويسرة لأرى الأخ الصيني إبراهيم، وهو وحده

(١) [ولكن دول الغرب الآن بدأت تراجع عن هذه المعاملة، بزعم مكافحة الإرهاب، وتضايق السريء والمريب على السواء وبخاصة إذا كان من المسلمين بعد تفجيرات نيويورك].

الذي أعرفه إذا رأيته، وصهره مصطفى صالح، فلم أر أحداً، وخشيت أن تتكرر قصة هونغ كونغ، وإذا حصلت في الصين فالأمر أشد وأنكى، فلا أعرف الفنادق، ولا قيمة العملة، وكنت أتصور أن الفنادق عندهم كلها صينية، والسكن فيه قد يكون مختلطاً، وكيف ستكون نظافتها، وكيف الأمن فيها وفي غيرها؟ كل هذه الأسئلة وردت عليّ خلال خمس دقائق تقريباً.

وقلت في نفسي: لا أغادر المطار إن لم أجد أحداً، بل إن تيسر لي الاتصال بالأخ مصطفى، وإلا فقد دار بخاطري مشروع: (آخر الدواء الكي) وهو أن أطلب من موظفي المطار أن يحجزوا لي على أول طائرة تسافر إلى هونغ كونغ. وإذا كان الذهن يسبح في ذلك الخيال، والبصر يكاد يخترق وجوه الغادي والرائح، لمحت أربع أعين تدور تصور وجوه الناس، مثل كمره الفيديو، فكانت عيون مصطفى وإبراهيم، وكان يبدو على وجه كل منهما — وهما يتلفتان — شيء من القلق، فلما أشرت لهما بغير المنظر، ورأيت عليهما البشر والسرور، وبخاصة إبراهيم الذي أكدت عليه كثيراً في منزلي بالمدينة قبل مدة طويلة، كما سررت أنا أيضاً، وذهبت عني تلك الخيالات والأوهام.

١ - في مدينة بكين

مظاهر مغرية، ومخابر مؤذية!

كنت طلبت من الأخ مصطفى عن طريق الهاتف من هونغ كونغ أن يحجز لي في فندق من فئة الدرجة الأولى ذات النجوم الخمسة، ويسأل إن كان يوجد تخفيض لبعض البطاقات التي أحملها، وسألته: ماذا صنعت في أمر الفندق؟ قال: يوجد فندق صيني من فئة الدرجة الأولى، يتزل فيه ضيوف السفارة السعودية، وخدماته طيبة، وهو نظيف، وعندما اقتربنا منه، قال: هذا هو الفندق، فما رأيك فيه؟ قلت يبدو أنه فندق ممتاز، وعسى أن يكون المخير كالمنظر، وهو فندق كثير الأدوار يشبه في طوله بعض الأبراج ويسمى: يو يانغ هوتيل (YU YANG HOTEL) ودخلنا الغرفة، فإذا المنظر أقل بكثير من المخير، ولكنه مقبول، لأن الفنادق الأخرى كما قال الأخ مصطفى غالية، ولا فرق كبيراً بينها وبين هذا الفندق.

قال الأخ مصطفى: ما رأيك في أن نذهب إلى مطعم خاص بصناعة: البيتزا، تناول الطعام ثم تعود لتأخذ راحتك؟ قلت: لا بأس، فذهبنا وتناولنا الطعام، وكان لذيذاً وأصنافاً.

وعندما رجعنا قال لي الأخوان: هل نصعد معك؟ قلت: لا حاجة، فذهبنا، وأنا صعدت إلى الغرفة، وأدخلت البطاقة في فتحة الباب (المفتاح بطاقة — كارد — كما هو الحال في كثير من الفنادق الآن — فلم يفتح الباب برغم محاولتي المتكررة، فتلفت لأجد عاملاً في الدور الذي أنا فيه فلم أرَ أحداً، وتلفت لأجد هاتفاً لاتصل بموظفي الاستقبال فلم أجد هاتفاً في الممر، فاضطرت إلى التزول بنفسي، وأخبرتهم بأن الباب لم يفتح، فنظروا في البطاقة وأدخلوها في الكمبيوتر، ثم أعادوها إلي وقالوا: الآن يفتح، وعللوا عدم الفتح أولاً بعلّة لا أدري ما هي.

فصعدت وحاولت أن أفتح فلم يفتح، واضطرت للرجوع إليهم مرة أخرى، وقطبت وجهي وصرخت فيهم متكلماً بكلمات عربية وأخرى إنجليزية، أفهمتهم

فيها أني متعب، وأن الفندق سيئ، فصعد معي أحدهم بمفتاح من حديد، وحاول فتح الباب فلم يفتح، واضطروا إلى خلع يد الباب، وقلت لهم غيروا لي الغرفة، فرطنوا بكلام فهمت منه أنه لا توجد غرفة غير هذه الآن.

ودخلت أريد أن أنام — وكنت مرهقاً — والباب مردود غير مقفل، وكنت خائفاً من أن يقتحم علي الغرفة من لا يخاف الله — بل لا يؤمن به — ولا يرحمني! ولكن التعب كان أقوى من الخوف، فوضعت جنبي باسم ربي.

وعندما بدأت السباحة في بحر النوم أفرعني طرق بالباب، فاستعدت بالله وقمت، فقلت: من؟ فرطن لي بالصينية، واضطرت — مع خوفي أن أفتح — لأن استئذانه يدل على أنه غالباً من الفندق، وإلا لدفع الباب ودخل، فإذا هو نجار يريد إصلاح الباب، وأخذ يطرق، ويخزق، وأنا قاعد مهموم محملق.

واتصلت بالأخ مصطفى أشكو بشي وحزني، واتصل بهم يخثهم على تغيير الغرفة أو السرعة في الإصلاح ليخففوا عني، فوعده خيراً وأرهبوني عسراً.

ثم ترك النجار الباب والأدوات وذهب، فأخرجت الأدوات من الغرفة ورددت الباب واضطجعت، فإذا هو يطرق الباب بعد ربع ساعة، ومعه أحد موظفي الاستقبال الذي جاء يستأذن له ويعتذر لي، فأسلمت أمري لله، ولم يفرغ من عمله إلا في الساعة العاشرة ليلاً، وعزمت على أن لا أبقى في هذا الفندق، وأظن أن أجرته أكثر من مائة دولار أمريكي.

هذا بالإضافة إلى عدم نظافة أثاثه، مع أنه كما قال لي الأخ مصطفى جديد لم يفتح إلا قبل أربع سنوات.

ولعل هذا الوصف ينبئك بالفرق بين المنظر والمخير في هذا الفندق.

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً!

الاثنين ١٤١٦/٢/٢٦ هـ — ١٩٩٥/٧/٢٤ م

في الساعة الثامنة صباحاً جاءني الأخ إبراهيم، لنذهب إلى مكتب هيئة الإغاثة، لنلتقي الأخ مصطفى ونرتب معه جدول الزيارة، وكنت قد عزمت على ترك

الفندق والانتقال إلى فندق آخر، وقال الأخ مصطفى إن الفنادق الأخرى، مثل (هيلتون) لا تقل أجرها عن ١٨٠ دولاراً أمريكياً، فقلت للأخ إبراهيم: نمر بفندق هيلتون، وهو قريب منا، قال: ولكن الأخ مصطفى يقول: إنه غال جداً، قلت: نمر به ونسأل، ثم قلت: اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت إذا شئت تجعل الحزن سهلاً.

وعندما سألنا الموظف عن الأجرة قال: هي مائة وثمانون، فراجعناه إلى أن رضي بمائة وخمسين دولاراً أمريكياً.

وكانت عندي بطاقة يخفض بها بعض الفنادق في البلدان الغربية وغيرها، ولم أكن أتوقع أنهم هنا يخفضون بها، فقلت للموظف عندما صعد معنا ليرينا الغرفة: ألا تخفضون بالبطاقة الفلانية؟ قال: إذا كنت تحملها تخفض لك ٥٠% فوراً. والحمد لله، فقد أبدلني الله بفندق أمس المقلق فندقاً فخماً نظيفاً واسع الغرف جيد الخدمات، يمتاز بالهدوء التام، وكانت أجرته بعد التخفيض: ٧٥ دولاراً فقط في الليلة.

مع مندوب هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية في بكين:

ذهبنا بعد أن تسلمت الغرفة في فندق هيلتون إلى مكتب هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية في بكين، وقابلت المسؤول عنه الأخ مصطفى بن أحمد صالح^(١).

الأخ مصطفى من مواليد سنة ١٩٦٤م في مدينة جنين — فلسطين.

درس الثانوية ومعهد المعلمين في فلسطين، ثم درس العلوم السياسية في جامعة بكين في كلية السياسة الدولية، تخرج سنة ١٩٩٠م ودرس سنة أخرى إضافية بعد التخرج مباشرة.

السبب في مجيئه إلى الصين أنه كان يبحث عن وسيلة لإكمال دراسته، فحصل على

(١) انظر الصورة رقم (١) في ملحق الصور.

منحة من مكتب التربية والتعليم التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية إلى الصين، وقد رافقه خمسة طلاب.

وعند قدومه بدأ دراسته في معهد اللغات الأجنبية لمدة سنة، ثم تابع الدراسة في الجامعة، وقد واجه صعوبة شديدة في تعلم اللغة الصينية، حتى كاد يترك الدراسة ويعود إلى بلاده بسبب ذلك.

سأله عن معاملة الصينيين؟ فقال: الصينيون يميلون في عاداتهم إلى الشرق، وعندهم لطف في المعاملة، ويتصف كثير منهم بالخبث، ويبدو عليهم كره الأفارقة وغرابتهم لديهم!

وقد مسختهم الشيوعية في العادات والتقاليد، وبخاصة المرأة التي كان يغلب عليها البقاء في المنزل، وكانت مستعبدة — أيضاً — وبعد الحكم الشيوعي انعكست الأمور وانقلبت الموازين، فأصبحت المرأة هي التي تسيطر، وبخاصة في المدن. وأفق الصينيين بصفة عامة ضيق.

والطلبة العرب لا يتجاوز عددهم ٣٠٠ طالب، غالبهم على منح دراسية، والحياة المعيشية غالية^(١)..

وقد حاول الطلاب العرب إيجاد كيان للحفاظ على هويتهم، وبعد جهد جهيد، وبدعم من مصطفى الطحان وأحمد توتونجي أنشئ اتحاد الطلبة المسلمين بصفة غير رسمية، وكان هو — أي مصطفى — مسؤول الاتحاد، والمسؤول عنه الآن أحد الطلبة اليمنيين.

وفي آخر سنة دراسية للأخ مصطفى جاء إلى بكين وفد هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، برئاسة الدكتور فريد قرشي الذي عرض عليه العمل مع الهيئة، فوافق

(١) [بالنسبة لعامة الناس في البلد ودخلهم، أما الأجنبي الزائر فقد تكون المعيشة رخيصة له، وكذا ذوو الدخل المرتفع].

وعمل فترة بصفة غير رسمية، ثم فتح المكتب رسمياً، وفي وجود هذا المكتب فرصة طيبة للمسلمين في الصين.

الصينيون يعتقدون أن المسلم وجد هكذا مسلماً، وأن غير المسلم ليس مهيباً ليكون مسلماً، ولا هو مطلوب منه الدخول في الإسلام^(١).

ترابط الأسر الصينية:

والأسرة الصينية مترابطة بالمقارنة مع الدول الغربية، والأولاد يبقون تحت إشراف آبائهم في البيوت، والبنت التي لم يسبق لها الزواج لا يتم زواجها إلا بموافقة وليها، ولم تصل الأسر إلى التفكك الذي وصل إليه الغرب، وكان الاحتشام قبل الانفتاح هو الغالب، إلى درجة أنها كانت تربط نفودها حتى لا تظهر للناس، وتقص شعرها كما يفعل الرجال، وأول فلم ظهر فيه رجل يُقبّل امرأة بعد عهد ماو تسي تونج أغضب الشعب لغرابته.. والجوار عندهم جيد.

والأمية منتشرة في الصين، وبعض الناس لا يزالون يعيشون في الكهوف. والأخ مصطفى شاب هادئ الطبع، حسن الخلق، ثقافته الإسلامية جيدة، اجتماعي، يحاول نشر المعاني الإسلامية عن طريق المسلمين الصينيين أنفسهم، وبخاصة الشباب الراغب في الدعوة والتعليم، ووسيلة الأخ مصطفى إلى ذلك إيصال المصحف والكتب الإسلامية باللغة العربية أو الإنجليزية أو الصينية، وهذه أكثر فائدة لمسلمي الصين، لأن الغالب منهم لا يجيدون غير لغتهم.

(١) [والسبب في ذلك فقد البلاغ المبين الذي كلف الله الأمة الإسلامية القيام به في الأرض، وهذا موجود في بلدان أخرى، مثل ماليزيا، إذ يعتقد الصينيون هناك وغيرهم أن الإسلام خاص بالملاييين، وأن من دخل في الإسلام من غيرهم لا بد أن يتقيد بكل عاداتهم في اللباس وغيره].

في الأسواق الشعبية:

الثلاثاء ٢٧/٢/١٤١٦ هـ - ٢٥/٧/١٩٩٥ م

في صباح هذا اليوم تحولنا في أسواق بكين الشعبية^(١) التي تكثر بها المصنوعات الصينية، من أقمشة وملابس شعبية جاهزة، من الصوف والقطن والحرير وغيرها، وكذلك المواعين، والعباب الأطفال... وأسعار السلع المسجلة عليها قابلة للهبوط إلى أكثر من الضعفين لمن يعرف أوضاع هذه الأسواق، أما السائحون، وهم كثر في هذه الأسواق، فإن أرباح السلع التي يشترونها تزيد عن الضعفين.

ومن الأمثلة على ذلك أني رأيت معاطف من جلود الغنم تصلح للوقاية من برد الشتاء، سعر المعطف المسجل عليه (١٦٨٠ يوان = ١٦٨ دولار أمريكي، سعر الدولار (١٠ يوان صيني) قلت للأخ إبراهيم: سلهم عن آخر سعر لهذا المعطف، فقال لي: أنت لا تهتم بهم عندما أبايعهم، وأخذ يماكس صاحبة الدكان إلى أن وقف السعر على ٦٠٠ يوان فقط، أي ٦٠ دولاراً بدلاً من ١٦٠ دولاراً، وقال الأخ إبراهيم: لو ماكستهم وحدك لما باعوك بأقل من ١٦٠٠ يوان! وهذا الأسلوب في الأسواق الشعبية يخالف أسلوب الباعة في الأسواق الكبيرة (الشركات الكبرى) فإن السعر المسجل على السلع لا ينخفض إلا بمقدار معين، بشرط أن تُشترى كمية معينة من السلعة، أي كلما كانت الكمية أكثر كان التخفيض بمقدار تلك الكثرة، والسوق المذكور ليس بعيداً من ميدان: (تيان آن من).

ميدان السيطرة على الصين!

كنت أسمع أجهزة الإعلام الغربية تكثر من ذكر هذا الميدان في معرض الأحداث الخطيرة التي تحصل في الصين، من الاستعراضات العسكرية، والاحتفالات القومية، والملصقات الجدران، وإعلان الأنظمة الحكومية المتغيرة، والسياسات المتجددة،

(١) انظر الصورة رقم (٢) في ملحق الصور.

والحملات الثقافية.

ومن على منصته أعلن ماو تسي تونج جمهورية الصين الشعبية (الشيوعية) وفيه تقام المظاهرات المؤيدة للدولة أو المعارضة لها، وبخاصة المظاهرات الطلابية التي حصلت سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م وكانت من أخطر الصدامات التي حصلت في هذا الميدان، بعد قيام الحكومة الشيوعية.

وقد اشتهر الميدان بحركة طلابية مماثلة، سنة ١٩١٩ م.

وعندما مررنا اليوم بهذا الميدان — الذي يبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب: ٨٨٠ متراً، وعرضه من الشرق إلى الغرب: ٥٠٠ متر، ويقوم على مساحة تبلغ ٥٠ هكتاراً^(١). عرفت سبب خطره وأهميته، وعرفت سبب اختيار الطلاب الاعتصام به والمظاهرة فيه، فهو ميدان تحيط به مراكز القرار الحكومية القديمة والحديثة، إذ تقع بوابة السلام المشهورة باسم الميدان نفسه: (بوابة: تيان آن من) في شماله، وهي تنتصب أمام المدخل المؤدي إلى المدينة المحرمة (القصر الإمبراطوري).

وعلى جانبي الميدان شيدت المباني الحكومية: كقاعة الشعب الكبرى^(٢) التي هي مركز النشاط السياسي، التي تعقد فيها مؤتمرات المجلس الوطني لنواب الشعب، ومقر اللجنة الدائمة لهذا المجلس، ومقر رئيس الجمهورية، ومقر مجلس الدولة (مجلس الوزراء) ومقر اللجنة المركزية العسكرية، ومقر النيابة العامة الشعبية العليا، والمحكمة الشعبية العليا، ومقر جهاز الأمن المركزي (توجد وزارتان تحملان اسم الأمن، وهما: وزارة الأمن العام، ووزارة أمن الدولة)^(٣)..

ويقف في وسط الميدان النصب التذكاري لأبطال الشعب الذي يبلغ طوله: ٣٧ ر٤

(١) [راجع كتاب: بكين حاضرة الصين العريقة والحديثة، ص: ٢٠].

(٢) انظر الصورة رقم (٣) في ملحق الصور.

(٣) [موجز أحوال الصين، ص: ١١٥ - ١١٧].

متراً، وعلى مساحة من الميدان أقيم ضريح ماو تسي تونج^(١) الذي لو وزعت الأموال التي أنفقت في بنائه على أهل بكين لوسعتهم.

هذا هو ميدان (تيان آن من) الذي اختار الطلاب الصينيون الاعتصام به والمظاهرة فيه.

إنه ميدان إحكام الطوق والسيطرة على الصين كلها، والذين يعتصمون فيه ويتظاهرون في ساحاته لا بد أن يكونوا شجعاناً، ولا بد أن تكون شجاعتهم ثمرة معاناة ومشقات لم يعودوا يحتملوها، ويرون أن الموت خير من قبول الخنوع لها، وأن صرخة واحدة في هذا الميدان الخطير خير من بث صرخات مستمرة عن طريق قنوات فضائية، لما في تلك الصرخة من دلالة على إرادة كسر الطوق المحكم الذي طال أمده.

ويأتي رد الفعل من قبل أجهزة الميدان مناسباً لخطر الميدان، فتستدعى فرق الجيش من أطراف الدولة، وتقرع قوافل الدبابات والمصفحات، ويُرش المعتصمون بوابل من نيران السلاح كما يرش الذباب بالمبيدات.... بل تقاد الدبابات على أجسادهم فتسحقهم سحقاً، يا له من ميدان خطير!

المدينة المحرمة:

هي القصر الإمبراطوري المعروف بـ(غوغونغ) عند الصينيين، ومعناه: القصر القديم^(٢).

وقد بدئ في إنشائه في سنة (١٤٠٦م) في عهد أسرة (يونغ) وكان أول الأباطرة المقيمين فيه: الإمبراطور (يونغ) واستمر الأباطرة في تشييده حيث أقام فيه ٢٤ إمبراطوراً خلال: ٤٩١ عاماً، وآخر إمبراطور أقام فيه هو(بو يي).

(١) انظر الصورة رقم (٤) في ملحق الصور.

(٢) انظر الصورة رقم (٥) في ملحق الصور.

وسمي بالمدينة المحرمة بسبب حظر دخوله على عامة الناس، ولم يؤذن بدخول الجمهور هذا القصر، إلا بعد قيام الجمهورية عام: ١٩١١م.

وصف موجز للمدينة المحرمة:

هي مبان كثيرة بلغت: (٩٩٩٩ بناية) يحيط بها سور ذو فتحات، يبلغ ارتفاعه: عشرة أمتار، ويبلغ طوله من الشرق إلى الغرب: (٧٦٠ متراً) ومن الشمال إلى الجنوب: (٩٦٠ متراً). وقد شيد على كل ركن من السور برج مراقبة مكون من ثلاثة طوابق.

وحفر خارجه خندق بطول: ٥٢ متراً.

ويعرف الجزء الأمامي من القصر بـ(البلاط الخارجي) وهو الذي كان يستقبل فيه الإمبراطور كبار موظفيه، ويدير منه حكم البلاد.

ويقع وراء هذا الجزء: البلاط الداخلي، وهو محل معيشة الإمبراطور وحاشيته. وتقع خلف البلاط الداخلي: الحديقة الإمبراطورية، وهي خاصة بأفراد الأسرة الإمبراطورية، يقضون فيها أوقات متعتهم.

والحقيقة أنه من الصعوبة بمكان وصف السائح لهذا القصر، لكثرة مبانيه وسعتها، وتنوع زخارفها، وكثرة قاعاتها.

ولقد كنا نمشي مشياً سريعاً في ردهات تلك المباني، ولا نقف إلا قليلاً لمشاهدة بعض القاعات، حتى تعبنا، وخرجنا قبل أن نكمل دخول أكثر البنايات التي فتحت أبوابها أمام الزوار^(١).

عواصم الصين القديمة:

١ — اسم بكين القلم (جنغ دو).

(١) [راجع: بكين حاضرة الصين العريقة والحديثة لـ(ليو جيون ون) ترجمة محمد أبو جراد، الطبعة الأولى، صفحة: ٢٨ وما بعدها. دار النشر باللغات الأجنبية. بكين].

٢ — نانكين في شرق الصين قرب شانغهاي.

٣ — شيان عاصمة مقاطعة شانشي في وسط الصين.

زيارة الحاج يحيى لنسون بمزله^(١):

كانت المقابلة في مزله بعد مغرب هذا اليوم، بمساكن أساتذة المعهد المركزي للقوميات والأديان في بكين^(٢). ولد الحاج يحيى في شهر ١١ سنة ١٩٣٠م في مقاطعة يونان.

طلبه العلم:

درس قبل خمسين سنة على يد الأستاذ (ماجين) مترجم معاني القرآن الكريم إلى اللغة الصينية، وهو أزهرى، وقد تعلم — أي ماجين — في دار العلوم في القاهرة توفي سنة ١٩٧٨م وعمره ٧٣ سنة، وكانت دراسته عليه في قرية مشهورة تسمى

(١) [وكان شجاعاً في ترحيه بزيارتي، لأن المراقبة الأمنية شديدة على أمثاله، إذ يُتهمون بالاتصال غير المأذون به بالأجانب، وقد اعتذر كثير من الأساتذة عن الاجتماع بهم، مع أن الاجتماعات التي أعقدها مع المسلمين في العالم كلها عادية، انظر الصورة رقم (٦) في ملحق الصور].

(٢) [ذكر مؤلف كتاب: بكين حاضرة الصين العريقة والحديثة — الذي نشرته دار النشر باللغات الأجنبية في بكين — أن هذا المعهد أسس لتدريب القادة والاختصاصيين من أبناء الأقليات القومية، وأن مما يهتم به المعهد، إضافة إلى التدريب، البحوث التاريخية، والثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، وأنه عندما افتتح كان عدد الطلاب الملتحقين به ٢٠٠ طالب، وقد بلغ عددهم إلى وقت طبع الكتاب — سنة ١٩٨٨م — ٢٦٠٠ طالب، وعدد الأقليات القومية: ٥٦ قومية، وهم من عدا قومية الهان الحاكمة، ص: ١٨١ وما بعدها. وراجع عن القوميات في الصين: كتاب الصين، تأليف: تشين شي، نشر دار النجم الجديد الطبعة الأولى سنة ١٩٩٢م.

والظاهر أن الهدف من إنشاء هذا المعهد تطويع أبناء الأقليات القومية عن طريق التعليم والثقافة لانسجام سياسة تلك القوميات مع سياسة القومية ذات الأغلبية الحاكمة. وتلهية تلك القوميات بمزاولة بعض عاداتها التي لا تمكنها من الاستقلال الفكري والاجتماعي والسياسي، وإقناع أجيال تلك القوميات — وبخاصة المسلمين — أن عقائدها وطقوسها إنما هي عادات لا منفصلة عن القومية، كما قال الحاج يحيى: (والحكومة تحاول أن تفرق بين القوميات والأديان، فالقومية شيء والدين شيء آخر، ونتج عن ذلك أن بعض المسلمين تركوا دينهم، واكتفوا بالانتساب إلى القومية بالمفهوم الذي أرادته الحكومة...)].

(شادا نج) ومدة تلك الدراسة ثلاث أو أربع سنوات.

وبعد هزيمة اليابان واصل — الحاج يحيى — دراسته في المدارس الحكومية باللغة الصينية في مدينة كومي نج CUMING في الكلية، وبعد تخرجه كان يرغب في مواصلة دراسته للغة العربية والثقافة الإسلامية في بعض البلدان العربية، ولكنه لم يتمكن لعدم وجود علاقات بين الصين والبلدان العربية آنذاك.

وظائفه وأعماله:

ثم قام بالتدريس في الجامعة، وتخصص في تاريخ قومية (خوي) أي تاريخ الإسلام، وقام بالتدريس في المعهد الثانوي أكثر من عشر سنوات، أدى فريضة الحج سنة ١٩٨٥ م

وبعد قيام الثورة الماوية، اشترك مع أستاذ مؤرخ يدعى جمال الدين يابسوي في كتابة التاريخ، وهو من أشهر علماء المسلمين في التاريخ، وهو نائب رئيس الجمعية الإسلامية الصينية، وعمره الآن ٨٦ سنة الآن.

ومن ألف في تاريخ المسلمين باللغة العربية والصينية، نور الدين لاتونج، ولكن كتبه لم تطبع لخلاف ديني مع الحكومة^(١).

أحوال المسلمين في الصين وموقف الحكومة منهم:

وعدد المسلمين في الصين، حسب الإحصاء الرسمي ١٨ مليوناً، ولكنه هو يقدر عددهم بـ (٣٠ مليوناً) والسبب في قلة الرقم الرسمي أن كثيراً من المسلمين لا يقدمون أنفسهم لموظفي الإحصاء بأسمائهم الإسلامية.

ومن القوميات الموجودة في الصين قومية (ماندونج) وكانت تحكم الصين، وآخر إمبراطور كان منها، ويسمى (سانتونج) وانتهى حكمه سنة ١٩١١ م.

(١) [نعم، لا تأذن الحكومات الظالمة بكتابة حقائق التاريخ، لما في ذلك من مخالفة لنهاجها، أو لما تخشاه من فضح سلوكها السياسي مع بعض رعاياها، ولهذا تجد كثيراً من كتب التاريخ يغلب عليها التزييف، أما الكتب التي تتضمن حقائق التاريخ فمصرها الضياع أو الحفظ في الصناديق أو على الرفوف].

المسلمون في عهد (ماو) كانوا لا يستطيعون التظاهر بالإسلام خوفاً من بطشه بهم، ولكن الصالحين منهم حافظوا على دينهم سرّاً، فلما هلك أظهروا دينهم. وكان عدد المساجد قبل قيام الثورة (الماوية) سنة ١٩٦٦م ثلاثين ألف مسجد، ولكن كثيراً منها أغلق بعد الثورة، وكان الضباط الشيوعيون يأمرّون الشباب التابع لهم بإخراج الأئمة من المساجد، بحجة أنهم يقولون ما لا يفعلون، وقتل بعض الأئمة في المنطقة الشمالية في مقاطعة (لنشا)، وأغلقت كل المساجد، ما عدا قليلاً منها بقي للدعاية والنفاق.

وقد توفي (ماو) سنة ١٩٧٦م. وفي سنة ١٩٧٩م بدأ الوضع يتحسن. والعلماء في الصين قسمان: علماء رسميون، وصلتهم بالحكومة قوية، والقسم الآخر علماء مستقلون، وحرّيتهم محدودة^(١).

والحكومة تحاول أن تفرّق بين القوميات والأديان، فالقومية شيء والدين شيء آخر، ونتج عن ذلك أن بعض المسلمين تركوا دينهم، واكتفوا بالانتساب إلى القومية بالمفهوم الذي أرادته الحكومة، وقد حصل بسبب ذلك خلاف بين العلماء، لأن بعض العلماء يحاولون ربط القومية بالإسلام، بحيث لا ينفصل المسلم عن دينه ويكتفي بالانتساب إلى القومية، ولكن الخلاف ليس بشديد.

والنشاط الإسلامي مقصور على المساجد والمدارس التابعة لها، وبعض الطلاب الصينيين يدرسون الآن في الخارج، ولذلك بدأت نهضة إسلامية جيدة نسبياً. ومعظم المسلمين يعرفون فروض العين، وبعضهم لا يعرفونها معرفة صحيحة، وأهل القرى أكثر معرفة من أهل المدن الصغيرة، وأهل المدن الصغيرة أكثر معرفة من أهل المدن الكبيرة، وكلما كثر المسلمون في مناطق سكنية متجاورة، كانت معرفتهم

(١) [بل هم كذلك في غالب البلدان بما فيها البلدان الإسلامية، ولكن ليس كل عالم موظف في الحكومات، وهو ما يعني بـ (موظف رسمي) يداهن في الحق، وإن اقتضت الضرورات النقاء أحياناً، فللضرورات أحكامها].

للإسلام أكثر وكلما تفرقوا كانت معرفتهم أقل.

وقد حاولت الحكومة أن تحاصر الدين، وبخاصة الإسلام، عن طريق الدستور والقانون، حيث سمحوا بحرية التدين، ولكن منعوا الدعوة إلى الدين، وسمحوا — بل دعموا — الدعوة إلى الشيوعية.

وأما جمعية المسلمين الصينيين، فكان الهدف من إنشائها هو تضيق معاني الإسلام وتشويهه، وقد كانوا يفتنون بجواز تربية الخنزير... ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره، فقد علم المسؤولون في الجمعية أن كثيراً من المسلمين يعنون حقائق الإسلام، ولا يرضون بتحريفه، لذلك اضطروا إلى أن يحسنوا مواقفهم، فقد فتحوا معهداً للدراسات الإسلامية، وتحولوا عما كانوا يعلنونه في مجلتهم من معان خاطئة، وبدؤوا ينظمون الحج للمسلمين من سنة ١٩٨٤م.

نسبة الجهال في الصين ٣٠ في المائة.

ونسبة التعليم في المسلمين أكثر من القوميات الأخرى.

أنشئ هذا المعهد في بكين قبل أكثر من ٩٠ سنة^(١).

نسبة الدارسين المسلمين فيه في الدراسات العليا أكثر من ٢ في المائة.

وعدد الأساتذة المسلمين فيه ثمانون أستاذاً تقريباً.

وعدد الطلبة المسلمين يقارب ٣٠٠ طالب، بعض هؤلاء الطلاب لا يعرف شيئاً مطلقاً عن الإسلام، وبعضهم لا يؤمن بالإسلام، ويأكلون في المطاعم الصينية مثل

(١) [هذا ما قاله الحاج يحيى، وفي كتاب (بكين حاضرة الصين العريقة والحديثة — إعداد ليو جيون ون، ترجمة: محمد أبو حراد، أن المعهد تأسس في سنة: ١٩٥١م، وعلى هذا فإنه لم يمض على المعهد إلا أربعة وأربعون عاماً إلى السنة التي قابلت فيها الحاج يحيى، وهي سنة ١٩٩٥م، فلا أدري السبب في هذا الفرق الكبير، هل حصل خطأ من المترجم لكلام الحاج يحيى، أو أن هناك اعتباراً آخر بين القولين، بحيث يكون المعهد أسس أولاً قبل ٩٠ عاماً ثم توقف، أو أنه أنشئ في الأساس مدرسة، وليس معهداً عالياً، ثم تطور أخيراً إلى معهد عالٍ؟].

الصينيين غير المسلمين.

وتوجد صلات بين الأساتذة في المعهد وبين بعض الأساتذة في بعض الجامعات العربية.

أما مستقبل الإسلام في الصين لا يعلمه إلا الله، ولكن يبدو أنه سيقع ضغط على المسلمين، كما وقع من قبل، ومع ذلك توجد طائفة من المسلمين تحاول إقامة الإسلام وتقوية المسلمين.

والمسلمون — مع قلة عددهم — ينتشرون في غالب أجزاء الصين^(١)، وكانت السلطات تمنع المسلمين من الصوم في الجامعة، وكذلك صلاة الفجر، ولكنهم الآن لا يمنعونهم من ذلك.

الأربعاء ١٦/٢/١٤١٦هـ — ٢٦/٧/١٩٩٥م

إلى سور الصين العظيم:

في الساعة السابعة صباحاً، أخذنا سيارة أجرة، وذهبنا للاطلاع على ما أمكننا من أجزاء أطول سد وأعجبه في العالم، وهو ما يسمى بسور الصين العظيم، والمسافة من بكين إلى أقرب جزء من السد تزيد على مائة كيلو متر، والاتجاه إلى هذا الجزء نحو الشمال الغربي لبكين، والزمن ساعتان وثلاثون دقيقة تقريباً، في حالة عدم الزحام الشديد.

بلد الدراجات:

لو أن أحداً سمى الصين: (بلد الدراجات) لصحت تسميته لها بذلك، فلا تكاد تجد في مدنها — شوارعها العامة والفرعية، والأسواق المركزية والشعبية، والشركات الكبيرة والصغيرة، والأماكن السياحية والمتنزهات، والإدارات الحكومية، وأماكن العبادات، والطرق الرابطة بين المدن وضواحيها طالت أم قصرت — لا تكاد تجد

(١) [الصين: ٢٣٧٥ جزء، المسلمون يوجدون في ٢٣٤٠ جزء].

مساحة تخلو من الدراجات بكثرة مدهشة السائرة منها والواقفة، وقد انفردت بشوارع خاصة بها محاذية للشوارع المخصصة للسيارات، مثل خطوط الخدمات الموجودة في بعض البلدان، إلا أنه يحظر على غير سائقي الدراجات استعمالها.

ذكرت هذا بمناسبة ما رأيت في طريقنا اليوم من قوافل الدراجات العادية من نقطة انطلاقنا، من الفندق في وسط بكين إلى مكان السد: يسوقها رجال ونساء صغار وكبار، حتى إنك لترى عجائز من الجنسين يصعب عليك تصور أنهم قادرون على قيادتها، وهم يقودونها لمسافات طويلة، ويبدو أن من أسباب بقائهم على قيد الحياة يتحركون في الأرض هو قيادتهم للدراجات، لأن الذين في سنهم أو أقل في البلدان الأخرى، غالبهم إما في المستشفيات، وإما في دار العجزة، وإما على سررهم بين أسرهم، أو قد سبقوا الجميع إلى عالم البرزخ^(١)..

أما السيارات فلا تجد في الطريق إلا سيارات الأجرة الصغيرة، وسيارات النقل الكبيرة، التي تنقل الأجانب من السائحين، أو عمال الشركات، وكذلك سيارات النقل الصغيرة التي هي عبارة عن دراجات نارية تجهز بصناديق أكبر من حجمها، لنقل المحتاجين إليها من أهل البلد.

حوار مع سائق السيارة يَنْ شَوْيِي (YAN SHOU YI):

نظراً لطول الطريق إلى السور، قلت للأخ إبراهيم: ما رأيك لو حاورنا السائق حول الدين والإلحاد، لنعرف ما عنده ونعرفه بالإسلام؟ قال: هؤلاء لا يقبلون النقاش في أمر الدين، والأولى تركه.

قلت: سله عن مؤهله العلمي؟ فقال: إنه درس إلى أن أتم المرحلة الثانوية، وبدأ كل منهما يوطن لصاحبه بلغتهما، وبعد قليل قال الأخ إبراهيم: إن كنت تريد محاورته

(١) [البرزخ شامل لكل من وافاه الأجل، سواء أدفن جثمانه كاملاً في قبر، أم أحرق ودفن رماده أم ألقى في بحر أو نهر أو برا].

فلا أرى بأساً (ولعله اطمأن إليه بعد الحديث معه).

قلت للأخ إبراهيم: هل عندك قدرة على نقل المعاني التي سيكون فيها الحوار؟ قال: إن شاء الله.

قلت: أخبره أنني جئت من بلاد العرب، وأني باحث في مقارنة الأديان وأرغب في حوار من أجد، فهل يمكنني أن أسأله بعض الأسئلة؟ قال: نعم.

قلت: هل فكر في الكون، من سماء وشمس وقمر وكواكب ونجوم وسحاب ومطر... وفي الأرض وما فيها من جبال ورمال، وبحار وأنهار وبحيرات، وغابات، وحيوانات، وغيرها، وما في كل ذلك من دقة ونظام عجيبين؟

قال: أنا لم أفكر من قبل، ولكن ما قاله هذا الرجل صحيح، الكون دقيق ومنظم.

قلت: من الذي خلق هذا الكون ووجهه هذه الدقة والإتقان والجمال؟ قال: الطبيعة.

قلت: وما هي الطبيعة؟ قال: كل شيء نراه طبيعة.

قلت: السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما طبيعة؟ قال: نعم.

قلت: بناء على ذلك نستطيع أن نقول: إن هذه الموجودات خلقت نفسها؟ قال: نعم.

قلت: هل يخلق الشيء نفسه؟ قال: نعم.

قلت: ولكن الذي يخلق ويوجد من العدم، يجب أن تكون له صفات، هي شرط في كونه أهلاً للخلق. قال: مثل ماذا؟

قلت: البحر ماء غير عاقل ولا عالم، وكذا النهر، والجبل صخور. . والغابات.. وكلها لا عقل لها ولا علم، والذي لا يعقل ولا يعلم لا يمكن أن يخلق، ثم إن كل شيء من هذه المخلوقات كان معدوماً، والمعدوم لا يقدر على خلق موجود.

قال: بعض أنواع الطبيعة لا تقدر على الخلق، وبعضها تقدر.

قلت: مثل ماذا؟ قال: مثل بوذا، خلق نفسه.

وهنا دار نقاش طويل، كان سببه سوء فهم في الترجمة — مع أن الأخ إبراهيم جزاه

الله خيراً قد أجاد ترجمة المعاني الأخرى — واتضح بعد ذلك أنه يقصد من الخلق: كون بوذا دعا الناس إلى الخير والأخلاق الحسنة.. وطريقته هذه جعلته علماً يتبع الناس تعاليمه ويقدمون له القرابين، ولم يقصد أنه أوجد نفسه من العدم.

ثم قلت له: هل أنت من الذين يعبدون بوذا؟

قال: ماذا تقصد بالعبادة؟

قلت: إذا أصابتك مصيبة تدعوه وتستغيث به، وتقدم له القرابين من فواكه وبخور وغيرها.

قال: نفعل شيئاً من ذلك، لكن لا ندرى عن العبادة، وأنا أومن بالخرافات^(١).

قلت: هل تعترف بأن الشيء لا يخلق نفسه؟

قال: هذا يحتاج إلى دراسة حتى أتمكن من الجواب عليه.

قلت: سأضرب لك بعض الأمثلة ليتضح لك الأمر.

قال: تفضل.

قلت: هل يمكن أن تكون نعلك التي تلبسها في قدمك أوجدت نفسها؟

قال: مستحيل.

قلت: لماذا؟

قال: النعلان لا يقدران على إيجاد مصنع ومقوماته.

قلت: والسيارة التي تقودها؟

قال: من باب أولى.

قلت: والطائرة؟

قال: وهذه أشد؟

قلت: من هنا يتبين لك أن الشيء لا يخلق نفسه، وأن الذي يخلق الشيء، لا بد أن

(١) [يعني أنه ليس ملحداً].

يكون أقدم في الوجود من ذلك الشيء، ولا بد أن يكون عنده علم بمادته وقدرة على إيجادها، وعلى تصميمها، حتى تكون متقنة.

قال: هذا صحيح.

قلت: وكذلك الإنسان لا بد أن يكون مخلوقاً لخالق غيره؟

قال: نعم.

قلت: ولو تعدد الخالقون سيختلفون في تدبير هذا الكون.

قال: كيف؟

قلت: أحد الخالقين يريد المطر يتزل في بلاد الصين، والآخر يريد أن يتزل في بلاد العرب، وأحدهم يريد من الشمس أن تشرق أولاً على أمريكا، والآخر يريد أن تشرق أولاً على اليابان، وهكذا... فلا بد أن يكون الخالق واحداً.

قال: الظاهر أن هذا أيضاً صحيح.

قلت: والذي يخلق الخلق كلهم هو ربهم وسيدهم، ويجب أن يطيعوه.

قال: كيف يعرفون ماذا يريد أن يطيعوه فيه؟

قلت: هذا سؤال جد عظيم، هل تريد أن تعرف جوابه؟

قال: نعم..

قلت: أليس الحكام إذا أرادوا من الشعب أن يفعل شيئاً، أو يترك شيئاً يكتبون له قوانين وينشرونها؟

قال: نعم.

قلت: وإذا لم يفعلوا، هل يجوز أن يعاقبوا الناس على فعل شيء أو تركه، وهم لا يعرفونه؟

قال: لا.

قلت: فالله الخالق قد بعث إلى الناس رسلاً، وأنزل كتباً، يعلمهم ماذا يجب أن يفعلوا، وماذا يجب أن يتركوا، وآخر هؤلاء الرسل هو محمد ﷺ، الذي أرسله إلى الناس كافة، وكتابه القرآن لا يزال موجوداً إلى الآن، ويجب على كل من سمع عنه

أن يؤمن به، فهل ترى هذا الأمر يستحق الدراسة والاهتمام؟
قال: كلامك معقول، ولكن يجب أن نجلس ونتفاهم زيادة حتى يكون الأمر
أوضح.

قلت: ما رأيك لو بعثت لك بترجمة معاني القرآن باللغة الصينية، هل تحب أن
تقرأه؟
قال: نعم.

قلت: إذن سأبعث به لك مع هذا الشاب الصيني.
واتفقنا على ذلك، وأعطى الأخ إبراهيم عنوانه وهاتفه في مدينة بكين، ليوصل إليه
الكتاب وغيره من الكتب، وأكدت على الأخ إبراهيم أن يخبر الأخ مصطفى
صالح، ليختار له بعض الكتب المناسبة لترسل إليه، ولا أدري ماذا فعل الأخ
إبراهيم؟ وعلى كل فقد أصبح هو محملاً مسؤولية الرجل، نسأل الله لنا ولهم الهداية
والتوفيق.

لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة والله يهدي من يشاء:

بعد هذا الحوار مع هذا الرجل، أقول: إن الدعوة إلى الإسلام تحتاج إلى رجال لا
يتركون فرصة تسنح لهم بدون أن يستغلوها في دعوة من أمكنهم دعوته، ولا يجوز
أن يأسوا من أي شعب أو أي شخص، وما يقال: إن الشعب الفلاني لا يقبل
الإسلام، وأن من الصعوبة أن يدخل أهل هذا الشعب أو ذلك في الإسلام... نعم
من السهل دخول الناس في الإسلام، وإن كانت الشعوب تتفاوت، بحسب
معتقداتها وعاداتها، ولكن يبقى عندنا أربعة أمور يجب ألا ننساها:

الأمر الأول: أن الله كلفنا تبليغ دينه، فإذا قدرنا على تبليغ أحد هذا الدين وجب
تبليغه بالوسيلة الممكنة والأسلوب المناسب، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت
الحاجة، وهل هناك حاجة أعظم من الحاجة إلى الإسلام الذي يترتب على الدخول
فيه، أو عدم الدخول فيه النعيم الأبدي للدخل، أو العذاب السرمد للرافض؟

الأمر الثاني: أن فطر الناس — ولو فسدت — هي في صف الدعاة إلى الله، فلا

يجوز اليأس من دخول أحد في الإسلام، مهما كان عناده، ومهما كانت غفلته.
الأمر الثالث: أن الواجب علينا إقامة حجة الله على خلقه، وليس علينا هدايتهم،
فالهداية من عند الله تعالى.

الأمر الرابع: أن الدعوة إلى الله تحتاج إلى رجال يطرقون مسامع الناس بالحجج
والبراهين الدالة على وجوب الدخول في هذا الدين، وتنبيههم من الغفلة ليقبلوا
على دراسة هذا الدين، ليحي من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة.
هذا، وقد وافق هذا الرجل بعد النقاش الطويل على أن الله موجود، وعلى الإيمان
باليوم الآخر وبعث الأرواح والحساب، وتردد في الإيمان بالرسالة، ووافق على
قراءة ما يأتيه من كتب عن الإسلام، وهذه كلها تدل بدون أدنى شك، على
إمكان دعوة الناس في الصين إلى الإسلام، بالأسلوب المناسب، والحكمة، مع تجنب
ما يثير الدولة التي تمنع الدعوة إلى الأديان قانوناً، وهي شديدة في المعاقبة والبطش.
بعد هذا الحوار الطويل، وصلنا إلى سور الصين العظيم..

وصف ما رأيناه من السور:

أوصلنا السائق إلى السور، وذهب ليقف سيارته في أحد المواقع المعدة لوقوف
السيارات، والمكان الذي نزلنا به يمر بين جبلين تمر به السيارات الناقلة للسائحين
ذاهبة وعائدة، وهو كذلك أحد الممرات التي ينفذ منها المسافرون من جنوب
الصين إلى شمالها، أو من شمالها إلى جنوبها، كما يمر بها المشاة من السائحين شمالاً
وجنوباً للتحول في الأسواق الشعبية الموجودة على جانبي الطريق قبل السور وبعده،
وكذلك يصعدون إلى الأعلى، للتحول على السور نفسه في قمم الجبال الواقعة
على جانبي الممر، حيث أعدت درجات من الحجارة والآجر الأحمر لتسهيل السير
لمن يريد ذلك.

ويبدو لي أن ارتفاع البوابة لا يقل عن ثمانية أمتار، بل ربما يزيد.
وعندما صعدنا إلى أعلى السور ونظرنا إلى الجانبين، تيقنا أن الوصول إلى قمم تلك
الجبال التي نصبت عليها أبراج المراقبة، مشياً على الأقدام يحتاج إلى وقت طويل،

بحيث يجيء الليل قبل أن نتمكن من العودة إلى الأسفل، فقلت للأخ إبراهيم: سل الناس هل توجد هنا صناديق النقل الكهربائية الجبلية (تلفريك)، لنتمكن من الصعود بسرعة ونتحول على السور لنرى ما أمكننا رؤيته، ونلتقط له بعض الصور الفوتوغرافية، فكان الجواب: نعم.

فذهبنا على الأرجل حيث أشاروا لنا إلى مكاتب الشركة الخاصة بها، وكنا نظنّها قرية جداً، ولكننا لم نصل إليها إلا بعد نصف ساعة، ومكاتبها تقع على جانب واد على يمين المر بعد تجاوزه إلى جهة الشمال، كما توجد غيرها أيضاً في أماكن أخرى على اليسار.

وأخذنا بطاقات الصعود من المكتب، وقيمة البطاقات للأجانب أضعاف قيمتها الخاصة بالمواطنين — تحقيقاً للمساواة الاشتراكية الأمية!

استغرق صعودنا إلى قمة الجبل خمس دقائق تقريباً، وعندما هبطنا في المحطة العليا، صعدنا على أقدمنا على الدرج حتى وصلنا إلى أحد أبراج المراقبة المشيدة على قمم الجبال. وللدرج مدخل واحد تقع على يمينه وعلى شماله شرفات بها فتحات يرى الناظر منها كل ما تمكن رؤيته في أسفل الجبل من كل الجهات، ويوصلك الدرج إلى شرفات أخرى في الأعلى، وهي شبيهة بالشرفات السفلى، وبعدها قاعة واسعة مربعة مبلطة مستوية السطح، يقال: إنها تتسع لستة خيول تكون بجانب المقاتلين^(١) وبها أيضاً فتحات أوسع وأمكن للرؤية، وفي أسفل الشرفات والقاعة الواسعة فتحات أصغر، يقال: إنها أعدت للرماية^(٢).

وهذه الأبراج أعدت لمراقبة تحركات الأعداء وإنذار جيوش الحراسة بذلك عن طريق أجهزة لاسلكي طبيعية وجدت في غابر الأزمان، وهي: الدخان المتصاعد في

(١) [يكن حاضرة الصين العريقة والحديثة، ص: ١٤٠].

(٢) انظر الصورة رقم (٧) في ملحق الصور.

النهار، ولهب النار المتوهج في الليل^(١)!

وعندما وقفنا على هذا البرج كنا إذا التفتنا إلى أي جهة من قمم الجبال ووديانها التي تظهر لنا، نرى السور وهو يمتد إلى قمة كل جبل، ويهبط إلى كل واد متلوياً مثل الثعبان^(٢)، وكثير من قمم الجبال متجاورة أو متقاربة، وعلى قمم الجبال أبراج شبيهة بهذا البرج، ويقال: إن بعضها أكبر من بعض، ويبلغ طول هذا الجزء من السور القريب من العاصمة بكين خمسين كيلو متر^(٣)..

ولا تكاد تجد مكاناً خالياً من السائحين — من كل الأجناس — صاعدين وهابطين في الأدراج المؤدية إلى الأبراج.

وقد تجولنا في منطقة السور من الساعة الثامنة والنصف إلى الساعة الحادية عشرة والنصف صباحاً، وكان الجو بارداً برودة ممتعة في هذه الفترة، وكان رذاذ المطر يتعهدنا من وقت لآخر، ولو كان في أيام الشتاء لكستنا الثلوج ملابس بيضاء نقية، قد تكون أكفانا لمن وافاه الأجل هناك، لأن المنطقة جبلية وتقع في أقصى الشمال الشرقي للصين، وهي منطقة باردة على حدود منغوليا.

قراءة واستنتاجات:

عندما وقفت على أحد أبراج السور ونظرت إلى قمم الجبال ووديانها، ورأيت امتداده صاعداً على القمم وهابطاً إلى الوديان، على مسافات لا يبلغها البصر^(٤) أخذت أتأمل وأقرأ شيئاً من صفحاته، ودارت بخاطري آثار أخرى خلفها الأباطرة ورائهم ولا زال نظراؤهم يقصون أثرهم في ذلك، وإن اختلفت مقاصدهم، وقد وقفت عليها في بعض البلدان التي زرناها، كثير منها لأباطرة غير مسلمين كهذا

(١) [المرجع السابق ص: ١٤٠].

(٢) انظر الصور رقم (٨) ورقم (٩) في ملحق الصور.

(٣) [نفس المرجع ص: ١٣٨].

(٤) [يلغ طول الجزء المجاور لبكين ٥٠ كيلومتراً. (بكين حاضرة الصين العريقة والحديثة، ص: ١٣٨)].

السور وكأهرامات مصر، وبعضها لحكام مسلمين، مثل تاج محل في الهند، وقصر الحمراء في الأندلس (أسبانيا).

فخرجت من تلك القراءة — وهي قراءة عاجلة — بنتائج سجلتها في التنبيهات الثلاثة الآتية:

الاستنتاج الأول: شقاء الأمم بسبب عدوان بعضها على بعض.

وهذا الشقاء واضح جدا في بناء هذا السور في العصور المختلفة بهذا الامتداد الهائل في تلك المناطق الوعرة التي لولا أنه موجود فيها فعلاً ويراها الزائر يقظة لا مناماً، لما صدق أنه يمكن أن يبنى بصفته تلك، وبخاصة في تلك الأوقات التي يغلب أن تكون وسيلة النقل والبناء الفعالة فيها هو الإنسان وما يملكه من جمال أو بغال... فكم من البشر عملوا فيه؟ وكم من المال أنفق على بنائه؟ وكم من الأوقات قُضِيَتْ منذ بدء إنشائه إلى إتمامه؟ وكم من العاملين فيه هلكوا بسبب قسوة أجوائه ووعورة مسالكه؟ ثم كم من الجيوش رابطت فيه دفاعاً عن اقتحام الأعداء لقلاعه وممراته؟ وكم سقطت على جانبيه من مجامع هجوماً ودفاعاً؟!

قال لي بعض الصينيين: إن طوله يبلغ خمسة وعشرين ألف كيلومتر، ولكني لم أجد في المراجع التي وقعت بيدي ذكر هذا المقدار، والمقدار المذكور في المراجع — بل أقل منه — يكفي للدلالة على هذا التنبيه.

وتختلف تقديرات الكتاب لطول السور، والذي يبدو لي أن من أهم الأسباب اختلاف مقادير أطواله باختلاف الفترات التي شُيِّدَ فيها، فإن طوله في بداية إنشائه يختلف عن طوله في الحقب التالية، وكل كاتب يطلع على مقدار طوله في فترة معينة يسجل ما اطلع عليه، دون دراسة أطوار بنائه.

إن تلك الجهود التي بذلت في تشييد هذا السور وأعماله، بكل أصنافها، كانت حديرة بإعمار الصين إعماراً يجعل سكانها كلهم في رغد من العيش، لولا الخوف من العدوان الذي يسفك الدماء ويهلك الحرث والنسل ويقضي على الأخضر واليابس!

الاستنتاج الثاني: أن أسوار الدفاع عن الأوطان هي الشعوب.

إن الشعوب — في الحقيقة — هي الأسوار التي تدفع العدوان عن أوطانها، فقد شيد سور الصين العظيم في بعض مراحل مليون شخص كما سيأتي قريباً — فكيف بالمراحل الأخرى المتعددة؟! — ولولا هذا العدد الهائل الذين صبروا على متاعبهم، وأرخصوا أرواحهم، ونسوا وراء ظهورهم أسرهم وذرايرهم، لما كان للأباطرة الذين يسرحون ويمرحون في قصورهم، ويتمتعون بأنواع النعم وأصناف الملذات^(١).

في الوقت الذي يذوق فيه مشيدو السور شظف العيش ومرارة الآلام والأتعاب فلا يأمنوا من خوف أو يطمعوا من جوع!

الاستنتاج الثالث: أنه لا عزة لأمة لا تحمي أرضها من عدوها.

إن الأمم لا تبقى لها هيبتها وعزتها وكرامتها، إلا إذا صانت أرضها وحمت عرضها من عدوان عدوها، وذلك يقتضي أن تعد العدة وتبذل النفوس والنفيس، وتصبر على المشقات والابتلاءات، وأن الأمة التي تفرط في شبر من أرضها لعدوها، لا يبعد أن تفرط يوماً ما في كامل وطنها، وتتنازل عن سيادتها ومجدها، لتذوق كل أنواع الصغار والإذلال من عدو حقود يتشفى بتحقيرها واستخذائها، وسجل التاريخ على ما نقول شهيد، وما أمر فلسطين وبيت المقدس منا ببعيد، وصفحات البلدان المحتلة حجة وبرهان!

(١) [أنظر وصف آخر إمبراطور صيني للتباهي المفرط في أنواع الطعام الذي كان يقدم على مائدته، ولما يبلغ سن السابعة من العمر، وكذلك أنواع الثياب التي كانت تعد لغيراته المعتادة، وعدد العمال في إدارته، والخصيان الذين لا يغادرون قصره، كل ذلك في كتابه (من إمبراطور إلى مواطن — السيرة الذاتية، لأيشين جيولوه بوي: ٤٨/١، ٧١، ٥٢، ٥١) دار النشر باللغات الأجنبية بكين].

الخميس ٢٩/٢/١٤١٦هـ — ٢٧/٧/١٩٩٥م

زيارة حديقة الحيوان في بكين:

قمنا بزيارة حديقة الحيوان في بكين من الساعة التاسعة والنصف إلى الساعة الحادية عشرة صباحاً، جولة بدون توقف، وفيها (أسود، ونمور، وقرود، وزرافات، وحمير أهلية ووحشية، ودببة متنوعة — ومنها الدب الصيني الملون بالبياض والاسود، المسمى — (الباندا)^(١) وهو لا يوجد إلا في الصين — وحيات وثعابين، وغيرها. والحديقة بمجوار متحف بكين^(٢)..

مسجد شارع البقر وسبب التسمية:

قمنا بزيارة مسجد شارع البقر، في الساعة الحادية عشرة والنصف، وهو مسجد مشهور^(٣)..

ويتسع لما يقارب ٢٥ صفاً، في كل صف ستون مصلياً أي ألف ومائة مصل تقريبا. والشوارع الموجودة حول المسجد شوارع شعبية ضيقة يوجد حوله من السكان المسلمين حوالي ٢٠ ألفاً، لم نجد فيه إلا أحد العمال الذي فرح بنا فرحاً شديداً، وأخبرنا بأنه حج في هذا العام واسمه يوسف.

زيارة الجمعية الإسلامية لمسلمي الصين:

كما قمنا بزيارة الجمعية الإسلامية لمسلمي الصين والاجتماع بنائب رئيسها عبدالرحيم أمين^(٤). وقد سبق الكلام على هذه الجمعية وغيرها.

مدينة بكين (أ):

بنت قبل ثلاثة آلاف سنة. والذي خطط لبناء مدينة بكين وصمم قصورها ونظم

(١) انظر الصورة رقم (١٠) في ملحق الصور.

(٢) [بكين ص: ٨٥].

(٣) [بكين ص: ١٣٣]. وانظر الصور رقم (١١، ١٢) في ملحق الصور.

(٤) انظر الصورة رقم (١٣) في ملحق الصور.

تشبيدها، هو المعماري المسلم، العربي الأصل: (اختيار الدين) الذي عين وزيراً للبناء والإسكان في عهد أسرة يوان، واستمر نسله في عمله بعد وفاته^(١)..

مساحة المدينة ١٦٨٠٠ كم مربع

عدد سكانها ١٠٥١٠٠٠٠

وعدد سكانها بدون ضواحيها ٦٦٩٠٠٠٠

بها أربع قوميات هي: خان، خوي، مان، منغول

يبعد عنها البحر إلى الشرق ١٥٠ كم

مدينة بكين (ب):

بها آثار قديمة أكثر من مدن الصين الأخرى.

حصلت فيها أحداث كثيرة منها الحركة الطلابية سنة ١٩١٩م، والحركة الطلابية سنة ١٩٨٩م، وبها ست وستون جامعة ومعهداً عالياً، وأشهر جامعاتها وأقدمها جامعة بكين، وبها خمسمائة مركز بحث.

من مناطقها المهمة ميدان (تيان إن من)^(٢) فيه مبنى البرلمان الذي بني سنة ١٩٥٩م وجميع المباني الحكومية المهمة وقبر (ماو تسي تونج)^(٣).. وبها البحيرة المشهورة (مي يون) (MI YUN)، ويقع في ضواحيها جانب من سد الصين العظيم، وبها المدينة الإمبراطورية المحرمة (GU GING)^(٤).. ومعبد الإمبراطور (TIAN TAN)، وبرج الصين المركزي للإذاعة والتلفزيون^(٥) (CHINA CENTRAL RADIO & TV TOWER) طول البرج ٣٨٦.٥ متراً.

(١) [كتاب الشخصيات الإسلامية في الصين ص ٢٧].

(٢) [بكين حاضرة الصين: ص: ٢٠].

(٣) [بكين: ٢١، ٢٤].

(٤) [بكين: ص: ٢٨ وموجز أحوال الصين ص: ٢٩٢].

(٥) انظر الصورة رقم (١٤، ١٥) في ملحق الصور.

فقد الخدمة المعينة على مهمتي في الصين:

الجمعة ١٤١٦/٣/١ هـ — ١٩٩٥/٧/٢٨ م

فقدت في الصين الخدمة التي كنت أناها في البلدان الأخرى من المسلمين، سواء كانت في البلدان الغربية أو في جنوب شرق آسيا، أو في أستراليا، أو في إفريقيا، في (كينيا وجنوب إفريقيا).

والسبب في ذلك: كثرة المراكز الإسلامية وقوة نشاطها، وكثرة الدعاة من العرب أو الناطقين بالعربية، وكثرة الطلبة المسلمين، ومنهم العرب الموجودون في غالب تلك البلدان، وكثرة طلاب الجامعة الإسلامية المندوبون للدعوة إلى الله، بخلاف الصين في هذا كله.

السفر من بكين إلى مدينة (شيان):

في هذا اليوم سافرنا من مدينة بكين — عاصمة الصين الجديدة — إلى مدينة شيان — عاصمة الصين القديمة — ولقد ضقت بالانتظار في مطار بكين، لما فيه من الزحام الشديد الذي لا تكاد تجد لك فيه موطئ قدم، وبالصخب المصم للأذان، إضافة إلى قذارة الحمامات مع قلتها بالنسبة للموجودين في المطار، وعدم وجود وسائل التنظيف المعتادة بها.

وكان الإقلاع من مطار بكين: ٢٧: ١٤ وكان الوصول إلى مطار شيان ٤٥: ١٥ فكانت مدة الطيران ساعة وعشرون دقيقة. والمطار يقع في غرب المدينة.

إبراهيم: كيف أعيش؟!

عندما دخلنا قاعة تسلم الحقائب، جاءت حقائبي، ولم يجد إبراهيم حقيبته، فذهب إلى الموظفين يسأل عنها؟ فقالوا له بعد بحث: إن حقيبتك ذهبت على إحدى الطائرات المتجهة من بكين إلى مدينة شنغهاي.

فقال إبراهيم — والحزن بادٍ على وجهه — : أنا في مطار شيان، وحقيبتني في مطار شنغهاي؟! وكيف أعيش؟ وكان السبب أن البطاقة التي وضعت على حقيبته من بطاقات رحلة من رحلات شنغهاي، بدلاً من بطاقة رحلة شيان. فقلت له:

ستعيش على أحسن حال إن شاء الله، فإن جاءت حقيقتك بسرعة فبها، وإلا
اشترينا لك ما تحتاج إلي من ملابس من السوق.
ويبعد المطار عن المدينة ٥٠ كم، والأرض من المطار إلى المدينة أرض سهلة منبسطة
زراعية. المسافة بين المطارين — مطار بكين ومطار شيان — ١٠٠٠ كم.

٢. في مدينة شيثان

معلومات عن مدينة شيثان:

وكان نزولنا في فندق شيراتون^(١).

(شيثان) هي عاصمة لمنطقة (سان شي SAN SHI) وتقع في وسط النهر الأصفر

مساحة المقاطعة: ١٩٠٠٠٠ كم مربع، وعدد سكانها: ٣٤٤٢٠٠٠٠

القوميات المشهورة بها أربع وهي: خان، خوي، مان (وهي قومية آخر إمبراطور صيني)، منغول.

وفي المقاطعة زراعات متنوعة، وفيها آثار إمبراطورية قديمة^(٢). و(شيثان) عاصمة الأباطرة من سنة ١١٢٦ قبل الميلاد.

عدد سكانها: ٢٠٢٠٠٠٠، ويكثر نزول الأمطار بها من شهري يوليو وسبتمبر.

من أهم أحداثها المعاصرة إجبار أحد ضباط الحزب الوطني رئيسه على حرب اليابان مع الحزب الشيوعي.. وتحيط بالمدينة الجبال التي تسمى "تشنلنغ" ويشبهون المدينة في إحاطة الجبال بها بالقدّر التي تحيط به جوانبه.

من أهم مدن المنطقة (BAO GI , SHAN YONG , YAN AN). وكانت مدينة شيثان في الأصل غابة وفيها تمركز الحزب الشيوعي لمحاربة الحزب الوطني.

السبت ١٤١٦/٣/٢ هـ — ١٩٩٥/٧/٢٩ م

الحر في هذه المدينة شديد، ولهذا ينام كثير من الناس على السطوح لعدم وجود المكيفات.

الإمبراطور (QINSHIHUANG) كان موجوداً قرب هذه المدينة قبل ألفي سنة

(١) انظر الصور رقم (١٦ و ١٧) في ملحق الصور.

(٢) [موجز أحوال الصين: ٥٢].

ويقال: إنه هو الذي بدأ بناء سد الصين العظيم، اكتشفت آثاره صدفة عن طريق حافر بئر سنة ١٩٧٤م وغالب ما وجد من تلك الآثار إلى الآن، صور مجسمة لجنوده مصنوعة من الطين^(١). وقد وقفنا عليها. وهي تقع في شمال شرق مدينة شيان، وتبعد عن المدينة ٥٠ كم، وكانت هي عاصمة الصين القديمة^(٢).

يحيط بمدينة شيان القديمة سور كبير بني منذ أربعمئة سنة، ويبلغ ارتفاعه عشرة أمتار، وطوله ثمانية عشر كيلو متر، وبداخل السور تقع أحياء المسلمين في هذه المدينة، وشوارعها — في المدن القديمة — شبيهة بشوارع بعض مدن باكستان والهند ونحوهما.

يصنع في هذه المدينة قطع طائرات بوينج، والأسلحة الثقيلة كالصواريخ، وترسل منها الأقمار الصناعية التي تملكها بعض الدول والمنسوجات وغيرها.

المسلمون في المنطقة:

قبل أكثر من مائة سنة كان أكثر سكان البلدة مسلمين، حيث كان يبلغ عددهم ٨٠٠٠٠٠ نسمة ولكن الإمبراطور الصيني في تلك الفترة قتل كثيراً منهم وشرّد آخرين، فلم يبق منهم إلا القليل^(٣).

ويوجد في هذه المدينة في الوقت الحالي ١٠ من طلاب الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. وعدد المساجد في هذه المنطقة ٢٠ مسجداً، في المدينة منها ١٠ مساجد. وعدد سكان المنطقة ٦٠٠٠٠٠٠ عدد المسلمين منهم يتراوح ما بين ٥٠٠٠٠ و ٦٠٠٠٠ ألف نسمة. ولا يستطيع أحد من المسلمين أن يدعو إلى الإسلام في

(١) [موجز أحوال الصين من ص ٥٢ وتوجد به الصور].

(٢) انظر الصورة رقم (٢٠) في ملحق الصور.

(٣) [هذه المعلومات أدل بما بعض طلاب الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة الذين رافقوني في هذه المنطقة وهم من سكان مدينة شيان، منهم محمد مارون جون الذي درس سنة واحدة في كلية الحديث وعمره ٣١ سنة ويعمل الآن في شركة، ويحيى بلالي ماشون ولازال طالباً في الجامعة وعمره ٢٥ سنة].

خارج المسجد أو المدرسة الأهلية.

زيارة الجامع الكبير في مدينة شيان:

زيارة المسجد الكبير في مدينة شيان ويسمى (XI AN GRTEAT MOSQUE) بني قبل ألف سنة بأمر من الإمبراطور مساحته ١٣٠٠٠ متر مربع، يتسع لألفي مصل، صلينا فيه المغرب والمطر ينهمر، وهو يقع في وسط أحد أحياء المسلمين ذات الأزقة الضيقة في المدينة.

ويغلب على مباني المسجد الطراز الصيني بما في ذلك الصور في بعض جدرانها، واسم إمامه العربي: يحيى، وهو خطاط وقد حصل على دورة في اللغة العربية وتجويد القرآن الكريم في الأزهر لمدة ثلاثة شهور، وظهرت فائدة هذه الدورة على حسن تلاوته النادرة في أغلب أئمة المسلمين في الصين^(١).

زيارة مسجد دا بي يوان (DA BI YWAN).

الأحد ١٤١٦/٣/٣ هـ — ١٩٩٥/٧/٣٠ م

إمامه محمد عبد الله صالح، عمره ٤٠ سنة، بني المسجد قبل ٦٠٠ سنة، يسكن حول المسجد أكثر من ألفي مسلم، وبه مدرسة بها ٢٠٠ طالب وطالبة. ثم تحولنا في بعض المناطق في المدينة، ويوجد بالمدينة من الفنادق العالمية: حياة ريجنسي، هيلتون، شيراتون، وبه نزلت.

السفر من شيان إلى لانيجو:

وعندما صعدنا إلى الطائرة، بقينا فيها أكثر من ٢٠ دقيقة قبل الإقلاع، ولم تكن مكيفاتها تشتغل، وكان الحر بداخلها شديداً، تبللت بسببه الثياب بالعرق! وكان الإقلاع من مطار شيان في: ٨: ١٩ و الوصول إلى مطار لانيجو في ١٨: ٢٠ فكانت مدة الطيران ساعة وعشر دقائق.

(١) انظر الصور رقم (١٨ و ١٩) في ملحق الصور.

وعندما خرجنا من الطائرة في مطار لانيجو، شعرنا كأننا خرجنا من فرن إلى ثلاجة، إذ كانت درجة الحرارة في مطار لانيجو ٢٠ درجة مئوية. يقع المطار في شمال غرب المدينة ويرتفع عن سطح البحر ٩٠٠ متر. المسافة بين المطار وبين مدينة لانيجو ٧٥ كم، وهي أبعد مسافة تقع بين مدينة ومطارها في الصين.

جبال الطين:

المنطقة كلها جبال من الطين، رأينا بها حفراً سألنا عنها فقبل لنا: إن بعضها يسكن بها الناس في وقت الشتاء القارس، وبعضها يؤخذ منها الطين لرصف الشوارع وغيرها من أنواع البناء.

٣. في مدينة لانجو

خبر مخيف ونُصحَ بالمغادرة!

وقد نزلنا في أحسن فنادق المدينة، وهو من فئة أربعة نجوم: (LANZHOU
(LEGEND HOTEL).

كان قد حدث زلزال خفيف بلغ خمس درجات وثمانية من عشرة في المدينة، قبل أن نصل إليها بيومين أو ثلاثة، ونحن لا ندري عنه شيئاً، وعندما وصلنا كان الجو مغيماً والمطر نازلاً باستمرار^(١).

وذهب الأخ إبراهيم (المرافق) يبحث عن بعض المسلمين الذين كنا نريد اللقاء بهم، فلم يجد منهم أحداً، وقال له بعض المسلمين: إن كثيراً من سكان مدينة لانجو قد فروا منها إلى مناطق أخرى خشية من حدوث زلزال متوقع.

وجاء الأخ إبراهيم ينصح بعدم البقاء في هذه المدينة المتوقع حدوث الزلزال بها، ولكنه ذكر أن هذا الفندق الذي نزلنا به أسس على أن يتحمل زلزالاً تبلغ درجته ثمان درجات على مقياس ريختر، ويقال: إن هذه المنطقة تحصل بها الزلازل كثيراً، ولكنها في الغالب تكون خفيفة.

قلت لإبراهيم: سنبقى والآجال بيد الله، وطلبت منه محاولة الحصول على معرفة بعض المؤسسات الإسلامية.

الاثنين ١٤١٦/٣/٤ هـ — ١٩٩٥/٧/٣١ م

حاول إبراهيم أن يجد بعض المسلمين المسؤولين عن بعض المؤسسات الإسلامية، فلم يجد أحداً، واستأجرنا سيارة وجلنا في المدينة ومررنا بأحد أحياء المسلمين ذات الأزقة الضيقة القذرة التي زادتها الأمطار قذارة، وقد صعب على السائق الخروج

(١) انظر الصورة رقم (٢١) في ملحق الصور.

بسيارته منها بعد أن دخل فيها، ورأينا قبة مسجد كبيرة ولكننا لم نجد به إلا أطفالاً وعمالاً لا يعرفون مما نريد شيئاً.

فلنرحل من هذه المدينة!

قلت لإبراهيم: ما دمنا لم نجد أحداً في هذه المدينة من المسلمين الذين يمكن أن نستفيد منهم، فلنرحل عنها، ولنقدم الحجز إلى مدينة شنغهاي.

أسئلة الموظفين في مكتب الخطوط أمنية:

لتغيير زمن الرحلة يسأل الموظف في شركة الخطوط أسئلة رجال الأمن، ويثبت الأجوبة في الكمبيوتر: من أين؟ ما العمل؟ العنوان؟ رقم الجواز؟ كل ذلك مع وجود التذكرة التي يراد تغيير زمنها.

ولعدم وجود منهج عمل في هذه المدينة، فقد تمكنت من التسلي بقراءة كتاب ماو تسي تونج في الفندق، وهو سيرة ذاتية كتبها عن نفسه وترجم إلى اللغة العربية. ومما لفت نظري في الصين كثرة استعمال السائقين فيها لأبواق السيارات وبخاصة في هذه المدينة.

الثلاثاء ١٦/٣/٥١٤١٦هـ — ١/٨/١٩٩٥م

كان المطر مستمراً طيلة الأيام التي قضيناها في هذه المدينة، ومع ذلك فقد ذهبنا إلى قمة أحد جبال الطين بجوار المدينة، وبه برج قديم على الطراز الصيني بناه بعض الأباطرة وكان الجو هناك صحواً لارتفاع هذه القمة عن الغيم والمطر، وهو يبعد عن المدينة خمسة وعشرون كيلو متراً ويبلغ ارتفاعه عنها ٤٠٠ متر تقريباً رأينا منه بعض أجزاء المدينة.

ويأبى الله إلا ما يريد:

عند الرجوع من الجبل رأيت منارة مسجد على يسارنا، فوقفنا نأخذ له صورة، فإذا الحارة حارة إسلامية، حيث توافد إلينا عدد من سكانها مظهري السرور

برؤيتنا، ولكننا لم نجد إمام المسجد^(١).

قالوا: إن المسجد بني قبل عشر سنوات، وإن عدد المساجد في المنطقة أكثر من مائة مسجد، وعدد المسلمين حول هذا المسجد ألف أسرة تقريباً.

النهر الأصفر:

ذهبنا بعد ذلك إلى وسط المدينة حيث يقسمها النهر الأصفر، وتربط بينها الجسور الممتدة عليه، ولونه أغبر يميل قليلاً إلى الصفرة لكثرة الطين المختلط به، وهو ثاني نهر من حيث الطول في الصين.

مع إمام مسجد سيوان:

ثم ذهبنا مرة أخرى إلى الجامع الكبير في هذه المدينة (مسجد سيوان SIWAN) وهو ذو القبة الكبيرة الذي رأيناه بالأمس، فوجدنا إمامه المدعو: (يونس يانسنج YANSANG)^(٢).

عمره خمس وسبعون سنة، وله سبعة أولاد، بُني المسجد قبل أكثر من أربع مائة سنة. عدد المسلمين في المدينة ٨٠.٠٠٠ وعدد المساجد في المنطقة: خمسون مسجداً.

سبق أن بعض المسلمين الذين وجدناهم في مسجد سابق ذكروا أن عدد المساجد مائة، ولعل معلومات هذا الإمام أوثق، وإن كانت الإحصاءات في الصين غير دقيقة كما سبق، وقد يكون الإمام ذكر المساجد الكبيرة، وهم ذكروا المساجد والمصليات.

في هذا المسجد مدرسة بها ثلاثون طالباً وطالبة، وتوجد بجواره مدرسة نسائية بها مائتا طالبة، وقد رأيناها حول المدرسة وهن محتجبات.

(١) انظر الصور رقم (٢٢ و ٢٣) في ملحق الصور.

(٢) انظر الصورة رقم (٢٤) في ملحق الصور.

المسلمون المجاورون لهذا الجامع قليلون جداً.

معلومات مختصرة عن المسلمين في المنطقة:

لأنجو "المنطقة". مساحتها ١٣٥٥٨ كم مربع.

عدد سكانها مع الضواحي ٦٢٤٤٠٠١ نسمة.

مساحة المدينة ١٦٣٢ كم مربع.

عدد سكانها ١٦١٧٨٠٠ نسمة.

مدينة لينشا: (مكة الصغرى والخلفاء):

هذه المدينة تقع قرب مدينة لأنجو، ويكثر بها المسلمون حيث تبلغ نسبتهم ٥٠% من السكان، وبها ٣٨ مسجداً، وتوجد فيها اختلافات مذهبية وفرق صوفية، ولكل مجموعة مسجدها الخاص، ولكل إمام أتباعه ويسمون كل واحد من الأئمة بالخليفة.

والغالب أن أتباع الإمام لا يقلون عن ثلاثين طالباً، وبها معهد إسلامي للبنين وآخر للبنات.

وذكر لي وجود شريط فيديو عن أحوال المسلمين في هذه المدينة، وبسبب وجود عدد كبير فيها من المسلمين ونشاطهم سموها بمكة الصغرى^(١).

هذه المعلومات عن هذه المدينة لم أطلع عليها إلا بعد وصولي إلى مدينة شنغهاي، وهذا من الأدلة على عدم معرفة مرافقي في هذه الرحلة — عفا الله عنا وعنه — بمناطق المسلمين، لأنه مسلم جديد، وقد أسفت أسفاً شديداً لعدم زيارتها، ولكن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

وقد هيا الله هيا لي الأخ محمد نوح، وهو طالب في كلية الدعوة في الجامعة الإسلامية، فزارني في منزلي بالمدينة مرات كثيرة، قبل عودته إلى بلاده، وأخذت منه

(١) [كما يقول الإندونيسيون عن منطقة آتشيه في شمال سومطرة: إنها صحن مكة].

بعض المعلومات عن البلد، كما سيأتي في مقابلتي معه.

الأربعاء ١٦/٣/١٤١٦هـ - ٢/٨/١٩٩٥م

انتشار التفسخ الأخلاقي في الصين وسببه:

كان المعروف عن الصينيين المبالغة في حشمة النساء، ولم يبدأ التحلل الأخلاقي الظاهر إلا بعد الانفتاح الاقتصادي والسياسي، بعد رحيل (ماو) الذي كانت نواة هذا التحلل في عهده، حيث أجبر الرجال والنساء على العيش معا في التجمعات العمالية في الأرياف وغيرها، وقد شجع على ظهور هذا التفسخ وانتشاره في أنحاء الصين، كثرة الوافدين الغربيين الذين لم تطأ أقدامهم بلداً إلا أفسدوه أو زادوه على فسادة فساداً^(١).

السفر من لانبجو إلى شنغهاي:

الخميس ٧/٣/١٤١٦هـ - ٣/٨/١٩٩٥م

المدة الزمنية بين مدينة لانبجو ومطارها خمسون دقيقة. وكان الإقلاع من مطار لانبجو: ٢٠: ٨ صباحاً، ولأول مرة نرى الشمس بعد ارتفاع الطائرة منذ ثلاثة أيام في هذه البلدة. المسافة بين لانبجو وشنغهاي ١٠٤٠ كم. كان في استقبالنا بمطار شنغهاي الأخ عرفات شهاب، وهو أردني له في الصين عشرة سنوات، عمره ٢٦ سنة، تخصصه كمبيوتر، يعمل في التجارة. والأخ محمد عبده علي الشيباني، وهو يمضي عمره ٣٢ سنة وله في الصين ١٠ سنوات تخصصه هندسة مدنية، ويحضر الدكتوراه.

(١) [كنت سمعت من الأخ الصديق - زميل الدعوة في اليمن - الشيخ محمد مشعوف الأسلمي رحمه الله وصفاً لحشمة النساء في الصين في عهد ماو وإعجابه بذلك، عندما زار وفد البرلمان اليمني الصين برئاسة صديق الجميع الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر. وظننت أنني سأجد هذا الاحتشام باقياً في الصين، ولكني لم أر شيئاً من ذلك الوصف ولا ما يقاربه في زيارتي هذه].

٤. في مدينة شنغهاي

جولة عامة في مدينة شنغهاي:

قمنا بجولة في المدينة مع الأخ الشيباني، ومن المعالم التي مررنا بها^(١):
برج اللؤلؤ الشرقي اللامع، يبلغ طوله ٤٦٨ متراً، بدئ في بنائه سنة ١٩٩١م وتم
بناؤه في ١/٥/١٩٩٤م، ما عدا بعض التحسينات التي لا زال العمال يقومون بها،
ولهذا لم نتمكن من الصعود إلى أعلاه.

فيه تسع محطات التقاط تليفزيوني، وعشر محطات إذاعية، وهو قريب من المنطقة
التي خصصتها الصين للتجارة الحرة.

انفتاح متدرج ونهضة عمرانية:

وتحرص دولة الصين على الانفتاح الاقتصادي التجاري، وبخاصة في بعض المناطق،
ومنها هذه المدينة، ولكنها تحاول التدرج في هذا الانفتاح، خشية من الوقوع في
التفكك الذي وقع فيه الاتحاد السوفييتي.

وتظهر لزائر هذه المدينة نهضة عمرانية قوية وسريعة، وتكثر بها الجسور والطرق
الدائرية السريعة، ومن تلك الجسور المعلق الذي يعد من الجسور المشهورة
في العالم وقد مررنا بهذه الجسور في جولتنا كما مررنا بجامعة شنغهاي.

وعد رئيس وزراء الصين بجعل مدينة شنغهاي شبيهة بهونج كونج في التقدم
المعماري والتجاري وغيره، لذلك يكثر هدم المباني القديمة وتشييد القصور الشاهقة
في كل أنحاء المدينة، كما يكثر بناء الطرق الواسعة والجسور.

سوق الليل:

تشتهر هذه المدينة بسوق ليالي يسمى (ROAD LAN JNG)، وهذا السوق تكثر

(١) انظر الصورة رقم (٢٥) في ملحق الصور.

به المحلات التجارية المركزية الجامعة لكل ما يحتاجه المتسوق.

والشارع الذي يقع فيه هذا السوق شارع يشتهر بالمباني القديمة التي يؤمها السائحون من كل أنحاء العالم، ويزدحم السوق في الليل بالمتسوقين، ويشهد فيه تالكو الأنوار، وكثرة ما رأيت فيه من البشر قلت مبالغاً لو سلطهم الله على بحيرة طبرية لما أبقوا منها قطرة ماء، ولا يلزم من ذلك أن يكونوا هم يأجوج ومأجوج الذين لا يبعد أن يكونوا جزءاً منهم^(١).

صلاة الجمعة في مسجد خوسي (HUSI):

الجمعة ١٤١٦/٣/٨ هـ — ١٩٩٥/٨/٤ م

بني هذا المسجد قبل ثمانين سنة وجدد سنة ١٩٩٢ م.

إمام المسجد (حسن إسماعيل BAI) عمره ثلاثون سنة تخرج في معهد العلوم الإسلامية في بكين^(٢).

وهذا الإمام من أفضل الأئمة وأفضل الدعاة الذين وجدتهم في الصين، من حيث الحماس للدعوة والرغبة في إيصال الإسلام إلى المسلمين وغيرهم.

يضاف إلى ذلك أن عنده ثقافة جيدة، وفكراً إسلامياً صافياً، وحكمة في الدعوة وحساساً لها، ويود أن يغير بعض البدع التي يتعاطاها المسلمون بسبب جهلهم، ولكنه يعمل لذلك بالتدريج خشية نفور الناس مما لم يألفوه، ويحاول ترجمة بعض الكتب الإسلامية، وهو وأمثاله في حاجة إلى مدهم ببعض كتب اللغة العربية التي تساعد على فهم المعاني التي يترجمونها.

عدد المصلين في غير الجمعة ٣٠ شخصاً تقريباً، ويمتلئ أيام الجمع، يتسع لما يقرب من ٣٠٠ مصل.

(١) [راجع ما سبق من كلام العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي في شأن يأجوج ومأجوج].

(٢) انظر الصور رقم (٢٦ و ٢٧) في ملحق الصور.

يُدرّس فيه إمامه مبادئ الإسلام مساء الجمعة والسبت.

عدد الطلاب الصغار فيه عشرة، وعدد الكبار عشرون، ويقام فيه فصل دراسي ليلي لمدة ستة شهور، يحضره خمسون شخصاً تقريباً.

وصية الشيخ أحمد المزعومة!

جاء شباب، وهو طالب جامعي، قبل صلاة الجمعة بورقة طبعت فيها وصية من يسمى بالشيخ أحمد، الذي يزعم فيها أن الساعة ستقوم في وقت معين عنده، مع ذكر بعض الخرافات التي يزعم أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام وأوصاه بها وتبليغها إلى جميع المسلمين، مع ذكر الثواب الجزيل لكل من يكتبها ويقرأها ويبلغها إلى غيره، وهي مترجمة ببعض لغات الصين، ويزعم بأنه شيخ الروضة النبوية.

وقد بينت للطالب والحاضرين من المسلمين زيف هذه الوصية وكذب صاحبها، وكان المترجم إمام المسجد.

بجانب هذا المسجد روضة بها ٢٠٠ طالب من المسلمين، منهجها حكومي ولا يدرس بها من الإسلام إلا تقاليد (خوي)^(١).

عدد المساجد في شنغهاي سبعة، أحدها في ضاحية من ضواحيها، بناه عربي يدعى (نصر الدين) قبل ٦٠٠ سنة وهو أكبرها ويسمى (XIAOTAUYUAN). .
عدد سكان مدينة شنغهاي: ١٣,٠٠٠,٠٠٠ نسمة، غالبهم من قومية خان.

من الأديان الموجودة فيها:

البوذية وهي أقدم الديانات في الصين، وغالب الداخلين فيها من كبار السن.
والنصرانية، ونشاط النصارى فيها قوي، عددهم فيها أكثر من ١٠٠,٠٠٠ يدخل في النصرانية كل سنة ٦٠٠٠ شخص تقريباً، اهتم الغربيون بهذه المدينة منذ أكثر

(١) [المسلمون الصينيون يفتنمون فرصة إذن الدولة بتدريس أولادهم تقاليدهم في المدارس الرسمية ويعلمونهم بعض مبادئ الإسلام].

من سبعين سنة عن طريق التعليم والطب، واتخذوا هونج كونج معبراً إليها في الاستثمار والتجارة والفنادق وغيرها.

كثير من سكان المدينة أغنياء تشبعوا بالمادة، وأحسوا بالحاجة إلى الإشباع الروحي، لذلك يتجهون إلى المسيحية التي لا تقيد شهواتهم، كما هو الحال — عندهم — بالنسبة للإسلام، ولقوة النشاط المسيحي.

اشتركت أمريكا والصين في بناء مدرسة راقية، غالب أساتذتها أمريكيان، ولهم تأثير ديني وفكري على طلاب المدرسة.

يوجد لليهود مركز تجاري في مقاطعة (شنغهاي) — وهي غير مدينة شنغهاي. دروس مجانية في الرياضة:

كنت أطل من نافذة الفندق في حوالي الساعة السابعة صباحاً، فرأيت مجموعات من الصينيين في الساحات المجاورة للفندق، مع كل مجموعة مدرب رياضي منهم لا يقل نشاطهم عن ساعة، وكنت أستفيد من تدريباتهم وأنا في غرفتي، واعتبرت ذلك دروساً مجانية، ولا أدري هل يتركونني وشأني لو علموا أنني كنت أتدرب بتدريهم، أو يطلبون مني أجره التدريب؟!.

مساحة شنغهاي: ٥٨٠٠ كم مربع، وهي أكبر المدن الصينية من حيث السكان، تليها بكين ثم تيانجين التي يسكن فيها الأستاذ علي YAN AN وهو مهتم ببحوث القرآن والعلم وترجمتها، ثم كانتون، وبها أضرحة بعض الدعاة العرب منهم سعيد بن أبي وقاص^(١)..

زيارة إمام أكبر مساجد مدينة شنغهاي:

السبت ١٤١٦/٣/٩هـ — ١٩٩٥/٨/٥م

وهو الأخ (موسى عمر MUSA JIU HONG WEI) وهو إمام أكبر مسجد في

(١) [هكذا يسمونه، وسبق أنه ليس الصحابي المشهور، وهو يحتاج إلى بحث لمعرفة من هو؟].

مدينة شنغهاي عمره: ٣٥ سنة. تعلم اللغة العربية في جامعة اللغات الأجنبية في شنغهاي، وتعلم العلوم الإسلامية في المسجد الذي يسمى (HAIXA TAO YUAN) وله ولد واحد.

وقد أنشأ هذا المسجد شيخ صيني سنة ١٩٢٥م. وكان يوجد عالم مسلم في شنغهاي قبل ثلاثين سنة، قام بترجمة معاني القرآن الكريم.

عدد المصلين في المسجد في الأيام العادية يقارب ١٠٠ شخص، وفي يوم الجمعة يصلي فيه ما يقارب ٥٠٠ شخص، وفي العيد أكثر من ٢٠٠٠ شخص.

يدرس الإمام أولاد المسلمين في المسجد يومي الخميس والسبت، وعددهم ١٥ طالباً، يعلمهم القراءة العربية وقصار السور.. عدد المسلمين في مدينة شنغهاي: ٥٠ ألفاً تقريباً، الذين يصلون منهم حوالي ١٠٠٠ شخص.

واسم المسجد (شاو تاو يوان HAIXIA TAO YUAN MOSQUE)

زيارة الطلاب العرب في مقر إقامتهم في الجامعة:

غذاء القلوب في بيئات الكفر والذنوب:

وقد طلب الإخوة مني إلقاء محاضرة إيمانية، لأنهم أحوج إليها من المحاضرات الأخرى، سواء كانت في السياسة، أو الاقتصاد، أو في الموضوعات الفكرية، لأن القلوب في البلدان الموبوءة بالكفر والآثام في حاجة إلى الغذاء الإيماني، ليصلها برها، ويزيل عنها أدران المعاصي والذنوب^(١).

فلبيت دعوتهم، ثم جرت مذكرات متنوعة، استغرقت ما يقارب ساعتين. وشكا الطلاب العرب من مضايقة بلدانهم لهم أكثر مما يجدونه في بلد شيوعي، كالصين، حيث إنهم يشتركون في مجلات وجرائد ونشرات إسلامية، ترسل لهم من بعض البلدان العربية أو الغربية، ولا تسمح أجهزة الإعلام بالاشتراك فيها في بعض

(١) انظر الصورة رقم (٢٨) في ملحق الصور.

بلداتهم الإسلامية.

قلت لهم: لو كنتم صينيين لما سمحت لكم الصين بذلك، أليس كذلك؟ قالوا: بلى، ولكن القياس غير صحيح، لأن الصين بلد شيوعي وثني، وبلداننا إسلامية!

أستاذ صيني ينصح غير المسلمين بالتعرف على حقيقة الإسلام!

بروفيسور (GU WE IL IE) نائب لجنة دراسات الشرق الأوسط، كتب مقالاً في مجلة التحرير بتاريخ ٢٥/٧/١٩٩٥م، بعنوان (حقيقة الإسلام والحضارات الأخرى) ذكر فيه أن عدد الدول الإسلامية خمسون دولة، وأن عدد المسلمين مليار ومائتا مليون، وأن حركات إسلامية غير قليلة حدثت خلال السبعين السنة الماضية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، ذكر منها إيران والجزائر والسودان، وذكر نضال المسلمين في أفغانستان والبوسنة والهرسك، وأنه لا يستطيع أحد إلغاء الإسلام ديناً أو قومية أو سياسة أو قوة، وأنه يجب معرفة حقيقة الإسلام والحركات الإسلامية وخصائصها واتجاهاتها، ومعارضة بعض الدول الإسلامية لها، كما يعارضها الغرب وخاصة بعد انتهاء الحرب الباردة، واعترض على القول بصراع الحضارات، وذكر أن بعض الحركات الإسلامية ترى الاستفادة من الحضارة الغربية بعد تنقيتها، وذكر ما نادى به الأمير حسن ولي عهد الأردن في إحدى الجامعات البريطانية مسن أن الإسلام يتطور بحسب الحضارات والأزمنة^(١).

(١) [الإسلام لا يتطور وإنما جاء مشتقاً على كل ما يحتاجه البشر في كل الأوقات والحضارات، وإن كان كثير من الناس يحاولون الاحتيال على الإسلام ليوافق أهواءهم باسم التطور، ولكن الذي يتطور هو الاجتهاد وفقه النصوص، وإنزالها منازلها...].

الأحد ١٠/٣/١٤١٦هـ — ٦/٨/١٩٩٥م

السفر من شنغهاي إلى جانجو:

أقلعت بنا الطائرة من مطار شنغهاي: ٤٥ : ٢١ متأخرة عن موعد إقلاعها أكثر من ساعة، وكان المفروض أن تقلع في الساعة: ٢٥ : ٢٠ ولكنها تأخرت، وكان وصولها إلى مطار جانجو: ٢٣ : ٠٣.

ظهرت في هذه الرحلة — أكثر من غيرها — فوضى المسافرين الصينيين وصخبهم المؤذي للسمع، والصينيون لا يملون من كثرة الكلام مع رفع أصواتهم وقهقهاتهم، حتى لقد خيل إلي أن الصيني لو أمر بالسكوت خمس دقائق لاعتبر ذلك سجنًا طويلاً.

وقاعة تسلم العفش في مطار جانجو — التي هي عاصمة مقاطعة (خيلان HELAN) — لا تتسع للركاب، مع أن المطار مطار دولي كما قال لي مرافقي، وهو يقع في شرق مدينة جانجو، وهي شبيهة بمحظائر البقر، ولا توجد بالمطار عربات لنقل العفش، لا للقادم ولا للمسافر، ولكن قيل لي: إنه يجري إصلاح مرافق المطار.

٥. في مدينة جانجو

مقاطعة خيلان:

مساحتها: ١٦٠٠٠٠ كم مربع.

عدد السكان: ٨٨٦٢٠٠٠٠

مدينة جانجو عدد سكانها: ١١٨٤٠٠٠٠

تشتهر بصناعة بعض المعادن والمنسوجات والمنتجات الزراعية المختلفة، ويمر بها النهر الأصفر، ومن أهم مدن منطقة خيلان — بعد العاصمة — مدينة: (KEIFONG) ثم مدينة: (LOYONG) ثم مدينة: (PIN DINSAN) ثم مدينة: (SHEN SHONG).

وقد نزلنا في الفندق (هوليداي إن HOLIDAY INN) وإدارته صينية بريطانية، بني حديثاً يتكون من خمسة أدوار، ويقع في حي دوائر الحكومة في أكبر شارع في المدينة.

الاثنين ١١/٣/١٤١٦هـ — ٧/٨/١٩٩٥م

القوميات في جانجو هي: هان، خوي، منغول، مان.

زيارة مدينة جانغ ديان (GE DOANG DIAN)

وهي مدينة يكثر بها المسلمون، وتقع شمال غرب مدينة جانجو، وأرض المنطقة منبسطة سهلة زراعية تتوافر فيها المياه، إذ يمر بها النهر الأصفر، كما يمر في لانجو وشيئان، وأكثر زراعتها القمح.

كان خروجنا من مدينة جانجو — بالسيارة — الساعة ١٥: ١٢ ظهراً، وفي الطريق عبرنا على جسر طوله: ٨ كم على النهر الأصفر، وكان وصولنا إلى مدينة جانج

ديان^(١) في الساعة: ٤٠: ١٣.

مررنا في وسط هذه المدينة بسوق شعبي يصعب اختراق السيارة له، لشدة زحامه وضيق ممر الشارع الذي يقع بجانبه السوق، يقام هذا السوق يوماً في كل عشرة أيام، يتبادل فيه السكان السلع والمنتجات الزراعية والمنسوجات والحيوانات المختلفة.

وفي الطريق رأينا العمل الشاق الذي تعانیه المرأة الصينية في بناء الطرق والجسور، حيث تقوم بتكسير الحجارة وحملها وفرشها في الأرض، وهذا أحد أعمالها.

الاجتماع بإمام المسجد إبراهيم ماكوفن:

التقينا في المدينة إمام مسجدنا إبراهيم ماكوفن وعمره ٣١ سنة، وقد بني المسجد قبل أربعمئة سنة، يصلي فيه يوم الجمعة ٣٠٠ شخص، وفي العيدين ١٥٠٠ شخص، وفي بقية الصلوات أقل من ٢٠٠. وعدد سكان هذه المدينة: ٦٠٠٠ نسمة. وعدد المسلمين ٣٠٠٠ نسمة^(٢).

حرص المسلمين على تعليم أبنائهم مبادئ الإسلام:

توجد مدرسة حكومية لأبناء المسلمين^(٣)، عدد طلابها ٦٠٠، ومنهجها حكومي، وسيفتح فيها فصل لتعليم اللغة العربية، تخرج من المدرسة أكثر من مائة طالب وطالبة، وقد زرنا بعض فصولها التي يتعلم فيها الصغار، أما الكبار فهم في إجازة. وهذه المدينة مدرسة أهلية تخرج منها ٣٢ شخصاً، عشرون منهم أئمة لمساجد في مناطق متفرقة، وثلاثة منهم قبلوا في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، واثنان قبلوا في الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، وكان طلابها في إجازة أيضاً.

ويقوم المسلمون في هذه المدينة بنفقة هذه المدرسة، لحرصهم على تعليم أبنائهم

(١) انظر الصورة رقم (٢٩) في ملحق الصور.

(٢) انظر الصور رقم (٣٠ و ٣١) في ملحق الصور.

(٣) انظر الصورة رقم (٣٢) في ملحق الصور.

دينهم، وهي على ثلاث مراحل: ابتدائي وإعدادي وثانوي، وبها قسم خاص لتعليم اللغة العربية. وشهادتها تعادل الثالثة كلية، وهي قسمان، قسم للبنين، وعددهم تسعون، وأخرى للبنات وعددهن ستون.

تدرس فيها مواد: القرآن الكريم والسيرة النبوية والسنة والتفسير والفقه وأصول الدعوة، والتربية الإسلامية والأذكار، وقد أخذ منهجها من الجامعات الإسلامية، العربية وغيرها.

عدد المدرسين ١٦، وهم من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ومن الذين تخرجوا من بعض المساجد في الصين ومن معهد بكين، وهم يرجون زيادة المنح لأبنائهم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ليتسكنوا من تدريس أبنائهم تدريساً مبنياً على علم صحيح^(١).

و مدير المدرسة هو إبراهيم بن أحمد (MAI YIN SHIE)

ترحيب حار واستقبال حسن:

لقد احتفى بنا المسلمون في هذه المدينة وسروا بزيارتنا المفاجئة لهم، وقد ألح علينا الأخ أبو سعيد، الذي يدرس ابنه في الجامعة الإسلامية بالمدينة، في أن نزوره في بيته، وكان ابنه — سعيد — غائباً.

وعندما استجبنا للزيارة فرحت الأسرة كلها فرحاً شديداً، ويتكون منزلهم من حوش صغير به بعض أشجار الفاكهة، ومنها التين، وبعض الغرف، أدخلونا في إحداها على كراسي خشبية قديمة وقربوا بعض الفاكهة، وطلبوا منا البقاء حتى يعدوا لنا الطعام، ولكننا اعتذرنا لضيق وقتنا.

(١) انظر الصورة رقم (٣٣) في ملحق الصور.

الثلاثاء ١٢/٣/١٤١٦هـ - ٨/٨/١٠٠٥م

توجد في هذه المنطقة مساجد خاصة بالنساء، تؤمهن فيها نساء، بخلاف شمال الصين، وكبار السن من المسلمين يتمسكون بالإسلام نسبياً، أما الصغار فتمسكهم قليل.

السفر من جانشو إلى كومينغ:

أقلعت بنا الطائرة من مطار (جانشو) الساعة: ٤٢: ١٥، والمسافة بين المدينتين: ١٧٠٠ كم.

من أولى بمنع الخبائث المؤذية!؟

الطائرات الصينية، وهي شركات ماركسية، وغير الصينية في بعض البلدان غير الإسلامية، يمنع فيها التدخين منعاً باتاً في جميع الرحلات، بخلاف أكثر شركات خطوط البلدان الإسلامية، حيث يضطر المسافر الذي يتأذى من رائحة الدخان — الذي ثبت خبثه شرعاً وطباً وفطرة — أن يستنشق سحاباً منتناً مؤذياً مضرّاً فترات طويلة من الزمن، وهو سجين في أرجوحة جوية لا يستطيع الفرار بنفسه إلى حيث ينجو من ذلك الخبث، ومن أولى بمنع الخبائث المنتنة الضارة الشيوعيون والوثنيون واليهود والنصارى، أو المسلمون!؟.

تحسبهم أغنياء من التعفف:

المسلمون الصينيون، مع شدة حاجتهم للمساعدة المادية، يظهرون القناعة، وليسوا مثل غيرهم في بعض البلدان الإسلامية وغير الإسلامية، ممن يلحون في طلب المساعدة، والإكثار من الشكوى، وادعاء الأعمال الجبارة في دعوة المسلمين وتعليمهم. وكان الوصول إلى مطار كومينغ في الساعة ٥: ١٧، ويقع المطار في جنوب غرب المدينة.

٦. في مدينة كومينغ

مؤتمر أحدث أزمة في الفنادق:

كان يعقد في هذه المدينة مؤتمر تجاري، يحضر أعضاؤه من جميع مناطق الصين، ومن بعض البلدان خارج الصين، وأحسن الفنادق في المدينة: فئة أربعة نجوم، غالبها مليئة بالمؤتمرين.

لذلك اضطرت للترول في فندق يقال: إنه ثلاثة نجوم، ويسمى (JINLI HOTEL) وكانت نجومه مزورة؟ فبت فيه بدون نوم أنتظر الصباح^(١).

وقد بحثنا عن فندق آخر من فئة أربعة نجوم، فوجدنا غرفة بوساطة صاحب التاكسي الذي كان على صلة بفندق (GOLDED DRAGON HOTEL) أي التين الذهبي، والفندق نظيف ومظهره جيد ولكن صيانتة — كعادة الصينيين — رديئة، وإدارتهم بطيئة.

زيارة مسجد (SHA LOU):

وبهذا المسجد مدرسة أهلية يديرها مع المسجد (داود إبراهيم (TIE WEI JIE

وإمام المسجد (إبراهيم بن محمد (ZHANJ SAO CHAN

بني المسجد قبل (نسيت تسجيل تاريخ بنائه) والمدرسة قبل عشر سنوات، قام ببنائه داود المذكور، يتسع المسجد لخمسمائة مصلي.

عدد المصلين في غير أيام الجمع يقارب خمسين، وفي أيام الجمع يمتلئ بالمصلين.

عدد الطلاب مائة وسبعون، وعدد المدرسين عشرون.

عدد المسلمين في المدينة وضواحيها ١٠٠٠٠٠٠ مائة ألف نسمة تقريباً، يسكن حول المسجد ألف أسرة.

(١) انظر الصورة رقم (٣٤) في ملحق الصور.

عدد المساجد في المدينة خمسة عشر مسجداً، وفي الضواحي أكثر من ذلك.
البحث عن الشيخ محمد أمين:

ذهبنا إلى أحد المساجد الكبيرة في المدينة، للبحث عن (الشيخ محمد أمين) الذي أثنى عليه كثير من المسلمين، وكان المسلمون في جميع المساجد يحتفلون بالمولد النبوي، أكلاً وذكراً وصلوات، بحسب ما تعلموه في هذه المناسبة^(١). ولم يتجاوب معنا أحد يدلنا على الشيخ محمد أمين، ولم يظهروا ترحيباً ولا حسن استقبال بالضيف، وهذه عادة غالب من التقيناهم من المسلمين الصينيين، ما عدا الذين يحصل التعريف بنا عندهم، أو يكون له صلة بالجامعة الإسلامية. ومن أهم أسباب عدم استقبال المسلمين الصينيين للضيف المسلم؛ طول المدة التي قضوها متروين عن العالم، وبخاصة العالم الإسلامي، إضافة إلى خوفهم من مراقبة الدولة وعدم معرفتهم بالزائر، وقد يكون من أسباب ذلك حذرهم من بعض أهل المذاهب الإسلامية المخالفة لما ألفوه في تعبدهم، وبخاصة من يأتيهم من الجزيرة العربية التي يقال لهم: إن علماءها وهايون!

وكان الكثير من طلبة العلم قد تحلقوا في المساجد، لابسين الثياب البيضاء والكواشي والعمائم، ويبد كل منهم كتاب من المولد النبوي المولد يقرءون فيه قراءة جماعية. وجدنا رجلاً مسلماً يبلغ من العمر خمساً وستين سنة، ينطق بصعوبة بعض الكلمات العربية، سألتناه عن الشيخ محمد أمين فطرق باب غرفة في المسجد الذي كنا فيه، وقال: هذا بيت الشيخ محمد أمين فخرجت ابنة الشيخ، وقالت: إنه في إحدى القرى الريفية.

من أي قارة أنت؟

جمعني مصعد الفندق برجل صيني وامراته وطفله، ويظهر عليهم أثر النعمة

(١) انظر الصورة رقم (٣٥) في ملحق الصور.

والتحضر، ولعلهما من كبار موظفي الدولة، أو من أعضاء الشركات الكبيرة، وكانت المرأة تصوب نظرها إلي تصويماً يدل على تعجبها من هذا الجنس الغريب من البشر، وبادرتني سائلة: من أين أنت؟ باللغة الإنجليزية، قلت: من السعودية. فسألت سؤالاً آخر لم أفهمه، وقلت لرفيقي (إبراهيم): ماذا تقول؟ قال: تقول: من أي قارة؟ قلت: قل لها: من كوكب بعيد عن أرضكم، ولكن إبراهيم قال لها: من قارة آسيا. قالت: من أي جنس؟ فقال لها من العرب.

قلت: إذا كانت هذه المرأة التي تنزل في الفنادق الممتازة، ويظهر عليها كما ذكرت أثر النعمة، ويبدو أنها متعلمة وهي تجهل منطقة مشهورة — وبخاصة في هذا العقد الذي تناقلت أجهزة الإعلام عنها أحداثاً غير عادية تعرف بها بلدان العالم ولو صغرت — فما بالك بعامة الصينيين؟!

وقد سبقت قصتي مع رجل الأعمال الصيني في الطائرة من هونغ كونغ إلى بكين، والقصتان تدلان على العزلة الشديدة التي حجبت الصينيين عن العالم الخارجي. بلدة الربيع:

الأربعاء ١٣/٣/١٤١٦هـ — ٩/٨/١٩٩٥م

كان الجو صحوً، وفجأة أخذت البروق تلمع، والريعود تتجاوب، والسحب تتراكم، والأمطار تنهمر. وهذه البلدة يسميها الصينيون بلدة الربيع لاعتدال مناخها غالب أيام السنة، وتحيط بها الجبال المكسوة بالغابات من غالب الجهات، وبقرها بحيرة كبيرة تزيد من تلطيف الجو حولها.

إرهاق السكان بالضرائب:

إذا ملك السائق سيارة بعد عمله في إحدى الشركات فترة طويلة، يدفع ضريبة شهرية للدولة ألف يوان^(١).

(١) [الدولار يساوي ثمانية يوان وتسعة أعشار الين تقريباً في هذه الفترة].

وإذا سمح له بالعمل في فندق أو مطار يدفع شهرياً خمسمائة يوان، وجميع الدكاكين الصغيرة والكبيرة، تفرض عليها الدولة ضرائب تناسبها.

الخميس ١٤/٣/١٤١٦هـ — ١٠/٨/١٩٩٥م

حوار مع الأخ إبراهيم:

الأخ إبراهيم (TANG KE DE TANG HAI) مسلم جديد، وهو الذي رافقني في رحلتي داخل الصين من يوم وصولي إلى بكين، بتاريخ ٢٥/٢/١٤١٦هـ — ٢٣/٧/١٩٩٥م، إلى أن غادرت الصين من عاصمة منطقة يونان (YONNAN: Chumming) جنوب الصين بتاريخ ١٨/٣/١٤١٦هـ — ١٤/٨/١٩٩٥م.

تاريخ ميلاده: سنة ١٩٧١م في مدينة (JANG LAN) في وسط الصين، وهي تابعة لمنطقة (SI CHUNA). درس في مدينته إلى أن تخرج من المرحلة الثانوية سنة ١٩٨٩م.

سَبَقَتْهُ أخته إلى الإسلام وأرشدته إليه بحكمة:

بعد تخرجه ذهب إلى مدرسة أهلية إسلامية في بكين، بنصيحة من أخته التي سبقته بالإسلام، وتزوجت شاباً فلسطينياً يسمى مصطفى صالح — وسأذكر التعريف به في إحدى فقرات هذه الرحلة، وهو الذي استأذن لإبراهيم في دخول المدرسة — دون أن تطلب منه الدخول في الإسلام، والمشرف على المدرسة يسمى إسحاق، وهو صيني.

ولدت أخته — أي إبراهيم — سنة ١٩٦٧م وسمت نفسها بعد إسلامها (سلام) وكان إسلامها سنة ١٩٨٧م على يد مصطفى صالح الذي كان زميلاً لها في الدراسة.

كان الأخ إبراهيم — وكل ما أنسبه إليه فهو من إجاباته على أسئلتي — يعرف أن

المسلمين هم من قومية (خوي) وهم لا يأكلون لحم الخنزير^(١). ولا يعرف الأخ إبراهيم أن أحدا غيره كان يدرس في هذه المدرسة من غير المسلمين، وهي تُدرّس العلوم الإسلامية واللغة العربية. ومن ذلك تفسير بعض الآيات القرآنية، وقراءة بعض قصار السور. والذي يتولى تفسير بعض الآيات هو الشيخ إسحاق نفسه، ويختار في الغالب الآيات الدالة على وجود الله وتوحيده^(٢)..

الموت مخيف ونظام الكون دقيق ولم يكن يفكر في المُميت المُوجد!
قال الأخ إبراهيم: إنه كان في صغره شديد الخوف من الموت عندما كان يرى الموتى يدفنون، ولم يكن يفكر في وجود الله، وكان يلفت نظره النظام الدقيق في الكون، ولكنه لا يفكر فيمن أوجده، ولا فكر في أن الطبيعة هي التي أوجدت نفسها.

السؤال عن حقيقة الإسلام؟

وفي هذه المدرسة بدأ يسأل بعض زملائه عن حقيقة دين الإسلام؟ فقدم له أحد زملائه كتاباً، يسمى: "حقيقة الإسلام" باللغة الصينية وعندما قرأه وجد فيه شيئاً جديداً، وهو أن لهذا الكون خالقاً واحداً، ولكنه لم يجزم بوجود خالق، بل كان يرى بأن ذلك يمكن أن يكون صحيحاً، ويمكن أن لا يكون صحيحاً، ولكنه قال في نفسه: إذا كان يوجد خالق لهذا الكون فعلاً، فلا بد أن يكون واحداً فقط، ولا

(١) [وقبيلة خوي هي القبيلة التي كان دخولها في الإسلام في وقت مبكر، ويحاول الحكام الصينيون أن يفهم الناس أن الإسلام خاص بهذه القومية في الصين، وقر ذلك في أذهان الناس، ولذلك عندما تنشر الدولة إحصاءاتها الرسمية، تنشرها باسم القوميات، ومنها هذه القبيلة التي يبلغ تعدادها ١٨ مليوناً، ويظن الناس أن هذا هو عدد المسلمين، مع أن الإسلام منتشر في قبائل أخرى غيرها. ولذا لا ينبغي الاعتماد في عدد المسلمين على هذا الإحصاء].

(٢) [وهو اختيار موفق حكيم، لأن الثورة الثقافية الماركسية رسخت في أذهان الناس أنه لا يوجد للكون خالق، وأن الطبيعة هي التي أوجدته].

يمكن أن يكون متعدداً، ولم يصدق القصص الصينية التي تقول: إن الآلهة متعددة.

إيمانه بالإله وشكه في الرسول والسبب!

ثم لما سمع الآيات الدالة على وجود الله، آمن بأن لهذا الكون خالقاً، وانتفى الشك الذي كان عنده قبل ذلك، ولكنه كان في شك من أن محمداً ﷺ — كان رسولاً من عند الله، لاحتمال أنه — أي محمد ﷺ — وصل إلى الإيمان بوجود الله وتوحيده بفكره، وليس عن طريق الرسالة.

وبناء على ذلك، أي إيمانه بوجود خالق واحد، مع الشك في رسالة محمد ﷺ، نطق الشهادتين، وكان ذلك سنة ١٩٩١ م. وكان عمره ١٩ سنة.

لا يمكن أن يأتي بهذا الدين بشر من عند نفسه!

وفي نفس السنة سافر إلى باكستان للدراسة في جامعة الدعوة إلى القرآن والسنة في بيشاور، ومكث ثمانية شهور وهو لا يزال يشك في رسالة محمد ﷺ، ويتساءل في نفسه: لماذا هو نبي؟ وكان يتهاون في أداء الصلاة لعدم معرفته بوجوبها.

ولكنه خلال الشهور الثمانية درس بعض مبادئ الإسلام، وكان يرى أنها كلها خير، وعرف أن هذه المبادئ جاء بها محمد ﷺ، وآمن بكل ما سمعه عن الإسلام، وقرر في ذهنه أن هذا الدين لا يمكن أن يأتي به بشر من عند نفسه، بل لا بد أن يكون من عند الله، وعند ذلك أيقن بأن محمداً ﷺ رسول من عند الله.

وكان قبل إسلامه قلقاً من مصيره إلى الموت، إذ كان يفكر في أنه إذا مات صار إلى التراب وتحت الأوساخ والقاذورات، وكان يحاول أن يفر من هذا الخوف بالحديث مع زملائه. أما الآن فهو لا يخاف إلا من عذاب الله إذا مات على معصية.

وأسرته: أمه وأبوه وأخته الكبرى الذين لم يسلم منهم أحد عندما أسلم — لم يغضب أحد منهم عليه بسبب إسلامه.

وقد دخلت أمه قرياً في الإسلام، وهو شديد الرغبة في دخول بقية أسرته في الإسلام، ولعله ينجح في ذلك قريباً بإذن الله^(١).

جولة في الجبل الغربي:

ذهبنا إلى الجبل الغربي — هكذا يسمونه — وهو أحد الجبال المحيطة بالمدينة، ويقع غربها وهو جبل سياحي، به كثير من المعابد البوذية، ويشرف على المدينة وضواحيها، وبجانبه تقع البحيرة الكبيرة، وبه المصاعد الجبلية الكهربائية التي توصل السائحين إلى قمة الجبل^(٢).

وقد صعدنا إلى قمة الجبل، ولكن الأمطار الغزيرة بللت ثيابنا ونحن في المصعد، فاضطررنا إلى العودة إلى المدينة.

حوار قصير مع سادن المعبد:

دخلنا أحد المعابد البوذية وهو ذو مبان كثيرة في كل مبنى صور مجسمة لبوذا، والناس يقدمون له أعواد البخور ويركعون ويسجدون على الأرض أمام صورته.

من هو بوذا؟

فأجاب: هو رجل هندي.

من خلق بوذا؟

قال: خلق نفسه.

هل يخلق الشيء نفسه؟

قال: بوذا خلق نفسه.

هل الكون منظم، دقيق التنظيم؟

قال: نعم

(١) [هذه هي قصة إسلام مرافقي الأخ إبراهيم الصبيحي وهو الآن في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، نجح من السنة الأولى من كلية الدعوة وأصول الدين إلى السنة الثانية منها، أسأل الله أن يزيد هدى ويهدي به].

(٢) انظر الصور رقم (٣٦ و ٣٧) في ملحق الصور.

من خلق هذا الكون الدقيق التنظيم؟

قال: الطبيعة.

ما هي الطبيعة؟

قال: هي الأشياء التي نشاهدها.

هل تتصف الطبيعة بصفات تمكنها من خلق نفسها، كالعلم والقدرة والحكمة؟

فأظهر العجز وسكت، فتركناه وذهبنا.

كان الجو صحوً نسبياً، فصعدنا بالمصعد الكهربائي وهو مكشوف، وفي أثناء

صعودنا هطلت الأمطار علينا فبللت ثيابنا.

السفر إلى قرية لا شاين (LA ZI YIN)

الجمعة ١٥/٣/١٤١٦هـ - ١١/٨/١٩٩٥م

كان خروجنا من كومينغ بالسيارة الساعة: ٤٠: ٧ صباحاً.

ولا شاين منطقة تشتمل على عدة قرى، تقع جنوب شرق كومنج، ويكثر بها

المسلمون^(١)، وفي الطريق إليها أسواق شعبية على جوانب الشارع، وقرى كثيرة،

تكثر في هذه المنطقة الخيول الصغيرة الحجم، وتكثر العربات المحملة بالخصراوات

والأخشاب، وتقودها الخيل والحمير، وكثير منها يقودها البشر، والأرض كلها

زراعية خضراء. وتكثر بها الجبال المكسوة بالغابات الكثيفة، والبحيرات^(٢)

الصغيرة والكبيرة، والجداول المائية الصغيرة، والطريق في كثير منها يتلوى كالثعبان.

المسافة إليها: ١٢٠ كم.

(١) انظر الصورة رقم (٣٨) في ملحق الصور.

(٢) انظر الصورة رقم (٣٩) في ملحق الصور.

٧. في منطقة لا شايين

في منزل التاجر المسلم (لا شي رونغ):

استقبلنا الشاب المسلم التاجر (لا شي رونغ LASHI RONG)، نزلنا في بيته الذي لم أر للمسلمين في الصين بيتاً يشبهه (مقصورة كبيرة مكونة من ثلاثة أدوار، ذات غرف واسعة، وأثاث فاخر، وحوش كبير به، مواقف للسيارات، وهو ثالث منزل أدخله من منازل الصينيين).

وقد أقام بهذا المنزل أساتذة الجامعة الإسلامية، الذين جاءوا لإقامة دورة تعليم اللغة العربية في هذه المنطقة هذه السنة، وكان عددهم أربعة.

وفي السنة الماضية كان عددهم ثلاثة، وكانت مدة الدورة في كل سنة ١٧ يوماً، وقد استفاد من هذه الدورات المدرسون الصينيون، وحصل بها تشجيع للمسلمين.

وقد بلغ عدد الطلاب الذين يدرسون في الجامعة الإسلامية من هذه البلدة ١٣ شخصاً، ولا يزالون يطلبون المزيد، لأنهم في حاجة إلى أربعين مدرساً متمكناً من اللغة العربية والعلوم الإسلامية.

وقال الأخ لا شي: إنه سيبنى مزيداً من الفصول في المدرسة الحالية، لتكون خاصة بالبنين، وإقامة مدرسة أخرى خاصة بالبنات..

قال: إن أصلهم من العرب، نزحوا قديماً إلى الصين.

عمره ٣٩ سنة، توفي والده — ويسمى علياً — في ٢١/١/١٩٩٥م، حضر في تعزيتة ١٠٠٠٠ شخص وعمره عند وفاته ٦٩ سنة.

كان — أبوه — نائب رئيس جمعية يونان الإسلامية^(١).

(١) انظر الصورة رقم (٤٠) في ملحق الصور.

توجد في المنطقة مدرسة أهلية^(١)، عدد أساتذتها: ٤٠، وعدد طلابها: ٢٠٠، وإذا حضر معهم أهلهم يبلغون جميعاً: ٤٠٠

الذين حفظوا بعض سور القرآن الكريم من الطلاب: ٤٠٠
قال الأخ لا شي: إن عدد المسلمين في (يونان YONNAN) مليون، وفي مدينة كومينغ ١٠٠٠٠.

وعدد المساجد في يونان ١٠٠ مسجد وفي مدينة كومينغ ستة مساجد.
وعدد المسلمين في بلدته ٦٧٠٠، وعدد غير المسلمين فيها ٨٠٠ شخص فقط.
وعدد المساجد فيها ثلاثة، وقد زرنا اثنين منها.
الذين يحافظون على الصلاة في هذه البلدة ٥٠% من الصغار، و ٩٠% من الكبار يصلون الجمعة.

وهذا الرجل رئيس شركة كبيرة تجارية وصناعية، وتساعد شركته المسلمين في مجالات كثيرة، وبخاصة بناء المساجد والمدارس وما يتعلق بالتعليم^(٢).
وقد كان بعض المسلمين ارتدوا عن الإسلام في عهد آخر إمبراطور، ولكنهم رجعوا إلى الإسلام بعد أن وجدوا بعض المساعدات باسم الإسلام.
أكبر الجمعيات في المنطقة هي جمعية يونان الإسلامية^(٣)، وهي مرتبطة بالجمعية الإسلامية الصينية في بكين، وتساعد المسلمين في شؤون الحج وغيره.
عدد سكان الصين:

بلغ عدد سكان الصين حسب الإحصاء الرسمي في شهر ٩/١٩٩٤م مليار، وثلاث مائة وتسعة ملايين، وثمانمائة وخمسة وتسعين ألف، ومائتين وأربعاً وعشرون نسمة (١,٣٠٩,٨٩٥,٢٢٤).

(١) انظر الصور رقم (٤١ و ٤٢) في ملحق الصور.

(٢) انظر الصورة رقم (٤٣) في ملحق الصور.

(٣) انظر الصور رقم (٤٤ و ٤٥) في ملحق الصور.

أخلاق الغرب الفاسدة تتغلغل في الصينيين:

الصين فيها الملحد والوثني، والوثنيون أصناف كثيرة، والمسيحي، والمسلم، والمسلمون منهم الخنفي، والسلفي، والصوفي، والصوفية طرق متعددة.

المسلمون الصينيون ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يفقه الإسلام ويفقه مهمته، ويحاول نشر الدين بين بني قومه وغيرهم، مع الحذر وخشية الخطر، وهذا القسم قليل.

القسم الثاني: الجهال بدينهم حتى من أئمة المساجد، وهذا هو الغالب على المسلمين.

القسم الثالث: عندهم علم ولكنهم يحرصون على مصالحهم المادية ومناصبهم الوظيفية، وهم ممكنون من قبل الحكومة في حدود دائرة التخدير لعامة المسلمين بالفتاوى التي ترضي الدولة.

واجب المسلمين في خارج الصين لمسلمي الصين:

يجب على علماء المسلمين القادرين والمؤسسات الإسلامية في خارج الصين القيام بواجبهم لمسلمي الصين بالوسائل الآتية:

الوسيلة الأولى: تفقيه الطلاب الصينيين الوافدين إلى البلدان الإسلامية لطلب العلم في دينهم، وتربيتهم تربية إسلامية سليمة.

الوسيلة الثانية: زيادة المنح الطلابية من جميع مناطق الصين، بحسب كثرة المسلمين فيها وقتلتهم، ولا ينبغي العناية بمنطقة دون أخرى.

الوسيلة الثالثة: إقامة دورات لأئمة مساجد الصين في البلدان العربية، في قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة وتجويده، وتفسير ما تيسر منه، وفي دراسة بعض الأحكام من القرآن والسنة وكتب الفقه، وفي أصول الدعوة وأساليبها، حتى يعودوا إلى بلادهم قادرين على نقل ما تعلموه إلى المسلمين في بلادهم، مع العلم أن أئمة المساجد هم رواد المسلمين في كل أنحاء الصين.

وقد قام بذلك بعض المسئولين في الأزهر، ونفع الله به الذين اشتركوا من الأئمة في

تلك الدورات، في القاهرة.

الوسيلة الرابعة: مساعدة العلماء الصينيين — وهم قلة — بكتب ومراجع عربية وإنجليزية تعينهم على ترجمة معاني القرآن والسنة، ومبادئ الإسلام وأحكامه، في كتيبات ونشرات باللغة الصينية، لتصل إلى القراء من المسلمين وغيرهم، لإقامة الحجة وبلوغ الدعوة.

الوسيلة الخامسة: اختيار الطلاب البارزين من الصينيين الموجودين في الجامعة الإسلامية، والعناية بهم بإقامة دورات أثناء السنة الدراسية، تمكنهم من القيام بالدعوة بين الحجاج الصينيين في مواسم الحج في الحرمين الشريفين، وهي فرصة تجعل الحاج يعود إلى وطنه وقد تحقق فيه قول الله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾^(١)..

مقابلة فضيلة الشيخ الحاج محمد أمين ما إن شين:

الأحد ١٧/٣/١٤١٦هـ — ١٣/٨/١٩٩٥ م

في فندق (دُرانج يوننان جولدين)^(٢) مدينة كومينج — يوننان —

CUMING YONNAN GOLDEN DRANG HOTEL

هذا الرجل سمعت عنه كثيراً، قبل أن أصل إلى مدينة كومينج عاصمة مقاطعة يوننان الواقعة في جنوب الصين، وقد حاولت الاتصال به بعد وصولي مباشرة، ولكنني عجزت عن ذلك، إذ حاول مرافقي مع المسلمين الذين كانوا يعدون العدة للاحتفال بالمولد النبوي في المساجد، فلم يرض أحد منهم بأن يدلنا عليه، بل إنهم كانوا ينظرون إليّ، ولا يمدون أيديهم لمصافحتي، كما يفعل المسلمون في بلدانهم عندما يرون ضيفاً في بلادهم، وهذه ظاهرة غريبة رأيناها في المسلمين الصينيين في

(١) [آية ٢٧ — ٢٨ الحج].

(٢) انظر الصور رقم (٤٦، ٤٧) في ملحق الصور.

أماكن كثيرة من الصين!

ولكن عندما سافرنا إلى قرية: لا شاين المسلمة، زدنا الشاب التاجر المسلم: (لا شاي رونج)^(١) بعنوان الشيخ محمد أمين ورقم هاتف أحد أقاربه، وقد استجاب للقاء بعد تردد، كغيره، خوفاً من مراقبة الدولة، ومن لقاء شخص لا يعرفه. عمر الشيخ محمد أمين ٦٣ سنة.

دراسة الشيخ: درس على يد الأساتذة في بلدته لا شاين (YIN ZI LA) آباؤه كلهم أئمة — إلى خامس جد. والده هاجر إلى بورما، وأخوه الأكبر ذهب إلى تايلاند، وقد توفيا. خرج الشيخ من القرية سنة ١٩٤٩م درس على أبيه (إبراهيم) وعلى جده (سليمان)، توفي أبوه سنة ١٩٧٥م وعمره ٦٣ سنة في بورما وهو في طريقه إلى الحج. ومن مشايخه؟ نعم (نور الدين).

ودرس على الشيخ محمد مكين أكثر من عشرة أيام، وهو — محمد مكين — الذي ترجم معاني القرآن الكريم إلى اللغة الصينية توفي سنة ١٩٨٠م، وكان مترجماً لرعيم الشيوعيين، ولرئيس الوزراء.

تخرج الشيخ محمد أمين من معهد المعلمين في كومينغ سنة ١٩٥٦م، وأراد الذهاب للدراسة في الأزهر، ولم يتمكن، لعدم وجود علاقة بين مصر والصين آنذاك. وقد أرسلت للشيخ محمد أمين عدة دعوات من ماليزيا ومن باكستان، ولم تأذن له الحكومة بالسفر، كما وجهت له دعوة إلى الحج ولم تأذن له، وقد سبق له أن أدى فريضة الحج سنة ١٩٨٨م

وقد قام بالتدريس في الثانوية الحكومية، قبل أن يتخرج، وقام بالتدريس في معهد تدريب المعلمين، وهو الآن يدرس اللغة العربية والعلوم الإسلامية في قري (إيشي)،

(١) [سأني التعريف به].

وهي قرية من قرية (لا شايين) وهي مشهورة بتخريج العلماء، وهي مراقبة من قبل الحكومة.

ما ناله هو وأسرته من أذى في سبيل الله!
وقد سجن مرتين قضى فيهما عشرين عاماً، وهو في عنفوان شبابه، ولازال مراقباً إلى الآن.

المرّة الأولى: كانت في سنة ١٩٥٦م.
والمرّة الثانية كانت سنة ١٩٧٥م. وفي هذه المرّة دمرت الحكومة قرى المسلمين، وقد اشتهرت بقضية: (شادين).

بعد خروجه من السجن أعلنت الحكومة أن سجنه كان خطأ! ^(١) وأرادوا إعطاءه منصباً حكومياً تكفيراً لخطيئتهم، ولكنه رفض ذلك، وفضل أن يؤسس مدرسة يتعهد فيها أبناء المسلمين.

وحصل له ما أراد، ولكنهم يضايقونه في المدرسة ويراقبونه مراقبة شديدة، وقد أطلق على المدرسة اسم كلية، فجاء رئيس المنطقة ومعه اثنان من كبار موظفي الشؤون الدينية — ومعروف أن موظفي الشؤون الدينية في الدول التي تحارب الإسلام، وبخاصة الشيوعية، مهمتهم التضييق على المسلمين، وبخاصة المخلصين منهم لدينهم — ومعهم ثلاثون من الموظفين، جاءوا لزيارة المدرسة، ومراقبتها والتحذير من تجاوز الحدود المسموح بها، وأمروا بتغيير اسم الكلية إلى مدرسة والمسلمون يحترمون الشيخ ويقدرونه.

وله أربعة أولاد: ابنان وبنتان، وقد استشهدت بنته الكبرى في عهد الثورة (الماوية) سنة ١٩٧١م وعمرها ١٨ سنة، وهي كبرى أولاده، وقد نال الأذى كل أفراد

(١) [هكذا يكون العدل، وهكذا يكون الرجوع إلى الحق؟! حكومة لها أجهزة أمنها، ومسدعوها العمامون، وعاموها، ومكاتب تحقيقها، وقضاؤها، تسجن الشخص عشرين عاماً، ثم تعتذر بأن سجنه كان خطأ؟! يا لها من مهزلة!].

أسرته مبالغة في إيذائه، وكان أكبر أبنائه قد قبل في جامعة قطر التي أراد أن يكمل دراسته فيها، فمنعته الحكومة، ورفضوا التحاقه بجامعة بكين. وله ثلاثة من الأحفاد.

نشاط الشيخ في الترجمة والتأليف:

وللشيخ أكثر من عشرة كتب — غالبها ترجمه من العربية إلى الصينية — وقد طبعت في هونغ كونغ.

منها المستقبل لهذا الدين، لسيد قطب رحمه الله رحمة واسعة، والحلال والحرام للدكتور يوسف القرضاوي، والمعجزة الكبرى لمصطفى صديق، والتربية في الإسلام لمصطفى الطحان، ومنبهات لابن حجر العسقلاني، وله رسالة باللغة العربية، بعنوان (أزمة المسلمين في الصين)^(١).

أقدم مسجد في الصين:

قال الشيخ: إن أقدم مسجد في الصين هو مسجد (تَشْتَرُو) يقال: إنه جاء إلى هذه المنطقة أحد الصحابة، وأسس فيها مسجداً، وسمي (خَوَائِي سِنْس) ومعناها: ذكرى النبي ﷺ ويقع في جنوب شرق الصين، وهي تقع في مقاطعة (غَوَانْدُونغ) وقد بني هذا المسجد قبل ١٣٠٠ سنة.

عدد المساجد في الصين أكثر من ٢٥ ألف حسب إحصاء الحكومة، ويمكن أن تكون أقل بالنسبة للمساجد الكبيرة، وهي التي يوجد بها منزل للإمام ومرافق للدراسة...

(١) [حاولت الحصول عليها، فاعتذر بأنه لا يوجد عنده منها نسخ وأحالني إلى بعض أساتذة الجامعة الإسلامية الذين أقاموا في منطقته دورة هذا العام والذي قبله من أساتذة تعليم اللغة العربية، قال: إنه سلم له نسخة من الكتاب، الذي وجدته عند بعض أساتذة الجامعة بعد رجوعي بحث مختصر في وريقات قليلة، وهي بعنوان (الأزمات التي يواجهها في الحاضر الشبان المسلمون في الصين) وهي مثبتة في آخر هذه المقابلة].

عدد المساجد في (يوتان) ٨٠٠، وعددها في مدينة كومينغ خمسة.

وعدد المسلمين في الصين أكثر من عشرين مليوناً، وعدد المسلمين في يونان ٦٠٠ ألف، وعددهم في مدينة كومينغ ٨٠ ألفاً

نسبة الملتزمين بالإسلام في الصين ١%^(١).

قلت للشيخ عندما ذكر نسبة الملتزمين بالإسلام المتدنية، وهي واحد في المائة: هل السبب في قلة الملتزمين بالدين هو جهلهم به أو رفضهم له مع العلم به؟ فقال: نحن في بلاد (حكومتها ملحدة ظالمة لا ترحم) والذين يقال لهم علماء علمهم ضعيف، والظروف صعبة.

الأديان الموجودة في الصين:

١ — البوذية، وهي أقدمها.

٢ — النصرانية.

٣ — الإسلام.

٤ — ديانة (داو) وهم يعبدون السماء.

٥ — الكنفوشيوسية.

وترتيب أتباع الديانات في الكثرة: البوذية، ثم النصرانية، ثم الإسلام^(٢).

وتؤمن بالإسلام إحدى عشرة قومية — وعدد القوميات ٥٦ قومية في الصين.

والمذهب الحنفي هو السائد في الصين، وتوجد طرق صوفية، وهي كثيرة.

(١) [الإحصاءات غير مضبوطة في الصين بالنسبة للمسلمين ومساجدهم ومدارسهم، لأن الإحصاءات

الحكومية، كثير من المسلمين لا يتقنون فيها، والمسلمون ليس عندهم إمكانيات للإحصاء، والاهتمام بذلك

قليل، ولهذا تجد تقديرات المسلمين تختلف، وليس عندهم إلا الإحصاءات الرسمية. وأنا أكتب المعلومات

التي يدلي بها كل شخص، والعهد عليه، وهم في الغالب لا يجزمون بما يقولون، ولهم الحق في ذلك].

(٢) [وهذا يدل على ما تعرض له الإسلام من حرب ومضايقة لأنه وصل إلى الصين في عهد الصحابة ﷺ،

بخلاف النصرانية فإنها بدأت في الانتشار خلال حرب الأفيون، وهي متأخرة جداً، إضافة إلى تقصير

المسلمين من خارج الصين في نشر الدعوة في تلك البلاد].

حكماء الصين:

قلت للشيخ: يقال إن الصين تشتهر بالحكماء، فهل يوجد منهم أحد الآن؟ فقال: كان يوجد عالم مسلم حكيم، يقال له: (شمس الدين)، كان رئيساً للوزراء في عهده، وقد توفي قبل ٨٠٠ سنة، وقد درس تاريخه رجل كويتي، يسمى: (محمد دبوس). وكتب بعض الكتاب في مجلة أردنية عن أربعة من الحكماء، أحدهم شمس الدين هذا.

ولا أعرف وجود حكماء الآن، ولكن الصينيين يعتبرون زعيم الثورة الماوية من الحكماء، وكذلك الزعيم الحالي للشيوعيين، لأن لهم فلسفة في الحكم والسياسة. وكان يوجد حكيم صيني قديم قبل ٣٠٠٠ سنة، يدعى (صوتنز)^(١). ترجم له محمد مكين، وقد تأثر به الصينيون، والكتاب الذي ألف يسمى (حوار).

أساليب الدعوة النافعة:

وقد ألف محمد مكين كتاباً في تاريخ الإسلام في الصين. سألته عن أساليب الدعوة النافعة في الصين في هذه الفترة؟ فقال: أسلوب النصارى كان قوياً وناجحاً، ويمكن الاستفادة منه، بحيث لا تكون الدعوة خاصة بالإمام ولا بالمسجد^(٢).

(١) [وهو صاحب (فن الحرب) الذي ترجمه إلى العربية عمر حليق].

(٢) [هل تدري ماذا يريد أن يقول هذا الشيخ هذه الجملة المختصرة؟ إنه يشكو بأسلوب خفي من تأخر المسلمين في تبليغ دين الله إلى العالم بالأسلوب المناسب لهذا العصر، فالنصارى دخلوا إلى العالم ليُنصروه بالشركات والمستشفيات والجامعات والمدارس، وبالمدرسين من المنصرين، من مهندسين، وأطباء، وأساتذة جامعات، وباحثين، ومغنيين، وعلماء نفس، واجتماعيين، وساسة، واقتصاديين، ومستثمرين، بحيث لا يتركون مجالاً من مجالات الحياة التي يحتاج إليها البشر إلا وجاهه، ونفعوا الناس فيه، وقدموا للناس دينهم المحرف بكل الوسائل الإعلامية والتعليمية، وبكل اللغات، فأين المسلمون ومؤسساتهم الحكومية والشعبية من ذلك كله؟!].

ويمكن طبع الكتب وتوزيعها، لأن الدعوة الشفوية مقصورة على المساجد^(١).
ويكون توزيعها للمسلمين وغير المسلمين.

ونفع الدعوة في المساجد محدود، وبخاصة أن أئمة المساجد ضعفاء في العلم، لا يقدر أكثرهم على إيصال حقائق الإسلام إلى الناس إضافة إلى أن الذين يحضرون المسجد هم عدد قليل جداً من المسلمين.

والكتاب يدخل في كل مكان، في المدن والقرى، وعلى سبيل المثال، فإن كتاب الحلال والحرام^(٢) قد طبع في الصين خمس مرات، كل مرة يطبع منه عشرة آلاف نسخة، وينفذ.

ومن الأساليب النافعة تأسيس المدارس، وإنشاء مجلات، وكذلك أشرطة الكاسيت والفيديو.

والشيخ الآن يترجم كتاب (الإيمان والحياة) للدكتور يوسف القرضاوي، واستأذنه في ترجمة كتاب: (شرائط الإسلام)، ولم يرد له الجواب إلى الآن^(٣)..
وسيرجم له كذلك (أخلاق الدعاة في الإسلام نظرياً وتطبيقاً).
وقال: إن التدريس قد شغله عن التأليف والترجمة.

وذكر الشيخ أنه عمل في عدة أعمال، في مصانع السلاح، وفي الحدادة والزراعة وتعبيد الطرق وغيرها.

الرجل لم يشر من بعيد أو من قريب إلى حالته المادية، وقد سمعت من غيره أن أسرته في حاجة إلى المساعدة، وهو مشغول بتدريس المسلمين وتربية أولادهم، ولم يسأل عن شيء غير كتب اللغة التي تعينه على الترجمة السليمة.

(١) [وبخاصة في الصين التي يحظر فيها الدعوة إلى الدين، وبخاصة الإسلام].

(٢) [للدكتور يوسف القرضاوي].

(٣) [قلت له: الدكتور يوسف القرضاوي، سيسره ترجمتك لكتبه، ولا يمكن أن يرفض ذلك، ولعل رسائلك لم تصله].

نص الخطاب الذي وجهه إليّ الشيخ محمد أمين:

هذا وقد تلقيت من الشيخ محمد أمين خطاباً مكتوباً بخط يده، بعد رجوعي إلى المدينة^(١)..

بعث به مع بعض طلاب الصين الذين يدرسون في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ومع هذا الخطاب عشر صفحات متروعة من كتاب مطبوع، فيها ترجمات لبعض علماء الصين، ومنهم: العالم المشهور بـ(السيد الأجل)^(٢) وبعض أولاده، وما تولوه من أعمال، وما لهم من مؤلفات وما قاموا به من إصلاحات، ولكني لا أدري ما اسم الكتاب الذي احتوى على هذه الأوراق.

وسبب بعثه بهذه الأوراق أنني سألته عندما اجتمعت به عن بعض أكابر العلماء القدامى في الصين، فذكر لي هذا الاسم (شمس الدين) وهو نفس السيد الأجل، وذكر أن شاباً كويتياً كتب عنه اسمه: محمد دبوس.

وهذا نص خطاب الشيخ محمد أمين:

فضيلة الشيخ المحترم الدكتور عبد الله قادري الأهدل حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تحياي وشوقي الزائد إلى رؤيتك، وسؤالي عن غالي صحتك، ورجائي أن تكون على خير ما أتمناه لشخصك العزيز الذي أحبه وأهواه.

وبعد فلاني مشتاق إليك جداً بعدما التقينا في ذلك الفندق بـ(كويمنغ).

وقد أثر ذلك اللقاء في نفسي أثراً بالغاً، واستفدت منك كثيراً.

ويسرني أنك أهديت لي "لسان العرب" وبعض الكتب الإسلامية المفيدة، ووضعتها

عند الأخ المخلص (سعيد حسن)^(٣) فجزاكم الله خير الجزاء.

(١) [بعد سبعة أشهر من اجتماعي به تقريباً].

(٢) [وهو في الأصل من مواليد بخارى سنة ١٢١١م].

(٣) [كان سعيد حسن من أنشط الطلاب الصينيين في الجامعة الإسلامية بالمدينة].

الآن أرسل إليك بعض المعلومات التي تتعلق بتاريخ وجيز لبعض العلماء في مقاطعتنا اليونانية، في الصين، وأنا أرجو أن يستوجب اهتمامك. وأخيراً أرجو أن ترسلنا لنجد منكم إرشاداً وعوناً. وفقنا الله وإياكم لخدمة المسلمين والإسلام، والسلام.

أخوكم المخلص: محمد أمين ما إن شين

١٩٩٦/٣/٢٥ م.

وثيقة عن حالة المسلمين في الصين:

بحث أعده العالم الصيني الشيخ محمد أمين: يونان/ كومينغ:
الأزمات التي يواجهها في الحاضر الشبان المسلمون في الصين
ملخص البحث:

(أ) لمحة تاريخية:

- ١ — لقد مرت على الصين أكثر من ١٣٠٠ سنة منذ دخل الإسلام فيها، وقد انتشر المسلمون بين إحدى عشرة قومية في أنحاء البلاد الآن.
 - ٢ — مازال معظم المسلمين الصينيين، يتمذهبون بالمذهب الحنفي في الفقه، فما احتدت الخلافات الفقهية بينهم في التاريخ.
 - ٣ — قد أسهم — في أسرتي (يوان) (أي المنغول سنة ١٢٧١ — ١٣٦٧م) و(مينغ ١٣٦٨ — ١٦٤٤م) بنصيب أوفر في خدمة البلاد والثقافة، والتربية والأخلاق والآداب، بما احتفظوا حينئذ بالمكان العالي في شئون البلاد وحياتهم السياسية.
 - ٤ — كان أواخر أسرة (مينغ) وأوائل أسرة (تنغ)، هذان العصران كانا زمانين ذهبين لثقافات الإسلام في الصين، وظهر فيها العلماء جيلاً بعد جيل، وكثرت المؤلفات الدينية، بالصينية والعربية والفارسية.
- وكان أغلب الجوامع الكبرى المشهورة حتى الآن في أنحاء البلاد بني في هذه المدة،

وقد نشأ في هذه المساجد مدارس، علّم فيها اللغة العربية واللغة الفارسية وعلوم الإسلام، ودرّبت الملاك المؤهل من أجل تطور حقائق الإسلام^(١).

٥ — وفي أثناء حكومة — (الكومنتانغ) في الصين بدأت المدارس الإسلامية الحديثة، تظهر في بعض المدن الكبرى، واحدة تلو الأخرى، وترجمت الكتب الدينية والمجلات العربية إلى اللغة الصينية، وطُبعت، كأنها نبات خرجت مزدهرة في الأرض بعد المطر في فصل الربيع، وازداد الشبان المسلمون، سافروا إلى البلدان العربية لطلب العلم.

ب) الحالة الراهنة:

١ — مازال يوجد في القرى والأرياف من هذه البلاد، شبان كثير يعتقدون بالدين الإسلامي مخلصين، إلا أن عقائد أكثرهم تقليدية، ورثت من الآباء والأمهات شفهيّاً أو عرفيّاً، وأن طباعهم الفطرية في ميدان الحضارة من أسفل المراتب.

٢ — أما الشبان المسلمون الذين يتوالدون من الأسر المسلمة في المدينة الكثيرة فأغلبهم قد جهلوا، بسبب تأثير المجتمع الدّهري الصيني تعاليم الإسلام تماماً، فلا يقومون بفرائضه الدينية، وواجباته المقدسة، مثل الصلوات الخمس ورمضان والصلوات المكتوبة، وإنما لا يأكلون لحم الخنزير فقط، حتى منهم من لا يختلف عن الكفار والمشرّكين في سلوكهم وعاداتهم.

٣) طبعاً يوجد في القرى والمدن من المقاطعات في الشمال الغربي والجنوب الغربي لهذه الدار جم (غفير) من الشبان المسلمين الصادقين، وهم ينسبون إلى أبناء الأسر الأصيلة الفاضلة، وكانت ميزة هؤلاء الشبان يتأثرون بهذيب آبائهم وأمهمهم الجيد الدائم من جهة، ومن جهة أخرى يكون لهم حظ معين من الثقافة والدراسة،

(١) [يقصد تقدم الإسلام، بإظهار حقائقه والعمل بها، وليعلم أن بعض العبارات قد لا يستطيع الشيخ صياغتها بالمعنى الدقيق، لصعوبة التعبير العربي عنده، وقد لمست ذلك منه عندما قابلته، ولهذا صححت بعض الكلمات من حيث اللغة أو الإملاء].

غير أنهم إن أرادوا أن يتعمقوا في فهم وعرفان النظريات الإسلامية ومفهوماتها، فليس لهم أن يجدوا أستاذاً معتمداً ملتزماً ليطالبوا منه الإرشاد، أو مدرسة صالحة، ليتعلموا فيها، فصاروا من المتحيرين والمترددin في تقدمهم، وقد أحسوا بالألم الشديد والكتابة الدائمة لذلك.

٤) بناء على إحصاء النفوس الرسمي وعددها الإعلاني في وقت قريب، كان عدد الذين يعتقدون الآن بالدين الإسلامي في شعوب الصين المختلفة الذين سكنوا في داخل هذه الدار، قد بلغت أكثر من أحد عشر مليون شخص، بيد أن المؤمنين الصادقين الذين يعملون بما أمرهم الله تعالى به ونهاهم عنه في أعمالهم وأقوالهم عملاً حقاً، قد لا يبلغ عددهم ثلثاً في الجملة الإحصائية، وأما الشبان الذين يختلفون إلى المسجد لأداء الصلوات المفروضة، أو يصومون شهر رمضان فهم (قليلون) جداً، لا يجاوزون واحداً في المائة.

٥) إن المدارس التي تدرس فيها علوم الإسلام في البلاد بأسرها تقع أغليبيتها في مساجد القرى، ولكن المواد الدراسية والأساليب التعليمية في هذه المدارس، لا تكونان قديمتين متأخرتين فحسب، بل تكون كفاءة المعلمين فيها منخفضة، ودرايتهم ناقصة، وبالإضافة إلى ذلك تكون حياة المسلمين المادية في هذه المدارس شاقة، وتكون مدة التعليم والتعلم منحصرة في سنة أو سنتين دائماً.

٦) وفي دعوة المجلات الدينية، إنما يوجد مجلة نادرة وحدها في كل البلاد، وهي مجلة مسماة: بـ(مسلم الصين)، تنشر أربع مرات كل سنة بإشراف (الجمعية الإسلامية الصينية) بيكين، ولكنها لم تسد حاجات الشبان المثقفين قط، كيفما كانت من حيث الشكل والمضمون أو الكيفية والكمية.

ج - أصل الأزمات:

أصل الأزمات يمكن أن يقال: إنه جاء من جوانب كثيرة داخلية وخارجية - واقتصادية وسياسية، ولكن الأهم منها فيما يلي:

(١) في خلال أربعين سنة مضت، قد أصابت أسر المسلمين في تشكيلها تغيرات

عظمى، وخصوصاً في المدن، ذلك أن أولياء الأسر كانوا يذلون جهودهم فيما يسعون لعيالهم وسد رمقهم طول الشهر والسنة، ولم يكن عندهم لضغط الاقتصاد والسياسة وسعة من الوقت والقوة، ليمارسوا بها ما وجب عليهم من أداء الفرائض والواجبات في الدين، وتعليم أولادهم وبناتهم يجعلون أنفسهم مثلاً لهم بتصرفاتهم، حتى كان من أولياء الأسر من يعسر عليهم أن يعيشوا مع أهلهم دائماً، وإنما يتلاقون كأفراد البيوت مرات معدودات، مثل مناسبة أيام الأعياد في كل سنة.

(٢) وفي أثناء ذلك العصر المذكور سابقاً مازال ديننا الإسلامي الحنيف، يعتبر في هذا المجتمع الذي يتسلط عليه الكفر والشرك والإلحاد متأخراً رجعيّاً، لا سيما في أثناء (عصابة الأربعة) المعريّة، تعرض للنقد الشديد والدحض الصارم على الدوام، وكان العلماء الأتقياء والمسلمون المخلصون، يلقون حينئذ ظملاً واضطهاداً، حتى يجسّسوا في السجن طويلاً^(١)..

أو يقتلوا مظلومين براء أحياناً، وهذه الوقائع المخيفة قد سببت في نفوس الأطفال والشباب رعباً مؤثراً، يحملهم على ألا يجروا من القرب مما يتعلق بأمر الدين وبشخصياته، وعلاوة على ذلك كانت كثرة الدروس الجادة وممارستها في المدارس العامة الرسمية، تشغل التلاميذ والطلبة عن علوم الدين الإسلامي.

(٣) وفي ميدان التعليمات ومناهجها، ما زالت فكرة المادية وتربيتها تنفذان وتطبقان في المدارس الابتدائية والثانوية، حتى المعاهد والجامعات، منذ عشرات السنوات، بصورة شرعية [نظامية]، فلذا اعتاد ذلك التلاميذ، على ألا يدينوا بأي دين من الأديان في صغر سنهم.

(٤) كان التعليم للدين الإسلامي — ولو بقي حتى الآن في بعض المساجد من القرى المسلمة، بعد إسقاط (عصابة الأربعة) الملعونة — إلا أن طريقتهما وأجهزتهما عتيقتان

(١) [ومنهم الشيخ نفسه، فقد سجن مرتين عدد سنيهما: ٢٠ عاماً].

جداً، لا تثيران في قلوب الأطفال رغبةً واشتياقاً، ولا يستطيع المتخرجون في هذه المدارس الدينية أن يجدوا بيسر في المجتمع حرفةً يقاتنون بها، لنقص معارفهم الاجتماعية والطبيعية.

٥) إن أفراد المنظمات الإسلامية الموجودة في البلاد الآن، أكثرهم من العلمانيين أو من أعضاء الحزب الفلاني، ولم يبالوا قط بقضية تهذيب الخلق المسلم ومصير الإسلام في الصين، وإنما كانوا يكتفون بمنصب نالوه، أو سينالونه في الهيئات الحاكمة، فهمهم حطام الدنيا^(١).

(د) أين المخرج ؟

١) ترجمة الكتب الإسلامية والمجلات المفيدة، باللغة الصينية، وهي تتعلق بالمعلومات التوحيدية والفقهية والأخلاقية، قبل كل الأشياء، ليتعلم الشبان المسلمون المثقفون حقائق الإسلام بذلك تعلماً صحيحاً، وليفيد التعارف بين الإسلام وبينهم على طريقة العصر الحديث، لحماية عقائدهم من أوهام الإلحاد وأضاليل الأعداء.

٢) وفي مناطق الشمال الغربي والجنوب الغربي — التي يعيش أغلب المسلمين الصينيين فيها — يجب تأييد بعض المدارس الإسلامية الموجودة الجيدة نسبياً، التي يديرها الأهالي بصورة العادة التقليدية، وعونها بإصلاح الخطط الدراسية والمواد، ورفع المستوى التعليمي، وتكوين المدرسين الأكفاء المؤهلين لتدريس العلوم الإسلامية.

٣) ويجب مع ذلك أيضاً، أن تنشأ بعض المدارس الإسلامية للبنات أو للمتعلقات، في تلك المناطق، لتعم تعاليم الإسلام بذلك بين الجم الغفير من النساء المسلمات المجاهدة الفقيرة.

(١) [ويشكو المسلمون الغيورون من الجمعية الإسلامية الصينية في بكين، وهي الجمعية الرسمية التي تتعامل معها الدولة، وتشرف رسمياً على شئون المسلمين].

٤) تأسيس لجنة الاعتماد المالي، لتربية الشباب المسلم، للتشجيع بتقديم جائزة، أو مكافأة الطلبة الذين يولعون بالعلوم الإسلامية وثقافتها، ويحافظون على الواجبات الدينية بجد واجتهاد، والأساتذة الذين يعملون لخدمة تهذيب الشبان المسلمين عملاً خالصاً.

ولكن هذه الآمال السابقة أو الاقتراحات، لا يمكن أن تتحقق بصرف الاعتماد على المسلمين الصادقين في الصين قط، إلا بمساعدة إخوانهم المهتمين في الخارج بمستقبل الإسلام ومصير المسلمين في الصين مادياً ومعنوياً.

(هـ) التخيل والأمل:

لا زال المعهد الإسلامي بـ(كومينغ) معهداً معتبراً في قلوب المسلمين بالصين الآن أكثر من غيره، من ثمانية معاهد إسلامية أخرى في مقاطعات الصين، وذلك للأسباب الآتية:

الأول: أن القادة في هذا المعهد، وبعض أساتذته من العلماء المشاهير في مقاطعة يونان، فلهم سمعة جيدة، وثقة عميقة عند جمهور المسلمين، وعلم راسخ [نسبياً]. في الدين والدنيا، حيث احتفظوا بتأثير صالح في الأسرة وتهذيب عال في المجتمع.

الثاني: أن هذا المعهد ما زال يتمسك بمبادئ الإسلام الخفيف بعزم لا يتزعزع، جرياً على مقاومة تسرب الإلحاد، ومطالباً صارماً من الطلاب بأن يقوموا بالواجبات الدينية على نحو جدي، وفقاً لكتاب الله والسنة، وجاعلاً من كل طالب صخرة ضد كل من يطمع من الأعداء في تضليلهم بالإلحاد.

الثالث: أنه في هذا المعهد مجلة تسمى بـ(الشباب المسلمون)، وطبعت ونشرت تحت إشراف قادة المعهد، وهي مجلة لم يوجد مثلها في غيره، وقد عممت بين المدارس الإسلامية والمساجد والجمعيات الإسلامية في أنحاء البلاد، وكسبت عشقاً وتأييداً وترحيباً من لدى القراء، لأنها مجلة شعبية فريدة في بابها بالصين، تبرز فيها عظمة الإسلام وتعاليمه الإنسانية بأسلوب يرضاه المسلمون.

نظراً إلى هذه الخصائص لهذا المعهد نرجو أن يلعب دوره الأكبر على صورة مزيدة،

كما يجب أن يفضل بمساعدة المنظمات الإسلامية العالمية، كما نرجو أن يتغلب على الصعوبات الموجودة الآن مادياً ومعنوياً، بعناية الإخوة المسلمين العربية. وفقنا الله وإياكم لما فيه النجاح والخير آمين.

الحاج محمد أمين ما — إن — شين نائب ناظر المعهد الإسلامي بـ (كومينغ)^(١).
كيف لو رأيته في لباسه العربي؟!

كنت في مطعم الفندق، فدخلت عائلة صينية، ومعها طفل صغير لا يزيد عمره عن خمس سنوات فاقترب مني هذا الطفل تاركاً والديه وجميع أبناء جنسه، وأخذ ينظر إليّ ويتأمل في وجهي ويتسمم، فوضعت يدي على رأسه وقلت له باللغة العربية الفصحى: ماذا أعجبك في ضيفك، وكيف لو رأيته في لباسه العربي الكامل؟^(٢) وهو لا يزيد على التأمل والابتسام.

بعض الحكماء الصينيين في نظر مواطنيهم:

يرى الصينيون أن من حكماهم في هذا الزمان:

MAI CHE DONG (١)

DENG SHAO PIN (٢)

JONG ZE MIN (٣)

لما عندهم من النظريات السياسية والاقتصادية وتكوين الدولة.

(١) [في هذه الوثيقة أخطاء كثيرة، وعبارات غير مفهومة، وقد حاولت تصحيح بعض جملها وألفاظها لتستقيم معانيها، ولكنها في الجملة تبين الأخطار التي تعرض لها المسلمون في السابق، ويخشى أن يتعرضوا لها فيما بعد، والحلول المناسبة لوقائهم منها].

(٢) [و كنت لابساً بدلة سفاري].

الشيخ محمد أمين الصيني في منزلي بالمدينة المنورة:

٢٥/١١/١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

جاء الشيخ محمد أمين لأداء فريضة الحج هذا العام، وزارني في منزلي مع مترجمه الشاب الصيني الذي تخرج السنة الماضية من الجامعة الإسلامية في إسلام آباد^(١).

واسمه "عبد الله إبراهيم" وهو مسئول عن الأكاديمية في المعهد الإسلامي في مدينة "كومينغ" عاصمة منطقة يونان الصينية التي تقع في الجنوب الغربي للصين، وهي المدينة التي يسكنها الشيخ محمد أمين... وقد اجتمعت به فيها يوم الأحد ١٧/٣/١٤١٦هـ - ١٣/٨/١٩٩٥م

أول ما استقر بالشيخ مجلسه بدأ الحديث عن شكواه من العقبات التي تعترض فقه المسلمين لدينهم، وانتشار الإسلام بين الصينيين غير المسلمين:

ومن أهم تلك العقبات، تمسك الصينيين بحضارتهم القديمة، وضعف الثقافة الإسلامية السليمة، لقلة الدعاة والعلماء الذين يحملونها ويقومون بالدعوة إليها.

ولهذا يهمننا تصحيح العقيدة في نفوس الشباب ليقوموا بالدعوة إليها.

ومن تلك العقبات الأفكار والمذاهب الحديثة التي يحملها بعض الشباب من المسلمين، لما فيها من الغلو والتفرقة بين المسلمين، في مسائل فرعية لا ينبغي أن تتسبب في تفرق المسلمين، لأنها تشوه صورة الإسلام والمسلمين.

ومن تلك العقبات الحضارة الغربية التي دخلت باسم التقدم التكنولوجي، والمقصود الأساسي للغربيين هو الدعوة إلى ثقافتهم وفكرهم الذي يواجهون به الثقافة الإسلامية ويصدون الناس عنها.

ونحن كنا من قبل نركز على الشباب في المساجد وحدهم، وكان ذلك خطأ، لهذا ضممنا إلى نشاط المساجد التركيز على شباب الجامعات، لأن لديهم علوماً

(١) انظر الصورة رقم (٤٨ و ٤٩) في ملحق الصور.

وثقافات أساسية في الحياة.

ومن النشاطات الجيدة المتاحة الآن إقامة المخيمات الطلابية التي يجتمع فيها الطلاب والأساتذة من الجامعات والمدارس وتقام فيها الدورات للمعلمين، وهي نافعة جداً، وقد حققت الأهداف، ورفعت مستوى المعلمين.

ونحن نحاول التخطيط لدعوة الأساتذة من الجامعة الإسلامية في المدينة وغيرها ليقوموا بتربية الطلاب، ولكن سياسة الحكومة في الصين تحول بيننا وبين ذلك. لهذا نرجوكم أن تفكروا معنا في حل هذه المشكلة، وتولفوا لنا كتيبات صغيرة في الموضوعات المهمة لتتمكن من ترجمتها للشباب الصيني.

مع العلم أنه لا يوجد عندنا من عنده القدرة الكافية على الترجمة السليمة، فكثير من العلماء يجيدون النحو والصرف في اللغة العربية ولكن ليس عندهم قدرة على الترجمة.

ولو أن الجامعة الإسلامية تنظم لطلابنا فيها محاضرات ليكونوا أقوياء في الترجمة إلى اللغة الصينية لكان في ذلك نفع عظيم.

وقد حاولت تصحيح ترجمة معاني القرآن للشيخ محمد مكي، ومع ذلك لا زالت في حاجة إلى المزيد من المراجعة.

وقد أصبحت متقدماً في السن، لا قدرة عندي على النشاط ولهذا تدعو الحاجة إلى رفع مستوى الطلاب الشباب ليقوموا بالمهمة^(١)..

وقد حصلت مذاكرة طويلة في هذه الأمور، إذ استمر الاجتماع من بعد صلاة العصر إلى قبيل صلاة العشاء في مكتبي بحي الأزهر في الجامعة، وحضر المذاكرة مع الشيخ ومرافقه، طالب صيني يدعى "سيف الدين" وبعض طلابي من اليمنيين. وحرّض الشيخ و مترجمه على استعمال الكمبيوتر والبريد الإلكتروني، والإنترنت

(١) [قال لي: إن عمره الآن ٧٧ عاماً، انظر الصورة رقم (...)] في ملحق الصور.

لنشر الدعوة بين المسلمين في الصين وغير المسلمين، بحيث يترجمون بعض الموضوعات المختصرة وينشرونها أولاً بأول... ويطبعون كذلك بعض الكتيبات وينشرونها... فاستحسن الشيخ ذلك ووعد هو والشاب الذي معه بالعمل بذلك...

كل شيء لنا لو طبقنا إسلامنا!

الاثنين ١٨/٣/١٤١٦هـ - ١٤/٨/١٩٩٥م

وداعاً يا من قال فيك شاعرنا المسلم (محمد إقبال): (الصين لنا) متفائلاً بما ورد عن الرسول ﷺ من حديث المقداد بن الأسود ؓ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام، بعز عزيز أو ذل ذليل، إما يعزهم الله ﷻ فيجعلهم من أهلها أو يذلهم فيدينون لها)^(١).

الصين لنا، والعرب لنا	والهند لنا، والكل لنا
أضحى الإسلام لنا ديناً	وجميع الكون لنا وطناً
توحيد الله لنا نور	أعددنا الروح له سكناً
الكون يزول ولا تمحى	في الكون صحائف سؤددنا
بيت في الأرض معابدها	والبيت الأول كعبتنا
هو أول بيت نحفظه	بحياة الروح ويحفظنا
***	***

في ظل السيف تريننا	وبنينا العز لدولتنا
علم الإسلام على الأيام	شعار الجحد للملتنا
هلال النصر يضيء لنا	ويمثل خنجر سطوتنا

(١) [مسند الإمام أحمد بن حنبل، برقم (٢٣٨٦٥) والحاكم في المستدرک على الصحيحين، برقم (٨٣٢٤)] وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

وأذان المسلم كان له	في الغرب صدى من همتنا
***	***
قولوا لسماء الكون لقد	طاولنا السنجم برفعتنا
يا دهر لقد جربت على	نيران الشدة عزمتنا
طوفان الباطل لم يفرق	في الخوف سفينة قوتنا
***	***
يا ظل حدائق أندلس	أنسيت مغاني عشرتنا
وعلى أغصانك أوكار	عمرت بطلائع نشأتنا
يا دجلة هل سجلت على	شطيك مآثر عزتنا
أمواجك تروي للنديا	وتعيد جواهر سيرتنا
يا أرض النور من الحرم	من وباميلاد شريعتنا
روض الإسلام ودوحته	في ظلك رواها دمننا
ومحمد كان أمير الركب	بب يقود الفوز لنصرتنا
إن اسم محمد الهادي	روح الآمال لنهضتنا

وإذا لم يكن ذلك في عهد شاعرنا وعهدنا، لأننا لم نقم بواجب البلاغ المبين للعالم، لا سيما في هذا العصر الذي أقام الله علينا الحجة بما من به على البشر من الوسائل التي يمكننا به نشر هذا الدين، فلعله يكون في عهد من هو خير منا من أحفادنا أو أحفاد أحفادنا، تحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾^(١).

في هذا اليوم غادرت بلاد الصين عن طريق مدينة كومنج، وقد ظهرت لوحة الفراق وعلامة الحزن على وجه رفيقي (إبراهيم) الذي ودعني في مطار كومنج، بعد أن رافقني في جميع رحلتي هذه من يوم نزلت في بكين إلى هذه الساعة، جزاه

(١) [محمد: ٣٨].

الله خيراً وزاده توفيقاً^(١).

كان الإقلاع من مطار كومنج ٤٠: ١٠ صباحاً

والوصول إلى مطار هونغ كونج الساعة: ٣٧: ١٢

بطء شديد في حركة الصينيين في مطار هونغ كونج:

بقينا في الطائرة الصينية بعد هبوطها في مطار هونغ كونج ٣٠ دقيقة في انتظار سيارة تنقلنا إلى مبنى المطار.

وكان السبب فيما يبدو غزارة المطر الذي استمر أكثر من أسبوع في منطقة شرق آسيا، بسبب الإعصار الاستوائي الشديد (TYPHOON)، وفي نفس اليوم سقطت بسببه في مطار هونغ كونج نفسه طائرة تايلندية (وكان فيها جرحى وقتلى).

أنت جئت إلى هونغ كونج والإعصار ذهب إلى الصين!

استقبلني في المطار الأخ (علي تنغ ALI TING) وقال قال لي: أنت جئت إلى هونغ كونج، والإعصار ذهب إلى الصين، وقد كان الأمر كذلك، فقد بقيت في هونغ كونج أربعة أيام كلها صحو^(٢).

السفر من هونغ كونج إلى مكاو:

الأربعاء ٢٠/٣/١٤١٦هـ — ١٦/٨/١٩٩٥م

سافر معي الأخ علي تنغ (عرّفته في الكتاب الخاص بهونغ كونج) صباح هذا اليوم بالركب البحري الساعة الحادية عشرة إلا عشرين دقيقة، إلى مكاو، وهي مستعمرة برتغالية^(٣).

(١) [سبق التعريف به في الحوار الذي أجرته معه عن إسلامه].

(٢) [ما كتبه عن هونغ كونج في هذه الرحلة أثبتته في الكتاب الخاص برحلات هونغ كونج، فليراجعه من شاء].

(٣) [كتاب الصين تشين شي ص، ٥٧ والموسوعة الجغرافية (٢١٩/١)].

٨- في مدينة مكاو

وكان الوصول إليها الساعة ٣٠: ١١ ومكاو عاشر مدينة زرقها في هذه الرحلة، بحساب هونغ كونغ وتيرتري نيو في جزيرة هونغ كونغ والتي أفردت معلوماًها في المجلد الثالث من هذه السلسلة "في المشارق والمغارب".

١ — عدد سكان مكاو نصف مليون.

٢ — عدد البرتغاليين عشرون ألفاً.

٣ — عدد المسلمين في مكاو خمسون عائلة، ولهم مسجد ومقابر محاطان بسور، وقد أخذت حكومة مكاو ثلث مساحة أرض المسلمين مركزاً للشرطة.

٤ — منطقة مكاو مع قلة سكانها صغيرة المساحة، وهي شبيهة بهونغ كونغ، من حيث أن جزءاً منها في البحر وآخر في البر يربط بينهما بعض الجسور، أحد هذه الجسور طوله كيلوان بني منذ سنتين، ولا يفصل بين أقرب منطقة من الصين إلى مكاو وبينها إلا شارع واحد، يتجاور علماً البلدين على عمارتين إحداها على جانب الشارع في مكاو والأخرى على الجانب الآخر من الشارع في الصين، حتى لقد جمعت عدسة الكاميرا بين العلمين.

٥ — ويدهش المرء عندما يعلم أن هذه المنطقة قد احتلتها البرتغال منذ مائة عام، فكيف صبرت الصين هذه المدة كلها على هذا الاحتلال.

٦ — وهذه البلدة متأخرة في اقتصادها وتجارتها وعمارتها ومواصلاتها حتى إنه لم يبن بها مطار إلا في الآونة الأخيرة، ولم يستخدم إلى الآن، وهو يقع بين أحد التلال والبحر.

تَسَلَّم الصين مكاو من البرتغال:

هذا وقد تسلمت جمهورية الصين الشعبية من البرتغال رسمياً في يوم ١٢ من شهر رمضان لعام ١٤٢٠ هـ — ديسمبر من عام ١٩٩٩ م حيث أنزل العلم البرتغالي،

ورفع العلم الصيني.

وما ذا عن تركستان الشرقية؟

لا بد من كلمة موجزة عن وضع المسلمين في هذا البلد الغالي، الذي اغتصبته الصين بعد تواطؤ بينها وبين الاتحاد السوفييتي لاقتسامهما تركستان المسلمة، فاحتل الاتحاد السوفييتي الجزء الغربي منها، وسمي بـ(تركستان الغربية) واحتل الصينيون الجزء الشرقي، وسمي بـ(تركستان الشرقية).

وقسمت روسيا تركستان الغربية بعد قيام الثورة الشيوعية، إلى خمس جمهوريات، وهي:

١ — جمهورية أوزبكستان وعاصمتها: تاشكند.

٢ — جمهورية تركمانستان وعاصمتها: عشق آباد.

٣ — جمهورية تاجكستان وعاصمتها: دوشنبه.

٤ — جمهورية قازاقستان وعاصمتها: ألماتا.

٥ — جمهورية قيرغزستان وعاصمتها: فرونزه.

وتبلغ مساحة تركستان الغربية: ٧٥٠، ٣٤، ٧، ١ كم. وهي الموطن الأول للترك وتتكون من سلسلة من الجبال، وحوضين، أحدهما في جنوب البلاد، والآخر في شمالها، وتجري فيهما بعض الأنهار.

وهي من أغنى بلاد العالم، إذ يوجد بها ١٢١ نوعاً من المعادن.

وبها كثير من المحاصيل الزراعية والفواكه والخضروات، والثروات الحيوانية.

ولسنا بصدد الكلام عن هذا الجزء الذي أصبحت جمهورياته — بعد تفكك الاتحاد السوفييتي — مستقلة سياسياً، وإن لم تنعم شعوبها بحكم الإسلام الذي كانت تحلم به، ولا زال بعض علمائها ومفكرها وجماعاتها الإسلامية تحاول بلوغ هذه الشعوب غايتها الغالية، نسأل الله أن يبلغهم مرادهم ويكفيهم شر المنافقين المحاربين لتطبيق شرع الله في أرضه.

والذي يهمنا هنا هو الجزء الشرقي (تركستان الشرقية) الواقع في قبضة الحكم

الصيني المحتل.

ولست بصدد كتابة تاريخ لهذا الشعب المسلم، وإنما الإيماء إلى وضع المسلمين فيه، وما يعانونه من استعباد وتنكيل وقتل وتشريد، وحرمان من حقوقهم الدينية والسياسية والاجتماعية...

احتلال الصين العسكري لتركستان الشرقية:

إن من أعظم مصائب المسلمين التي يتسلط بسببها على شؤونهم وبلدانهم، ويذيقهم مرارة الأذى والهوان، هو تنازعهم فيما بينهم على الزعامات، التنازع الذي يقودهم دائماً إلى الفشل والذل والضعف، وبذلك تذهب هيبتهم ويطمع في السيطرة عليهم عدوهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾. وعلى هذه السنة الإلهية جرى ما جرى للمسلمين في تركستان الشرقية — كالغربية.

فقد كثر التنازع والشقاق والحروب بين المسلمين، واستعان بعضهم في حربهم لإخوانهم المسلمين بأعدائهم من الصينيين الوثنيين، وقامت دولة المسلم المنتصر على أخيه المسلم، تحت حماية عدو الإسلام الوثني^(١).

(١) [وما أكثر هذه الحوادث في تاريخ المسلمين الذين يستعين بعضهم على بعض بأعداء الإسلام، الذين ينقضون في نهاية الأمر على المسلمين جميعاً، فيحتلون أرضهم ويتهكون عرضهم، وقد يصل الأمر بالمسلمين أن يكرهوا على ترك دينهم والدخول في دين عدوهم، بعد الظلم والإذلال والاستعباد والقتل، ثم طرد من بقي منهم إلى خارج بلادهم، لتصبح بلاد كفر بعد أن كانت ديار إسلام، كما حصل للأندلس، ومحاوّل اليهود اليوم أن يطبقوا في فلسطين ما حصل في الأندلس، حيث يوقدون نار العداوة بين المسلمين ليتسلط بعضهم على بعض، لينقضوا في نهاية الأمر على الجميع ودول الشعوب الإسلامية ترى وتسمع ولا تحرك ساكناً غير الانسياق وراء التنازلات المستمرة في صالح اليهود].

وهاهي أمريكا قد احتلت كلا من أفغانستان والعراق، يتعاون من بعض أهل البلدين الذين يحاولون أن يتربعوا على كراسي الحكم عن طريق العدو الأجنبي الذي عاث في الأرض فساداً، وهو عازم على احتلال البلدان الإسلامية الأخرى، والسيطرة عليها مادياً ومعنوياً، ولو أن أهل البلدان الإسلامية وحدوا كلمتهم ووقفوا صفاً واحداً في وجه الأعداء، لما تمكنوا من احتلال بلدانهم].

فقد احتلت القوات الصينية المنشورية تركستان الشرقية في عام: ١٧٥٩م بعد أن قتلت من المسلمين (200,000, ١) ونفت (٢٢,٠٠٠) عائلة إلى داخل الصين. وقاوم المسلمون هذا الاحتلال وانتصروا عليه، بقيادة: (أتاليق غازي يعقوب بك) وقامت دولتهم التي اعترفت بها الخليفة العثماني، ومنحه لقب: (أمير المسلمين) واعترفت بها دول أخرى، منها بريطانيا وروسيا.

ضم الصين (تركستان الشرقية) إليها رسمياً:

ثم تواطأت الدولتان الصين وروسيا مرة أخرى في عام: ١٨٧٢م على أن تُعين الأخيرة الصين على غزو تركستان الشرقية، واستولى الجيش الصيني على البلد المسلم في عام: ١٨٧٨م.

وأصدرت الصين مرسوماً في: ١٨ نوفمبر ١٨٨٤م يقضي بجعل تركستان الشرقية مقاطعة صينية، وسمتها: (سنكيانغ SINKIANG) أي المقاطعة الجديدة. وجعلت مدينة: (أوروجي) عاصمة لها. وبذلك أصبحت تركستان الشرقية — من الناحية الرسمية — إحدى المقاطعات الصينية.

وأقاموا المدارس الصينية لنشر الثقافة الصينية والحد من الثقافة الإسلامية، وأنشأوا المعابد الوثنية وأجبروا المسلمين على زيارتها، وفتحوا الأبواب للمنصرين، ليخرجوا المسلمين من دينهم إلى الدين المسيحي.

وقسموا أهل تركستان الشرقية إلى أربع عشرة قومية، من أجل التفريق بينهم وتمزيقهم.

وقاوم المسلمون مرة أخرى الاحتلال الصيني وقاموا بمئات الثورات ضده، وانتصروا مرة أخرى على المحتل الصيني في عهد الجمهورية الصينية، وأقاموا جمهورية إسلامية عام: ١٩٣٣م.

وتعاون أعداء الإسلام — من الصينيين والروس لمصالح مشتركة — على المسلمين، وقضوا على الثوار المسلمين في عام: ١٩٣٤م. وبذلك وقعت البلاد تحت سيطرة حكومة مزدوجة من الصين والروس، وحصلت روسيا على امتيازات اقتصادية

وسياسية في المنطقة.

ولم يهدأ الثوار المسلمون عن جهاد أعدائهم — الذين ساموا المسلمين شتى أنواع الظلم والتعذيب والقتل — لتحرير بلادهم منهم، بل قاموا بثورة عارمة ونجحوا في تحرير غالب أجزاء البلاد، وأقاموا جمهورية تركستان مرة أخرى سنة: ١٩٤٥م برئاسة: الشيخ علي خان توره.

وتدخلت روسيا مرة أخرى باسم الصلح هذه المرة، على أساس منح المقاطعة استقلالاً ذاتياً، وتم الصلح والتوقيع على بنوده بين الطرفين: القائد العام لشمال غرب الصين، وممثلي حكومة تركستان الشرقية في: ١٩٤٦م.

وجرت انتخابات عامة في عام: ١٩٤٧م تولى على إثرها رئاسة الحكومة في الإقليم: (الدكتور مسعود صبري).

ولكن الحكومة الروسية (الشيوعية) كانت تدعم الثوار الشيوعيين بقيادة: (ماو تسي تونج) فضغت على الحكومة الصينية الوطنية لتتحية (مسعود صبري) وتعين (برهان شهيدي) الذي أصبح عميلاً للحكومة الشيوعية التي انتصرت على الصين وطردت الحكومة الوطنية برئاسة: (الجنرال شنغ كاي شك) إلى جزيرة تايوان.

المظالم الشيوعية للمسلمين في تركستان المسلمة:

عهد ظالم جائر جديد حل بالمسلمين في تركستان الشرقية، وهو العهد الشيوعي بزعماء "ماو تسي تونغ" تأمر فيه حكام هذا العهد مع عملائهم من المسلمين، الذين عينوا ليكونوا في الظاهر حكاماً، وهم في الواقع عبيد يؤمرون بظلم أبناء دينهم فينفذونه، وينهون عن نصرهم أو معاملتهم بالعدل فيسمعون ويطيعون.

فقد صرح (برهان شهيدي) الحاكم العام المسلم!!! في: ١/١/١٩٥٢م من إذاعة: (أوروبجي) عن قتل: (مائة وعشرين ألف شخص ١٢٠٠٠٠) من العلماء والزعماء والأدباء المسلمين.

وقتل في حادث مفتعل زعماء الثورة الإسلامية في تركستان الشرقية، حيث كانت تنقلهم طائرة إلى العاصمة الصينية (بكين) في ١٥/٨/١٩٤٩م.

أساليب الشيوعيين في ظلم المسلمين وتصيينهم:

اتخذ الشيوعيون لسيطرتهم التامة على تركستان الشرقية — في فترات متلاحقة — أساليب ظالمة مأكرة، ومن أهمها الأمور الآتية:

الأمر الأول: القضاء على زعماء المسلمين وعلمائهم.

الأمر الثاني: مصادرة أملاكهم وأوقافهم، وتسليط ميلشياتهم على الأغنياء والمفكرين.

الأمر الثالث: جعل أزمة الأمور في الإدارات والمراكز الحكومية والشعبية بيد الموظفين الصينيين، وفرض الثقافة الصينية على أبناء المسلمين.

الأمر الرابع: محاولة القضاء على تعاليم الإسلام وعادات أهل البلاد، بإغلاق المساجد، ومنع مزاوله الشعائر الإسلامية، وإحراق الكتب الإسلامية ومصادرتها، وفرض استعمال اللغة الصينية، وفرض الزواج المختلط بين المسلمين والصينيين، وانتهاك الأعراض.

الأمر الخامس: السيطرة على خيرات البلاد ومصالحتها.

الأمر السادس: إغراق البلاد بتهجير ملايين الصينيين إليها وتمكينهم فيها سياسياً وإدارياً وعسكرياً واجتماعياً، محاولين جعل المسلمين فيها أقلية ضعيفة، لا يستطيعون المقاومة والمطالبة بحقوقهم^(١).

تضييق الخناق على المسلمين في هذه الأيام:

لقد اشتد تضييق الحكومة الصينية على المسلمين في تركستان الشرقية، برغم ما حصل من الانفتاح الاقتصادي والسياسي والاجتماعي في الجمهورية الصينية بعد وفاة "ماو" والقضاء على عصابة الأربعة، وإزاحة المتشددین من أعضاء الحزب

(١) [مضمون المعلومات السابقة مستخلص من كتيب؟ "التهجير الصيني في تركستان الشرقية". مع تصرف في التعبير، وإيضاح من الكاتب لبعض المعاني].

الشيوعي.

مظاهر التضييق على المسلمين.

وتتجلى مظاهر هذا التضييق فيما يأتي:

المظهر الأول: كثرة الاعتقالات في صفوف المسلمين، وبخاصة القادة والعلماء.

فقد نشرت جريدة: (المسلمون) في أحد أعدادها^(١)..

تحت عنوان: (بكين تعترف باعتقال عدة آلاف من مسلمي تركستان الشرقية) ما

يأتي: (بلغ عدد المعتقلين المسلمين — حسب اعتراف الجهات الرسمية — ٢٧٧٣

مسلماً، منذ شهر إبريل الماضي، بتهم معارضة مسئولي الحزب في المقاطعة.

وتقول حركة المقاومة: إن عدد المعتقلين تجاوز خمسة آلاف مسلم، وإن السلطات

الحكومية وزعت المعتقلين على معتقلات متباعدة في المقاطعة.

هذه الاعتقالات تمت في فترة قصيرة من الزمن في السنة التي نشر فيها الخبر تقريباً.

ولو تتبع القارئ الصحف الصادرة في هذا التاريخ وما قبله وما بعده، لوجد ما يثير

الدهشة والعجب مما يفعله الشيوعيون بالمسلمين في التركستان الشرقية.

ومع شدة احتجاج الدول الغربية، وبخاصة أمريكا^(٢)، على تصرفات الصين في

الاعتداء على حقوق الإنسان في الصين، وتكاتف وسائل إعلامها ومؤسساتها

السياسية والاقتصادية على الوقوف ضد الصين، بسبب سجين واحد من مواطني

الصين المعارضين لسياستها، مع ذلك تتجاهل ما يحدث لآلاف المسلمين في

تركستان الشرقية، لعلمها أن المسلمين أيتام لا أب لهم يحميهم ويدافع عنهم.

ولا زالت الصين تعتقل وتشرد وتقتل أبناء المسلمين في هذا البلد المهضوم إلى الآن،

والفضائيات في غالب الدول العربية تتجاهل ما يحدث فيه، اقتداء بالتجاهل

(١) [عدد: ٥٩٢، الجمعة، بتاريخ: ١٤١٧/١/٢١ هـ - ١٩٩٦/٦/٧ م، صفحة: ٣].

(٢) [لغرض في نفسها وليس لسواد عيون المسلمين].

الأمريكي!

وبين يدي الآن مقال صغير في مجلة المجتمع الكويتية^(١) بعنوان: (الصين تعدم عدداً كبيراً من مسلمي تركستان الشرقية) ويدّو أن هذا العدد هو من بقي على قيد الحياة ممن اعتقلتهم في العامين الماضيين.

المظهر الثاني: محاصرة التدين عند المسلمين، ومنعهم من الاجتماع لمدارسة القرآن الكريم في المساجد وفي المنازل، وإجبارهم على جعل مفاهيم الإسلام تخدم النظام الشيوعي، وتؤيد ممارسات السلطات الصينية لأعمالها، ومنع تدريس المفاهيم الإسلامية المخالفة لأفكار ذلك النظام، ومنع علماء المسلمين من التدخل في شئون الأحوال الشخصية، من عقود الأنكحة والطلاق، والميراث، وتحديد النسل، والتعليم، وجمع الزكاة وصرفها... ومنع التعليم الإسلامي على من لم يبلغ سن الثامنة عشرة من العمر، ومنع النساء المسلمات من دخول المساجد، ومنع اشتغال الشباب بالشعائر الدينية، ومنع جميع أعضاء الحزب الشيوعي الصيني من ممارسة العبادات من صلاة وصيام وغيرهما، ويعاقب من يفعل ذلك منهم^(٢)..

المظهر الثالث: محاصرة المسلمين بتوقيع معاهدات مع حكومات الشعوب الإسلامية المجاورة! لتضييق الخناق على المسلمين، حتى لا يتمكنوا من الهرب من جحيم العذاب الشيوعي الصيني، ولا من عذاب بقايا الحكام الشيوعيين في الشعوب الإسلامية، كل ذلك بحجة الإرهاب والتطرف (يجب تفسير الإرهاب عندهم والتطرف بما سبق في المظهر الثاني!).

فقد نشرت جريد الشرق الأوسط النص الآتي: (أكدت مصادر دبلوماسية غربية أمس أن الصين وأربع جمهوريات سوفيتية سابقة في آسيا الوسطى وقعت

(١) [العدد جديد، ورقمه: "١٣٣٦" بتاريخ: ٦ - ٢٢ شوال، ١٤١٩هـ - ٢ - ٨ فبراير ١٩٩٩م].

(٢) [راجع لهذه الفقرة مجلة المجتمع الكويتية. عدد: "٢٠١" صفحة: "٣٦"].

بالأحرف الأولى على معاهدة عمل مشترك لمكافحة الأصولية..
وتشارك الصين في هذه المعاهدة كل من: قازاقستان، وقيرغستان، وتاجيكستان،
وأوزبكستان التي تواجه حكوماتها معارضةً من حركات أصولية!
وتجري حالياً مباحثات لإقناع تركمانستان — خامس الجمهوريات السوفيتية
السابقة في آسيا الوسطى — بالانضمام إلى المعاهدة، على الرغم من شدة الضغط
الإيراني المعاكس عليها..

واستُبعدت روسيا من المعاهدة، لأن وجودها قد يمس موازنة القوى الدولية ويثير
مشاكل مع الولايات المتحدة واليابان، ولكن هناك مفاهمة ضمنية بأن روسيا
ستنخرط في أي عمل مشترك ضد (الأصولية) في المنطقة رغم أنها لا ترتبط بمعاهدة
رسمية مع الصين حول هذا الشأن^(١)..

وفي الجريدة نفسها: (الصين تحظر بناء مساجد جديدة في سينكيانج (تركستان
الشرقية) ذات الأغلبية المسلمة وتشدد القيود على المسلمين، وبخاصة على المناطق
الحدودية مع الجمهوريات الإسلامية لمحاربة دعاة الاستقلال من المسلمين، وتزعم
الصين أن جماعة سرية في عاصمة تركستان الشرقية (أوروجي) تقوم بصنع أسلحة
وباغتيالات لشخصيات دينية (من المسلمين) تتعاون مع السلطات الحكومية^(٢)..

ويمكن تصفح موقع الأيغور على الإنترنت بهذا الرابط:

<http://et.4t.com/arabic.html>

http://www.uygur.org/arabic/h_rights/news.htm

ملحق من مركز تركستان الشرقية للمعلومات..

وقد اشتدت المحنة على المسلمين في التركستان الشرقية، بعد أحداث ١١ من

(١) [جريدة الشرق الأوسط. العدد: ٦٣٦٤ التاريخ: ١٣/ذو الحجة / ١٤١٦ هـ - ١/٥/١٩٩٦ م].

(٢) [عدد: ٦٣٩٣، الخميس ١٣/١/١٤١٧ هـ - ٣٠/٥/١٩٩٦ م راجع الجريدة لقراءة مقال فيها تحت

عنوان: (سياسة الصين في تركستان لقمع الدين وتخفيف منابعه) عدد: ٣٠٦٤٠٠ - التاريخ:

١٠/٢٠/١٤١٧ هـ - ٦/٦/١٩٩٦ م. الصفحة: ١٠].

سبتمبر، التي استغلتها جميع الدول المحاربة للإسلام.
يوضح ذلك التقرير الآتي:

http://www.uygur.org/arabic/h_rights/news.htm

تصاعد انتهاكات حقوق الإنسان في تركستان الشرقية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

(تقرير خاص يسلط الأضواء على تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر على
الأيغور)..

في البداية أود أن انوه إلى أن مركز تركستان الشرقية للمعلومات كان قد عرض في تقريره السنوي والذي أذيع العام الماضي بالأدلة الدامغة لحملة "اضرب بقوة" التي بدأتها السلطات الصينية في شهر إبريل نيسان من العام الماضي من أجل القضاء على حركات المقاومة الأيغورية في داخل الوطن حيث تم خلال الفترة من شهر إبريل إلى أواخر شهر أغسطس من العام الماضي إعدام أكثر من مائة أيغوري واعتقال عدة آلاف آخرين والحكم بمدد مختلفة من السجن على أكثر من ٥٠٠ شخص واحتجاز العديد من الأشخاص بدون محاكمة ودون توجيه تهم إليهم.

ولقد اشتدت عمليات انتهاكات حقوق الإنسان في تركستان الشرقية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر حيث إن سلطات الاحتلال فيما تحاول على الصعيد الخارجي اتهام الأيغور بالإرهاب فإنها تقوم على الصعيد الداخلي في تركستان الشرقية بتصعيد حملاتها القمعية الموجهة ضدهم، وتم لهذا الغرض إعادة تشديد حملة "اضرب بقوة" التي بدأتها السلطات في شهر إبريل نيسان الماضي حيث اعتقل العديد من الأشخاص بدعوى ومزاعم واهية. وشدت السلطات خلال شهر رمضان وعشية عيد الفطر المبارك من حملتها لتضييق الخناق على أداء المسلمين لشعائهم الدينية، وفرضت عقوبات صارمة على المخالفين لتعليماتها.

هذا وبالإضافة إلى ذلك شهدت الأشهر الثلاثة الماضية تسريح العديد من العمال الأيغور في المصانع الصينية في تركستان الشرقية من أعمالهم مما أدى إلى ازدياد

وتفشي البطالة بينهم.

ويمكن أن نلخص التطورات الأخيرة في النقاط التالية:

١ — محاولة السلطات الصينية إدراج الأيغور في قائمة الإرهاب الدولية..

في الوقت الذي ركز فيه الرأي العالمي بعد ١١ سبتمبر/ أيلول في الولايات المتحدة حملته العدائية على الإسلام والمسلمين بدعوى أن الإرهابيين الذين نفذوا الاعتداءات على كل من مركزي التجارة العالمي ووزارة الدفاع الأمريكية "البتاجون" في نيويورك وواشنطن يحسبون على الإسلام ويرفعون راية الإسلام حاولت سلطات النظام الشيوعي في الصين ركوب الموجة والإدعاء بأن الأيغور أيضا "إرهابيون يجب القضاء عليهم".

فقد زعمت الصين في معرض عرض شروطها الخاصة بدعم الولايات المتحدة وحلفائها في حملتها الرامية إلى استئصال جذور الإرهاب والتي بدأت من أفغانستان زعمت الصين أن "الأيغور إرهابيون، كما أن كافة المنظمات السياسية والحركات الأيغورية إرهابية" وكان الهدف من ذلك محاولة شريرة ويائسة من أجل إقناع الرأي العام العالمي الحر بقيادة الولايات المتحدة أن قضية تركستان الشرقية ليست قضية حقوق شعب وتقرير مصيره بنفسه كما أنها ليست قضية حقوق إنسان وديمقراطية وإنما هي قضية إرهاب ضحيتها الصين.

ومن أجل ذلك توالى تصريحات كبار المسؤولين الصينيين ومن ضمنهم وزير الخارجية تيانج جاوشينغ بشأن تركستان الشرقية والأيغور حيث حاول هؤلاء المسؤولون الصينيون الربط بين الأيغور وتنظيم القاعدة بقيادة أسامة بن لادن. ووصفوا الأيغور "بالإرهابيين المسلمين".

وإذا رجعنا بذاكرتنا إلى تصريحات للمتحدثة باسم وزارة الخارجية الصينية يوم ١٤ نوفمبر الماضي نجد أنها قد اهتمت الأيغور بالمسؤولية عن أعمال إرهابية مزعومة وقعت خلال السنوات العشر الأخيرة في تركستان الشرقية حيث دلت على ذلك بالثورات الشعبية التي قام بها الأيغور خلال التسعينيات احتجاجاً على القمع الصيني

ومن أمثال ذلك "ثورة بارين عام ١٩٩٠م" و"ثورة ٥ فبراير ١٩٩٧م" في غولجا و"مظاهرات ١٩٩٠ أغسطس" في خوتان وغيرها من المظاهرات السلمية التي قام بها الأيغور للتعبير عن احتجاجهم على القمع وسوء المعاملة والتمييز العنصري ضدهم من قبل سلطات الاحتلال الصينية.

ومن المثير للسخرية محاولة الصينيين إدراج عمليات تفجير وقعت خلال السنوات الأخيرة في تركستان الشرقية ولا تمت بصلة للإرهاب وحتى الجرائم العادية في الأدلة المزعومة.

وإذا كانت المظاهرات السلمية وحوادث التفجير التي تتم عن سخط الشعوب تعتبر حوادث إرهابية فإن المدن الصينية شهدت ولا تزال تشهد أعمال تفجير شبه يومية. فعلى سبيل المثال "وحسب ما أفادت وسائل الإعلام الصينية فقد لقي ٤٧ شخصاً مصرعهم في انفجار للقنبلة وقع يوم ٦ مارس من العام الماضي في إحدى المدارس الابتدائية في مدينة جينغشي الصينية. وأيضاً وبعد مرور ١٠ أيام وقع انفجار كبير هز مدينة شيجي جيووانغ مما أسفر عن مقتل ١٠٨ أشخاص وإصابة مئات آخرين بجروح. ويعد عدد الأشخاص الذين لقوا مصرعهم في أربعة انفجارات وقعت في عدد من الأقاليم الصينية خلال هذا الشهر فقط بالعشرات والمصابين بأكثر من مائة. وحسب ما أفادت الأنباء فقد نفذت تلك الحوادث منظمات صينية سرية من أجل تحقيق أهداف سياسية لها.

هذا وبالإضافة إلى ذلك شهدت بعض المناطق الصينية وقوع ثورات شعبية ضد الحكم الصيني احتل خلالها الأهالي مراكز للحكومة، إلا أنه مما يثير دهشة المرء أن السلطات الصينية لم تصف تلك العمليات بأنها عمليات إرهابية كما أنها لم تطلق على منفذيها وصف الإرهاب، ولكن تلك السلطات ما لبثت تطلق على عمليات تفجير وقعت خلال السنوات الأخيرة في تركستان الشرقية وقام بها أفراد أو أشخاص بدوافع انتقامية بحة وصف الإرهاب.

ويكشف ذلك أن السلطات الشيوعية الصينية تكيل بمكيايين في معاملة الشعوب

الواقعة تحت قبضتها وتطبق سياستين مختلفتين في كل من الصين وتركستان الشرقية ويظهر ذلك جلياً في قيامها بإلقاء المسؤولية عن حوادث تفجير مزعومة في تركستان الشرقية إلى "الإرهابيين المسلمين الأيغور".

فعلى سبيل المثال: وعلى الرغم من أن سبب الانفجار الذي وقع لشاحنة عسكرية في شهر سبتمبر من عام ٢٠٠٠م يرجع إلى التقصير في التدابير الاحتياطية الواجبة اتخاذها إلا أن الدوائر الأمنية الصينية سارعت إلى اتهام "الانفصاليين الأيغور" بالمسؤولية عنه كما أنه بات واضحاً أن بعضاً من عمليات التفجير التي وقعت خلال السنوات الأخيرة في تركستان الشرقية قامت بتدبيرها الاستخبارات الصينية وذلك لايجادها ذرائع لتصعيد حملاتها القمعية ضد الأيغور.

وخلاصة القول: ورغم قيام السلطات الصينية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر بممارسة كافة أنواع الوسائل المتاحة لها من أجل إدراج الأيغور في قائمة الإرهاب الدولية إلا أن محاولاتها باءت بالفشل التام حيث لم يقتنع الرأي العام العالمي الحر باتهامات الصين للأيغور.

فقد أعلن كل من الرئيس الأمريكي جورج بوش والسيدة ماري روبنسون رئيسة لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة أثناء زيارتهما الأخيرة للصين كل على حدة أن قضية الأيغور في تركستان الشرقية قضية تتعلق بحقوق الإنسان والديمقراطية حيث لا يمكن التراجع عن مبادئ الحرية والديمقراطية تحت ستار الحملة ضد الإرهاب وذلك رداً على الاتهامات الصينية للأيغور بممارسة الإرهاب، كما حذرا الصين من مغبة استغلال الحملة الدولية ضد الإرهاب لتصعيد عملياتها القمعية ضد الأيغور^(١).

(١) [إن إعلان الأمريكيين المذكورين، ما هو إلا إعلان إعلاني خال من الصدق، فلا قيمة للمسلمين لدى القادة الأمريكيين، ولو كانوا غير مسلمين لما سكنت أجهزة الأمريكيين يوماً واحداً عن الصراخ على الصين].

هذا وبالإضافة إلى ذلك أعطي البرلمان الأوروبي والحكومة البلجيكية ردّاً قاسياً على الاتهامات الصينية وذلك برعايتهما للدورة الثالثة للمؤتمر الوطني التركستاني الشرقي والذي انعقد في شهر أكتوبر الماضي في مقر البرلمان الأوروبي في بروكسل. وأخيراً يمكننا القول أنه فيما أحبط الموقف الثابت للرأي العام العالمي من القضية الأيغورية الادعاءات الصينية ضد الأيغور بالإرهاب من جهة فانه من جهة أخرى أكد على أن الرأي العام العالمي بدأ يعترف بقضية تركستان الشرقية على أنها قضية حقوق إنسان وديمقراطية وحرية وتقرير شعب لمصيره بنفسه.

(٢) تدهور جديد في أوضاع حقوق الإنسان في تركستان الشرقية بعد ١١ سبتمبر رأت الصين في الحملة الدولية التي تقودها الولايات المتحدة ضد الإرهاب بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر فرصة لا تعوض من أجل القضاء على الشعب الأيغوري في تركستان الشرقية حيث عمدت إلى تصعيد حملاتها القمعية الوحشية الموجهة ضد الأيغور بعد الحادث.

فقد عقدت القيادات العسكرية والأمنية الصينية في تركستان الشرقية اجتماعاً مشتركاً بعد مرور أسبوع على الهجمات الإرهابية على الولايات المتحدة قررت فيه أن "حادث ١١ سبتمبر فرصة لا تعوض" من أجل القضاء على من تزعم أنهم انفصاليون إرهابيون في إقليم سنكيانغ (تركستان الشرقية). وأصدرت أوامر فورية إلى كافة الجهات الأمنية بإعادة تنفيذ "حملة اضرب بقوة" التي بدأت في شهر إبريل نيسان من العام الماضي والقبض على كل المشتبه فيهم دون استثناء.

وأيضاً أكد وانغ لوجين سكرتير الحزب الشيوعي الصيني في تركستان الشرقية خلال اجتماع في أوروغوي في الثامن من شهر يناير الجاري على "أن الأخطار الثلاثة التي تهدد أمن الإقليم والدولة تتمثل في ثلاثة عناصر: العناصر الدينية المتطرفة والانفصالية والإرهابية، وعلينا الاستمرار في توجيه الضربات ضدهم بلا هوادة". كما صدر في نفس الاجتماع قرار بإعطاء مهلة شهرين اعتباراً من شهر ديسمبر ٢٠٠١م إلى المشتبه فيهم من العناصر المذكورة لتسليم أنفسهم إلى السلطات.

وحسب ما ورد في معلومات لندوين لمركز تركستان الشرقية للمعلومات من الوطن فقد اعتقلت السلطات الصينية في تركستان الشرقية أكثر من ٣ آلاف أيغوري خلال الفترة من أواخر شهر سبتمبر إلى نهاية العام الماضي. كما شهدت الفترة نفسها أكثر من ١٢ جلسة محاكمة صدرت فيها أحكام بالإعدام على أكثر من عشرين أيغورياً تم تنفيذ الأحكام الصادرة ضدهم بعد انتهاء المحاكمة مباشرة. وقد نشر قسم من الأخبار المتعلقة بهذا الشأن في وسائل الإعلام الصينية كما يلي: جاء في العدد الصادر يوم العشرين من شهر سبتمبر من الجريدة الأسبوعية لمديرية أمن "سنجيانغ ذات الحكم الذاتي" والتي توزع سراً أن ٢١٠ من الانفصاليين قد تم اعتقالهم. وأيضاً جاء في العدد الصادر في السابع والعشرين من شهر أكتوبر الماضي من صحيفة "المساء" التي تصدر في أوروغوي أن ١٥٠ انفصالياً إرهابياً قد تم القبض عليهم خلال الفترة الأخيرة. كما جاء في العدد الصادر يوم ١٤ نوفمبر من صحيفة "سنجيانغ كزيتي" التي تعتبر أكبر جريدة في الإقليم أنه قد تم اعتقال ١٢١ شخصاً خلال النصف الأول من هذا الشهر. وكذلك نقل موقع "سنجيانغ على الإنترنت" عن مسؤول في الأمن قوله: أن ١٨١ انفصالياً قد تم اعتقالهم خلال النصف الأخير من شهر نوفمبر الماضي.

وجاء في عدد السادس من شهر ديسمبر من صحيفة "آقسو كزيتي" التي تصدر في مدينة آقسو أن ٣٠ انفصالياً قد تم اعتقالهم في المنطقة خلال شهر نوفمبر الماضي. والجدير بالذكر أن تلك الإحصائيات تحتوي فقط على قسم قليل جداً من المقبوض عليهم خلال الأشهر الثلاثة الماضية وذلك أن السلطات الصينية لا تعلن عادة عن أعداد الأشخاص الذين تعتقلهم بدعوى أنها أسرار سياسية إلا في حالات نادرة جداً وتصفه في تلك الحالة بالإرهاب لأهداف سياسية دعائية بحجة رغم أنهم في الواقع ليسوا كذلك.

وبعد أحداث هجمات ١١ سبتمبر قامت السلطات الصينية بكافة أجهزتها بتصعيد حملاتها حيث أنه بينما قامت سلطات الأمن بمباشرة عمليات اعتقال واسعة النطاق

في كافة أنحاء تركستان الشرقية تسابقت المحاكم الصينية المصطنعة لإدانة وإصدار أحكام الإعدام والسجن على المعتقلين الأيغور.

فعلى سبيل المثال: وحسب التقارير التي وردت من مندوبي مركز تركستان الشرقية للمعلومات من الوطن مباشرة فقد عقدت محكمة صينية في مدينة شهيان جلسة محاكمة علنية يوم الرابع والعشرين من شهر سبتمبر الماضي أذانت فيه ٨ أيغوري وأصدرت على أحدهم حكماً بالإعدام بينما حكم على الآخرين بالسجن لمدد مختلفة.

وعقدت محكمة في كاشغر جلسة محاكمة علنية يوم ٢٥ سبتمبر حيث أصدرت أحكاماً بالسجن لمدد مختلفة على ٤٨ أيغورياً. وأيضاً عقدت محكمة صينية في منطقة أيلي أحكاماً بالإعدام على ٦ من الشباب الأيغور كانوا قد اعتقلوا في عام ١٩٩٧ على خلفية أحداث ثورة ٥ فبراير المعروفة في غولجا.

كما أصدرت محكمة في مدينة خوتان يوم ١٦ نوفمبر حكماً بالإعدام على شاب أيغوري ويدعى ياسين اسكندر.

وبالإضافة إلى ذلك تم في منطقة آقسو عقد ٤ جلسات للمحاكمة خلال شهر أكتوبر الماضي أدين فيها ٤٣ أيغورياً وصدرت ضدهم أحكام مختلفة.

كما صدرت أحكام مختلفة على ٦ من الأيغور في خوتان في جلسة للمحاكمة عقدت يوم ٢٣ سبتمبر . هذا وقد اتهم كافة هؤلاء المعتقلين بممارسة الإرهاب ومحاولة تجزئة وحدة الدولة. وقد تم إعدام المحكوم عليهم بالإعدام عقب انتهاء الجلسات في الساحات العامة. ومما يثير الأسف أن جثث هؤلاء لم تتم إعادتها إلى ذويهم حيث قام أفراد الأمن والجيش بحفر مقابر جماعية لهم ودفنهم فيها، وخوفاً من قيام ذويهم بمحاولة اخذ جثثهم قامت السلطات بحراسة المقابر لمدة ثلاثة أسابيع.

(٣) تصاعد الحملة الموجهة ضد الساحة الدينية..

من المعروف أن سلطات الاحتلال الصينية تطبق منذ احتلالها لتركستان الشرقية

عام ١٩٤٩م سياسة الإلحاد ومنع المسلمين الأيغور من أداء شعائهم الدينية والاستهزاء بالدين. وقد أصبحت تلك الممارسات منبعاً جديداً للمعاناة والتعذيب للمسلمين الأيغور خلال السنوات الأخيرة مما يعني أن القوانين الصينية التي جاء فيها ضمان حرية القوميات في ممارسة الطقوس الدينية أصبحت حبراً على ورق. وأصدرت السلطات خلال السنوات العشر الأخيرة قرارات عديدة بشأن السيطرة على الشؤون الدينية من أمثال "نظام الإشراف على الشؤون الدينية" وغيرها من القرارات التي تحد بل وتحول دون أداء الفرد المسلم للعبادات. ومن تلك القرارات تعتبر "الوثيقة رقم ٧" السرية التي أصدرها مؤتمر المحافظة على الاستقرار في سنجان والذي عقد في بكين في عام ١٩٩٦م من أخطر القرارات بهذا الشأن لما تضمنته من فقرات أكدت على أن الخطر الأكبر الذي يهدد أمن الإقليم ينبعث من النشاطات الانفصالية والدينية غير المشروعة.

ومنذ ذلك الحين كثفت السلطات من حملاتها ضد الساحة الدينية حيث لم تكتف بمنع النشاطات الدينية العادية بل وحولت الساحة الدينية ككل إلى مسرح لعمليات القمع التي طالت نخبة كبيرة من العلماء والشخصيات الإسلامية.

ونتيجة لذلك اعتقل الآلاف من الأيغور الذين لا ذنب لهم سوى القيام بأداء شعائهم الدينية العادية بمزاعم وهم "الانفصالية والنشاط الديني غير المشروع، وتم حظر وإغلاق المدارس الدينية المملوكة للحكومة وفرضت عقوبات شديدة على المدرسين والطلبة، وبسطت السلطات سيطرتها على كافة المساجد وعينت مراقبين تابعين لها لمراقبة المساجد. وانتزعت حق تعيين الأئمة حيث عينت في المساجد أئمة لا يفقهون من الدين شيئاً سوى الخرافات وتطبيق أوامر سادهم الشيوعيين، وحولت السلطات الدين الحنيف بفضل هؤلاء الجهلاء إلى وسيلة لدعم الشيوعية والإلحاد والاشتراكية الثورية، كما سخرته لخدمة أهداف الاستقرار والأمن في البلاد، وقامت بهدم العديد من المساجد بدعوى وحجج واهية متنوعة فضلاً عن منع إنشاء مساجد جديدة.

ونود أن نذكر السادة الأعزاء بأننا كنا قد بعثنا بتقارير ووثائق مدعمة بالأدلة العملية بهذا الشأن إلى الجهات المعنية في جميع أنحاء العالم منها منظمات حقوق الإنسان .

وهنا نسلط الأضواء على الأحداث التي وقعت بعد ١١ سبتمبر:

لقد ذكرنا في الفصل الثاني من تقريرنا السنوي أن أكثر من ثلاثة آلاف أيغوري قد اعتقلوا وتم إعدام أكثر من ٢٠ منهم خلال تلك الفترة ويشكل معظم هؤلاء الأشخاص من الذين أدينوا لأسباب تتعلق بعقيدتهم الدينية.

وقد سعت السلطات على وجه الخصوص لتضييق الخناق على المسلمين والحيلولة دون أداء فرائضهم الدينية خلال شهر رمضان وعيد الفطر المبارك بحيث استعملت في سبيل ذلك كافة الوسائل من قمع وترهيب وإغراء.

وحسب معلومات مندوبي مركز تركستان الشرقية للمعلومات في الوطن أصدرت السلطات بحلول شهر رمضان أوامر مشددة تم بموجبها منع أعضاء الحزب الشيوعي وموظفي الدوائر الرسمية والمدرسين والطلبة من صوم هذا الشهر المبارك. كما تم تعيين ثلاثة موظفين من الحكومة لمراقبة المساجد خلال عيد الفطر المبارك، كما شهد بعض المساجد الكبيرة حراسة مشددة من قبل أفراد الأمن الصينيين.

وحسب مندوبينا فقد احتجزت السلطات في خوتان السيد عبد الرؤوف وهو عالم ديني شاب و٨ من تلميذاته في الفترة من ٨ ديسمبر وحتى ١٣ ديسمبر، وأيضاً اعتقلت سيدة شابة كانت تقوم بالتدريس سرّاً وعدداً من تلميذاتها، وكان من بين التلميذات صبيات في سن الثالثة عشر، ورغم أن السيد عبد الرؤوف قد أطلق سراحه بسبب عدم وجود أية ذريعة لاحتجازه إلا أنه قد تم فرض غرامات مادية كبيرة عليه، ويقال أنه قد تم تغريمه ٧ آلاف ين بينما تم اخذ ٣٠٠ ين غرامة من كل تلميذة. وأرغمت إحدى هؤلاء التلميذات على دفع ٣ آلاف ين بدعوى مقاومتها للشرطة أثناء اعتقالها. وتعتبر تلك المبالغ بالنسبة لمثل هؤلاء الفقراء من الأيغور الذين لا يتجاوز دخلهم السنوي عن ٨٠ دولاراً أمريكياً مبالغ خيالية.

وفضلاً عن ذلك أصدرت السلطات عشية حلول عيد الفطر المبارك قراراً حددت فيه موعد حلول العيد وموعد أداء صلاة العيد، وعلى ذلك الأساس يحل عيد الفطر في تركستان الشرقية متأخراً بيوم عن جميع أنحاء العالم الإسلامي (أي في يوم ١٧/١٢/٢٠٠١م). وجاء في المرسوم أن أي مسجد يخالف ذلك فسوف يتم معاقبة إمام ذلك المسجد والموظفين المكلفين بالإشراف عليه.

والأمر المؤسف حقاً أنه قد منع الموظفون في الدوائر الرسمية والأطفال ممن هم دون سن الثامنة عشر من أداء صلاة عيد الفطر المبارك وأخرجوا من المساجد عنوة. وقال شاهد عيان: إن أكثر من مائة من الشباب ممن هم دون سن الثامن عشر قد أخرجوا من مسجد في قرية بخوتان عندما أرادوا أداء صلاة العيد وذلك من قبل المشرف الحكومي على المسجد.

ويوضح ذلك بما لا يدع مجالاً للشك أن سلطات الاحتلال الصيني تطبق حالياً سياسة الإلحاد والإبعاد عن الدين تجاه الأيغور.

هذا وقد استمرت السلطات في هدم المساجد في الشهر الماضي أيضاً حيث جاء في نبأ لمراسلنا في الوطن أنه قد تم هدم مسجد "دونغ كوروك" في بلدة قارقاش بمنطقة خوتان والذي كان يتسع لعشرة آلاف شخص وذلك بدعوى تشويش الآذان على الدروس في المدرسة القرية منه.

(٤) تفشي البطالة بين الأيغور..

وعلى الرغم من أن تركستان الشرقية منطقة غنية بالموارد والثروات الطبيعية من النفط والغاز والأرض السهلة إلا أنه بسبب سياسة "الإبقاء على الجهل" التي تتبعها سلطات الاحتلال تجاه الأيغور فقد تحولت تركستان الشرقية إلى إحدى أفقر المناطق في العالم. كما أنه على الرغم من أن سلطات الاحتلال رفعت خلال الخمسين سنة الماضية شعارات زائفة من أمثال "لنعمل على تطوير وازدهار سنجانغ، ولنعمل على جلب السعادة إلى الشعب" إلا أنها كانت تهدف من وراء ذلك إلى تبسيط وتشديد قبضتها على تركستان الشرقية وجلب المزيد من الصينيين

لتوطينهم فيها ونقل الموارد الطبيعية من النفط والمعادن وغيرها إلى الصين. .
والمصانع التي أسست على أرض تركستان الشرقية همها الأول تشغيل المستوطنين الصينيين وتجهيز أرضية ملائمة لمعيشتهم ولا يقبل الأيغور للعمل بتلك المصانع.
فعلى سبيل المثال: وإذا أخذنا مدينة أوروجمي كمثال على ذلك نجد أن ٩٥ في المائة من العمال في المصانع الصينية فيها من المستوطنين، كما يشكل الصينيون ٨٧ في المائة من عمال آبار النفط والغاز في مدينة قارماي النفطية.
ويكشف ذلك سبب تفشي البطالة بين الأيغور وزيف ادعاءات وشعارات السلطات "لنعمل على تطوير وازدهار سنجانغ". وفي الواقع لا يمكن الحديث عن تطور وتقدم وازدهار أمة تعيش تحت الاستعمار وليست لها صناعة مستقلة ناهيك عن حصولها على السعادة المعيشية.
وقد ازدادت في الآونة الأخيرة ظاهرة البطالة بين الأيغور بشكل خطير ويرجع سبب ذلك إلى عاملين اثنين :

- ١ — سياسة تصنيف الإدارات والمراكز الحكومية التي تطبقها السلطات في المدن التركستانية حيث يتم إبعاد الأيغور عن تلك المراكز وإحلال الصينيين محلهم.
- ٢ — سياسة الضرائب الثقيلة والإتاوات التي تفرضها السلطات على الفلاحين في القرى والتي أدت إلى نزوحهم إلى المدن من أجل تأمين معيشتهم. ويجدر بالملاحظة هنا أن الأرض الزراعية التي يملكها الفلاح الأيغوري لا تعادل مساحة فدان واحد.
- ٣ — وكانت السلطات قد أطلقت مع بداية التسعينيات شعار "فتح المنطقة الغربية" وهي الحملة التي تركز في الأساس على تركستان الشرقية حيث بدأت في إنشاء مباني وطرق وتحديد الهياكل الشكلية للمدن إلا أن تلك المشروعات تم إسناد تنفيذها إلى الشركات الصينية بدلاً من الشركات المحلية الأيغورية. وقامت تلك الشركات باستقدام العمال الصينيين من الصين ولم تقبل الأيغور للعمل، ونتيجة لذلك أصبح الأيغور لا يجدون ولو عملاً مؤقتاً في الظروف الراهنة.
- ٤ — ومع تطبيق سياسة الإصلاحات الاقتصادية في الصين وتطور الاقتصاد الصيني

تقرر بيع القطاع العام إلى القطاع الخاص، وبسبب أن المصانع المحلية في تركستان الشرقية هي مصانع قديمة تستعمل فيها وسائل وأدوات عفا عليها الزمن فلم تستطع الصمود أمام المصانع الصينية الحديثة وأعلنت إفلاسها. ومعظم تلك المصانع قامت بشرائها شركات قادمة من الصين حيث كان أول عمل تقوم به الشركات هو تسريح العمال الأيغور تحت شعار "تطوير العمل". وعندما بدأت في عام ١٩٩٨م سياسة تسريح العمالة الزائدة عن الحاجة كان أول الضحايا هم الأيغور، وذلك أن أصحاب المصانع هم صينيون وهم لا ينظرون للقدرات العملية في اختيار العمال بقدر ما ينظرون إلى التمييز العنصري ضد المسلمين الأيغور.

وقد واجه الأيغور تلك السياسة في المناطق الجنوبية من تركستان الشرقية على وجه الخصوص حيث تم تسريح الآلاف من العمال الأيغور الذين كانوا يعملون في المصانع والشركات في مناطق خوتان وكاشغر.

وحسب ما نقل مراسل مركز تركستان الشرقية للمعلومات من الوطن فقد باعت السلطات مصنع كاشغر للنسيج والقطن الذي يعتبر أكبر مصنع في المنطقة إلى شركة صينية وذلك على اثر إفلاس المصنع من جراء الفساد الإداري للمدير والذي تسبب على المصنع بديون وصل مقدارها إلى ٨٠ مليون ين (١٠ مليون دولار تقريباً). وكان أول ما قام به المدير الجديد للمصنع القيام بتسريح ما يقارب ألف عامل أيغوري بدعوى ترشيد النفقات وإعادة ترتيب العمل. كما أفاد نبأ آخر من مدينة خوتان أن أكبر مصنعين في خوتان وهما مصنع النسيج الأهلي ومصنع الحرير والنسيج سرحت خلال شهر نوفمبر الماضي ٧٠٠ شخص من أعمالهم ٨٠ في المائة منهم من الأيغور. ولم يتم إعطاءهم أية تعويضات عن الأضرار التي لحقت بهم. وقد حاول حوالي ٣٠٠ من هؤلاء المطرودين من العمل من الأيغور القيام بتظاهرة احتجاجية يوم ٢٣ ديسمبر الماضي وطلبوا مقابلة محافظ المدينة إلا أن المحافظ وبدلاً من الاستماع إلى شكواهم هددهم بأنه سوف يتم اعتقالهم بتهمة زعزعة النظام والأمن.

هذا وبالإضافة إلى ذلك يواجه الخريجون الجدد من الجامعات من الأيغور مصاعب جمة في الحصول على العمل، والسبب في ذلك لا يكمن في العمالة الزائدة عن الحاجة وإنما يكمن في سياسة التمييز العنصري ضد الأيغور واحتلال المستوطنين الصينيين لكافة فرص العمل المتاحة.

ويقدم حوالي نصف مليون صيني سنوياً إلى تركستان الشرقية بحثاً عن العمل حيث تتوفر لهم فرص العمل أينما ذهبوا في تركستان الشرقية في حين لا يجد خريجو الجامعات من الأيغور الذين لا يتجاوز أعدادهم عن ٣ آلاف شخص أي عمل. والسبب في ذلك يرجع كما أسلفنا إلى التمييز العنصري الذي ينتهجه أصحاب ومسؤولو المصانع من الصينيين بإيعاز من السلطات ضد الأيغور حيث يفضل هؤلاء المسؤولون صينياً أمياً على أيغوري تخرج من الجامعة ولديه قدرة وقابلية في مجالات الصناعة وما إلى ذلك.

ويجدر بالذكر هنا أنه قد ظهرت في السنوات الخمس الأخيرة ظاهرة جديدة في معاملة السلطات مع خريجي الجامعات من الأيغور حيث يتم في كل سنة من شهر تموز يوليو عقد ما يسمى "سوق قبول المتخصصين" ويشكل الصينيون ٩٩ في المائة من أعضاء لجنة قبول المتخصصين، وقد كتب بعضهم دون ما أدنى استحياء على مكتبته "أنه لا يقبل الأيغور للعمل". وقد اضطر الأيغور الذين أتوا بحثاً عن العمل إلى الانسحاب عندما شاهدوا تلك اللافتات وهم يشعرون بالخزي والعار.

مركز تركستان الشرقية للمعلومات

٢٠٠١ / ٣٠ / ١٢ م

حوار مع بعض الطلبة الصينيين عن الإسلام في بلادهم:
دار هذا الحوار في متزلي بالمدينة النبوية — حي الأزهرى — بمكتبة المنزل.
في يوم الاثنين ٢٦ ذو الحجة ١٤١٦ هـ — ١٣/٥/١٩٩٦ م
الجلسة الأولى:

الاسم: محمد نوح (MA)^(١).. وهو طالب في كلية الدعوة — السنة الثالثة —
الجامعة الإسلامية — المدينة المنورة^(٢).

تاريخ الميلاد: ٢٠/٦/١٩٦٥ م

اسم المقاطعة: قانسو. عاصمتها: لانجو.

المدينة التي يعيش فيها: لينشيا (تسمى مكة الصغيرة لكثرة المسلمين بها وكثرة
المساجد وقوة نشاط المسلمين)^(٣).

دراسة الأخ محمد في داخل بلاده وخارجها. المراحل الدراسية إلى الثانوية العامة
(حكومية) في الصين.

البلدان التي درس فيها: باكستان، وتخرج في معهد الإمام المودودي. ودرس فترة في
الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد. وتخرج من معهد اللغة العربية في جامعة
الملك سعود سنة ١٤١١ هـ وهو الآن يدرس (بالجامعة الإسلامية/ كلية الدعوة —
السنة الثالثة) بالمدينة المنورة.

وقد جاءته رسالة من والده يطلب فيها عودته للقيام بخدمته وخدمة جدته، نظراً
لكبرهما ولعدم من يقوم بشئونهما، وقرر السفر وترك الدراسة.

متزوج. وله ابن واحد، اسمه: (سيف الدين MA SAIFE). وعمره سنتان.

(١) [جرت عادة الصينيين أن يتسموا بأسماء عربية يتداولونها فيما بينهم، وأسماء صينية يتعاملون به رسمياً].

(٢) انظر الصورة رقم (٥١) في ملحق الصور.

(٣) [هذه المنطقة وهذه المدينة "لنشيا" هي التي لم تيسر لي زيارتها عندما زرت العاصمة (لانجو) كما سبق،

ولذا حرصت على أخذ معلومات عنها من أحد أبنائها].

مشايخه الصينيون: له شيخ واحد هو: بهاء الدين، وعمره ستون سنة.
مشايخه في البلدان الأخرى: المدرسون في الجامعة الإسلامية العالمية، (وتتلمذ على
الشيخ خليل الحامدي في معهد الإمام المودودي) سنة ١٩٩٠م، ومدرسو الجامعة
الإسلامية في كلية الدعوة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
المسلمون في قانسو ومؤسستهم:

عدد المسلمين في المقاطعة: (٦ ملايين) تقريباً.
عدد المسلمين في ولاية (لينشيا): ثلاثة ملايين، تقريباً.
عدد المساجد في المقاطعة: (عشرة آلاف صغير وكبير تقريباً).
والمساجد الكبيرة تعتبر مدارس.
عدد المدارس: في المقاطعة يزيد عن مائة صغيرة وكبيرة.
عدد المدرسين: في كل مدرسة يوجد ما بين ثلاثة إلى خمسة.
عدد الطلبة: ما بين عشرين إلى مائتين في كل مدرسة.

المناهج الدراسية:

مناهج المدارس: علوم اللغة العربية قواعدها. قراءة القرآن تجويداً، وتفسيره
(الجلالين والبيضاوي) الفقه — شرح الوقاية وكتاب شامي (حنفي) والعقيدة
(النسفية).

وفي المدارس الجديدة التربية الإسلامية (كتاب مقرر في المعهد الديني في الكويت).
والحديث: كتاب اللؤلؤ والمرجان تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي طبعته الحكومة
الصينية. وعلوم القرآن لصبحي الصالح. وتيسير مصطلح الحديث لمحمود الطحان.
وأصول الفقه مقرر المرحلة الإعدادية في اليمن.
وفي الدعوة: تعريف عام بدين الإسلام لعلي الطنطاوي — يدرسه في مادة
العقيدة.

وفي التاريخ: السيرة النبوية — في بعض المدارس — لمصطفى السباعي، وبعض
المدارس يدرسون كتاب الرحيق المختوم للمبارك فوري.

وتدرس مواد أخرى باللغة الصينية، مثل كتاب مبادئ الإسلام للمودودي — مترجم باللغة الصينية، ومعالم في الطريق لسيد قطب، وشبهات حول الإسلام لمحمد قطب، وجاهلية القرن العشرين (ومدرسو هذه المواد هم الذين دَرَسُوا في الخارج) وطريقة تدريس هذه الكتب محاضرات أو قراءة الكتاب. والكتب المترجمة إلى الصينية تُدرَّس للطلبة الذين لم يصلوا إلى مرحلة الدراسة بالعربية.

اختلاف المسلمين وأسبابه:

إذا حصلت مشكلات مع الدولة، فتعاونُ المسلمين فيما بينهم تعاون تام، أما فيما بينهم فهم مختلفون. ومن أهم أسباب الخلاف بينهم: الانتساب إلى المذاهب، كالحنفي والسلفي والصوفي...

وبعضهم يتبعون مشايخ قدامى عندهم ما يشبه الطرق الصوفية، وبعضهم يدعون أنهم من شيعة أهل البيت، وغالبهم لا يفهمون ما ينتسبون إليه، حتى إن أكثرهم لا يُصلُّون ولا يهتمون بالعبادات، وبعضهم يرى أن زيارة مقابر الشيوخ أفضل من الذهاب إلى مكة، وهذا يوجد في هذه المنطقة أكثر من بقية بلاد الصين (توجد المقابر التي يعظمونها في "سيتشوان").

وأشهر الطرق الصوفية الموجودة: القادرية، والحنفية — يخفون الذكر — والجهرية. وتوجد طائفة الإخوان (وليسوا الإخوان المسلمين) وكانوا على جهل وعادات غير صحيحة، وفي الخمسينات ذهب أحدهم إلى الحج ويسمى (سيد نوح جويوانج حاج) ودرس على المشايخ في مكة لمدة ست سنوات، وعندما رجع وجد جماعته مختلفين، فجمعهم وقال لهم: نترك الخلاف ونحن إخوان يجب أن نفهم الإسلام على حقيقته ونعمل به، ويظهر أنه تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. (وهذا هو

سبب تسميتهم بالإخوان^(١) ..

صلة المسلمين بالدولة وحالتهم الاقتصادية:

والموظفون في هذه المقاطعة كثير منهم مسلمون، ولكن الدولة لا توظف إلا من انضم إلى الحزب الشيوعي، ولذلك غالبهم مسلمون بالاسم فقط. أما حالتهم الاقتصادية في المقاطعة: فهم يشتغلون بالتجارة ويوجد فيهم أغنياء (غالب المسلمين في الولاية أغنياء) ونسبة الأغنياء منهم — في المدينة — أكثر من غير المسلمين، لأن غير المسلمين يهتمون بالوظائف بخلاف المسلمين. ويتعاون أغنياء المسلمين مع المسلمين في الإنفاق على التعليم والدعوة والمساجد والمدارس.

صلة المسلمين في قانسو بإخوانهم في تركستان:

تقع تركستان الشرقية في الشمال الغربي لهذه المقاطعة، وبين المسلمين في المقاطعتين صلة تجارية، وبدأت الاتصالات بينهم دينياً، حيث تطبع كتب دينية في قانسو وترسل إلى تركستان الشرقية، وكثير من المسلمين في قانسو هاجروا إلى تركستان الشرقية في أيام الثورة الثقافية الكبرى، ولذلك تحصل زيارات بين الطرفين. المسلمون في قانسو يلتزمون بالإسلام، حسب فهمهم له، أكثر من المسلمين في المقاطعات الأخرى، والسبب في ذلك اهتمام الأسرة بتربية الأولاد منذ الصغر، حيث أصبحت عندهم عادة نشئوا عليها، ويهتمون بالطعام الحلال حتى إذا سافروا إلى مناطق أخرى من الصين يأخذون معهم الطعام الحلال. كما أن العلماء والمدارس عندهم كثيرة. نسبة التعليم الثقافي^(٢) .. بين المسلمين في المقاطعة ٢٠% تقريباً.

(١) [وهذا اللقب كان شائعاً في مناطق نجد في عهد الملك عبد العزيز وبعده].

(٢) [يعني تعليمهم في المدارس العصرية، وهي مدارس حكومية].

لأن المسلمين يمنعون أولادهم — وخاصة البنات — من الدراسة في المدارس الحكومية محافظة على دينهم وخشية من التأثير بالأفكار الإلحادية. والمسلمون في هذه المقاطعة هم صينيون ولا يعرف أحد من أبناء العرب.

بعض مظاهر النشاط الإسلامي في المنطقة:

مظاهر النشاط الإسلامي: مخيمات تربية في موسم الصيف والمسابقات في تلاوة القرآن التي لم تكن موجودة من قبل، ومسابقات ثقافية إسلامية، وأنشئت روضات أطفال للمسلمين، وأُسست مكتبات إسلامية عامة للمطالعة في الشوارع الرئيسية في المدينة، ومنها مكتبة (اقرأ) في لنشيا، ومكتبات إسلامية عامة للبيع بالعربية والصينية.

الطلاب المتخرجون من البلدان العربية والإسلامية:

الطلاب الذين خرجوا لطلب العلم الشرعي من المقاطعة، في باكستان وسوريا وإيران، وفي الأردن ومصر وفي المملكة العربية السعودية وتونس والإمارات العربية وليبيا والسودان. وعددهم يبلغ مائة تقريباً، تخرج قليل منهم. وعدد الدارسين من المقاطعة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الآن ٢٥ طالباً. وفي جامعة الملك سعود في الرياض ١٦ تخرج منهم واحد واسمه (ليسع). وتخرج سبعة من طلاب قانسو من الجامعة الإسلامية في المدينة. كما تخرج عدد آخر من جامعات أخرى.

أقسام الطلاب الصينيين المتخرجين في البلدان الإسلامية:

وهؤلاء الطلاب ثلاثة أقسام:

القسم الأول: هم من طلبة المساجد السلفية.

وهم أتباع بعض المشايخ الذين تأثروا بأفكار الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهؤلاء المشايخ أخذوا تلك الأفكار عندما ذهبوا إلى مكة للحج، وحملوا معهم كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الصين، ويدرسون هذه الكتب، ويسيرون على نفس منهج تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ويلبسون اللباس السعودي إلى الآن: الثياب والشماع والطاقيّة والعقال، ظنا منهم أن ذلك كله من السنة.

ومن علاماتهم ترك شعر الرأس اقتداء بالرسول ﷺ، ويرون أن خلق شعر الرأس بدعة، إلا في مناسك الحج والعمرة، ولكنهم لا يهتمون بترك شعر اللحية، حيث يخلقها كثير منهم، ويقصرون السراويل والبنطلونات، ويكثر عندهم التبديع والتفسيق، ويكفرون الفرق الصوفية كالقادرية، ومن أهم اختلافهم مع الجماعات الأخرى فهم بعض آيات الصفات، مثل الاستواء على العرش، وهذا يختلفون فيه هم أيضاً فيما بينهم، بعضهم يقول: استوى معناه استقام، وبعضهم يقول: استوى بمعنى علا وارتفع.

أما خلافهم مع غيرهم فهو موضوع التأويل وعدمه. وهم يقولون: إنهم يأخذون بالكتاب والسنة، ويتركون كتب الفقه، مع أن غالبهم جهال، ولا يصلون وراء أئمة المساجد الحنفيين، بسبب عدم رفع اليدين، وغير ذلك.. ولا يعترفون بصحة أحاديث عدم رفع اليدين. ويهتمون بقراءة كتب الحديث، حتى إن عامتهم يقرؤون ذلك عن طريق الترجمة، (وأسرة الأخ محمد نوح ينتمون إلى هذه الطائفة).. ويحاربون إقامة المولد ويحكمون على من أقامه بالكفر والشرك.. وهم يصرحون بأنهم سلفيون.

القسم الثاني: من مساجد (الإخوان).

وهم يخالفون القسم الأول في رفع اليدين في الصلاة — يسرون على المذهب الحنفي — ويؤولون آيات الصفات — على مذهب الأشعرية — ويقولون عن أنفسهم: إنهم أشعريون ماتريديون، ولا يكفرون الناس ولا يفسقونهم بالبدع ونحوها، ولا يتبركون بالقبور.

وبين الطائفتين خلاف شديد وكراهية ولا يوجد بين طلابهما تعاون ولا لقاء بين أئمة مساجدهم.

القسم الثالث: يسمون أهل التقليد.

وهم الذين لم يتغيروا عما كانوا عليه لا بدعوة سيد نوح ولا بدعوة السلفية، وهؤلاء عندهم بدع كثيرة، وهم فقط الذين يحتفلون بالمولد، وتزور نساءهم القبور

ويتركون القبور، ولا يهتمون كثيراً بالصلاة وكذلك لا يهتمون بالتعليم، ولا يهتمون بتلاوة القرآن مجوداً، بل لحنهم فيه كثير.

فالقسم الأول بعد تخرجه تشدد كثيراً، والقسم الثاني يخف تشدده ويقوم بتوعية المسلمين لفهم الإسلام ويحاول جمع كلمتهم، ويكون تأثيرهم في المسلمين قوياً وجماعة هذا القسم أكثر من القسمين الأول والثالث.

ويوجد تأثير بالمذهب الشيعي عند الخفية والجهرية، ويصرحون أنهم شيعة، ولكنهم لم يصلوا إلى درجة سب الصحابة، وإنما يظهرون أنهم يحبون أهل البيت، ولم يتمكنوا من تعلم أصول الشيعة.

النشاط الشيعي في الصين:

وعلماء الشيعة يأتون إلى بعض مناطق الصين، ويأخذون معهم بعض الطلاب، ولكن إلى الآن لم يرجع أحد منهم يدعو إلى مذهبهم.

ويقدم الإيرانيون مساعدات لبعض المساجد لأجل التأثير على أهلها.

الملحق الثقافي الإيراني في بكين قدم مساعدة كبيرة لبناء المعهد الإسلامي المسمى بـ (المدرسة الفاطمية) في مقاطعة (خنان) في وسط الصين، وعاصمتها (تشانتشو zheng zhou).

وكانت مديرة المدرسة تسمى عائشة فألحوا عليها حتى سميت فاطمة، وهي تخرجت في جامعة مشهد، وهي الآن مذيعة باللغة الصينية في إذاعة إيران تدعو إلى الإسلام بالفكر الشيعي، وهذه أول إذاعة أجنبية تدعو إلى الإسلام بلغة الصين.

ويُدْرَس في إيران الآن خمسون طالباً من الصين، ويزدادون عاماً بعد عام، ويشجعون الطلاب الصينيين على أن يتزوجوا من الصينيات، ويأتوا بأزواجهم معهم إلى إيران ليكون التأثير الشيعي شاملاً للأسرة كلها، وبعض الطلبة الصينيين يتزوجون إيرانيات بشرط أن يعتنقوا المذهب الشيعي.

انتهت الجلسة الأولى مع الأخ محمد نوح.

الأربعاء ٢٨ ذو الحجة ١٤١٦هـ - ١/٥/١٩٩٦م

الجلسة الثانية مع الأخ محمد نوح:

ترتيب المقاطعات الصينية من حيث كثرة المسلمين وقتلهم.

هناك ست مقاطعات يكثر بها المسلمون، في شمال غرب الصين:

أولها: قانسو.

ثانيها: تشنغهاي

ثالثها: نينغشيا

رابعها: شانشي

خامستها: شنجانغ (في تركستان الشرقية) وهذه المقاطعة هي أكثر المقاطعات الخمس بالنسبة للمسلمين.

سادستها: يونان.

وكل المقاطعات الأخرى بها مسلمون، ولكن المقاطعات الست المذكورة هي التي يكثر بها المسلمون.

هل يعرف عدد السكان المسلمين في الصين وفي كل مقاطعة؟؟

توجد عدة إحصائيات: منها الإحصائية الحكومية، تقدرهم بـ (٢٠ مليوناً).

وهناك إحصائية من قبل بعض المصادر الإسلامية، تقدرهم بـ (١٠٠ مليون) وهذا مرجعه كتاب أقليات إسلامية الصادر عن رابطة العالم الإسلامي.

وبعضهم يقدرونه بـ (١٢٠ مليون) كما في كتاب الكاتب الكويتي^(١).

والذي نراه أن العدد (١٠٠ مليون تقريباً).

المساجد في الصين وأئمتها: عدد المساجد في إحصائيات الحكومة قبل سنتين أكثر

(١) [هو: جمال محمد العبد المنعم، وعنوان كتابه المسلمون في الصين الملف الضائع، وقد زارني المؤلف بمغربي في المدينة المنورة قبل حج هذا العام وأهدى لي كتابه المذكور].

من عشرين ألفاً، والظاهر أنها تعني المساجد الرسمية المأذون به من قبلها. أما المساجد الصغيرة وغير الرسمية فهي كثيرة، ويصعب إحصاؤها، لأن المساجد في ازدياد، والأهالي هم الذين ينفقون عليها، والحكومة تنفق على بعض المساجد الرسمية عند بنائها.

أئمة المساجد: في المقاطعات الست السابقة يطلب المسلمون فيهم شروطاً معينة: منها: أن يكون كبير السن، ولا يختارون الشباب في الغالب. ومنها: أن يكون قد درس في المساجد على الشيوخ معظم الكتب الدينية التي تدرس في المساجد، وهي تتعلق بالعقيدة والفقه والتفسير واللغة العربية — النحو والصرف والمواعظ التي يدرس فيها كتب خاصة باللغة العربية، ومنها: الإرشاد أو تنبيه الغافلين أو درة الناصحين. ومنها: أن يكون قادراً على التعليم.

وأما المقاطعات الأخرى فالمطلوب فيها من الإمام حفظ بعض سور القرآن، ليقراً بها في الصلاة، ولا يشترطون فيه تجويداً أو غيره، إلى درجة أن بعض الأئمة لا تفهم قراءته.

ويشترطون فيه أن يجيد بعض الأمور المتعلقة بالجنائز وعقد النكاح، وأن يكون قادراً على ذبح الحيوانات للمسلمين، والناس لا يقبلون إلا ذبيحة الإمام.

المعاهد والمدارس المشهورة:

كم عدد المدارس والمعاهد الإسلامية المشهورة؟

المدارس والمعاهد الإسلامية قسمان:

القسم الأول: المعاهد الحكومية.

وكانت توجد ثمانية معاهد في المدن الرئيسية، وهي:

معهد العلوم الإسلامية في بكين.

معهد العلوم الإسلامية في نينغشيا.

ومعهد العلوم الإسلامية في شنغجانغ.

ومعهد العلوم الإسلامية في تشينغ تشو.

ومعهد العلوم الإسلامية في لانتشو.

ومعهد العلوم الإسلامية شيان.

ومعهد العلوم الإسلامية تشوانتشو في جنوب الصين.

ومعهد العلوم الإسلامية في كومينغ.

وبعض هذه المعاهد أغلقت لعدم وجود الطلاب المتحقيقين بها، لعدم ثقة المسلمين بها، لما فيها من تحريف للإسلام، وهي إنما تربي من المسلمين شباباً يثون الأفكار الشيوعية.

وعندما تخرجت الدفعة الأولى من طلاب معهد بكين، وزعتهم الحكومة على المدن أئمة للمساجد، ولكن المسلمين رفضوا الصلاة وراءهم، لعلمهم بأنهم عملاء للحكومة، وقليل منهم من نجا من أفكار الحكومة وأهدافها، منهم الأستاذ حسن إمام مسجد شانغهاي.

ومعهد بكين بني في عهد (ماو) وكذلك بعض المعاهد المذكورة، وأغلقت كلها بسرعة عندما بدأت الثورة الثقافية، كما أغلقت المساجد، ويبدو أن تأسيسها كان من باب تأليف المسلمين وخداعهم.

القسم الثاني: معاهد أهلية:

بدأت نواتها في بيوت المسلمين سراً في أواخر عهد الثورة.

كان المدرسون يعملون في النهار لكسب الرزق في الأعمال الشاقة تنكياً بهم، وفي الليل يجمعون التلاميذ سراً في منازلهم، وقد ينتقلون، إذا بدأت الحكومة تراقبهم، والمدرس ينصح الطلاب أن لا يحضروا سوياً، وإنما فرادى خشية من أن تنتبه الحكومة لذلك.

وقد درس كثير من أبناء المسلمين في تلك الفترة، وكان المدرسون يفرحون بكثرة نزول الأمطار لأن الحكومة في وقت كثرة نزول المطر هذه لا تراقب، وكل العبادات حتى الصلاة كانت تؤدي سراً.

وضرب الأخ محمد مثالا لذلك بأنه رأى جده وجدته يدخلا تحت الطاولة بعد أن

سترها بقماش في الليل وأهما أشعلا شمعة، فنظر إليهما من ثقب وهو صغير عمره (٦ سنوات) تقريباً، وهما يأكلان من طعام صنعاه في النهار، وسألهما في اليوم الثاني عن السبب فقلا له: لا نتحدث عن هذا في الخارج، وكان ذلك في شهر رمضان، وفهم هو بعد ذلك أنهما كانا يفطران سرّاً^(١).

ثم تطورت مع مرور الأيام بسبب الانفتاح السياسي، وأصبحت بعضها مدارس أو معاهد يدرس فيها أولاد المسلمين علناً، وبعضها وافقت على تأسيسها الدولة، وبعضها لم توافق عليها، ولكنها لم تمنعها رسمياً، ولا زالت هذه المعاهد موجودة. وأعرف أكثر من ثلاثين معهداً إسلامياً في مقاطعات الصين، وأكثرها في الشمال الغربي للصين، وتوجد معاهد كثيرة في يونآن.

ولا يعرف إحصاء معين للمعاهد والمدارس الإسلامية في الصين كلها.

ولكن بعض هذه المعاهد تغلق لعدم وجود ميزانية لتكالييفها.

ومع ذلك تفتح معاهد جديدة، وهذا غير التعليم المسجدي.

٦ — هل بقي من ينتسب إلى العرب من المسلمين، وفي أي المقاطعات يكثرون وما السبب؟

أستاذ الأساتذة وتطور التعليم الديني:

منذ دخول الإسلام الصين إلى القرن السادس عشر، لم يكن يوجد تعليم ديني منظم، وإنما كان المسلمون يلقنون أولادهم الإسلام شفهيّاً، جيلاً بعد جيل.

(١) [فاين زعم من يدعي من المنتسبين إلى العلم أن العالم كله اليوم لا تشرع فيه الدعوة السرية، لوجود الحرية التي يتمكن بها الدعاة من الدعوة العلنية، والحال أن بعض المسلمين لا يقدرّون — أحياناً — من أداء بعض شعائهم الدينية، كالصلاة والصوم في داخل منازلهم؟ وإذا كانت الأحوال قد تستغفر أحياناً فيؤذن للمسلمين بأداء شعائر دينهم، فإن الحال لم يتغير فيما يتعلق بدعوتهم إلى دينهم حتى فيما بينهم إلى الآن في الصين، إلا في داخل مساجدهم، بشرط أن لا يقوم بذلك غير إمام المسجد الذي يراقب مراقبة مستمرة من قبل الحكومة الصينية، هذا كنبته وقت زيارتي وأرجو أن يتغير الأمر إلى الأحسن].

وقد بدأ التعليم المنظم في عهد الشيخ (هودن جو) وهو الذي سمي أستاذ الأساتذة. فقد سافر إلى مكة في القرن السادس عشر، والتقى علماء في مكة وحضر الحلقات العلمية، وتعرف على أساليب التعليم التي يسلكها هؤلاء العلماء، وكانت تلك الأساليب جديدة عليه.

ولما رجع إلى الصين بدأ يطبق تلك الأساليب في منزله أولاً، ثم انتقل بها إلى المسجد، فجمع الطلاب وقرر عليهم دراسة بعض الكتب، غير أنه لم يكن يحدد مدة معينة يتخرج فيها الطلاب، فإذا رأى الطالب أتقن العلوم التي درسها بعد مضي عدة سنوات، أرسله ليقوم بمثل ما قام به هو من التدريس.

ومن ذلك الوقت بدأ تنظيم التعليم الديني، وهو الذي سمي بالتعليم المسجدي، في مقابل التعليم المدرسي، والتعليم المدرسي كان أساس تطويره التعليم المسجدي. وعندما رأى العلماء — في الآونة الأخيرة — شيئاً من القصور في المناهج والكتب وعدم الاهتمام باللغة الصينية، طوروا المناهج والكتب وأسسوا المدارس، ولازالوا يطورون، وفي هذه المدارس أمل كبير لإفادة أبناء المسلمين.

هجرة طلاب الصين إلى الخارج بعد الانفتاح:

٧ — متى بدأ طلاب الصين المسلمون يهاجرون لطلب العلم إلى خارج الصين بعد موت (ماو)؟ وفي أي البلدان يكثرون ولماذا؟

أول من خرج من الصين للدراسة في الخارج — بعد الانفتاح — هو الأخ محمد نوح — الذي أجريت معه هذه الحوار — وطالب آخر اسمه صالح عيسى من بلده، في سنة ١٩٨٦م إلى باكستان، حتى إن الموظفين في الجمارك الباكستانية قالوا لهما: أنتما أول من يدخل باكستان بتأشيرة لطلب العلم، ويكثر الطلبة الصينيون في باكستان، لقرب البلد وإمكان السفر بالحافلات، وحسن العلاقة بين البلدين،

وسهولة القبول في المعاهد الدينية في باكستان^(١) وقد بلغ عددهم في باكستان منذ البداية إلى الآن أكثر من خمسمائة طالب.

ومعظمهم في الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد وبعضهم في المعهد الإسلامي في بيشاور، وبعضهم في معهد الإمام المودودي في لاهور، وبعضهم في جامعة الدراسات الإسلامية في كراتشي.

والبلد الثاني الذي يكثر فيه الطلبة الصينيون المملكة العربية السعودية، يوجد منهم أكثر من مائة طالب في الجامعة الإسلامية، وفي جامعة أم القرى عشرة وفي جامعة الملك سعود عشرة تقريباً.

ويوجد في سوريا أكثر من خمسين طالباً في معهد الدعوة التابع لليبياء، وفي معهد الفتح الإسلامي، وفي جامعة دمشق. وفي مصر أكثر من خمسين طالباً في الأزهر وفروعه. وفي السودان يوجد عدد منهم. ويوجد عدد كثير منهم في إيران. كما يوجد عدد منهم في الإمارات أيضاً.

٨ — هل يعرف عدد الطلاب المسلمين الذين تخرجوا في الجامعات والمعاهد الإسلامية في خارج الصين؟

أعرف منهم حوالي عشرة، ولا أعرف الآخرين.

نشاط الطلاب العائدين من الخارج في التعليم والدعوة.

٩ — وهل يقومون بنشاط تعليمي ودعوي بين المسلمين في الصين عند عودهم، وأي البلدان طلابها الصينيون أكثر نشاطاً؟

يقوم بعضهم بنشاط تعليمي في المدارس الإسلامية في بلادهم، وكذلك الدعوة، مثل ترجمة الكتب إلى اللغة الصينية، وتنظيم المخيمات.

وأكثر الطلاب نشاطاً في مقاطعة قانسو، وكل طلاب قانسو يشتغلون بالتعليم

(١) [لأن الرئيس مشرف لم يكن موجوداً].

والدعوة، وكثير من المقاطعات طلابها مازالوا يدرسون في الخارج.

تنسيق العمل بين الطلاب في الداخل والخارج.

١٠ — هل توجد اتصالات بين الطلاب الصينيين الدارسين في الخارج قبل عودتهم إلى بلادهم؟

توجد اتصالات فردية ومحاولة لجمع كلمتهم وتوجيههم، والتخفيف من الاندفاع الذي يصل فيه بعضهم إلى حد تكفير المسلمين في الصين.

١١ — هل يوجد تنسيق بينهم في الدعوة والتعليم إذا رجعوا إلى بلادهم؟

حصلت بين المسلمين محاولة تنسيق في المدارس لأكثر من ثلاثين مدرسة، ولكنها توقفت بسبب اختلاف الآراء بين المدارس، وفي السنة الماضية قام الإمام حسن إمام الجامع في شانغهاي بالتنسيق بين المدارس المهتمة بالتربية الإسلامية في بعض المقاطعات، وكان ذلك ناجحاً اتفقوا على جعل معهد المعلمين في غوانغخه (بلده) مركزاً لتدريب المدرسين لجميع المدارس الإسلامية في الصين، وهذا المعهد هو الذي يُدرّس فيه الأخ محمد، ونسبة المسلمين في هذه البلدة ٩٨% وهي تحتوي على عدة قرى. ومعظم المسؤولين في الإدارات الحكومية في البلدة مسلمون.

١٢ — هل يوجد علماء مسلمون يفقهون الإسلام فقهاً صحيحاً، وهل يقومون بتدريس أبناء المسلمين وتفقيهم في المساجد والمدارس؟
يوجد علماء بارزون، ولكنهم قليل.

١٣ — هل يرغب أبناء المسلمين في الصين في تعلم اللغة العربية ومبادئ الإسلام؟
عند معظم أبناء المسلمين رغبة شديدة في ذلك.

١٤ — هل يوجد من يسعى من العلماء لتطوير المناهج الدراسية، الإسلامية والعربية وبخاصة، الذين درسوا في البلدان الإسلامية، وهل يقبل أئمة المساجد والمعلمون المسلمون التفاهم حول هذا التطوير؟

المؤتمر الذي عقد في السنة الماضية كان موضوعه المناهج الدراسية وتعميمها في المدارس، واتفق على بدء العمل بجمع المراجع والبحث عن علماء قادرين على

وضع المناهج وتأليف الكتب المنهجية.

اغتنام الفرص المتاحة وتوقعات المستقبل.

١٥ — هل يتوقع المسلمون أن تمنحهم الحكومة الصينية حرية أكثر في تعليم أبنائهم الدين الإسلامي واللغة العربية، وترجمة الكتب الإسلامية إلى اللغة الصينية، والاستمرار في اتصا لهم بالعالم الإسلامي للدراسة في الجامعات والمعاهد الإسلامية؟ المسلمون الآن يغتنمون الفرصة السانحة، والمستقبل لا يعرف، ولكن معظم المسلمين يخافون من انقطاع هذه الفرصة، وذلك لتجارهم المريعة في السابق، والشيوخ يغفرون سياساتهم بسرعة.

وعلى سبيل المثال كان الطلاب الذين اعتصموا في ميدان (تيان آن مين TIAN AN MEN) كانوا يتوقعون باعتصامهم مزيداً من الحرية والديمقراطية، ولم يكونوا يتوقعون المعاملة الصارمة التي اتخذتها الحكومة ضدهم.

ومثال آخر خاص بالمسلمين، فقد أصدرت إحدى دور النشر الحكومية كتاباً، يشوه صورة الإسلام، واحتج المسلمون على ذلك، وقاموا بمظاهرات، وكان فيها بعض الأخطاء منهم أو مدبرة لهم من قبل الحكومة، لأن بعض المنافقين كانوا في صفوف المسلمين، وأحدثوا فوضى أثناء المظاهرة مثل تخريب بعض الدوائر الحكومية وبعض المرافق، والحكومة اغتنمت الفرصة فاعتقلت كثيراً من المسلمين بحجة العبث بالأمن وعذبته وحكم عليهم بالسجن لمدة طويلة، وأغلقت المدارس إلى الآن، وكان ذلك سنة ١٩٩٣ م.

وقامت مظاهرات في عدة مقاطعات في الصين بسبب صدور عدة كتب تشوه الإسلام، ولكن الحكومة ضربت هذه المنطقة لتخويف المسلمين في الصين كلها.

اهتمام المسلمين بالثقافة الصينية.

١٦ — هل يهتم المسلمون الصينيون بدراسة أبنائهم الثقافة الصينية؟

في هذا الموضوع ينقسم المسلمون ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أميون، وهؤلاء يمنعون أولادهم من دراسة الثقافة الصينية، خشية

عليهم من الإلحاد، لأنهم لم يربوا أولادهم في بيوتهم تربية إسلامية. والقسم الثاني: مثقفون مهتمون بالإسلام، وهؤلاء يربون أولادهم في بيوتهم منذ الصغر تربية دينية، ولا يمنعون أولادهم من الالتحاق بالمدارس الحكومية، لأنهم لا يخافون عليهم لما عندهم من الحصانة الدينية.

القسم الثالث: مثقفون، يجهلون الإسلام. ولا قدرة لهم على تربية أولادهم تربية دينية، فيتركون أولادهم يتعلمون أي شيء، لكسب المعيشة أو الحصول على المناصب، ولا يبالون بما يحصل لهم، وهؤلاء يضع أولادهم ويذوبون في المجتمع الصيني.

السعي في إيجاد منح دراسية في مجالات العلوم المعاصرة.

١٧ — هل فكر المسلمون الصينيون في طلب منح لأبنائهم في الجامعات العربية والإسلامية في مجالات العلوم الطبية والكونية والاقتصادية واللغات الأجنبية الحية، ليقفوا أنفسهم في تخصصات متنوعة؟ المسلمون إلى الآن يهتمون بالدراسات الإسلامية، ولم يفكروا في مجالات العلوم الأخرى^(١).

الجمعيات الإسلامية في الصين.

١٨ — هل توجد جمعيات إسلامية في الصين؟ توجد جمعيات إسلامية، وكلها رسمية، ولا تأذن الحكومة بإقامة جمعيات غير رسمية، والمسؤولون في الجمعيات غالبهم عملاء للحكومة يظهرون للأئمة المودة، ولكنهم يكتبون عن المسلمين تقارير.. وهذه الجمعيات موجودة في كل مقاطعة وكل محافظة وكل بلدة يوجد بها مسلمون، وغالب المسؤولين فيها هم من الذين تخرجوا من معاهد العلوم الإسلامية الحكومية.

(١) [حصلت مناقشة في هذا الموضوع، كانت نتيجتها أنه لا بد من الاهتمام بهذا الأمر].

وهذه الجمعيات كلها فروع للجمعية الإسلامية الصينية في بكين، وهي مؤسسة حكومية تحت إشراف مكتب الشؤون الدينية للدولة.

وهذه الجمعيات تتدخل في شئون المسلمين بما لا مصلحة لهم فيه في كثير من الأحيان إرضاء للدولة، وحرصاً من مسئوليتها على المصالح المادية. انضمام بعض المسلمين إلى الحزب الشيوعي.

١٩ — ما موقف الحكومة من المسلمين الذي لا ينضمون إلى الحزب الشيوعي؟ الحكومة تشجع كل الناس على الترقى في معرفة قواعد تنظيم الحزب وتطبيقها، حتى يكونوا مؤهلين لذلك، ولا تجبر أحداً على الدخول في الحزب، بل لا تقبل أحداً ينضم إلى الحزب، إلا من هو مؤهل عندهم بشروطهم.

٢٠ — هل يوجد تعاطف من المسلمين المنخرطين في الحزب الشيوعي مع إخوانهم المسلمين، ولو بصفة غير معلنة؟

نعم يوجد.

هل يفهم المسلمون فروض العين؟

٢١ — هل يمكن القول بأن غالب المسلمين في الصين على علم بفروض العين وكيفية القيام بها؟

الجواب: لا، بل غالبهم لا يفهمون فروض العين. والذي يفهم فروض العين يعمل بها في الغالب.

٢٢ — ظهر لي في بعض المناطق التي زرناها في الصين في مطلع هذا العام الهجري، أن بعض المسلمين الصينيين لا يهتمون باستقبال الضيف، فهل لذلك من سبب؟ هذا يحصل في بعض المناطق، وليس في كل بلدان المسلمين، في الصين ومن الأسباب بعض العادات المحلية، ومن ذلك التعصب المذهبي، فإذا رأى أحدهم الضيف من بلد آخر يظنه على غير مذهبه قد لا يرحب به تعصباً. وسائل الدعوة الناجحة في الصين.

٢٣ — ما وسائل الدعوة الإسلامية المناسبة للمسلمين الصينيين التي يمكن أن تنجح

في إقبالهم على الإسلام؟

١ — وسيلة التعليم، لأن المسلمين حريصون على التحاق أولادهم بالمدارس الإسلامية التي يثقون فيها، حتى الجهال منهم يبعثون أولادهم لدراسة الإسلام، وأبنائهم إذا تعلموا يؤثرون في أسرهم.

٢ — إصدار المجلات والجرائد والنشرات الصغيرة بلغتهم، وهذه النشرات يبعث بها إلى أي منطقة بالبريد، وهذه النشرات تعتبر من أهم وسائل الاتصال بين المسلمين في المناطق المتباعدة.

٣ — إقامة ندوات إسلامية يجتمع فيها الشباب من مناطقهم المتباعدة أو المتقاربة، يتدارسون فيها موضوعات معينة، ويتم فيها تبادل الآراء والتجارب واقتراح الحلول لما يواجهونه من مشكلات.

٤ — تبادل الزيارات بين الأئمة والدعاة، وكانت هذه الزيارات قائمة قبل ست سنوات تقريباً، وكان الزائر من منطقة إلى منطقة يلقي المحاضرات ويستفيد المسلمون منه، ولكن الحكومة منعت ذلك وشددت فيه الآن، وحذرت الأئمة من الإذن لمحاضر آخر غيرهم يقوم بذلك في مساجدهم، والأئمة يخافون، ولكن بعضهم إذا كان عنده شجاعة يأذن للمحاضرين من مناطق أخرى، والحكومة — في الغالب — لا تفعل شيئاً.

وهذه الوسيلة أخذها بعض المسلمين من أسلوب جماعة التبليغ الذين جاءوا إلى الصين وقاموا بزيارة المسلمين في بيوتهم ومساجدهم.

٥ — ترجمة الكتب الإسلامية، ونشرها بين المسلمين.

٦ — وجود مكاتب تجارية لبيع الكتب الإسلامية مترجمة إلى اللغة الصينية، وهذه المكاتب يوجد شيء منها الآن في بعض المدن.

٧ — إقامة المخيمات التي تعد إعداداً خاصاً، يجتمع فيها الأئمة والمعلمون لدراسة موضوعات تتعلق بالدعوة والتعليم، وتعقد فيها المسابقات الثقافية التي تهدف إلى توعية الحاضرين من كل الفئات.

تجربة ناجحة في إقامة المخيمات.

وفي السنة الماضية (١٩٩٥م) نظم الأخ حسن (إمام أحد المساجد في مدينة: شنغهاي) مخيماً للطلاب والطالبات الجامعيين الذين حضروا من كل مقاطعات الصين، حيث اختير من كل منطقة عدد منهم، وكان المخيم في بعض صحارى منغوليا الداخلية^(١)، وهي تتمتع بحكم ذاتي، أقيم المخيم قريباً من القرى الموجودة في الصحاري التي يسكنها غير المسلمين، وكان في المخيم نشاطات كثيرة من محاضرات ورياضة ومسابقات ثقافية، وجاء بعض الشباب من تلك القرى لرؤية الشباب والشابات الموجودين في المخيم الذين لم يألّفوا رؤيتهم من قبل بلباسهم المتميز، حيث يلبس الشبان الطاقيات، والشابات متحجبات، فدعا الشباب المسلمون شباب القرى للمشاركة معهم في نشاطات المخيم الرياضية وسماع المحاضرات، فحصلت بينهم صلات ودية، وكان شباب القرى من طلاب الجامعات في وقت إجازتهم الصيفية، وتأثروا بجو المخيم الأخوي والمحاضرات، وأخذوا يسألون عن بعض الأمور المتعلقة بالإسلام ليتعرفوا عليه.

وعندما جاء الليل استضاف شباب القرى الشباب المسلم، ليبيتوا في منازلهم لبرودة الجو، فانتقل شباب المخيم إلى منازل أهل القرى الذين آثروهم بأحسن منازلهم، فزاد بينهم التعارف وقوي الاتصال.

وفي اليوم الثاني أبدى شباب القرى المشاركين في المخيم إعجابهم واقتناعهم بمبادئ الإسلام وأخلاق الشباب المسلم التي لمسوها فيهم، فطلبوا من مسئولي المخيم أن يقوموا بإلقاء محاضرات عن الإسلام لعموم أهل القرى ودعوتهم إليه، وفي نفس هذا اليوم أعلن أربعون أسرة (الأسرة أقلها أربعة أشخاص) رغبتهم في الدخول في الإسلام، وطلبوا أن يرتب لهم حفل لإعلان إسلامهم (وهذه الأنشطة سجلت في

(١) انظر الصورة رقم (٥٢) في ملحق الصور.

شريط فيديو).

فأقيم لهم احتفال لإعلان إسلامهم فيه، وقام أحد أئمة المساجد بتعليمهم النطق بالشهادتين، وكانوا يرددون الشهادتين وراءه، وكان يبدو على وجوههم الفرح والسرور.

وأهداهم الشباب المسلمون طاقياهم، وأهدت الطالبات المسلمات للداخلات في الإسلام ثياباً محتشمة.

وبدأ كل أخ من الشباب المسلم يعلم أخاً له من المسلمين الجدد صفة الصلاة وأركان الإسلام على رمال الصحراء، وعلموهم بعض الأناشيد الإسلامية، وأصبحوا في يوم واحد مسلمين حقاً ملتزمين بالإسلام، والإخوة يتابعونهم إلى الآن، وتجمع تبرعات لبناء مسجد ومدرسة عندهم، ووعدهم الأخ حسن باستمرار الاتصال بهم وعدم الانقطاع عنهم.

وتبرع بعض المسلمين من المشتركين في المخيم بما عندهم من النقود للذين دخلوا في الإسلام، ووعد أحدهم بأنه بعد تخرجه من الجامعة — وهو طالب في كلية التربية بإحدى الجامعات الصينية — سيأتي إلى هؤلاء المسلمين للبقاء عندهم لتعليم أبنائهم الإسلام.

وكان من ضمن المسلمين الجدد أحد المسؤولين الحكوميين في القرية، ووعد بتخصيص قطعة أرض لبناء المسجد في القرية.

ولم يُسمع بمضايقة الحكومة لهؤلاء الذين دخلوا في الإسلام، ربما لبعدهم عن المدن. وقد خطط لهم الإخوة إقامة مشروعين:

الأول: بناء المسجد.

والثاني: بناء مدرسة ابتدائية.

وبذلوا جهودهم في جمع التبرعات في المناطق التي يكثر بها المسلمون، لتنفيذ هذين المشروعين، وزيارهم لهم مستمرة، وقد دخلت أسر أخرى منهم في الإسلام. وأخير بعض المثقفين من هذه القرى أن بعض المنصرين جاءوا إليهم قبل سنوات

طويلة لدعوتهم إلى النصرانية، ولكنهم رجعوا بخفي حنين، هذا دليل أن الإسلام دين الفطرة، وأن غيره من الأديان لا تتجاوب معه الفطرة.

وكان هدف الشباب المسلم من إقامة ذلك المخيم هو توعية الطلبة الجامعيين المسلمين الذين اشتركوا فيه، ولم يكونوا يتوقعون أن يكسبوا دخول أهل القرى المجاورة في الإسلام، ولكنهم أصابوا بذلك المخيم هدفين بدون قصد للهدف الثاني. والغالب أن الحكومة عرفت ذلك، ولكنها على رغم أن ذلك يسوئها لم تفعل شيئاً، لأن الشباب المسلم لم يعمل شيئاً يخالف نظام الحكومة.

الأديان الموجودة في الصين.

٢٤ — ما الأديان الأكثر انتشاراً وتأثيراً في الصين؟

١ — الديانة القديمة المنتشرة في الصين أكثر من غيرها هي الديانة البوذية، ولكن تأثيرها ضعيف جداً في الناس.

٢ — الإسلام، وهو يزداد انتشاراً وتأثيراً مع مرور الزمن.

٣ — النصرانية، ونشاط النصارى أقوى من نشاط المسلمين، وقد سمع الأخ محمد من إذاعة مونتكارلو قبل شهر من الآن باللغة الصينية أن النصارى خططوا قبل الحكم الشيوعي للتنصير في الصين، وقسموا الصين كلها إلى عشرين منطقة، في كل منطقة مسؤول يشرف على أعمال التنصير بها، وكان هؤلاء المسؤولون تحت إشراف الفاتيكان، وأنهم الآن يحاولون إعادة تلك الخطة، وقال الأخ محمد إننا نرى أن نشاط النصارى يشير إلى هذه الخطة.

٢٥ — ما نسبة النصارى الصينيين؟

لا أدري بالضبط عن النسبة، والأخ حسن أعرف بهذا لأن بينه وبين النصارى احتكاكاً، وقد ألقى محاضرة في هذا الموضوع في بلدي لبيان نشاط النصارى، وأن المسلمين يجب أن يقوموا بواجبهم، وكانت المعلومات التي ألقاها في المحاضرة جديدة على الناس.

دعوى نفور الصينيين من الأديان الوافدة.

٢٦ — يذكر بعض الكتاب المسلمين أن طبيعة الصينيين النفور من الأديان الوافدة إلى بلادهم، كالإسلام والنصرانية، فهل هذا صحيح؟
هذا الحكم قد يصدق على بعض الناس الذين تأثروا بالأفكار الإلحادية تأثراً شديداً، ولا يصدق على الصينيين كلهم، والشعب الصيني شعب متدين بديانته القديمة (ديانة الدّاو) وبـ(الديانة البوذية) وهي ديانة خارجية، وكانوا على الفطرة في الجملة، ولكن الشيوعية عندما جاءت أفسدت فطرة كثير منهم، فترك كثير منهم التدين فترة من الزمن، قهراً أو تضليلاً، وليس اختياراً واعياً.
وفطرة التدين لا تزال باقية، مما يدل على ذلك عودة كثير من الناس إلى دياناتهم التي كانوا عليها في الماضي، بعد أن أذنت الحكومة بحرية التدين، ويدل عليه زيادة عدد المسلمين والنصارى.

دعوة غير المسلمين إلى الإسلام.

٢٨ — وهل تظن أنهم إذا بينت لهم حقيقة الإسلام سينفرون منه؟
من واجبات الدعاة من المسلمين أن يبينوا حقيقة الإسلام بكل الوسائل المشروعة الممكنة، والله يهدي من يشاء، والذي يغلب على الظن أنه إذا بين لهم حقيقة الإسلام فإن كثيراً منهم سيقبلون على الإسلام، وإذا لم يدخلوا في الإسلام فستخف عداوتهم للمسلمين.

٢٩ — هل يوجد من يحاول دعوة الصينيين غير المسلمين إلى الإسلام، ولو بطريق غير مباشر؟

يوجد من يقوم بذلك، عن طريق إهداء بعض المسلمين الكتب الإسلامية لأصدقائهم من غير المسلمين، وقد دخل في الإسلام كثير منهم، وقد كان لكتاب الأستاذ المودودي الذي ترجم إلى اللغة الصينية أثر في بعض الداخلين في الإسلام، والذي ترجم هذا الكتاب هو سكرتير الجمعية الإسلامية في تايبيه (عاصمة تايوان) واسمه: (مي ده لين).

٣٠ — هل يوجد عند علماء الصين المسلمين تفكير في عمل خطة لدعوة غير المسلمين؟

لا توجد فيما أعلم^(١).

موقف الحكومة من بيع الكتب الإسلامية.

٣١ — هل تأذن الحكومة ببيع كتب إسلامية في المكتبات التجارية؟

الحكومة لا تأذن ولا تمنع رسمياً إلا إذا كان الكتاب يتطرق لأمر حساسة عند الدولة، أو يحدث خلافاً بين المسلمين، أو بين أهل الأديان الأخرى، فإنها تصادره ولا تأذن به، كما حدث في تركستان الشرقية، حيث ترجمت بعض الكتب الإسلامية إلى اللغة الويغورية، وبعض هذه الكتب تحث على الجهاد، وتعرض للأفكار الشيوعية بالنقد، فصادرتها الحكومية وأغلقت المكتبات التي كانت تبيع تلك الكتب، وكان من نتائج ذلك أن الحكومة منعت فتح المكتبات الإسلامية في بعض مدن تركستان.

وفي جامعة (أوروغجي) عاصمة (تركستان الشرقية) قام بعض الطلاب المسلمين من قومية (ويغور) بتوزيع نشرات من تلك الكتب في الجامعة، ف وقعت صدامات بينهم وبين رجال الحكومة، فكان هذا من أهم الأسباب لمنع الكتب والمكتبات الإسلامية.

المدن التي استوطنها المسلمون الأوائل.

٣٢ — ما المدن التي استوطنها المسلمون الأوائل:

أولها: مدينة (غوانغتشو) في جنوب شرق الصين، وهي عاصمة مقاطعة (كوان غدون).

(١) [اتفقنا على أنه لا بد من وضع خطة عمل لدعوة غير المسلمين، مع دعوتنا للمسلمين، لوجوب إقامة الحجّة على الناس].

ثانيها: مدينة (يانغتشو).

ثالثها: مدينة (تشياوتشو)، وتسمى مدينة الزيتون.

والمدن الثلاث كلها موانئ، لذلك سكنها المسلمون الأوائل، الذين جاءوا عن طريق البحر.

دليل معهد العلوم الشرعية لإعداد الدعاة والمعلمين^(١):

بعث لي الأخ محمد نوح بدليل منهج المعهد الذي يتولى الإشراف عليه، مع الأخ (محمد سعيد الدين) مدير المعهد المذكور، الذي زارني بمرتلي، بالمدينة المنورة — وهو المنزل الذي قابلت فيه الأخ (محمد نوح). وأخذت فيه عنه المعلومات السابقة. وكانت زيارة الأخ محمد سعيد الدين بتاريخ ١٩ رمضان من عام ١٤١٧ هـ — ٢٧ يناير ١٩٩٧ م، وقد زارني أيضاً في شهر رمضان من هذا العام ١٤٢٦ هـ وهذا نص الدليل:

المقدمة.

إنه مما لا شك فيه أن العلم أفضل ما يطلب، وأشرف ما يتصف به، وأعلى ما تبذل في تحصيله الجهود، فهو الأساس لمعرفة القيم، وهو الأساس للمحافظة عليها، وهو الوسيلة لصلاح جميع الأعمال دينية أو دنيوية، ولا نعني بالعلم — هنا — العلم الذي يستوي فيه الإنسان المؤمن والإنسان غير المؤمن، الذي قال الله ﷻ [فيه]: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾^(٢). وإنما نعني العلم النافع في الدارين: العلم الديني والدنيوي، العلم بالله ﷻ وبرسوله ﷺ، وبما أنزل على رسوله، والعلم الذي يتوصل به إلى تمييز النافع من الضار، وبذلك التمييز

(١) [منهج هذا المعهد — هنا — يعتبر نموذجاً لتأثير اتصال مسلمي الصين — وبخاصة الطلاب منهم — في هذه الفترة بالعالم الإسلامي، والفرق بين منهجهم ومنهج المدارس التقليدية التي لم تتح الفرصة للقائمين عليها للاتصال بالعالم الإسلامي].

(٢) سورة الروم الآية: ٧.

تحصل النتيجة الكبرى التي هي الأساس للنجاح في جميع الأعمال، والتي هي خشية الله ﷻ، قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١) العلم الذي يعقل به الإنسان الأمثال التي ضرها الله للناس، قال تبارك وتعالى: — بعد المثل الذي ضربه باتخاذ العنكبوت بيتاً، تشبيهاً للذين اتخذوا من دونه الأولياء بالعنكبوت: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(٢).

والمعنى هو التفقه في الدين، هو العلم بأحكام الله ﷻ، الذي هو من العلامات الدالة على إرادة الله ﷻ الخير. بمن فقهه فيه قال رسول الله ﷺ: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين). رواه مالك في الموطأ بسنده عن معاوية بن أبي سفيان ؓ.

الحديث رواه أهل الكتب التسعة كلهم، بعضهم عن معاوية، وبعضهم عن أبي هريرة، وبعضهم عن ابن عباس ؓ أجمعين.

العلم الذي احتل الصدارة في المدارس على عهد رسول الله ﷺ، وعلى عهد خلفائه الراشدين ؓ، حيث كان العلم الوحيد الذي يدرس في المساجد، والعلم الوحيد الذي يدرس في المدارس، فالتعليم هو الأساس للدعوة، وبه بدأت^(٣).

لقد بدأت الدعوة الإسلامية والتعليم الإسلامي، بأفضل داعية وأفضل معلم، وأحسن أسلوب وأنجح وسيلة، بدأت بسيدنا ورسولنا محمد ﷺ، كان الداعية الأول والموجه الأول والمعلم الأول، هو سيدنا ورسولنا محمد ﷺ، المرسل من رب

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

(٣) [لكن يجب أن يعلم أن الكتاب والسنة قد وردت فيهما نصوص كثيرة تدل على العناية بكل علم ينفع المسلمين وغيرهم، وأن العلوم التي تنفع الناس في دنياهم هي فرض كفاية على المسلمين، يأثمون بعدم وجود العلماء الكافين فيها، وأن من أتقن علوم الدنيا لله لعمارة الأرض مع ابتغائه بها رضا الله يكون مأجوراً عند الله.

فلا يجوز أن يفهم الناس أن الإسلام يهتم بالجانب العبادي المتعارف عليه عند كثير من المسلمين، كالصلاة... ويهمل العلوم الأخرى النافعة للمسلمين وغيرهم!].

العالمين للناس بشيراً ونذيراً، لإنقاذنا مما يضرنا في الدنيا والآخرة.
وكوسيلة لتعميم تبليغ الرسالة وتأكيدها لذلك، جاء الأمر من الله ﷻ في صيغة
الترغيب بقيام طوائف من الفرق للتفقه في الدين، وإنذار قومهم إذا رجعوا إليهم،
قال تبارك وتعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ
وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١).
انطلاقاً من هذا المبدأ العظيم في الإسلام، وتلبية لدعوة كتاب الله وسنة رسول الله
ﷺ إلى ضرورة نشر العلم بذلنا أقصى ما في وسعنا من الجهود لإقامة هذا المعهد
العلمي، ولوضع المناهج التعليمية، والله الموفق.

أهداف المعهد:

معهد العلوم الشرعية لإعداد الدعاة والمعلمين، إحدى المؤسسات العلمية التي قامت
على نفقات المحسنين، تحت إشراف مؤسسة الحرمين بالرياض، وهي ترمي إلى
أهداف سامية وأغراض نبيلة، لتثقيف أبناء المسلمين في الصين ثقافة دينية خالصة
نقية من شوائب الكفر والشرك والإلحاد والعلمانية، نابعة من المصدرين الأصليين:
كتاب الله وسنة رسوله.

وهذا المعهد أسس عام: ١٩٩٢م، وفيما يلي نذكر الأهداف السامية والأغراض
النبيلة التي أسس المعهد لتحقيقها:

الهدف الأول: تبليغ رسالة الإسلام ونشر الكلمة الخالدة، عن طريق دعوة
(الدعوة) إلى دين الله الحنيف.

الهدف الثاني: إعداد الرجال المثقفين بثقافة إسلامية خالصة، المؤمنين بالله واليوم
الآخر، إيماناً راسخاً، والواقفين بعقيدتهم ثقة تامة.

الهدف الثالث: تكوين معلمين متخصصين في العلوم الإسلامية والعربية، ومتزودين

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

بالعلوم والمعارف التي تؤهلهم للدعوة إلى الإسلام، لاجئين في تحليل المشاكل التي تعرض للمسلمين في شئون دنياهم وآخرتهم، إلى هدى كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، وفهم السلف الصالح، رضوان الله عليهم.

الهدف الرابع: تنمية الروح الإسلامية وتعميقها في حياة الفرد، وتوسيع التدين العملي في حياة المسلمين.

الهدف الخامس: تقوية الشخصية والنفسية الإسلامية، لغرس حب الإيمان والعقيدة في قلوب المسلمين.

الهدف السادس: تكوين مسلم صادق في عبادة الله، يخلص في عبادة الله واتباع سنة رسوله ﷺ.

الهدف السابع: دعوة الناس إلى دين الله القويم دعوة خالصة من العصبية الطائفية والتفرق الديني.

الهدف الثامن: السعي إلى نشر العلوم الشرعية الأصيلة، وتوحيد المناهج التعليمية بين المعاهد والمدارس الإسلامية.

النظام العام:

١ — إن هذا المعهد معهد إسلامي أهلي، لا علاقة له بالمعاهد الحكومية من ناحية المناهج التدريسية.

٢ — من أهم ما يهدف إليه المعهد: تكوين المعلمين المزودين بخير الزاد والتقوى، المؤمنين بخيرية الدعوة الإسلامية ونشرها بين الناس، المتفرغين للعمل الإسلامي كل التفرغ المتفقهين في دين الله، بحيث يقابلون المشاكل التي يوجهها المسلمون في دينهم ودنياهم، بحلول تمنح المسلمين الطمأنينة والأمن الاستقرار والسلام.

٣ — المعهد مشتمل على الأقسام الآتية:

أ — قسم إعداد الدعاة والمعلمين.

ب — قسم تمهيدي تحضيرى، لتعليم اللغة العربية، والعلوم الإسلامية الأساسية.

ج — فصول مسائية.

د — قسم الدعوة والترجمة.

٤ — تعتمد مالية المعهد وميزانيته على التبرعات والهبات، التي يقدمها أصحاب الخير إلى المعهد.

رئاسة المعهد: يتكون مجلس الرئاسة للمعهد من أربعة أعضاء:

١ — المدير العام للمعهد.

٢ — مدير الإدارة.

٣ — مدير الشؤون التعليمية.

٤ — مدير شؤون المالية.

وأما شؤون المدرسين والموظفين، فيديرها المدير العام نفسه.

مجلس الشورى: للمدير العام أن يستشير أصحاب العلم وذوي الخبرة في الأمور

المهمة. ويتكون هذا المجلس من جميع أساتذة المعهد وأصحاب العلم والفضل.

مجلس الإشراف التربوي: يتكون هذا المجلس من أربعة أساتذة، يهتم هذا المجلس

بالإشراف على النشاط العلمي والاجتماعي والرياضي.

التدريس في المعهد: هيئة التدريس تتألف من عشرة مدرسين منتظمين، واثنين غير منتظمين.

مدة الدراسة في المعهد.

١ — مدة الدراسة لقسم إعداد الدعاة والمعلمين سنتان.

٢ — مدة الدراسة للقسم التمهيدي (شعبة اللغة العربية) — سبقت تسميته بقسم

تمهيدي تحضير، لتعليم اللغة العربية، والعلوم الإسلامية الأساسية — ثلاث سنوات.

٣ — مدة الدراسة في الفصول المسائية ثلاثة أشهر، ووقت الدراسة من بعد المغرب إلى العشاء، وتقام طول السنوات.

طلاب المعهد.

١ — يتقاضى كل طالب في قسم إعداد المعلمين مكافأة شهرية، حسب استطاعة

المعهد وظروفه المالية.

٢ — يتحمل المعهد نفقات المعيشة لجميع الطلاب الذين يقيمون في سكن المعهد، حيث أعد لهم غرف واسعة تكفل لهم النوم والراحة.

٣ — يعير المعهد طلابه الكتب الدراسية المقررة في المناهج وغير ذلك من كتب المطالعة في مكتبته.

شروط القبول في المعهد.

١ — أن يكون مسلماً حسن الأخلاق، مستقيماً في دينه.

٢ — أن يتعهد بالتزام مبادئ المعهد، وأن يتخلق بالأخلاق الفاضلة داخل المعهد وخارجه.

٣ — أن يخضع الطالب لجميع الأحكام الشرعية.

هذه الشروط مطلوبة من جميع الطلاب في أقسام المعهد.

شروط القبول في قسم الدعاة (إعداد الدعاة) والمعلمين كالتالي:

١ — أن يكون حائزاً على شهادتي المرحلة الإعدادية الحكومية، والمرحلة الإعدادية الدينية، من إحدى المدارس الإسلامية أو ما يعادلها.

٢ — أن يكون لدى الطالب استعداد للتفهم والتكلم باللغة العربية.

٣ — أن يكون الطالب متفرغاً خلال مدة الدراسة.

٤ — ألا يكون عمر الطالب أكثر من (٢٥ سنة).

٥ — أن يكون عنده استعداد كافٍ للعمل في مجال الدعوة والتعليم بعد التخرج.

المكتبة:

المعهد له مكتبة متوسطة الحجم، فيها أنواع مختلفة من الكتب العربية وأمّهات المراجع، في العلوم الشرعية، وأخرى غير الدينية، مما يتعلق بالثقافة الصينية، يستخدمها الأساتذة في تثقيف الطلاب وتكوين شخصيتهم الإسلامية، ويستقي منها الدارسون والباحثون من الأساتذة والطلاب وغيرهم، ممن لهم صلة بالمعهد.

مسجد الإمام أبي حنيفة.

في داخل مبنى المعهد مسجد واسع، يقيم فيه الصلوات الخمس أساتذة وطلاب المعهد وموظفوه، وهم يحرصون على أداء الصلوات في أوقاتها مع الجماعة في المسجد، ويعين الأستاذ المناوب كل أسبوع لإمامة الصلوات الخمس في مسجد المعهد.

المطعم: للمعهد مطعم يقدم للطلاب والأساتذة المقيمين في المعهد الوجبات اليومية بالأسعار المناسبة.

النشاط الطلابي.

أولاً: النشاط الاجتماعي:

وقد شكل المعهد بعض الأنشطة الاجتماعية، حسب النظام المخطط لها، وأهم هذه الأنشطة ما يلي:

١ — الندوات العلمية

٢ — الرحلات الترفيهية التربوية.

٣ — زيارة المسلمين الفقراء في القرى.

٤ — زيارة دار الأيتام.

يقوم المعهد بهذه الأنشطة كلها بجد واجتهاد، وتقدم الجوائز للمتفوقين في هذه النشاطات، ويراقبها مجلس المراقبة المكون من أساتذة المعهد.

ثانياً: النشاط الرياضي:

ونشاط طلاب المعهد الرياضي يشمل كرة القدم، وكرة الطاولة، وكرة الريش، وكرة السلة، وهم في نشاطهم هذا يحتفظون بالشعائر الإسلامية وتعاليم الدين وآدابه في ملابسهم وسلوكهم.

مناهج الدراسة في المعهد.

الدراسة في المعهد تشتمل على مرحلتين:

١ — المرحلة التمهيدية، مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات.

٢ — المرحلة الثانوية (لإعداد الدعاة والمعلمين) مدة الدراسة فيها سنتان.
وهذه هي المناهج الدراسية في المرحلتين، وضعها عدد من الأساتذة الفضلاء الذين لهم معرفة جيدة في الدراسات الإسلامية والعلوم المعاصرة، ولهم خبرات طويلة في ميادين التدريس والتربية.

كتب للمراجعة والمطالعة.

في مادة التفسير:

- ١ — تفسير القرآن العظيم لابن كثير.
- ٢ — جامع البيان للإمام الطبري.
- ٣ — الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي.
- ٤ — الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.
- ٥ — فتح القدير للشوكاني.
- ٦ — التفسير المنير لوهبة الزحيلي.
- ٧ — في ظلال القرآن لسيد قطب.
- ٨ — تفسير الجلالين.
- ٩ — أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي.
- ١٠ — كتاب القاضي البيضاوي.

في السنة النبوية

- ١ — الصحاح الستة.
- ٢ — فقه السنة لسيد سابق^(١)..
- ٣ — مشكاة المصابيح للتبريزي.

(١) [هذا الكتاب يذكر في كتب الفقه، لأنه يتضمن الأحكام الفقهية واختلاف العلماء فيه... وقد ذكر في:

مادة الفقه، رقم: ٤].

٤ — الأربعون النووية.

٥ — رياض الصالحين للإمام النووي.

٦ — اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، لمحمد فؤاد عبد الباقي.

٧ — الجامع الصغير، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني^(١)..

٨ — السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي^(٢)..

في العقيدة:

١ — الإيمان لعبد المجيد الزنداني، وآخرين.

٢ — الإيمان: أركانه، حقيقته، نواقضه، لمحمد نعيم ياسين.

٣ — تعريف عام بدين الإسلام، للشيخ علي طنطاوي (الطنطاوي).

٤ — كتاب التوحيد لعبد المجيد الزنداني.

٥ — الفقه الأكبر، للإمام أبي حنيفة.

٦ — عقيدة المسلم لمحمد الغزالي.

٧ — الإيمان والحياة ليوسف القرضاوي.

٨ — شرح العقيدة الطحاوية.

في السيرة النبوية وتاريخ الإسلام العام.

١ — الرحيق المختوم — عبد الرحمن صفى الدين المبارك فوري.

٢ — السيرة النبوية الصحيحة، لأكرم ضياء العمري.

٣ — سيرة خاتم النبيين لأبي الحسن الندوي.

٤ — النبي الخاتم، لأبي الحسن الندوي.

(١) [الشيخ الألباني له: صحيح الجامع الصغير وزياداته، وضعيف الجامع الصغير وزياداته. أما الجامع الصغير فهو للإمام السيوطي].

(٢) [هذا الكتاب يعد من كتب: (علوم الحديث) التي ذكرت في: خطة الدراسة، رقم (١٥) ولم يذكر شيء من كتبها].

٥ — السيرة النبوية — دروس وعبر، لمصطفى السباعي.

٦ — سيرة ابن هشام.

٧ — فقه السيرة لمحمد الغزالي.

٨ — تاريخ الخلفاء الراشدين، لمحمود شاكر.

٩ — تاريخ الخلفاء الراشدين، للسيوطي.

١٠ — تاريخ الإسلام، لحسن إبراهيم.

في مادة الفقه وأصوله:

١ — بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد.

٢ — الفقه الإسلامي وأدلته، لوهبة الزحيلي.

٣ — المبسوط، للسرخسي.

٤ — فقه السنة لسيد سابق.

٥ — الفقه على المذاهب الأربعة، لعبد الرحمن الجزيري.

٦ — شرح الوقاية...

٧ — الاختيار لتعليل المختار، لعبد الله بن محمود بن المودود الموصللي الحنفي.

٨ — المغني لابن قدامة المقدسي.

٩ — فقه العبادات، لنجاح الحلبي.

١٠ — نور الإيضاح ونجاة الأرواح...

١١ — علم أصول الفقه، لعبد الوهاب خلاف.

١٢ — أصول الفقه الإسلامي، لوهبة الزحيلي.

١٣ — الموجز في أصول الفقه...

١٤ — الوجيز في أصول الفقه، لعبد الكريم زيدان.

١٥ — روضة الناظر لابن قدامة.

في مادة التربية:

١ — تربية الأولاد في الإسلام، لعبد الله ناصح علوان.

- ٢ — منهج التربية الإسلامية لمحمد قطب (ينبغي الاهتمام بالجزء الثاني).
٣ — ماذا يعني انتمائي للإسلام — فتحي يكن.
٤ — السلوك الاجتماعي في الإسلام — حسن أيوب.
٥ — إحياء علوم الدين (مختارات...) للإمام الغزالي.
في أصول الدعوة.

- ١ — أصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان.
٢ — تذكرة الدعاة، للبهى الخولي.
٣ — ثقافة الداعية ليوسف القرضاوي.
٤ — كيف ندعو إلى الإسلام — فتحي يكن.
٥ — كيف ندعو الناس، لعبد البديع صقر.

في اللغة العربية وآدابها:

- ١ — لسان العرب.
٢ — المعجم الوسيط.
٣ — المنجد (الأولى ألا يرجع إليه إلا من عنده من العلم ما يقيه من سمومه).
٤ — إعراب القرآن وبيانه.
٥ — ضياء السالك إلى أوضح المسالك.
٦ — شرح ابن عقيل.
٧ — علم البلاغة.
٨ — تاريخ الأدب العربي، لحسن الزيات.
٩ — قواعد اللغة العربية.

خطة الدراسة في قسم إعداد الدعاة والمعلمين:

المواد المقررة للسنتين:

- ١ — القرآن الكريم تلاوة وحفظاً.
٢ — التفسير.

- ٣ — علوم القرآن
- ٤ — الحديث.
- ٥ — علوم الحديث.
- ٦ — التوحيد.
- ٧ — التربية الإسلامية.
- ٨ — السيرة النبوية.
- ٩ — الفقه.
- ١٠ — أصول الفقه.
- ١١ — أصول الدعوة.
- ١٢ — الصرف والنحو.
- ١٣ — اللغة العربية.
- ١٥ — اللغة الصينية.
- ١٦ — طرق التدريس.
- ١٧ — التعبير العربي.
- ١٨ — تاريخ التشريع الإسلامي.
- ١٩ — علم النفس.

خطة الدراسة في قسم إعداد الدعاة والمعلمين:

المواد المقررة للسنة الأولى:

- ١ — القرآن الكريم تلاوةً وحفظاً.
- ٢ — التفسير.
- ٣ — الحديث.
- ٤ — التوحيد.
- ٥ — التربية الإسلامية.
- ٦ — السيرة النبوية.

٧ — الفقه.

٨ — أصول الفقه.

٩ — الصرف والنحو.

١٠ — اللغة العربية.

١١ — الصينية (اللغة..).

١٢ — التعبير العربي.

١٣ — علم النفس.

مجموع المحاضرات في الأسبوع = ٣٠

مجموع المحاضرات في السنة = ١٠٨٠

خطة الدراسة في قسم إعداد الدعاة والمعلمين:

المواد المقررة:

١ — القرآن الكريم تلاوةً وحفظاً.

٢ — التفسير.

٣ — الحديث.

٤ — التوحيد.

٥ — التربية الإسلامية.

٦ — التاريخ الإسلامي.

٧ — الفقه.

٨ — تاريخ التشريع.

٩ — الصرف والنحو.

١٠ — أصول الدعوة.

١١ — علوم القرآن.

١٢ — علوم الحديث.

١٣ — طرق التدريس.

١٤ — فن الترجمة.

مجموع المحاضرات في الأسبوع = ٣٠

مجموع المحاضرات في السنة = ١٠٨٠

خطة الدراسة للقسم التمهيدي (شعبة اللغة العربية)

المواد المقررة في ثلاث سنوات:

١ — القرآن الكريم تلاوةً وحفظاً.

٢ — الحديث الشريف.

٣ — الفقه.

٤ — التوحيد.

٥ — علوم القرآن.

٦ — علوم الحديث.

٧ — أصول الفقه.

٨ — السيرة النبوية.

٩ — التربية الإسلامية.

١٠ — أصول الدعوة.

١١ — التفسير.

١٢ — اللغة العربية.

١٣ — الصرف.

١٤ — النحو.

١٥ — المحادثة.

١٦ — فهم المسموع.

١٧ — المطالعة.

١٨ — الترجمة.

١٩ — الصينية.

(١) منهج الدراسة للسنة الأولى:

المواد المقررة	الفصل الأول	الفصل الثاني
القرآن الكريم	مخارج الحروف مع تلاوة قصار السور	تلاوة الطالب بنفسه وحفظ بعض السور
اللغة العربية	ابتداء من الحروف العربية إلى تعلم المفردات والجمل والنصوص القصيرة	محاولة قراءة وفهم بعض النصوص
الصرف	اشتقاق الأفعال	الحروف والأسماء
النحو	تكوين الجمل الاسمية والفعلية	القواعد الأساسية الأخرى
التوحيد	أركان الإسلام	أركان الإسلام
الفقه	أحكام الطهارة	أحكام الصيام
المحاضرة	التدرب على التعبير الشفوي	التدرب على التعبير الشفوي
الحديث	قراءته وفهم الأحاديث المتعلقة بفضل العلم	قراءته وفهم الأحاديث المتعلقة بفضل العلم
فهم المسموع	التدرب على فهم المسموع من النصوص والقصص	التدرب على فهم المسموع من النصوص والقصص
اللغة الصينية	الكتاب المقرر للثانوي	الكتاب المقرر للثانوي

(٢) منهج الدراسة للسنة الثانية:

المواد المقررة	الفصل الأول	الفصل الثاني
القرآن الكريم	تلاوة وحفظ جزء عم	تلاوة وحفظ جزء عم
اللغة العربية	فهم وترجمة النصوص العربية	فهم وترجمة النصوص العربية
الصرف	اشتقاق الأفعال	الاسماء والحروف
النحو	قواعد اللغة العربية	قواعد اللغة العربية
التوحيد	أركان الإيمان	أركان الإيمان
التفسير	دراسة تفسير جزء عم
الفقه	أحكام الصيام والحج	أحكام الزكاة
الحديث	متن الأربعين النووية	الأحاديث المختارة
المحادثة	تدريب على التعبير الشفوي	تدريب على التعبير الشفوي
فهم المسموع	فهم النصوص الملفتة ؟ من قبل المدرس	فهم النصوص الملفتة ؟ من قبل المدرس
اللغة الصينية	الكتاب المقرر للثانوية العامة	الكتاب المقرر للثانوية العامة
السيرة النبوية	من ولادة النبي إلى البعثة	من البعثة إلى الدعوة
التربية الإسلامية	الإسلام وتربية الفرد	تربية الأسرة والمجتمع
المطالعة	مطالعة النصوص العربية	مطالعة النصوص العربية

(٣) منهج الدراسة للسنة الثالثة:

المواد المقررة	الفصل الأول	الفصل الثاني
القرآن الكريم	تلاوة وحفظ جزء الملك	تلاوة وحفظ جزء الملك
اللغة العربية	القواعد والتدريبات	القواعد والتدريبات
التوحيد	التوسع في شرح عقيدة أهل السنة	التوسع في شرح عقيدة أهل السنة
التفسير	دراسة تفسير الجلالين	دراسة تفسير الجلالين
الحديث	اللؤلؤ والمرجان	اللؤلؤ والمرجان
الفقه	فقه المعاملات	فقه المعاملات
علوم القرآن	أنواع التفسير والناسخ والمنسوخ	العام والخاص والمجمل والمفصل
علوم مصطلح الحديث	مصطلح الحديث	فهم النصوص الملفتة ؟ من قبل المدرس
أصول الفقه	الأحكام التكليفية والوضعية	الأدلة الشرعية
السيرة النبوية	من الدعوة السرية إلى الهجرة	الهجرة والغزوات ووفاة الرسول
التربية	الحديث والثقافة	تركية النفس
الترجمة	قواعد الترجمة بين العربية والصينية	التطبيق
الصينية	الكتاب المقرر للثانوية العامة	الكتاب المقرر للثانوية العامة
أصول الدعوة	الداعي والمدعو	وسائل الدعوة

حوار مع المسلم الصيني الأخ: علي بن محمد (MA SHOUMING):
تاريخ الميلاد نوفمبر سنة ١٩٦٩م.

وهو متزوج وعنده بنت واحدة وعمرها: ثمانية أشهر، واسمها جميلة.
والداه لا زالا موجودين. ويسكن معهما. وعمله في: محافظة: غوان خو في
مقاطعة قانصو، مع الأخ محمد نوح، للقيام بالتدريس في المعهد.
مكان الميلاد: في مدينة: XINING وهي عاصمة مقاطعة تشنغهاي.
المسلمون في مقاطعة: تشنغهاي.

عدد سكان المقاطعة (أربعة ملايين ونصف) عدد المسلمين: (مليون وثلاثمائة ألف
نسمة) عدد المساجد: في مدينة: شينينغ XINING: (خمسة وثلاثون مسجداً)،
وعدد المساجد في المقاطعة: (خمسمائة مسجد على الأقل).
أحوال المسلمين الاقتصادية: أكثر المسلمين يعملون في التجارة، ولا يحبون الأعمال
الحكومية. ونسبة الأغنياء من المسلمين أكثر من غيرهم.
التعليم وتمسك المسلمين بالإسلام.

تمسك المسلمين بالإسلام، غالبهم لا يحافظون على أركان الإسلام، إلا أنهم في
شهر رمضان يصوم ٩٠% منهم، وغالب الذين يحافظون على الصلاة لا يلتزمون
بكثير من أمور الإسلام في حياتهم العملية وبخاصة في التجارة.
غالب الموظفين في الدوائر الحكومية غير مسلمين، ويوجد بها عدد قليل من
المسلمين، وغالبهم في وظائف صغيرة.

مدارس المسلمين أغلقت بعد وجود المظاهرات التي حصلت في المنطقة احتجاجاً
على الكتب التي نشرت في تشويه الإسلام. ولكن المسلمين يدرسون أبناءهم في
المساجد. ويوجد علماء من المسلمين في المنطقة يدرسون في المساجد منذ فتحت
المساجد سنة ١٩٧٩م، وهم أئمة المساجد، ولكن كثيراً من هؤلاء العلماء ليس
عندهم فقه في الدين كما ينبغي، بل يدرسون بعض الكتب دراسة حرفية بدون

فهم، وليس لهم معرفة بأساليب الدعوة، وغالبهم ضعفاء في اللغة الصينية، وهذا جعل بينهم وبين الشباب المسلم فجوة، لأنهم لا يقدرّون على جذب الشباب بالأسلوب المناسب، والغالب أنهم يعطّون كبار السن من المسلمين.

دعوة غير المسلمين.

هل يوجد من يقوم بدعوة غير المسلمين من هؤلاء العلماء؟

الجواب: لا يوجد من يقوم بذلك، لأن العلماء يقولون: لا يجوز التحدث مع غير المسلمين ولا مجالستهم! ولكن بعض الناس من غير المسلمين يقرأ بعض الكتب الإسلامية ويقتنع بالإسلام فيدخل بالإسلام من عند نفسه، وبعضهم يأتي إلى المسجد ليسأل عن الإسلام، فلا يجدون عند العلماء الجواب الذي يزيل عنهم الشبهة ويقيم عليهم الحجة.

ويمكن دعوة غير المسلمين بأساليب كثيرة، إما عن طريق النشرات والكتب، أو بالاتصال الشخصي. وإذا وجدت طرق وأساليب مناسبة للدعوة وفهمها غير المسلمين، فإنهم يتأثرون بذلك، وقد يقتنعون بالإسلام، ولكن الإعلان عن دخولهم في الإسلام فيه صعوبة، وبعضهم قد يتغلب على ذلك ويعلن عن إسلامه.

وقد دخل في الإسلام في مسجدنا عشرة أشخاص تقريباً خلال سنتين، بعضهم بواسطة بعض المسلمين وغالبهم جاءوا بأنفسهم.

والصينيون شديّدو التمسك بتقاليدهم، ولذا قد يكون من الصعب دخولهم في الإسلام^(١).

ولكن ليس معنى هذا أنهم لا يدخلون في الإسلام أبداً، بل الأحداث تدلّ أنهم إذا وجد من يدعوهم قد يتأثرون بالدعوة ويدخل بعضهم في الإسلام، كما حصل في

(١) [وكثير من التقاليد خرافات، بدليل قول الأخ قبل قليل: (غالبهم لا يحافظون على أركان الإسلام)، ولذا لا يرى غير المسلمين في تلك التقاليد ما يجذبهم إلى الإسلام].

منغوليا الداخلية.

تماسك الأسر الصينية:

والصينيون شديداً التماسك الأسري، لأن الأولاد لا يتركون أسرهم إلا بعد مقدارهم على الاستقلال، وليس كالمجتمعات الغربية، يخرج الأولاد عند سن معينة حيث شاءوا، ولذا إذا دخل الصيني في الإسلام يخاف من طرد أسرته له. وقد يحصل شيء من التفرق في الأسر الصينية، بسبب وجود فرص عمل تفرق بينهم، ولكن ذلك لا يعني التفكك.

التفسخ الأخلاقي بعد الانفتاح وسببه:

والذي حصل بعد الانفتاح هو التفسخ الأخلاقي في الشباب، وبخاصة النساء، وقد كان الصينيون يحرصون على حشمة النساء، بل يشددون فيها حتى إن من تعاليم كونفوشيوس أن المرأة إذا أرادت أن تعطي الرجل شيئاً لا تقدمه له بيدها، وإنما تضعه في شيء وهو يأخذه.

وكانوا في عهد ماو يقتلون المرأة والرجل إذا حصلت بينهما فاحشة، والسبب في ذلك — مع أن الشيوعية تدعو إلى الإباحية — أن الحكومة كانت تريد السيطرة على الشعب عن طريق بقاءه على التمسك بتقاليده، وذلك لأن الشعب إذا ترك تقاليده قد يؤثر فيه الغريون بسياساتهم الرأسمالية، وكان ماو قبل اعتناق الشيوعية قد ترعرع في التقاليد الصينية وتأثر بها كثيراً، ولهذا بقي ملتزماً بها حتى بعد الشيوعية، ولم يسمع في توجيهاته وأنظمته ما يدعو إلى الإباحية.

ولكنه من الناحية العملية تسبب في حصول الفساد الاجتماعي، من حيث جمع الناس في مختلف الأعمار في مراكز معينة (كالتنونات) ويمكن تسميتها بالقرى الشعبية، وكان يجتمع فيها النساء مع الرجال.

وكان ماو أشد المسؤولين في محاربة الدعارة، حيث أغلق كل أماكن الفساد في عهده.

الجماعات الإسلامية:

الجماعات الموجودة في قانصو موجودة في هذه المنطقة.

والجماعة الأقوى في المقاطعة هي جماعة الإخوان^(١)..

تأثير المسلمين بالخرافات الصينية:

وتوجد خرافات كثيرة عند القبور، كالترك، وبعضهم قد يسجد للقبر تعظيماً لصاحب القبر اعتقاداً منهم أن صاحب القبر وسيلتهم إلى الله.

والمسلمون الصينيون يتأثرون في كثير من خرافاتهم وعاداتهم بغير المسلمين من الصينيين في شئون الموتى والجنازات والزواج وغيرها بسبب جهلهم واختلاطهم بهم.

والعلماء والأئمة لا يعرفون اللغة الصينية، ولا يفقهون حقيقة الإسلام، ولا يقدرّون على إيصال حقيقة الإسلام إلى غير المسلمين ولا إلى الشباب المسلم المثقف، وإنما يعظون من يأتيهم من كبار المسلمين إلى المساجد بلهجتهم.

وأما الكتابة فلا يعرفها غالبهم، والذين عندهم معرفة باللغة والكتابة من المسلمين ليسوا ملتزمين بالإسلام ولا يستفاد منهم لأنهم لا يعرفون عن الإسلام ما يمكنهم من الكتابة المفيدة ولو اجتمع الصنفان وتعلم كل منهم ما عند الآخر لحصلت فائدة من ذلك، ولكن علماء المساجد لا يرضون بذلك احتقاراً لعلماء الجامعات.

التعليم والتربية.

المساجد لا يوجد نظام معين للتدريس فيها، فإذا جاء والد الطفل مهدية إلى المدرس قبله، ويبقى الطلاب فترة طويلة يتعلم ولا يتقن العلوم، لأنهم ليس عندهم نظام للتعليم ولا الأساليب الجديدة للتربية والتعليم، ويشغلون طول حياتهم باللغة العربية، ولكنهم لا يكتبون بها ولا يتكلمون ولا يفهمون الكلام، وإذا جاء أحد من العرب لا يجد مترجماً إلا من الكفار في الغالب.

(١) [يراجع ما ذكر في حوار الأخ محمد نوح].

وإذا أراد طالب من طلابهم التحدث باللغة العربية يمنعونهم من ذلك، ويرون أنه لا يصلح الخروج عن تعلم الكتاب فقط.

حوار مع الطالب الصيني (سعيد بن حسن) (CHEN):

الأحد: ١٧/١/٢٣هـ - ١٩٩٦/٦/٩م.

١ — ولد سنة ١٩٦٠م في مقاطعة هينان (وهي جزيرة)، في مدينة: سانيا، وتعتبر المدينة الثانية في هينان، وتقع في جنوب المقاطعة^(١).

٢ — كان يدرس مبادئ الإسلام هو وبعض الأطفال المسلمين سرّاً في المنازل، لأن الحكومة كانت تحظر عليهم دراسة الدين الإسلامي واللغة العربية في عهد ماو تسي تونج. وبعد أن تخرج من الثانوية الحكومية تعلم في أحد مساجد سانيا، بعد موت ماو، حيث جاءهم معلم من (لينشا — قانصو) تعلم قراءة الحروف العربية وبعض السور القصيرة.

٣ — ثم سافر إلى منطقة (يوتان) درس في قرية: ناجاين عند الشيخ بدر السدين، وهي في شرق مدينة: كومنج، من سنة ١٩٧٩ إلى ١٩٨٢م، تخرج مع ستة من الطلاب المسلمين، وكانوا أول دفعة تتخرج من هذا المسجد بعدما سمح بحرية الأديان.

٤ — ورجع إلى هينان، وقام بتدريس الأطفال في مسجد: نان هوي شين في مدينته، وهذه هي المنطقة التي يكثر فيها المسلمون.

٥ — التحق بمعهد العلوم الإسلامية في بكين سنة ١٩٨٣م وتخرج منه سنة ١٩٨٨م.

٦ — رجع إلى بلده موظفاً في فرع وزارة القوميات والأديان.

٧ — وبعد ثلاثة أشهر جاءه إلى هينان إشعار قبوله بالجامعة الإسلامية بالمدينة

(١) انظر الصور رقم (٥٣ و ٥٤) في ملحق الصور.

المنورة، وكان قد قابله وفد الجامعة في بكين في سنة ١٩٨٨م.

٨ — فترك العمل وجاء إلى الجامعة الإسلامية للدراسة في سنة ١٩٨٩م.

٩ — درس في شعبة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها سنة ونصف.

١٠ — ثم التحق بكلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة، سنة ١٤١١هـ وتخرج في الكلية سنة ١٤١٥ — ١٤١٦هـ.

١١ — متزوج وله ست بنات أكبرهن عمرها ١٢ سنة وتسمى: آمنة.

معلومات عن مقاطعة هينان:

مساحة هينان: ٣٤ ألف كيلو متر مربع.

وطول الجزيرة أكثر من ثلاثمائة كيلو متر، وعرضها مائة وثمانون كيلو متراً. وهي الجزيرة الثانية من حيث الكبر في الصين بعد تايوان. وموقعها الجغرافي مهم جداً. وبها ثلاث مدن وست عشرة محافظة. وتتبع الجزيرة أربع جزر صغيرة، وكلها مأهولة بالسكان. عدد سكانها: (٧ ملايين).

المسلمون في جزيرة (هينان):

عدد المسلمين: (أكثر من سبعة آلاف مسلم)، وهم يسكنون في منطقتين، وهما (هوي شين، وهوي وي) لا يخالطهم غير المسلمين فيهما. عدد المساجد في هوي شين مسجدان، وفي منطقة: هوي وي خمسة.

عدد المدارس الإسلامية: أربع مدارس، اثنتان للأبناء، واثنتان للبنات.

آثار عدوان الحكومة الشيوعية على المسلمين.

وكان يوجد علماء من المسلمين قبل الثورة الشيوعية، يزيدون على عشرين عالماً، وقد قامت الثورة بتعذيبهم وسجنهم وأجبروهم على أكل لحم الخنزير، والإكراه على القول: بأنه لا إله، ونقلوهم إلى المناطق الأخرى بين القوميات غير الإسلامية وذلك لزيادة التنكيل بهم، حيث يجمعونهم كل أسبوع، ويضربونهم ويعذبونهم، حتى مات كثير منهم بسبب التعذيب في السجن، وبعضهم عذبوهم حتى ضعفوا ورجعوا إلى منازلهم وماتوا بها. وكان من ضمن الذين فتنتهم الحكومة والد سعيد،

ويسمى: (حسن تشن زي شان) وكان خبيراً بالإدارة..

ولد سنة: ١٩٢٦م. وكان رئيس منطقة في سانبا. وتوفي سنة ١٩٨١م.

وكان شباب المسلمين يحاولون الدفاع عن العلماء وكبار السن ويتحاربون مع رجال الحكومة، ولذلك أدخلوهم في السجون، من سن ١٤ سنة إلى ٦٠. وقد هدموا المساجد في الجزيرة، ومنها ثلاثة مساجد كانت قديمة، وكل المساجد الموجودة الآن بنيت من جديد.

وكان يوجد بين المسلمين أغنياء في الجزيرة، وكان غير المسلمين يخدمون عندهم، ولكنهم أذلوا المسلمين وأفقروهم فأصبح كثير منهم لا يملكون شيئاً. الطلاب الذين درسوا في داخل الصين وخارجها.

ويوجد عندهم عدد من طلبة العلم الذين تخرجوا من شعبة تعليم اللغة العربية، وبعضهم درسوا في بعض كليات الجامعة الإسلامية في المدينة، ولم يكملوا دراستهم، وبعضهم درسوا في الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد، وبعضهم تخرجوا في معهد تعليم اللغة العربية في جامعة الملك سعود بالرياض، وبعضهم درسوا في بعض مدارس سوريا، ولم يكملوا دراستهم، وعددهم مائة طالب، ويقوم خمسون منهم بتعليم أولاد المسلمين، وبعضهم يقومون بأعمال تجارية.

ودرس أحدهم في جامعة مشهد في إيران في السنة الدراسية الماضية، ورجع قبل الحج، وهو يدعو إلى المذهب الشيعي، وأمر أقرباءه بتعليق صور الخميني في منازلهم، ويقول للناس: إن الأحاديث التي درسها في إيران هي أصح من البخاري ومسلم! والطلاب الذين تخرجوا في مساجد الصين، غالبيتهم درسوا في يونان وقانصو.

دخول الإسلام إلى الجزيرة.

متى دخل الإسلام إلى جزيرة (هينان)؟

كان بعض التجار العرب والفرس قد وصلوا إلى الجزيرة وسكنوا فيها من سنة ٧٤٢ إلى ٧٥٥م قبل أن يدخل الإسلام.

ودخل الإسلام إلى الجزيرة في القرن التاسع الميلادي، سنة ٩٥٧.

وكان دخول الإسلام إلى الجزيرة في مرحلتين:

المرحلة الأولى: سنة ٩٨٦م. من فيتنام من مدينة: (جان تشن) في عهد أسرة (باي تسونغ).

المرحلة الثانية: بعد خمسمائة سنة، أي حوالي ١٤٨٦م في عهد أسرة: مينغ. والمسلمون القدامى في هينان هم من العرب والفرس والفيتنام وتوجد لوحات لقبور بعض المسلمين في الجزيرة..

وكانوا في أول الأمر يسكنون في أماكن متفرقة من الجزيرة وتوجد قبور كثيرة للمسلمين في محافظة: "وان نين" (كانت تسمى في القدم: وان تشونغ)، والحكومة تحافظ على هذه القبور، لأنها تعتبرها من الآثار. والمسافة بين هذه البلدة وبين مدينة: سانبا: ١٦٠ كيلو متر. ولا يوجد الآن في هذه البلدة أحد من المسلمين، وهي تقع على الساحل في جنوب الجزيرة.

وتوجد مقابر قديمة للمسلمين في محافظة: (لين صي)، والمسافة بينها وبين: سانبا ٨٠ كيلو متر. وتوجد مقابر أيضاً في منطقة: (تان شو)، والمسافة بينها وبين سانبا ٤٠ كيلو متراً. وفي شرق الجزيرة توجد مقابر مسلمين، ولازال ذراريهم موجودين، ولكنهم لا يسمون أنفسهم مسلمين، ولا يأكلون لحم الخنزير، ويوجد لديهم مصحف، وفي الأخشاب الموجودة في بيوتهم توجد آيات قرآنية منحوتة بخط جميل، ويسمون (تشان تشو) وليس لهم دين معين، وهم وثنيون، وعددهم ربع مليون تقريباً.

وقد دعا المسلمون في الجزيرة بعض الأسر منهم إلى الانتقال إليهم، فسكنت أربعون أسرة، وبدءوا يصلون ويصومون وتسمو بأسماء إسلامية، ولكن غالبهم رجعوا إلى بلادهم وتركوا الإسلام، والذين بقوا بين المسلمين بعضهم بقي على الإسلام وبعضهم تركوه.

والأغنياء من المسلمين في الجزيرة قليلون جداً. والرجال لا يقومون بالعمل، إلا الذين يعملون في الحكومة والسبب أن الحكومة الشيوعية كانت تؤذي المسلمين في

أعمالهم، فاضطروا لتكليف النساء بالعمل، وهم يقعدون في المنازل لرعاية الأولاد، وتعودوا على ذلك.

والموظفون في الأعمال الحكومية من المسلمين كثير، وبعضهم في وظائف كبيرة، ويتعاونون مع المسلمين، ومنهم نور الدين الذي هو نائب رئيس المدينة. وتسمى الصين هذه الجزيرة: (جوهرة الصين) لكثرة خيراتها من الغابات والأشجار والثمار والفواكه، كما يوجد فيها معادن الحديد وغيره، وبها مصنع كبير للملح، وفيها بترول.

وتقع هونغ كونغ شمال شرق الجزيرة، وتبعد عنها ثلاثمائة وخمسين كيلو متراً. طلاب من الجزيرة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

ويوجد في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ستة طلاب من أبناء الجزيرة، اثنان في السنة الأولى من كلية الدعوة، وواحد في السنة الرابعة من كلية الشريعة، وواحد تخرج في الشعبة وذهب إلى الصين، وكان إماماً في مسجد نان هوي شين ومدير مدرسة، وأمين سر فرع الجمعية الإسلامية، ويوجد اثنان الآن في الشعبة بالجامعة. مناهج التعليم الإسلامية في المساجد والمدارس، ضعيفة لأن الأساليب التي يسيرون عليها قديمة.

وأشهر كتاب يوجد في الجزيرة كتاب ألفه باللغة الصينية الأستاذ: دين جين يي، وهو من مدينة: (غوي لين) في مقاطعة: (غوان سي)، وقد عذبت الحكومة حتى توفي في عهد ماو. و الكتاب يتعلق بأركان الإسلام وبعض الأحكام الإسلامية.

علماء التاريخ كتبوا عن المسلمين في الجزيرة.

وقد زار الجزيرة بعض علماء التاريخ من البريطانيين والألمان واليابانيين، وألفوا كتباً عن المسلمين في الجزيرة، ومنهم: (ROBERT SWINHOE) وهو بريطاني، ومعه: (MAYERS — WM. FREDERICK) زاروا المدينة سنة ١٨٧٢م وغيرهم وذكروا أن المسلمين العرب وفدوا إلى الجزيرة سنة ٩٨٦م، وذكروا أن سفناً كثيرة للعرب جاءت إلى الجزيرة سنة ١٣٧٠م في منطقة: وان تشونغ،

وتسمى الآن وان نينغ، وسكنوا في هذه المنطقة، وهي التي توجد بها قبور المسلمين الآن، ولا يوجد بها سكان من المسلمين الآن.

ووفد كذلك علماء ألمان سنة ١٩١١م وكتبوا عن الجزيرة، وكتاباتهم تتفق في المعلومات عن المسلمين مع علماء بريطانيا.

وأحد علماء اليابان (تشان يوان سي تشا) ألف كتاباً يبحث في تاريخ رجل مسلم يسمى: (بو تشوي غان) وذكر في هذا الكتاب أن مجيء المسلمين العرب جاءوا في عهد أسرة (تشونغ) وفي عهد أسرة (يوان). وذكر أن (بو تشوي غان) كان أغني سكان الجزيرة، وهو مسلم من نسل العرب.

وذكر العالم الياباني أنه في عهد (تاي جون يوان سي) من أسرة (تشونغ) جاءت أسرة مسلمة كبيرة من فيتنام إلى الجزيرة. ووافق العالم الياباني على ما سجله من معلومات بعض علماء أوروبا.

(هذه المعلومات ترجمها الأخ سعيد حسن من كتاب يسمى: حضارة الإسلام في جزيرة هينان، والذي ألف الكتاب: جيان يا وهو صيني غير مسلم يبحث في القوميات، وشاركه في تأليف الكتاب: دون تشاي جين، وهو غير مسلم ولا زالا يعيشان إلى الآن، وهما من سكان الجزيرة والأول: مدير مكتب البحوث في شئون القوميات في مقاطعة: غوان دونغ، والكتاب باللغة الصينية، والثاني مدير مكتب البحوث في شئون القوميات في هينان، نشر الكتاب سنة ١٩٩١م وطبع الكتاب في جامعة: جون سان).

مقابلة مع الطالب الصيني (عبد الرحمن):

الثلاثاء ١٦/٢/١٤١٧هـ — ١٩٩٦/٧/٢م.

اسمه الصيني: (خا خوي جنغ HA HUI CHANG).

ولد بتاريخ ٢١/٣/١٩٧٠م، في مدينة (كانتون CANTON). وهي عاصمة مقاطعة: (غوانغ دونغ GUANG DONG). وهي في الجنوب الشرقي من الصين. درس من الابتدائي إلى الكلية في نفس مدينته، درس في كلية الطب، أربع سنوات،

طب عام. ولم يتخرج من الكلية، إذ كان بقي عليه سنة للتمرين في المستشفى، ولكنه قُبِلَ في الجامعة الإسلامية سنة ١٩٩٣م فقطع التدريب بعد أن أمضى فيه ثلاثة شهور وحضر إلى المدينة لدراسة العلوم الإسلامية.

دراسته الطب كانت سبباً في طلبه الدراسات الإسلامية.

وقال الأخ عبد الرحمن: إنه لولا التحاقه بكلية الطب لما فكر في دراسة العلوم الإسلامية وهاجر من أجلها.

قلت له: كيف ذلك؟

قال: كان والدي ينهاني قبل الدراسة في كلية الطب عن أكل لحم الخنزير، وأنا لا أدري سبب نهي عنه، فلما دخلت كلية الطب قرأت بحثاً يتعلق بالقرآن والعلم، وبخاصة ما يتعلق بالجنين وأطواره في القرآن والطب، وهذا البحث كان خلاصة لمؤتمر عقد في الباكستان فلما قرأت ذلك علمت عظمة الإسلام، ودفعني إلى ترك إتمام تدريبي في الطب الذي لم يبق علي فيه إلا أقل من سنة، وهاجرت لطلب العلم في المدينة المنورة، وقال: إن مثل تلك الطريقة مفيدة جداً في الدعوة إلى الإسلام.

التحق بشعبة اللغة العربية في الجامعة الإسلامية في شهر ١١ من عام ١٩٩٣م.

ولا زال والداه على قيد الحياة، عمر والده: ٦٣ سنة، وجده أبو أييه عمره ٩٣ سنة ولا زال حياً أيضاً، وعمر أمه: ٥٠ سنة.

وله أخ أكبر منه عمره ٢٩ سنة. وتسكن أسرته الآن في أستراليا منذ سنة واحدة، في مدينة (سدني). لأن أخاه يعمل هناك. ولا يريدون الرجوع إلى الصين. الجامعة التي درّس فيها تسمى جامعة الطب والصيدلة.

المسلمون في مقاطعة: (غوانغ دونغ GUANG DONG).

ويكثر المسلمون في مدينتين من مقاطعته، وهما (كانتون) و(جاو تشينغ ZHAO QING). عدد المسلمين في (كانتون) خمسة آلاف مسلم (في حدود ألف أسرة)،

وعدد المسلمين في مدينة (جاو تشينغ) ألفا مسلم تقريباً. أما بقية مدن المقاطعة فلا يوجد فيها أحد من المسلمين^(١).

جامع الشوق إلى النبي ﷺ!

كان عدد المساجد في مدينة (كانتون) ثلاثة قبل الحكم الشيوعي، وفي عهد ماو تسي تونج صادروا مسجدين وجعلوهما مصنعين، وبقي مسجد واحد فقط، وهو أقدم مساجد الصين، يتسع لخمسمائة مصلي داخله، بخلاف الساحات.

ويسمى باللغة العربية: (جامع الشوق إلى النبي ﷺ).

كان بناء المسجد سنة ٦٥٢م تقريباً. في عهد أسرة: (تانغ).

ويفتح المسجد في الساعة الثامنة صباحاً ويغلق بعد المغرب غالباً، ويصلي فيه قليل من المسلمين في الأوقات العادية، أما يوم الجمعة فيمتلئ المسجد وساحاته، لأن المسلمين يحضرون من أماكن بعيدة. وكانت منازل المسلمين تحيط بالمسجد في القلسم، والآن لا يوجد قربه إلا قليل منهم. ولا يوجد من يدرس أبناء المسلمين فيه، وفي بعض الأحيان يلقي الإمام دروساً في المسجد لمن يحضر من المسلمين. وقليل من المسلمين في المدينتين يؤدون الصلاة في منازلهم، بسبب الجهل. ولا يوجد علماء في مدينته. وفي المدينة الأخرى يوجد إمام تخرج من معهد العلوم الإسلامية الصيني

(١) [تنبيهان: هنا تنبيهان:

الأول: أن المؤتمر الذي أشار إليه، هو مؤتمر الإعجاز العلمي الذي عقد في مدينة إسلام آباد في عهد ضياء الحق، وحضره عدد كبير من علماء الإسلام وعلماء الكون والطب وغيرهم، من مسلمين وغيرهم، وقدمت فيه بحوث كثيرة، ونوقشت مناقشات مستفيضة، وكان له أثر عظيم.

الثاني: أنه برغم عظيم فائدته تجد الجاهلين به ممن يزعمون أنهم رجال دعوة ينكرون القائمين به، وبخاصة الشيخ عبد الحميد بن عزيز الزنداني اليمني (رئيس جامعة الإيمان الآن في صنعاء) وقد بذل جهوداً عظيمة في هذا الباب ولا زال، وهو الذي أنشأ هيئة الإعجاز العلمي في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، بعد جهد جهيد استمر ما يقارب خمسة عشر عاماً. وإنكار هؤلاء لهذا العمل الجليل أمر غريب، ولكن: من جهل شيئاً عاداه!].

في بكين، وهو في مستوى جامعة. ولا توجد مدارس إسلامية في المنطقة. وقد جاء من مدينة (كانتون) إلى الجامعة الإسلامية ثلاثة طلاب فقط، تخرج منهم هذه السنة الأخ عبد الرحمن، وبقي اثنان في المستوى الثالث من الشعبة. وقد قُبِلَ الأخ عبد الرحمن في الجامعة الإسلامية، بعد تخرجه من شعبة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها التابعة للجامعة، والغالب أن يكون في كلية الدعوة. عدد سكان المقاطعة: عشرون ألفاً وثمانمائة ألف وخمسة وستون مليون (٦٥٨٢٠٠٠٠) نسمة، حسب إحصاء الدولة لسنة ١٩٩٥م.

عدد سكان المدينة (كانتون): تسعون ألفاً وتسعمائة ألف ومليون نسمة (١٩٩٠٠٠٠) نسمة حسب الإحصاء المذكور سابقاً. ومدينة (كانتون) مدينة تجارية، ويوجد فيها معرض دولي يقام في كل سنة مرتين، تعرض فيه الصناعات الصينية من كل مقاطعات الصين.

والمسلمون في هذه المدينة متوسطو الحال، والفقراء قليل. وتوجد بالمقاطعة أفرار كثيرة. وتكثر فيها زراعة الأرز والفواكه وتكثر في كانتون الزهور، ولذا تسمى: مدينة الزهور. وتوجد في المقاطعة صناعات منها: الغزل النسيج، والأحذية، والصناعات الخفيفة، مثل قطع الغيار والورق. كما تشتهر بصناعة السفن، ومصانع لمشتقات البترول.

وتسمى مدينة (كانتون) بوابة الصين الجنوبية، لأنها تستقبل البضائع الأجنبية، كما أنها تصدر منها البضائع الصينية إلى الخارج، وهي إحدى المدن التي بدأ الانفتاح التجاري فيها من سنة ١٩٨٤م. وهي أول المدن التي استوطنها المسلمون في القرن الأول الهجري.

ويقال: إن أحد الصحابة توفي فيها وهو أبو وقاص الذي بنى مسجد الشوق إلى

النبي ﷺ^(١).. وقد كانت توجد بعض الآثار للمسلمين غير هذا المسجد، أخذتها الحكومة وأودعتها في متحف المدينة.

إلى هنا ينتهي هذا الكتاب، الذي كنت أرغب في التوسع فيه
ولكن كثرة الأعمال حالت بيني وبين هذه الرغبة.

تمت آخر مراجعة لهذا الكتاب الساعة الثامنة من صباح يوم السبت
الخامس من شهر شوال، سنة ١٤٢٤هـ — ٢٤ من شهر نوفمبر من سنة ٢٠٠٣م
في منزلي بالمدينة المنورة في حي الأزهرى الواقع شمال طريق الخليفة أبي بكر الصديق
النازل...

وقد راجعته مرة أخرى وفرغت من مراجعته صباح يوم الخميس
الساعة الثالثة سنة ١٤٢٦هـ — ١١ من شهر نوفمبر سنة ٢٠٠٥م
والحمد لله رب العالمين.

وسبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

(١) [سبق الكلام على هذا المسجد وما يقال عن الصحابي].

ملحق صور الصين الشعبية





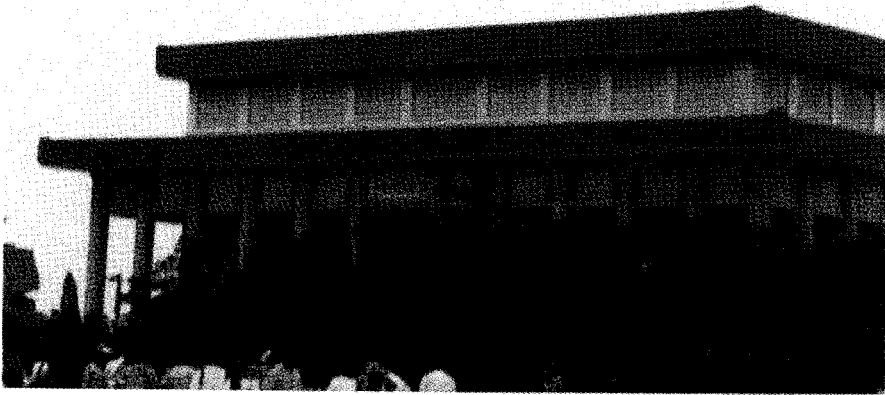
صورة رقم (١) مع مسؤول مكتب هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية مصطفى بن أحمد
صالح في بكين ١٤١٦/٢/٢٦ هـ — ١٩٩٥/٧/٢٤ م



صورة رقم (٢) منظر لمدينة بكين التقط من الفندق



صورة رقم (٣) الكاتب أمام مبنى البرلمان الصيني في بكين ويرى بعض حراس المبنى
أعلى الدرج على اليسار ١٤١٦/٢/٢٧ هـ



صورة رقم (٤) قبر ماو تسي تونغ في ميدان تيان إن مين

١٤١٦/٢/٢٧ هـ



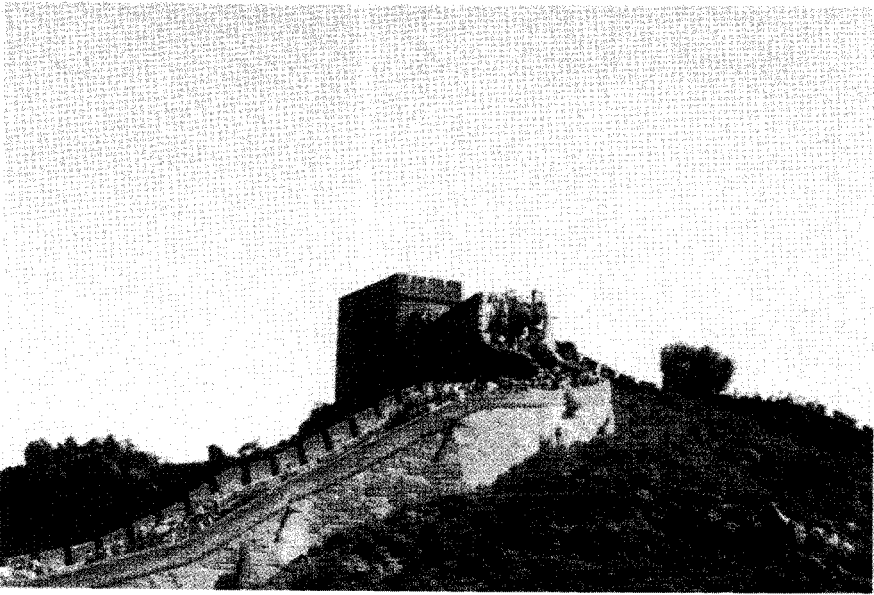
صورة رقم (٥) إحدى بنايات القصر الامبراطوري "المدينة المحرمة" بكين

١٤١٦/٢/٢٧ هـ



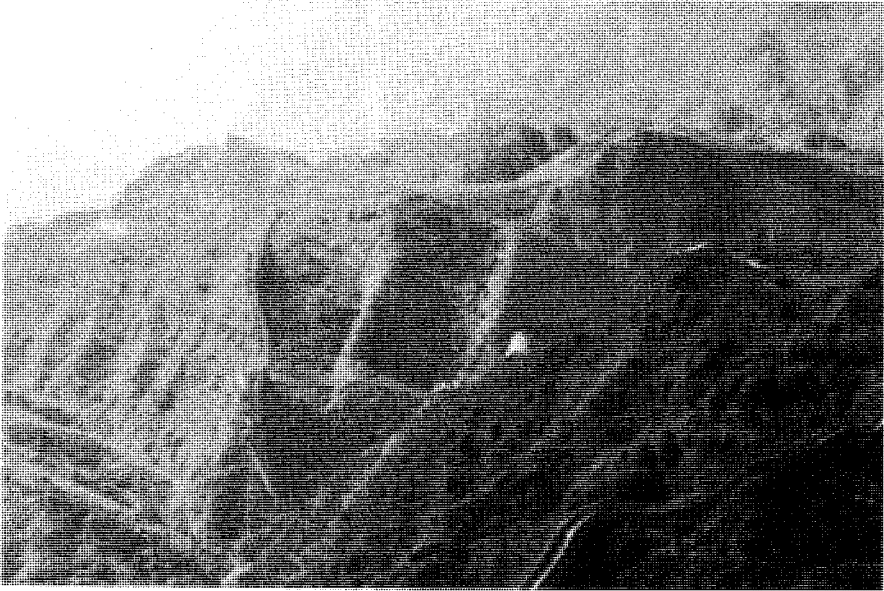
صورة رقم (٦) مع الأستاذ يحيى نلسون في منزله "المعهد المركزي للقوميات

والأديان في بكين" ١٤١٦/٢/٢٧ هـ

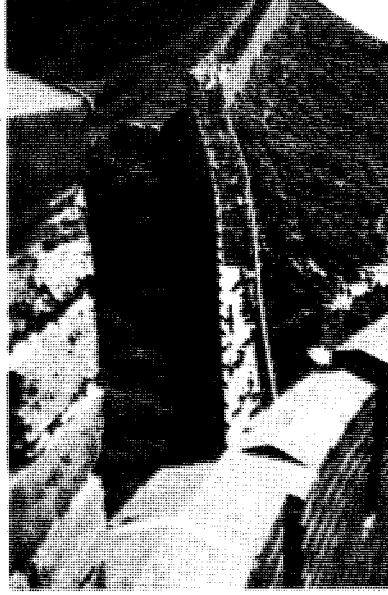


صورة رقم (٧) إحدى نقاط المراقبة العسكرية لسور الصين

٥١٤١٦/٢/٢٨



صورة رقم (٨) لسور الصين في الأودية والجبال



صورة رقم (٩) منظر التقطه الكاتب لسور الصين ١٤١٦/٢/٢٨ هـ

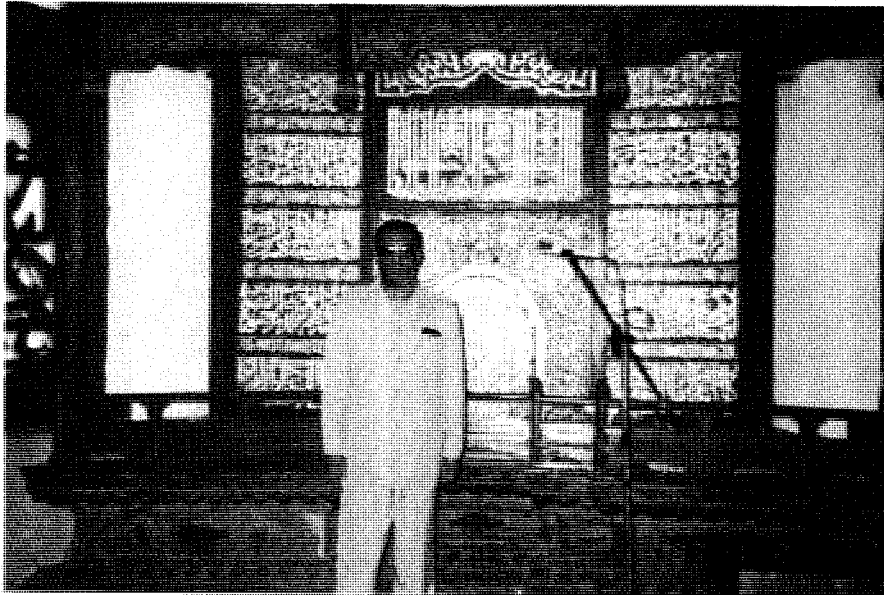


صورة رقم (١٠) الدب الصيني المشهور (الباندا) حديقة الحيوان بكين

١٤١٦/٢/٢٩ هـ



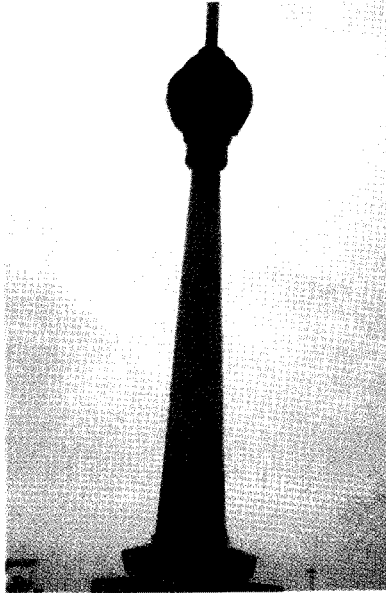
صورة رقم (١١) مثدنة مسجد شارع البقر في بكين ١٤١٦/٢/٢٩ هـ



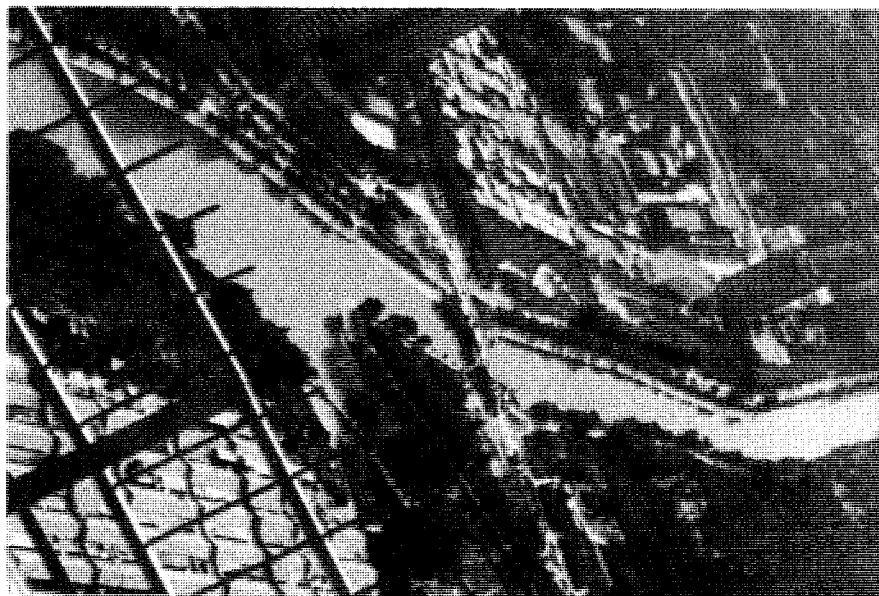
صورة رقم (١٢) الكاتب في محراب مسجد شارع البقر



صورة رقم (١٣) مع نائب رئيس الجمعية الإسلامية في بكين عبد الرحيم أمين
١٤١٦/٢/٢٩ هـ



صورة رقم (١٤) برج الإذاعة والتلفزيون — بكين — ١٤١٦/٢/٢٩ هـ



صورة رقم (١٥) منظر التقط من برج الإذاعة والتلفزيون — بكين —



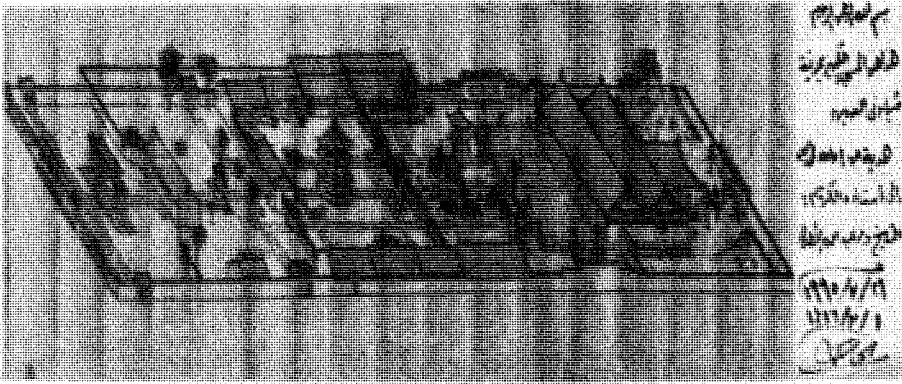
صورة رقم (١٦) منظر لمدينة شيان التقط من الفندق ١٤١٦/٣/٣ هـ



صورة رقم (١٧) مركز مدينة شيثان ١٤١٦/٣/٣ هـ



صورة رقم (١٨) الإمام الخطاط (يحيى) إمام أكبر جامع في شيثان وقد بناه
اميراطور الصين قبل ألف سنة وعلى اليسار المرافق الصيني إبراهيم ١٤١٦/٣/٢ هـ



صورة رقم (١٩) مخطط المسجد الكبير بمدينة شيتان هدية من إمام المسجد
وعليه الإهداء بخط يده

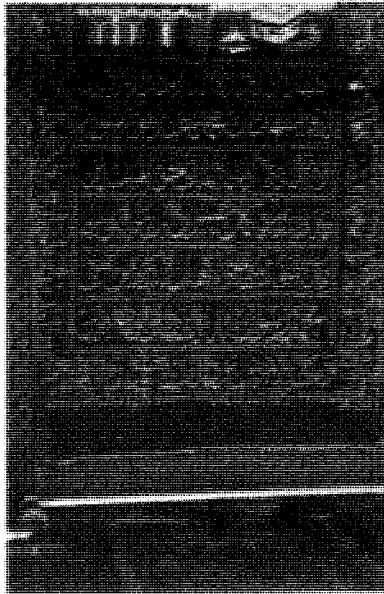


صورة رقم (٢٠) أمام مبنى آثار الاميراطور في شيتان مع طالبين من طلاب الجامعة
الإسلامية بالمدينة من أهل شيتان ١٤١٦/٣/٢ هـ



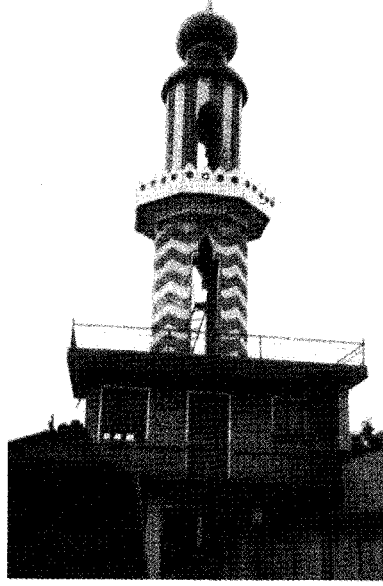
صورة رقم (٢١) أحد ميادين مدينة لانيجو أمام الفندق الذي نزل به الكاتب

١٤١٦/٣/٤ هـ



صورة رقم (٢٢) محراب أول مسجد صادفناه في مدينة لانيجو عند النزول من

الجبيل ١٤١٦/٣/٥ هـ



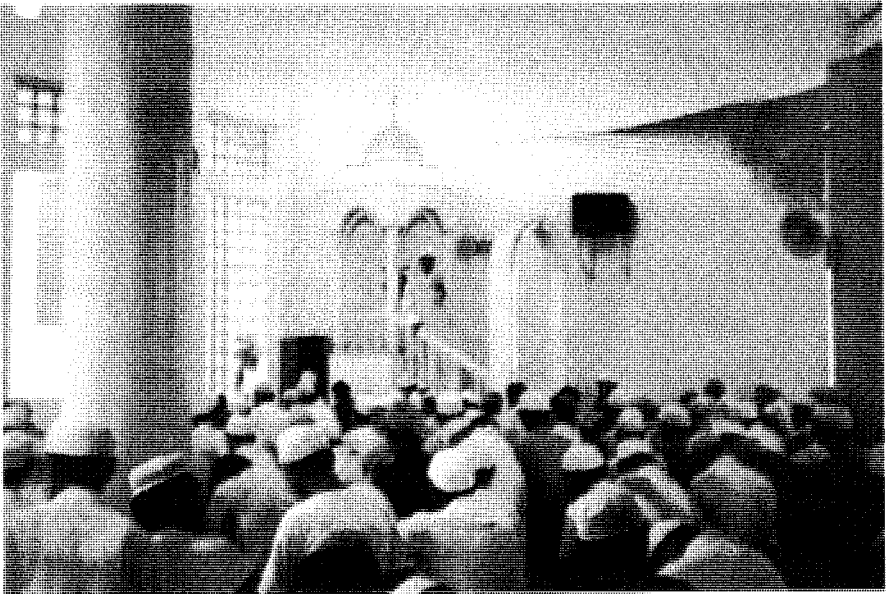
صورة رقم (٢٣) منارة مسجد مدينة لانجو المذكور



صورة رقم (٢٤) مع إمام أكبر جامع في مدينة لانجو "يونس يانسانج"

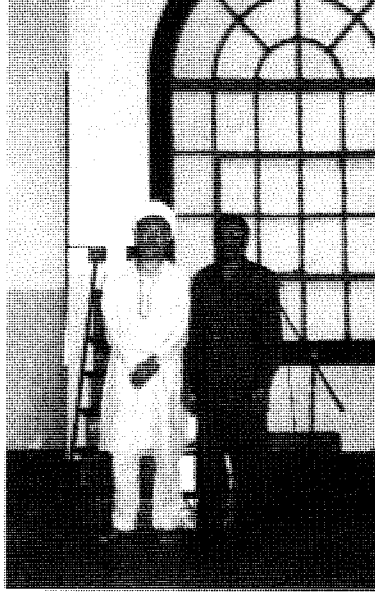


صورة رقم (٢٥) منظر لمدينة شنغهاي ١٤١٦/٣/٧ هـ



صورة رقم (٢٦) صلاة الجمعة في مسجد خوسي في شنغهاي

١٤١٦/٣/٨ هـ



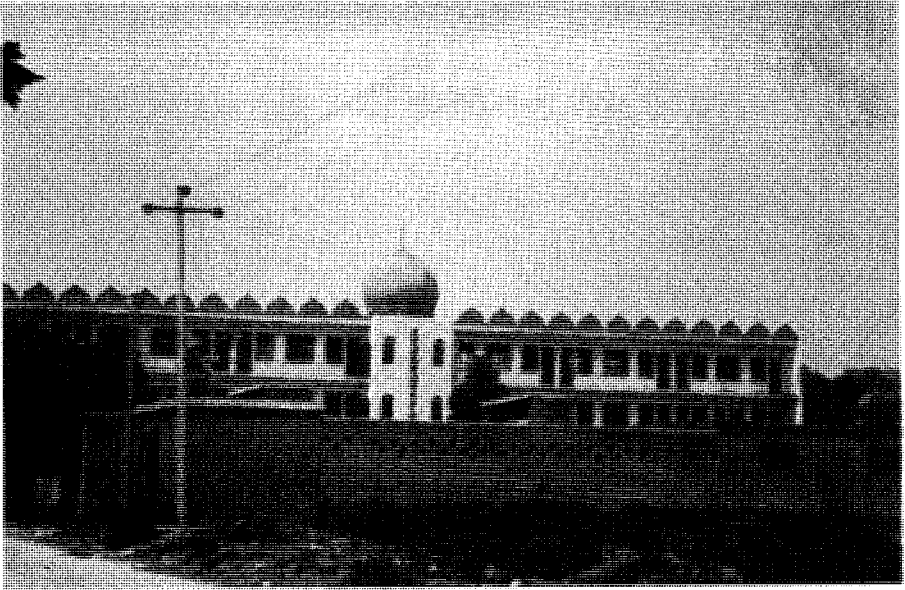
صورة رقم (٢٧) الكاتب مع إمام مسجد خوسي حسن إسماعيل — شنغهاي



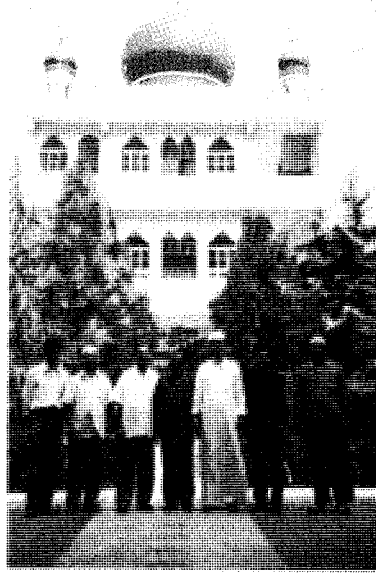
صورة رقم (٢٨) الطلاب العرب في جامعة شنغهاي في مقر السكن
يصغون إلى أحدهم يقدم الكاتب لإلقاء محاضرة ١٤١٦/٨/٥ هـ



صورة رقم (٢٩) المدرسة الأهلية في جانغ ديان ١١/٣/١٤١٦ هـ



صورة رقم (٣٠) مدينة جانجو ١١/٣/١٤١٦ هـ



صورة رقم (٣١) مع بعض أعيان المسلمين في جانغ ديان أمام الجامع
١٤١٦/٣/١١ هـ



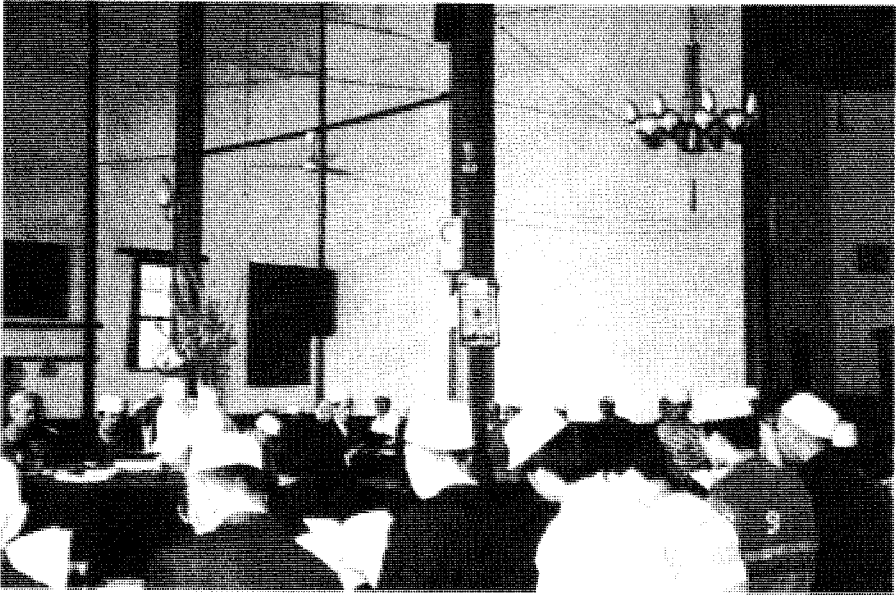
صورة رقم (٣٢) المدرسة الحكومية لأولاد المسلمين في مدينة جانغ ديان
١٤١٦/٣/١١ هـ



صورة رقم (٣٣) مع المسؤولين عن إحدى مدارس المسلمين الخاصة في مدينة
جانبو ١٤١٦/٣/١٢ هـ



صورة رقم (٣٤) منظر لجانب من مدينة كومينغ التقط من الفندق
١٤١٦/٣/١٢ هـ



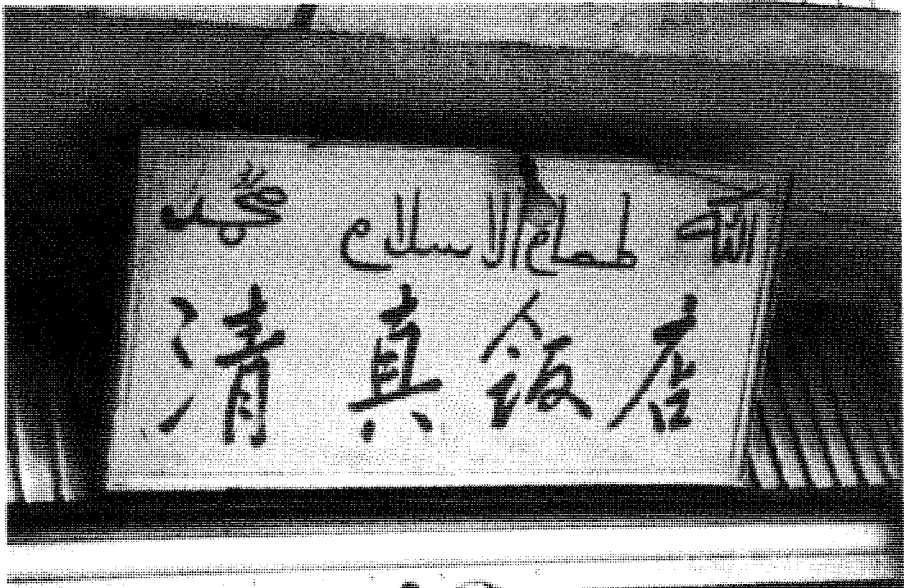
صورة رقم (٣٥) الصينيون يقرأون المولد في أحد مساجد مدينة كومينغ عاصمة
يوتان ١٤١٦/٣/١٣ هـ



صورة رقم (٣٦) منظر التقطه الكاتب من على الجبل الغربي في مدينة كومينغ
١٤١٦/٣/١٤ هـ



صورة رقم (٣٧) صناديق النقل السياحية في الجبل الغربي — كومينغ



صورة رقم (٣٨) إعلان عن وجود الطعام الحلال بالألفاظ العربية التي تتردد على الألسنة عند الصينيين في إحدى قرى الريف في يونان ١٥/٣/١٤١٦ هـ



صورة رقم (٣٩) الكاتب ومرافقه الصيني إبراهيم علي إحدى البحيرات في الطريق
بين كومينغ ولاشايين ١٤١٦/٣/١٥ هـ



صورة رقم (٤٠) علي بدر الدين والد لاشي رنغ



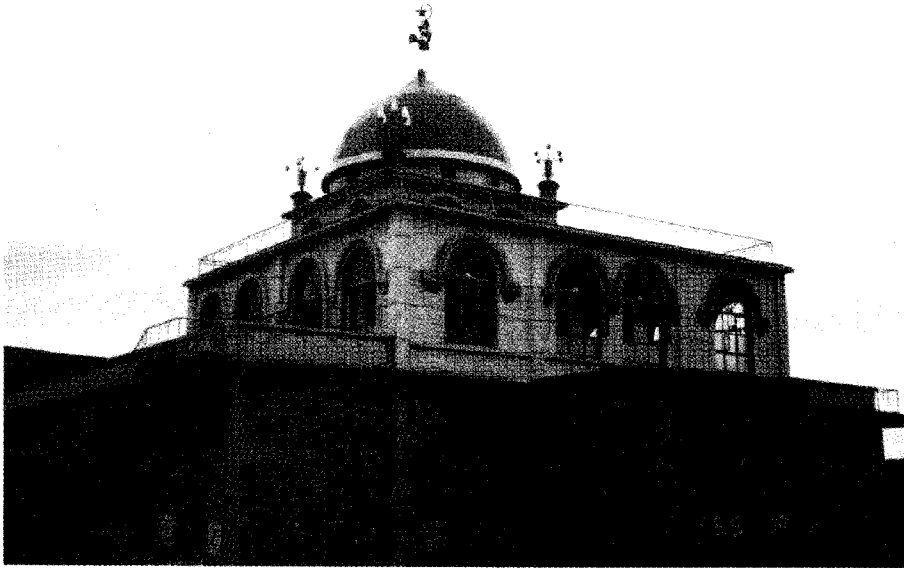
صورة رقم (٤١) مدرسة نسائية في منطقة لاشاين



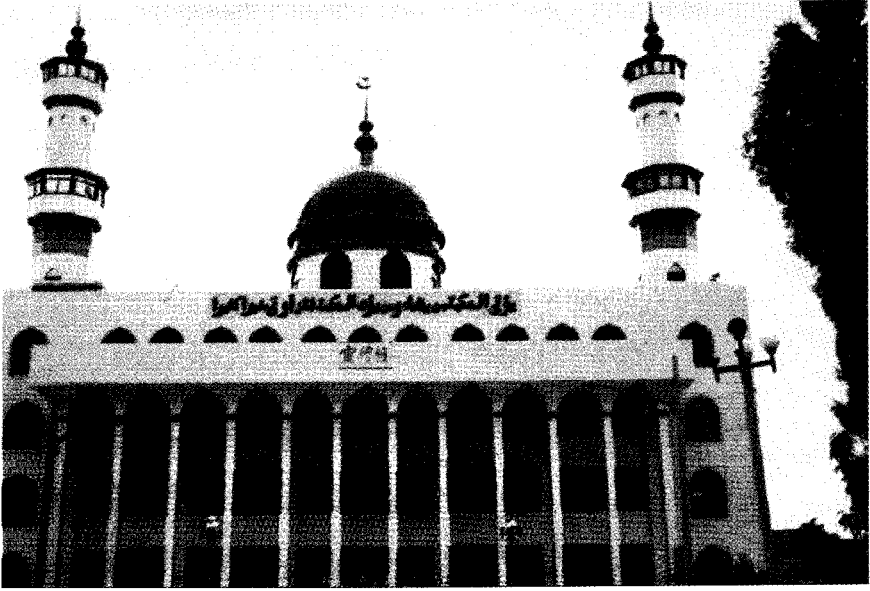
صورة رقم (٤٢) المدرسة الأهلية في لاشاين — يونان — ١٥/٣/١٤١٦ هـ



صورة رقم (٤٣) التاجر المسلم لاشي رونغ في منزله على يسار الكاتب وابنه
وإبراهيم الصيني يمين الكاتب ١٥/٣/١٤١٦ هـ



صورة رقم (٤٤) مسجد في لاشاين — يونان — ١٥/٣/١٤١٦ هـ



صورة رقم (٤٥) مسجد أيضاً في لاشين — يونان — ١٥/٣/١٤١٦ هـ



صورة رقم (٤٦) الشيخ محمد أمين في الفندق في مدينة كومينغ ١٧/٣/١٤١٦ هـ



صورة رقم (٤٧) الكاتب والشيخ محمد أمين في الفندق في مدينة كومينغ

١٤١٦/٣/١٧ هـ



صورة رقم (٤٨) الكاتب والشيخ محمد أمين والمترجم محمد إبراهيم في منزل

الكاتب بالمدينة المنورة في مكتبة المنزل



صورة رقم (٤٩) الشيخ محمد أمين يشرح أحوال المسلمين في الصين ويطلب النصيحة في كيفية تفقيه الشباب وتربيتهم ليقوموا بالدعوة بمثل الكاتب



صورة رقم (٥٠) مسجد نيو جي بالعاصمة بكين



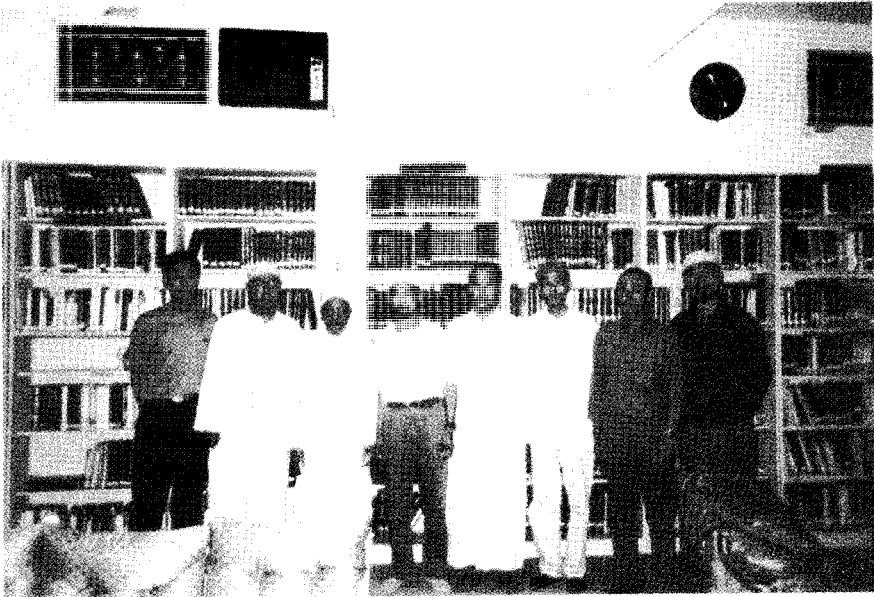
صورة رقم (٥١) الكاتب ومحمد نوح في منزل الكاتب بالمدينة المنورة



صورة رقم (٥٢) مخيم الطلبة المسلمين الصينيين في منغوليا الداخلية



صورة رقم (٥٣) الكاتب وبجواره سعيد الصيني من جزيرة هينان
في منزل الكاتب بالمدينة المنورة ١٤١٧/١/٢٣ هـ



صورة رقم (٥٤) الداعية سعيد حسن الصيني ومعه بعض المهتدين الجدد من دولة
الكويت — في مكتبة منزل الكاتب بالمدينة المنورة — حي الأزهرى

المحتويات

الصين الشعبية — القسم الأول	٥
معلومات عامة عن الصين	٥
سبب التسمية	٥
موقع الصين ومساحتها	٦
الاتصالات في الصين	١٥
أصل سكان الصين	١٥
الأديان المشهورة في الصين	١٩
الكنفوشوسية	٢٠
الطاوية	٢٣
البوذية	٢٣
الديانة اليهودية	٢٥
الديانة النصرانية	٢٥
هل خَلَّت جميع العصور في الصين من رسالة سماوية قبل الإسلام؟	٢٦
لغة الصينيين	٣٠
سور الصين العظيم: تاريخ بناء السور والغرض من بنائه	٣٠
ليس هو سد يأجوج ومأجوج	٣١
مشروع لاكتشاف السد	٣٥
مسوغات مشروع البحث عن سد يأجوج ومأجوج	٣٥
هل يمكن اكتشاف سد يأجوج ومأجوج؟	٣٦
الأدلة الشرعية على إمكان اكتشاف السد	٣٧
من هم يأجوج ومأجوج؟	٣٨

- من هي القبائل التي شكت إلى ذي القرنين؟ ٣٩
- ومن هو ذو القرنين؟ ٤٣
- نظام الحكم في الصين ٥٠
- الإمبراطور يصف عبثه وتعبيد الناس له ٥١
- الأسباب الظاهرة لسقوط الإمبراطورية الصينية ٥٤
- أبو الجمهورية الصينية ٥٧
- هزيمة خلف أبي الجمهورية وهربه إلى تايوان ٥٩
- جمهورية الصين الشعبية ٥٩
- نبذة عن ماو تسي تونج ٦٠
- خلافات الحزب الشيوعي ٦٠
- الثورة الثقافية أساسها وآثارها ٦١
- الأحزاب السياسية في الصين ٦٦
- عصابة الأربعة تطلعاهم والقضاء عليهم ٦٦
- بلد واحد.. نظامان ٦٨
- أولاً: هونج كونج ٦٩
- ثانياً: ماكاو ٧١
- ثالثاً: تايوان ٧٢
- علاقة العرب بالصين قبل الإسلام ٧٤
- متى وصل الإسلام إلى الصين؟ ٧٥
- روايات دخول الإسلام إلى الصين وتقويمها ٧٦
- تأثرت الروايات الأربع المذكورة وأسبابه ٧٧
- صعوبة تحديد زمن أو شخص لإدخال الإسلام إلى الصين ٧٩

- عِلْمُ مَلِكِ الصِّينِ قُوَّةَ الْمُسْلِمِينَ وَبِأَسْهُمِ سَنَةِ ٢٢ هـ ٨٣
- وَصُولُ بَعْضِ الْمُجَاهِدِينَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الصِّينِ ٨٥
- دَعْوَةُ مَلِكِ الصِّينِ إِلَى الْإِسْلَامِ ٨٥
- اسْتِمْرَارُ عِلَاقَاتِ الْمُسْلِمِينَ بِالصِّينِ بَعْدَ تَوَقُّفِ الْفَتْوحَاتِ ٨٨
- الطَّرِيقُ الَّتِي سَلَكَهَا الْمُسْلِمُونَ إِلَى الصِّينِ ٩٠
- الْمَنَاطِقُ الَّتِي اسْتَقَرَّ بِهَا الْمُسْلِمُونَ فِي الصِّينِ ٩٣
- اِنتِشَارُ الْمُسْلِمِينَ فِي أَنْحَاءِ الصِّينِ بَعْدَ الْفَتْحِ الْمَغُولِيِّ ٩٦
- أَسْبَابُ اِنتِشَارِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ فِي مَنَاطِقِ الصِّينِ ٩٧
- اهْتِمَامُ الْمُؤَرِّخِينَ الصِّينِيِّينَ بِعِلَاقَاتِ الْمُسْلِمِينَ بِالصِّينِ ٩٩
- تَمَتُّي الْحُدُودِ تَارِيخِيًّا لِعِلَاقَاتِ الْمُسْلِمِينَ بِإِنْدُونِيسِيَا كَمَا فِي الصِّينِ ١٠٠
- مَوَاقِفُ الْأَسْرِ الْإِمْرَاطُورِيَّةِ مِنَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ١٠١
- الْمُسْلِمُونَ فِي عَهْدِ أُسْرَةٍ: تَانْغُ (Tang): (٦١٨م — ٩٠٧م) ١٠٢
- أَحْدَاثُ إِسْلَامِيَّةٍ بَارِزَةٍ حَصَلَتْ بَعْدَ الْبُعْثَةِ فِي عَهْدِ هَذِهِ الْأُسْرَةِ ١٠٢
- الْمُسْلِمُونَ عَلَيَّ عَهْدِ أُسْرَةِ سُونْغُ (Sung) (٩٦٠ — ١٢٧٩) ١٠٣
- ثَنَاءُ أُسْرَةِ سُونْغُ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ وَعَلَى دِينِهِ ١٠٦
- الْمُسْلِمُونَ فِي عَهْدِ أُسْرَةِ (يُوَانُ) (Yuan): (١٢٨٠ — ١٣٦٨) ١٠٨
- مَظَاهِرُ مَكَانَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي عَهْدِ أُسْرَةِ (يُوَانُ) ١١٠
- أَسْبَابُ اِنتِشَارِ الْإِسْلَامِ فِي الصِّينِ ١١٣
- حَقْدُ وَوَشَايَةِ وَمَعَامَلَةِ ظَالِمَةٍ ١١٤
- وَفِي التَّارِيخِ عَمِيرٌ ١١٤
- الْمُسْلِمُونَ فِي عَهْدِ أُسْرَةٍ: (مِينْغُ) (١٣٦٨ — ١٦٤٤): ١١٥
- عَدَمُ الصَّدَامِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأُسْرَةِ مِينْغُ وَأَسْبَابُ ذَلِكَ ١١٦

١١٧.....	مظاهر علاقة المسلمين الطيبة بأسرة مينغ
١١٩.....	نص الرسالة العربية
١٢٣.....	المسلمون في عهد أسرة: (تسنغ) (١٦٤٤ — ١٩١١)
١٢٤.....	حالة المسلمين في عهد أسرة تسنغ
١٢٤.....	مظاهر المظالم المنشورية التي حلت بالمسلمين
١٢٦.....	أسباب ظلم أسرة (تسنغ) للمسلمين وانتصارها عليهم
١٣٢.....	ثورات المسلمين ضد ظلم المانشو
١٣٢.....	الثورة الأولى: وقعت في شمال غرب الصين في (لانتشو)
١٣٣.....	الثورة الثانية كانت في منطقة (شيفانباو)
١٣٣.....	الثورة الثالثة: قام بها زعيم مسلم يدعى (جهانكير)
١٣٣.....	الثورة الرابعة: كانت في منطقة (يونان) في أقصى جنوب الصين
١٣٤.....	الثورة الخامسة: كانت في (شانسي) و(قانسو)
١٣٥.....	السبب الثامن: خذلان القوي من المسلمين الضعيف منهم، وإسلامه لعدوه وعدم نصرته
١٣٥.....	السبب التاسع: اختلاف المسلمين وتنازعهم الذي أدى إلى فشلهم
١٣٧.....	آثار ثورات المسلمين على مسيرة الإسلام في الصين
١٣٨.....	المصالح التي جناها المسلمون من معاركهم ضد الدولة
١٣٩.....	الأضرار التي لحقت المسلمين بسبب تلك الثورات
١٤١.....	هل يؤاخذ المسلمون على ثوراتهم التي أحدثت لهم تلك الأضرار؟
١٤٤.....	متى يشرع الجهر بالإسلام ومتى يسر به؟
١٤٩.....	حالة المسلمين في عهد: جمهورية الصين الوطنية ١٩١١ — ١٩٤٩ م
١٥١.....	مظاهر دفاع المسلمين عن الوطن

١٥٢.....	مكاسب المسلمين في عهد الحكومة الوطنية
١٥٤.....	حالة المسلمين في عهد جمهورية الصين الشعبية
١٥٥.....	رحم الله السارق الأول
١٥٦.....	القضاء على مكاسب المسلمين
١٥٩.....	حالة المسلمين بعد عهد ماو
١٦٠.....	مكاسب المسلمين بعد موت ماو
١٦٢.....	الجمعيات الإسلامية في الصين
١٦٥.....	الجمعية الإسلامية الصينية والغرض من إنشائها
١٦٥.....	رأي مسلمي الصين في الجمعية الإسلامية الصينية
١٦٦.....	الرأي المعلن الأول
١٦٩.....	الرأي الثاني المعلن
١٧٠.....	الرأي الثالث الخفي
١٧١.....	ما للجمعية الإسلامية الصينية وما عليها
١٧٧.....	المصالح التي تحققت للمسلمين بوجود الجمعية
١٧٨.....	ما يؤخذ على الجمعية
١٨٠.....	مدارس المسلمين وأقسامها
١٨٢.....	البعثات الطلابية الصينية إلى الأزهر
١٨٤.....	الصحف الإسلامية في الصين
١٨٦.....	عدد المسلمين في الصين
١٩٣.....	اعتراف واقتراحات
١٩٤.....	الأسماء التي أطلقت على الإسلام وسبب إطلاقها
١٩٥.....	المساجد في الصين

١٩٨.....	صعوبة إحصاء المساجد في الصين وأسباب ذلك
٢٠٠.....	تسمية المساجد في الصين
٢٠٠.....	تقسيم المساجد في الصين
٢٠١.....	تميز المساجد عن سواها من المعابد
٢٠١.....	مسجد هوايشنغ
٢٠٢.....	مسجد شيثان جريت موسك
٢٠٤.....	مسجد شارع البقر (نيوجيه)
٢٠٥.....	ملحق عن ترميم هذا المسجد
٢٠٩	الصين الشعبية — القسم الثاني
٢٠٩	المذكرات اليومية ١٤١٦هـ — ١٩٩٥م والنتائج والتوصيات
٢٠٩.....	رغبة وأسباب
٢١٢.....	أول رحلة في حياتي إلى خارج أرض الحرمين
٢١٥.....	وحقق الله الرغبة
٢١٦.....	حنين شديد وأسباب
٢١٨.....	خوف ومسوغات
٢٢٠.....	تصميم واستعداد
٢٢٢.....	أهدائي من الرحلات
٢٢٤.....	من جدة إلى بانكوك
٢٢٤.....	الأثر يدل على المسير
٢٢٤.....	لو اهتم المسلمون بدينهم لنالوا احترام الناس لهم
٢٢٥.....	وإغال في التقصير
٢٢٥.....	من بانكوك إلى هونغ كونغ
٢٢٦.....	من هونغ كونغ إلى بكين

٢٢٦.....	ابن الوزير والفأر.....
٢٢٩.....	سهولة لم أتوقعها في مطار بكين.....
٢٢٩.....	انتظار وترقب ومشروع احتياطي.....
٢٣١.....	١ - في مدينة بكين.....
٢٣١.....	مظاهر مغرية، ومخابر مؤذية.....
٢٣٢.....	اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً.....
٢٣٣.....	مع مندوب هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية في بكين.....
٢٣٥.....	ترابط الأسر الصينية.....
٢٣٦.....	في الأسواق الشعبية.....
٢٣٦.....	ميدان السيطرة على الصين.....
٢٣٨.....	المدينة المحرمة.....
٢٣٩.....	وصف موجز للمدينة المحرمة.....
٢٣٩.....	عواصم الصين القديمة.....
٢٤٠.....	زيارة الحاج يحيى لنسون بمقره.....
٢٤١.....	أحوال المسلمين في الصين وموقف الحكومة منهم.....
٢٤٤.....	إلى سور الصين العظيم.....
٢٤٤.....	بلد الدراجات.....
٢٤٥.....	حوار مع سائق السيارة يَنْ شُو يِي.....
٢٤٩.....	لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة والله يهدي من يشاء.....
٢٥٠.....	وصف ما رأيناه من السور.....
٢٥٢.....	قراءة واستنتاجات.....
٢٥٥.....	زيارة حديقة الحيوان في بكين.....

٢٥٥.....	مسجد شارع البقر وسبب التسمية
٢٥٥.....	زيارة الجمعية الإسلامية لمسلمي الصين
٢٥٥.....	مدينة بكين (أ)
٢٥٦.....	مدينة بكين (ب)
٢٥٧.....	فقد الخدمة المعينة على مهمتي في الصين
٢٥٧.....	السفر من بكين إلى مدينة (شيئان)
٢٥٧.....	إبراهيم: كيف أعيش؟
٢٥٩.....	٢ — في مدينة شيئان
٢٥٩.....	معلومات عن مدينة شيئان
٢٦٠.....	المسلمون في المنطقة
٢٦١.....	زيارة الجامع الكبير في مدينة شيئان
٢٦١.....	زيارة مسجد دا بي يوان
٢٦١.....	السفر من شيئان إلى لانجو
٢٦٢.....	جبال الطين
٢٦٣.....	٣ — في مدينة لانجو
٢٦٣.....	خبر مخيف ونُصْحُ بالمغادرة
٢٦٤.....	فلنرحل من هذه المدينة
٢٦٤.....	أسئلة الموظفين في مكتب الخطوط أمنية
٢٦٤.....	ويأبى الله إلا ما يريد
٢٦٥.....	النهر الأصفر
٢٦٥.....	مع إمام مسجد سيوان
٢٦٦.....	معلومات مختصرة عن المسلمين في المنطقة
٢٦٦.....	مدينة لينشا: (مكة الصغرى والخلفاء)

- انتشار التفسخ الأخلاقي في الصين وسببه ٢٦٧
- السفر من لانبجو إلى شنغهاي ٢٦٧
- ٤ — في مدينة شنغهاي ٢٦٩
- جولة عامة في مدينة شنغهاي ٢٦٩
- انفتاح متدرج ونهضة عمرانية ٢٦٩
- سوق الليل ٢٦٩
- صلاة الجمعة في مسجد خوسي ٢٧٠
- وصية الشيخ أحمد المزعومة ٢٧١
- دروس مجانية في الرياضة ٢٧٢
- زيارة إمام أكبر مساجد مدينة شنغهاي ٢٧٢
- زيارة الطلاب العرب في مقر إقامتهم في الجامعة ٢٧٣
- أستاذ صيني ينصح غير المسلمين بالتعرف على حقيقة الإسلام ٢٧٤
- السفر من شنغهاي إلى جانجو ٢٧٥
- ٥ — في مدينة جانجو ٢٧٧
- مقاطعة خيلان ٢٧٧
- زيارة مدينة جانغ ديان ٢٧٧
- الاجتماع بإمام المسجد إبراهيم ماكوفن ٢٧٨
- حرص المسلمين على تعليم أبنائهم مبادئ الإسلام ٢٧٨
- ترحيب حار واستقبال حسن ٢٧٩
- السفر من جانجو إلى كومينغ ٢٨٠
- من أولى. منع الخبائث المؤذية!؟ ٢٨٠
- تحسبهم أغنياء من التعفف ٢٨٠
- ٦ — في مدينة كومينغ ٢٨١

٢٨١.....	مؤتمر أحدث أزمة في الفنادق
٢٨١.....	زيارة مسجد (SHA LOU)
٢٨٢.....	البحث عن الشيخ محمد أمين
٢٨٢.....	من أي قارة أنت؟
٢٨٣.....	بلدة الربيع
٢٨٣.....	إرهاق السكان بالضرائب
٢٨٤.....	حوار مع الأخ إبراهيم
٢٨٤.....	سَبَقَتْهُ أخته إلى الإسلام وأرشدته إليه بحكمة
٢٨٦.....	إيمانه بالإله وشكه في الرسول والسبب
٢٨٧.....	جولة في الجبل الغربي
٢٨٧.....	حوار قصير مع سادن المعبد
٢٨٨.....	السفر إلى قرية لا شا ين
٢٨٩.....	٧ — في منطقة لا شا ين
٢٨٩.....	في منزل التاجر المسلم (لا شي رونغ)
٢٩٠.....	عدد سكان الصين
٢٩١.....	أخلاق الغرب الفاسدة تتغلغل في الصينيين
٢٩١.....	واجب المسلمين في خارج الصين لمسلمي الصين
٢٩٢.....	مقابلة فضيلة الشيخ الحاج محمد أمين ما إن شين
٢٩٤.....	ما ناله هو وأسرته من أذى في سبيل الله
٢٩٥.....	أقدم مسجد في الصين
٢٩٦.....	الأديان الموجودة في الصين
٢٩٧.....	حكماء الصين

أساليب الدعوة النافعة	٢٩٧
نص الخطاب الذي وجهه إليّ الشيخ محمد أمين	٢٩٩
وثيقة عن حالة المسلمين في الصين	٣٠٠
كيف لو رأيته في لباسه العربي؟	٣٠٦
الشيخ محمد أمين الصيني في منزلي بالمدينة المنورة	٣٠٧
كل شيء لنا لو طبقنا إسلامنا	٣٠٩
بطء شديد في حركة الصينيين في مطار هونغ كونغ	٣١١
السفر من هونغ كونغ إلى مكاو	٣١١
٨- في مدينة مكاو	٣١٣
تَسَلَّم الصين مكاو من البرتغال	٣١٣
وما ذا عن تركستان الشرقية؟	٣١٤
احتلال الصين العسكري لتركستان الشرقية	٣١٥
ضم الصين (تركستان الشرقية) إليها رسمياً	٣١٦
المظالم الشيوعية للمسلمين في تركستان المسلمة	٣١٧
أساليب الشيوعيين في ظلم المسلمين وتصيينهم	٣١٨
تضييق الخناق على المسلمين في هذه الأيام	٣١٨
ملحق من مركز تركستان الشرقية للمعلومات	٣٢١
حوار مع بعض الطلبة الصينيين عن الإسلام في بلادهم	٣٣٥
النشاط الشيوعي في الصين	٣٤١
المعاهد والمدارس المشهورة	٣٤٣
أستاذ الأساتذة وتطور التعليم الديني	٣٤٥
هجرة طلاب الصين إلى الخارج بعد الانفتاح	٣٤٦

٣٥٨.....	دليل معهد العلوم الشرعية لإعداد الدعاة والمعلمين
٣٧٥.....	حوار مع المسلم الصيني الأخ: علي بن محمد
٣٧٧.....	التفسخ الأخلاقي بعد الانفتاح وسيبه
٣٧٨.....	تأثر المسلمين بالخرافات الصينية
٣٧٩.....	حوار مع الطالب الصيني (سعيد بن حسن)
٣٨٠.....	معلومات عن مقاطعة هينان
٣٨٤.....	مقابلة مع الطالب الصيني (عبد الرحمن)
٣٨٦.....	جامع الشوق إلى النبي ﷺ